

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي

الكردي - العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة التاسعة -العدد (37) ربيع 2013

موقع المجلة على الانترنت

www.serdem.net

المراسلات

تلفاكس: 00447043129839

ايميل

info@serdam.org

او عن طريق رئيس التحرير

ahmeddana8478@yahoo.com

موبايل: 07701551153

تصميم الغلاف: ارام على

المصم المنفذ: اوميد محمد

المشرف على الطبع: فرهاد رفيق

المقالات تعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة رأى المجلة

يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية

محتويات العدد

دراسات تأريخية ٥ ـ ٧٨

دراسات وبحوث ٧٩ ـ ١٥٠

دراسات أدبية ١٥١ ـ ٢١٤

نصوص أبداعية ٢١٥ ـ ٢٤٠

حوار ٢٤١ ـ ٢٥٦

محطات ثقافية ٢٥٧ ـ ٢٧٥

ذكر الكورد في تاريخ ابن خلدون



هوشيار بكر عزيز

(٦-٦)

في ذكر وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الأفضل. قال ابن خلدون:ـ (ثم توفي العزيز عثمان بن صلاح الدين آخر محرّم سنة خمس وتسعين«وخمسمائة»(١١٩٨م)،وكان فخرالدين إياس چركس مولى أبيهِ مستبدا ًعليهِ فأرسل العادل بمكانه من حصار ماردين يستدعيهِ للملك وكان چركس هذا مقدّم موالي صلاح الدين، وكانوا منحرفين عن الأفضل. وكان موالي صلاح الدين شيركوه والأكراد شيعة لهُ، وجمعهم چركس لينظر في الولاية، وأشار بتولية ابن العزيز فقال لهُ سيف الدين ايازكوش مقدّم موالي شيركوه: لايصلح لذلك لصغرهِ الاّ ان يكفلهُ احد من ولد صلاح الدين).جـ٥،ص٣٣٠.

في ذكر حصار الأفضل دمشق وعوده عنها«سنة خمس وتسعين وخمسمائة»(١١٩٨م). قال ابن خلدون:ـ (ولما انتظمت الأمور للأفضل بعث إليهِ الظاهر غازي صاحب حلب، وابن عمهُ شيركوه ابن محمد بن شيركوه(٩١٧) صاحب حمص يغريانهُ بملك دمشق لغيبة العادل عنها

في حصار ماردين، ويعدانهُ المظاهرة فسار من منتصف السنة، ووصل إلى دمشق منتصف شعبان. وسبقهُ العادل إليها وترك العساكر مع ابنهِ الكامل على ماردين ولما نزل الأفضل على دمشق وكان معهُ الأمير مجدالدين(٩١٨) أخو عيسى الهكاري(٩١٩) فداخل قوما ًمن الأجناد في دمشق في أن يفتحوا لهُ باب السلامة(٩٢٠). ودخل منهُ هو والأفضل سراً وانتهوا إلى باب البريد(٩٢١) ففطن عسكر العادل لقلتهم، وانقطاع مددهم فتراجعوا وأخرجوهم. ونزل الافضل بميدان الحصار(٩٢٢) وضعف أمرهُ واعصوصب الأكراد من عساكرهِ فارتاب بهم الآخرون، وانحازوا عنهم في المعسكر. ووصل شيركوه صاحب حمص، ثم الظاهر صاحب حلب آخر شعبان وأوّل رمضان لمظاهرة الأفضل).جـ٥،ص٣٣٠ـ٣٣١.

في ذكر غارات الإفرنج بالشام. قال ابن خلدون:ـــ (كان الأفرنج بالشام قد أكثروا الغارات سنة أربع وستمائة(١٢٠٧م) بحشد ثان ثم ملكوا القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها فأغار أهل طرابلس، وحصن الأكراد منهم على حمص وأعمالها. وعجز صاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه عن دفاعهم، واستنجد عليهم فانجدهُ الظاهر صاحب حلب بعسكر أقاموا عندهُ للمدافعة عنهُ. وأغار أهل قبرص(٩٢٣) في البحر على أسطول مصر فظفروا منهُ بعدة قطع، وأسروا من وجدوا فيها وبعث العادل إلى صاحب عكا يحتج عليهِ بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرص في طاعة الإفرنج الذين بالقسطنطينية).جـ٥،ص٣٣٦.

في ذكرنهوض البحرية بالمغيث(٩٢٤) صاحب الكرك وانهزامهم. قال ابن خلدون:ـــ (قد ذكرنا فرار البحرية إلى الناصر(٩٢٥) ونهوضهم بهِ إلى مصر، وخروج ايبك(٩٢٦) إلى العباسة(٩٢٧) وما كان بينهما من الصلح، فلما انعقد الصلح ورجع الناصر إلى دمشق، ورجعوا عنهُ إلى قلعة الجبل(٩٢٨) ولم يرضوا الصلح فاستراب بهم الناصر وصرفهم عنهُ فلحقوا بغزة(٩٢٩) ونابلس(٩٣٠). وبعثوا إلى المغيث صاحب الكرك بطاعتهم فأرسل الناصر عساكرهُ للايقاع بهم فهزموهم فسار إليهم بنفسهِ فهزموهُ إلى البلقاء(٩٣١) ولحقوا بالكرك، وأطمعوا المغيث في مصر واستمدوهُ لها فأمدهم بعسكرهِ، وقصدوا مصر وكبراؤهم: بيبرس البندقداري(٩٣٢) وقلاوون الصالحي(٩٣٣) وبليان الرشيدي(٩٣٤). وبرز الأمير سيف الدين قطز(٩٣٥) بعساكر مصر إلى الصالحية(٩٣٦) فهزمهم، وقتل بلغار الاشرفي(٩٣٧) وأسر قلاوون الصالحي وبليان الرشيدي. وأطلق قلاوون الصالحي بعد أيام في كفالة أستاذ الدار فاختفى، ثم لحق بأصحابهِ واستحثوا المغيث إلى مصر فنهض في عساكره سنة ست وخمسين»وستمائة«(١٢٥٨م) ونزل الصالحية،وقدم إليهِ عزالدين الرومي(٩٣٨) والكافوري والهواشر ممن كان يكاتبهُ من أمراء مصر. وبرز سيف الدين قطز في عساكر مصر والتقى الجمعان فانهزم المغيث ولحق في الفل بالكرك. وفرّت البحرية إلى الغور(٩٣٩) فوجدوا هنالك احياء من الأكراد فرّوا من جبال شهرزور أمام التتر فاجتمعوا بهم، والتحموا بالصهر معهم، وخشي الناصر غائلة اجتماعهم فجهز العساكر من دمشق إليهم

والتقوا بالغور فانهزمت عساكرهُ فتجهز ثانيا ًبنفسهِ، وسار إليهم فخاموا عن لقائهِ وافترقوا فلحق الأكراد بمصر، واعترضهم التركمان في طريقهم بالعريش(٩٤٠) فأوقعوا بهم وخلصوا إلى مصر. ولحق البحرية بالكرك مع عسكر المغيث ووعدهم بالنصر، وأرسل إليهِ من دمشق في إسلامهم إليهِ، وتوعَّدوا أنفسهم واضطربوا ففرّ بيبرس وقلاوون إلى الصحراء وأقاموا بها.)جـ٥،ص٣٧٠.

في ذكر استيلاء التتر على الشام وانقراض أمر بنى أيوب ثم مسير قطز بالعساكر وارتجاعه الشام من أيدى التتر وهزيمتهم وحصول الشام في ملك الترك»سنة ثمان وخمسين وستمائة»(١٢٥٩م) . قال ابن خلدون:(ولقي العادل بيبرس(٩٤١) المنهزمين في عسكر من الترك فأثخن فيهم وانتهى إلى حمص فلقى مددا من التتر جاء لكتبغا(٩٤٢) فاستأصلهم ورجع إليهِ الاشرف صاحب حمص من عسكر التتر فأقرّهُ على بلدهِ، وبعث المنصور على بلده حماة وأقرّهُ عليها، وردّ إليهِ المعَرّة وانتزع منهُ سلميَّة(٩٤٣) فأقطعها لامير العرب مهنا بن مانع بن جديلة(٩٤٤). وسار إلى دمشق فهرب من كان بها من التتر وقتل من وجد بها من بقاياهم. ورتب العساكر في البلاد، وولى على دمشق علم الدين سنجر الحلي ألصالحي(٩٤٥)،وهو الذي كان أتابك علي بن ايبك ونجم الدين أبا الهيجاء ابن خشترين الكردي(٩٤٦).وولى على حلب السعيد،ويقال المظفر علاء الدين بن لؤلؤ(٩٤٧)صاحب الموصل.وكان وصل الى الناصر بمصر هارباً امام التتر وسار معهُ فلما دخل الناصر لحق هو بمصر،واحسن اليهِ قطز.ثم ولاهُ الناصر على حلب الآن ليتوصل الى اخبار التتر من اخيهِ الصالح بالموصل.وولى على نابلس وغزة والسواح شمس الدين دانشير اليرلي(٩٤٨) من امـراء العزيز محمد، وهو ابو الناصر،وكان هرب منهُ عند نهوضهِ الى مصر في جماعة من العزيزية(٩٤٩) ولحق باتابك ثم ارتاب بهم وقبض على بعضهم ورجع اليرلى في الباقين إلى الناصر فاعتقله بقلعة حلب حتى سار إلى التتر فلما دخل إليها سار اليرلى مع العساكر إلى مصر فأكرمه المظفر وولاه الآن على السواحل وغزة،وأقام المظفر بدمشق عشرين ليلة وأقبل إلى مصر ولما بلغ إلى هلاكو ما وقع بقومه في الشأم،واستيلاء الترك عليه اتهم صاحب دمشق بأنه خدعه في اشارته وقتله كما مر،وانقرض ملك بنى أيوب من الشأم أجمع وصار لملوك مصر من الترك).جـ٥،ص٣٧١ـ٣٧٢.

في ذكر استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة صاحبها. قال ابن خلدون:ـ (لما قفل السلطان من الشام سنة ستين»وستمائة»(١٢٦١م) كما قدّمناهُ جرّد عسكرا إلى الشوبك(٩٥٠) مع بدرالدين ايدمري(٩٥١) فملكها، وولّى عليها بدرالدين بلبان الخصي(٩٥٢) ورجع إلى مصر. وكان عند المغيث بالكرك جماعة من الأكراد الذين أجفلوا من شهرزور أمام التتر إلى الشام(٩٥٣)،وكان قد اتخذهم جندا ًلعسكرتهِ فسرّحهم للاغارة على الشوبك ونواحيهِ فاعتزم السلطان على الحركة إلى الكرك مخافة المغيث. وبعث بالطاعة واستأمن الأكراد فقبلهم الظاهر وأمن الأكراد فوصلوا إليهِ. ثم

سار سنة إحدى وستين «وستمائة»(١٢٦٢م) إلى الكرك، واستخلف على مصر سنجر الحلي(٩٥٤)،واستخلف على غزة فلقي هنالك أم المغيث تستعطفهُ وتستأمن منهُ لحضور ابنها فأجابها، وسار إلى بيسان(٩٥٥) فسار المغيث للقائهِ. فلما وصل قبض عليهِ، وبعثهُ من حينهِ إلى القاهرة مع اقسنقر الفارقاني(٩٥٦)، وقتل بعد ذلك بمصر)جـ٥،ص٣٧٦.

في ذكراغارة الافرنج والتتر على حلب ونهوض السلطان إليهم.قال ابن خلدون:ــ (كان صمغان من أمراء التتر مقيما ببلاد الروم وأميراً عليها فوقعت المراسلة بينهُ وبين الأفرنج في الاغارة على بلاد الشام. وجاء صمغان في عسكره لموعدهم فأغار على أحياء العرب بنواحي حلب. وبلغ الخبر إلى الظاهر سنة ثمان وستين«وستمائة»(١٢٦٩م)،وهو يتصيد بنواحي الاسكندرية فنهض من وقتهِ إلى غزة، ثم إلى دمشق، ورجع التتر على أعقابهم. ثم سار إلى عكا فاكتسح نواحيها وأثخن فيها، وفعل كذلك بحصن الأكراد، ورجع إلى دمشق آخر رجب، ثم إلى مصر ومرّ بعسقلان(٩٥٧) فخرّبها وطمس آثارها).جـ٥،ص٣٨١.

في ذكر فتح حصن الأكراد وعكا وحصون صور. قال ابن خلدون:ـ (ثم سار السلطان«الظاهر» سنة تسع وستين«وستمائة»(١٢٧٠م) لغزو بلاد الافرنج، وسرح ابنهُ السعيد في العساكر إلى المرقب(٩٥٨) لنظر الامير قلاوون وببعلبك الخزندار(٩٥٩). وسار هو إلى طرابلس فاكتسحوا سائر تلك النواحي وتوافوا لحصن الأكراد عاشر شعبان من السنة فحاصراهُ السلطان عشراً .ثم اقتحمت أرباضه، وانحجر الافرنج في قلعتهِ، واستأمنوا وخرجوا إلى بلادهم. وملك الظاهر الحصون وكتب إلى صاحب الاسبتارية(٩٦٠) بالفتح وهو بطرطوس، وأجاب بطلب الصلح فعقد لهُ على طرطوس والمرقب. وارتحل السلطان عن حصن الأكراد بعد ان شحنهُ بالاقوات والحامية، ونازل حصن عكا واشتدّ في حصارهِ. واستأمن أهلهُ إليهِ وملكهُ. ثم ارتحل بعد الفطر إلى طرابلس واشتدّ في قتالها وسأل صاحبها البرنس الصلح فعقد لهُ على ذلك لعشر سنين، ورجع إلى دمشق. ثم خرج آخر شوال إلى العليقة(٩٦١)،وملك قلعتها بالأمان على أن يتركوا الأموال والسلاح، واستولى عليهِ وهدمهُ، وسار إلى اللجون(٩٦٢). وبعث إليه صور في الصلح على أن ينزل لهُ عن خمس من قلاعهِ فعقد لهُ الصلح لعشر سنين وملكها. ثم كتب إلى نائبهِ بمصر أن يجهز عشرة من الشواني إلى قبرس فجهزها ووصلت ليلاً إلى قبرس).جـ٥،ص٣٨١ـ٣٨٢.

في ذكر استيلاء الظاهر على حصون الاسماعيلية بالشام. قال ابن خلدون:ـ (كان الاسماعيلية في حصون من الشام قد ملكوها، وهي مصياف(٩٦٣) والعليقة والكهف(٩٦٤) والمنيقة والقدموس(٩٦٥). وكان كبيرهم لعهد الظاهر نجم الدين الشعراني(٩٦٦) وكان قد جعل لهُ الظاهر ولايتها ثم تأخر عن لقائهِ في بعض الاوقات فعزلهُ، وولى عليها خادم الدين بن الرضا(٩٦٧) على أن ينزل لهُ عن حصن مصياف. وأرسل معهُ العساكر فتسلموهُ منهُ. ثم قدم عليه سنة ثمان وستين«وستمائة»(١٢٦٩م) وهو على حصن الأكراد، وكان نجم الدين الشعراني قد أسنَّ وهرم فاستعتب وأعتبهُ

الظاهر وعطف عليه، وقسم الولاية بينهُ وبين ابن الرضا، وفرض عليهما مائة وعشرين ألف درهم يحملانها في كل سنة. ولما رجع سنة تسع وستين «وستمائة»(١٢٧٠م)،وفتح حصن الأكراد مرّ بحصن العليقة من حصونهم فملكهُ من يد بن الرضي منتصف شوال من السنة.وانزل به حامية.).جـ٥،ص٣٨٢.

في ذكـر مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع سنقر الاشـقـر(٩٦٨) بصهيون(٩٦٩) ومع بنى الظاهر بالكرك»سنة ثمانين وستمائة»(١٢٨١م). قال ابن خلدون:ـــ (كان الافرنـج الذين بحصن المرقب عندما بلغهم هجوم التتر على الشام شنوا الغارات في بلاد المسلمين من سائر النواحي، فلما رجع التتر عن الشام استأذن بليان(٩٧٠) الطباخي صاحب حصن الأكراد في غزوهم، وسار إليهم في حامية الحصون بنواحيه).جـ٥،ص٣٨٨.

في ذكـر فتح طرابلس. قـال ابـن خلدون:ـ (كان الإفرنـج الذين بها قد نقضوا الصلُح وأغــاروا على الجـهـات فاستنفر السلطان العساكر من مصر والشام، وأزاح عللهم، وجهَّز آلات الحصار، وسار إليها في محرم سنة ثمان وثمانين«وستمائة»(١٢٨٩م) فحاصرها ونصب عليها المجانيق، وفتحها عنوة لأربعة وثلاثين يوما ًمن حصارها واستباحها. وركب بعضهم الشواني للنجاة فردتهم الريح إلى السواحل فقتلوا وأســروا، وأمـر السلطان بتخريبها فخربت وأحرقت. وفتح السلطان ما إليها من الحصون والمعاقل، وأنـزل حاميتها وعاملها بحصن الأكـراد. ثم اتخذ حصناً آخر لترك النائب والحامية في العمل، وسمي باسم المدينة وهو الموجود لهذا العهد).جـ٥،ص٣٩٢.

في ذكرخلع الناصر وولاية كتبغا العادل»سنة خمس وتسعين وستمائة»(١٢٩٥م). قال ابن خلدون:ـــ (ولما وقعت الوحشة بين كتبغا والشجاعي(٩٧١)،وتلتها هذه الفتنة استوحش كتبغا في ظاهر أمرهِ،وانقطع عن دار النيابة متمارضاً وتردّد السلطان لعيادتهِ. ثم حمل بطانته على الاستبداد بالملك والجلوس على التخت،وكان طموحاً لذلك من أول أمره فجمع الامــراء ودعاهم إلى بيعته فبايعوهُ. وخلع الناصر وركب إلى دار السلطان فجلس على التخت وتلقب بالعادل، وأخرج السلطان من قصور، الملك وكان مع أمّهُ ببعض الحجر. وولَّى حسام الدين لاجين(٩٧٢) نائباً والصاحب فخرالدين عمر بـن عبد العزيز الخليلي الدار وزيراً نقلهُ إليها من النظر في الديوان لعلاء الدين ولي العهد ابن قلاون، وعزالدين ايبك الافـرم الصالحي أمير جندار، وبهادر الجلبي أمير حاجب، وسيف الدين منماص استاذ دار، وقسم امارة الدولة بين مماليكهِ. وكتب إلى نواب الشام بأخذ البيعة فأجابوا بالسمع والطاعة، وقبض على عزالدين ايبك الخازنـدار(٩٧٣) نائب طرابلس، وولى مكانهُ فخرالدين ايبك الموصلي(٩٧٤)،وكان الخازندار ينزل حصن الأكراد،ونزل الموصلي بطرابلس، وعادت دار امارة).جـ٥،ص٣٩٨ـ٣٩٩.

في ذكر مقتل أولاد بنى نمى أمراء مكة(٩٧٥) من بنى حسن. قال ابن خلدون:(ابونمى هـو محمد بـن ابـي سعيد ن قـتـادة المتوفي سنة اثنتين وسـبـعـمـائـة(١٣٠٢م)،٠٠٠٠٠٠، ثم رجعت العساكر فرجع وبعث رميثة(٩٧٦)

يستنجد السلطان فبعث إليه العساكر ففر خميصة(٩٧٧). ثم رجع واتفق مع أخويه رميثةوعطيفة(٩٧٨)،ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة«وسبعمائة»(١٣١٨م)،وبعث معهُ العساكر فقبضوا على رميثة وأوصلوهُ معتقلاً فسجن بالقلعة. واستقرّ عطيفة بمكة، وبقي خميصة مشرداً. ثم لحق بملك التتر ملك العراق خربندا(٩٧٩) واستنجدهُ على ملك الحجاز فانجدهُ بالعساكر وشاع بين الناس أنهُ داخل الروافض الذين عند خربندا في اخراج الشيخين من قبريهما، وعظم ذلك على الناس. ولقيه محمد بن عيسى أخو مهنا حسبة وامتعاضاً للدين. وكان عندخربندا فاتبعهُ واعترضهُ وهزمهُ. ويقال انهُ أخذ منه المعاول والفؤوس التى أعدوها لذلك. وكان سبباً لرضا السلطان عنهُ. وجاء خميصة إلى مكة سنة ثمان عشرة«وسبعمائة»(١٣١٨م)،وبعث الناصر العساكر إليهِ فهرب وتركها. ثم أطلق رميثة سنة تسع عشرة «وسبعمائة»(١٣١٩م) فهرب إلى الحجاز ومعهُ وزيرهُ علي بن هنجس فرد من طريقه واعتقل، وأفرج عنهُ السلطان بعد مرجعه من الحج سنة عشرين«وسبعمائة»(١٣٢٠م). ثم ان خميصة استأمن السلطان سنة عشرين«وسبعمائة»(١٣٢٠م)،وكان معهُ جماعة من المماليك هربوا إليهِ فخاموا أن يحضروا معه إلى السلطان فاغتالوهُ وحضروا. وكان السلطان قد أطلق رميثة من الاعتقال فامكنه منهم فثأر من المباشر قتل أخيه، وعفا عن الباقين. ثم صرف السلطان رميثة إلى مكة، وولاه مع أخيه عطيفة واستمرَّت حالهما. ووفد عطيفة سنة احدى وعشرين«وسبعمائة»(١٣٢١م) على الابواب، ومعهُ قتادة(٩٨٠) صاحب الينبع(٩٨١) يطلب الصريخ على ابن عمه عقيل قاتل ولده فأجابه السلطان وجهز العساكر لصريخه، وقوبل كل منهما بالأكراد وانصرفوا). جـ٥،ص٤٢١ـ٤٢٢.

في ذكر وصول أحياء من التتر وسلطانهم إلى صاحب بغداد واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر إليه. قال ابن خلدون:ـ (وبلغ الخبر إلى السلطان«أي الملك الظاهر» فخيم بالريدانية(٩٨٢) أياماً أزاح فيها علل عسكره وأفاض العطاء في مماليكه. واستوعب الحشد من سائر أصناف الجند. واستخلف على القاهرة النائب مودود وارتحل إلى الشام على التعْبية، ومعهُ أحمد بن أويس(٩٨٣) صاحب بغداد بعد أن كفاه مهمه وسرب النفقات في تابعه وجنده.

ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان أوعز إلى جلبان(٩٨٤) نائب حلب بالخروج إلى الفرات واستيعاب العرب والتركمان للاقامة هنالك رصداً للعدو. فلما وصل إلى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار القوم، ورجع لانفاذ أوامره والفصل فيما يطالعه فيه. وبعث السلطان على أثره العساكر مدداً لهُ مع كمشبغا(٩٨٥) الاتابك وتلكمش أمير سلاح(٩٨٦) وأحمد بن بيبغا(٩٨٧)،وكان العدو قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً، ثم ملكها وعاثت عساكرهُ فيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم، ومرّ بقلاع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها. والسلطان لهذا العهد ـ وهوشعبان سنة ست

وتسعين»وسبعمائة«(١٣٩٣م) ـ مقيم بدمشق مستجمع للوثبة به متى استقبل جهته،والله ولي الامور. وهذا آخر ما انتهت اليه دولة الترك بانتهاء الايام.).جـ٥،ص٤٩٢ـ٤٩٤.

في ذكر خلع المنصور أيـوب(٩٨٨) ومقتله وعود المجاهد(٩٨٩) إلى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب(٩٩٠) له. قال ابن خلدون:ـــ (وبعث المنصور من محبسهِ إلى ابنهُ عبد الله ان يسلم الدملوة(٩٩١) خوفاً على نفسه من القتل فأبى عبد الله من ذلك وأساء الرد على أبيهِ. ولما يئس المجاهد منهُ قتل أباهُ المنصور أيوب بن المظفر في محبسهِ، واجتمع أهل الدملوة وكبيرهم الشريف ابن حمزة وبايعوا أسدالدين عبد الله بن المنصور أيوب، وبعث عسكراً مع الشهاب الصفوي إلى زبـيـد(٩٩٢) فحاصروها وفتحوها.

وجهز المجاهد عساكرهُ إليها مع قائدهِ علي بن الدوادار، ولما قاربوا زبيد أصابهم سيل وبيتهم أهل زبيد فنالوا منهم وأسروا أمراءهم. واتهم المجاهد قائدهُ علي بن الدوادار بمداخلة عدوه فكتب إليه أن يسير إلى عدن لتحصيل مواليها، وكتب إلى والى عدن بالقبض عليهِ. ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث بهِ إلى الدوادار فرجع إلى عدن(٩٩٣) وحاصرها وفتحها. وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين»وسبعمائة«(١٣٢٣م) وملك عدن بعدها. ثم استمال صاحب صنعاء(٩٩٤) وخوص فقاموا بدعوة الظاه،ر وبعث المجاهد إلى مذحج والأكراد يستنجدهم فلم ينجدوهُ،وهو بحصن المعدية،وكتب الظاهر الى اشراف مكة وقاضيها نجم الدين الطبري بأن الأمر قد استقرّ لهُ باليمن.).جـ٥،ص٤٩٨.

في ذكر مسير التتر إلى اذربيجان واستيلاؤهم على تبريز ثم واقعتهم على جلال الدين(٩٩٥) بآمد ومقتله.قال ابن خلدون:ـــ (وصحبه التتر على آمد منتصف شوال سنة ثمان وعشرين»وستمائة«(١٢٣٠م) وأحاطوا بخيمتهِ، وحمل عليهم اتابكه أوترخان وكشفهم عن الخيمة. وركب السلطان «جلال الدين» وأسلم أهله وسواده، ورد أوترخان العساكر وانتبذ ليتوارى عن عين العدوّ. وسار أوترخان إلى اصفهان واستولى عليها إلى أن ملكها التتر من يدهِ سنة تسع وثلاثين»وستمائة«(١٢٤١م). وذهب السلطان منجفلاً وقد امتلات الدربندات والمضايق بالمفسدين من غير صنوفهم بالقتل والنهب، فأشار عليهِ أوترخان بالرجوع فرجع إلى قرية من قرى ميافارقين، ونزل في بيدرها وفارقهُ اوترخان إلى حلب. وهجم التتر على السلطان بالبيدر وقتلوا من كان معهُ، وهرب فصعد جبل الأكراد وهم مترصدون الطرق للنهب فسلبوهُ وهموا بقتلهِ. وشعر بعضهم أنه السلطان فمضى به إلى بيته ليخلصه إلى بعض النواحي، ودخل البيت في مغيبه بعض سفلتهم وهو يريد الثأر من الخوارزمية بأخ لهُ قتل بخلاط فقتلهُ، ولم يغن عنهُ أهل البيت. ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعة في سواد آمد وأرزن وميافارقين وسائر دياربكر فاكتسحوها وخربوها، وملكوا مدينة أسعرد عنوةً فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام، ومرّوا بميافارقين فامتنعت، ثم وصلوا إلى نصيبين فاكتسحوا نواحيها، ثم إلى سنجار وجبالها والخابور. ثم ساروا إلى ايدس(٩٩٦) فأحرقوها، ثم إلى أعمال خلاط

فاستباحوا هاكري(٩٩٧) وارجيش. وجاءت طائفة أخرى من اذربيجان إلى أعمال اربل ومرّوا في طريقهم بالتركمان الايوبية(٩٩٨) والاكـراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا، وخرج إليهم والى اربل مستمداً أهلها وعساكر الموصل فلم يدركوهم فعادوا وبقيت البلاد قاعاً صفصفاً.).جـ٥،ص٥٠٨ـ٥٠٩ـ٥١٠.

في ذكر ملوك بني جفطاي بن جنكز خان(٩٩٩) بتركستان(١٠٠٠) وكاشغر(١٠٠١) وما وراء النهر.

قال ابن خلدون:ـ (ثم زحف إلى بغداد«أي تمـر(١٠٠٢) احـد ملوك بني جفطاي الذيد ظهروا في بلاد ماوراء النهر وسمرقند» سنة خمس وتسعين«وسبعمائة»(١٣٩٢م) فأجفل عنها ملكها أحمد بن أويس بن الشيخ حسن المتغلب عليه بعد بني هولاكو، فلحق أحمد ببر الشام سنة ست وتسعين«وسبعمائة»(١٣٩٣م)،واستولى تمـر على بـغـداد والجـزيـرة وديـاربـكـر إلى الـفـرات. واستعد ملك مصر للقائهِ ونزل الفرات فأحجم عنهُ وتأخر عنهُ إلى قلاع الأكـراد وأطـراف بـلاد الـروم، وأنـاخ على قـرابـاغ(١٠٠٣) ما بين اذربيجان والابـواب ورجـع خلال ذلك طغطمش (١٠٠٤)صاحـب التخت الى صراي(١٠٠٥) وملكهُ،فسار اليهِ تمر اول سنة سبع وتسعين«وسبعمائة»(١٣٩٤م) وغلبهُ على ملكه واخرجهُ عن سائر ممالكهِ). جـ٥،ص٥١٤ـ٥١٦.

في ذكر حروب السلطان تمر مع طغطمش صاحب صراي»سنة سبع وتسعين وسبعمائة»(١٣٩٤م).

قال ابن خلدون:ـ (وسار طغطمش للقائهِ ومعهُ اغلان بلاط من أهل بيته، فداخله تمر وجماعة الامراء معهُ، واستراب بهم طغطمش وقد حان اللقاء وتصافوا للحرب فصدم ناحية من عسكر تمر، وصدم من لقي فيها وتبدد عيالهُ، وافترق الامراء الذين داخلوا تمر وساروا إلى الثغور فاستولوا عليها. وجاء طغطمش إلى صـراي فاسترجعها وهـرب اغـلان بـلاط إلى الـقـرم(١٠٠٦) فملكها وزحـف إليهِ طغطمش في العساكر فحاصرها، وخالفهُ ارض خان إلى صراي فملكها طغطمش وانتزعها من يدهِ. ولم تزل عساكرهُ تختلف إلى القرم وتعاهدها بالحصار إلى أن ملكها وظفر باغلان بلاط فقتلهُ. وكـان السلطان تمر بعد فراغه من حروبه مع طغطمش سار إلى اصفهان فملكها أيضاً واستوعب ملوك بني المظفر وعاملهم بالقتل وانتظم لهُ أعمالهم جميعاً في مملكتهِ. ثم زحف إلى بغداد فملكها من يد أحمد بن أويس سنة خمس وتسعين «وسبعمائة»(١٣٩٢م) كما مرَّ ذكرهُ.

ولحق أحمد بالسلطان الظاهر صاحب مصر مستصرخاً بهِ فخرج معهُ في العساكر وانتهى إلى الفرات، وقد سار تمر عن بغداد إلى ماردين فحاصرها وملكها وامتنعت عليه قلعتها فعاج من هنالك إلى حصون الأكـراد، ثم إلى بلاد الارمـن ثم إلى بـلاد الـروم. وبعث السلطان الظاهر صاحب مصر العساكر مـدداً لابن أويس فسار الى بغداد وبها شرذمة من عسكر تمر فملكها من ايديهم).جـ٥،ص٥٢١ـ٥٢٢.

في ذكر هولاكو بن تولى. قال ابن خلدون:ـ (فتوجه لؤلؤ(١٠٠٧) بنفسهِ إلى هولاكو ولقيه باذربيجان، وحضر حصار ميافارقين. وجاءهُ ابنه ركـن الدين من عند منكوفان(١٠٠٨) بولاية الموصل. وأعمالها ثم هلك سنة سبع

وخمسين»وستمائة«(١٢٥٨م) وولى ابنهُ ركن الدين اسماعيل(١٠٠٩) ويلقب الصالح. وبعث هولاكو عسكراً إلى اربل فحاصرها ستة أشهر وامتنعت، فأفرجت عنها العساكر فاغتنم ابن الصلايا (١٠١٠)الفرصة. ونزل عنها لشرف الدين الكردي(١٠١١)،ولحق بهولاكو فقتلهُ). جـ٥،ص٥٢٣ـ٥٢٥.

في ذكر خربندا بن أرغو(١٠١٢)»سنة ست عشرة وسبعمائة«(١٣١٦م) . قال ابن خلدون:ـ (ولما هلك قازان(١٠١٣) ولي بعدهُ أخوهُ خربندا وابتدا أمرهُ بالدخول في دين الاسلام وتسمى بمحمد، وتلقب غياث الدين، وأقرّ قطلوشاه(١٠١٤) على نيابتهِ. ثم جهزهُ لقتال الكرد في جبال كيلان(١٠١٥)،وقاتلهم فهزموهُ وقتلوهُ وولى مكانه جوبان بن تدوان(١٠١٦)،وأقام في سلطانه حسن الدين معظما للخلفاء وكتب أسماءهم على سكته). جـ٥،ص٥٣١.

في ذكر استيلاء تمر على بغداد والحاق أحمد بالشام»سنة خمس وتسعين وسبعمائة«(١٣٩٢م).قال ابن خلدون:ـ (وقد كان أوعز إلى جلبان صاحب حلب بالخروج إلى الفرات واستنفار العرب والتركمان للاقامة هناك رصداً للعدو. فلما وصل إلى دمشق وفد عليه جلبان وطالعهُ بمهماتهِ وما عندهُ من أخبار القوم، ورجع لانفاذ أوامره والفصل فيما يطالعهُ فيهِ. وبعث السلطان على أثره العساكر مدداً لهُ مع كمشبغا الاتابك وتكلتمش أمير سلاح وأحمد بن بيبقا. وكان العدو تمر قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً وملكها. وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها، وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم، ومرّ بقلاع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها). جـ٥،ص٥٣٦ـ٥٣٧.

في ذكر الخبر عن بنى ارتنا(١٠١٧) ملوك بلاد الروم من المغل بعد بنى هولاكو والالمام بمبادى أمورهم ومصايرها»سنة اربع وخمسين وستمائة«(١٢٥٦م). قال ابن خلدون:ـ (وسار بيكو في بلاد الروم قبل أن يرجع عزالدين(١٠١٨) فلقيهِ ارسلان دغمش من أمراء عزالدين فهزمهُ بيكو إلى قونية، فاجفل عنها عزالدين إلى العلايا(١٠١٩)،وحاصرها بيكو فملكها على يد خطيبها. وخرج إلى بيكو فأسلمت زوجته على يده ومنع التتر من دخولها الا وحداناً، وأن لا يتعرضوا لاحد. واستقر عزالدين وركن الدين في طاعة التتر ولهما اسم الملك، والحكم للشحنة بيكو. ولما زحف هولاكو إلى بغداد سنة ست وخمسين»وستمائة«(١٢٥٨م) استنفر بيكو وعساكرهِ فامتنع واعتذر بمن في طريقه من طوائف الأكراد الفراسيليَّة(١٠٢٠)،والياروقيَّة(١٠٢١) فبعث إليه هولاكو العساكر، ومرّوا باذربيجان وقد أجفل أهلها وهم قوم من الأكراد فملكوها. وساروا مع بيكو إلى هولاكو وحضروا معهُ فتح بغداد وما بعدها. ولما نزل هولاكو حلب استدعى عزالدين وركن الدين فحضرا معهُ فتحها، وحضر معهما وزيرهما معين الدين سليمان البرواناة واستحسنهُ هولاكو وتقدم إلى ركن الدين(١٠٢٢) بأن يكون السفير إليهِ عنهُ فلم

يزل على ذلك. ثم هلك بيكو مقدم التتر ببلاد الروم).جـ٥،ص٥٣٩ـ٥٤٠.

في ذكر الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشئ لهذا العهد» المائة السادسة» من بقية أهل الدولة الاسلامية من العرب. قال ابن خلدون:ــ (ودخلوا بين الناس فامْتُهنوا واستُهينوا واصبحوا خِـوَلاً للامر،وربيباً للواسد وعالةً على الحـرب. وقـام بالاسلام والمـلّـة غـيرهـم،وصـارالمـلـك والامــرفي أيـدي سواهم، وجلبت بضائع العلوم والصنائع إلى غير سوقهم، فغلب أعاجم المشرق من الديلَم والسُلجوقية والأكراد والغُزّ والترك على ملكه ودولته،فلم يزل مناقلة فيهم إلى هذا العهد. وغلب أعاجم المغرب من زَناتة والبَرْبر على أمره ايضاً،فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ماتذكره بعد الى هذا العهد.وغلب أعاجم المغرب والـبربـر على امـره،وانـقـرض اكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من هؤلاء فلم يبقى لهم ذكر.).جـ٦،ص٥ـ٧.

في ذكر الخبر عن طاغية الافرنجة ومنازلته تونس(١٠٢٣) في أهل نصرانيته»سنة ثمان وستين وستمائة»(١٢٦٩م). قال ابن خلدون:ــ (فلما وصل أمر الروم بالقسطنطينة(١٠٢٤) ورومة(١٠٢٥)،واستفحل ملك الفرنجة هؤلاء، وكان ذلك على هيئة سمو الخلافة بالمشرق، فسموا حينئذ إلى التغلب على معاقل الشام وثغوره، وزحفوا إليها وملكوا الكثير منها واستولوا على المسجد الاقصى وبنوا فيه الكنيسة العظمى بدل المسجد، ونازلوا مصر والقاهرة مـرارا حتى جاد الله للاسلام من صلاح الدين أبي أيوب الكردي صاحب مصر والشام في أواسط المائة السادسة جنة واقية، وعذاباً على أهل الكفر مصبوباً، فابلى في جهادهم وارتجـع ما ملكوهُ، وطَهّرَ المسجد الاقصى من افكهم وكفرهم، وهلك **على حين غرَّة من الغزو والجهاد).جـ٦،ص٣١٥.**

في ذكر الخبر عن امارة الامير أبى عبد الله على قسنطينة وأخيه الامير أبى زكريا على بجاية(١٠٢٦) وتولية ابن القالون(١٠٢٧) على حجابته. قال ابن خلدون:ــ (لما هلك ابن عمر أهمّ السلطان شأن بجاية بما كانت عليه من حال الحصار، ومطالبة بني عبدالواد فرأى أن يكثّف الحامية بالثغور الغربيَّة، وينزل بها ابناءه للمدافعة والحماية، فعقد على قسنطينة لابنهِ الامير أبي عبد الله وعقد على بجاية لابنهِ الآخـر الامـير أبـي زكريا. وجعل حجابتها لأبـي عبد الله بن القالون مستبدّاً عليها لمكان صغرهما. وأكثف لهُ الجند وأمـره بالمقام ببجاية للممانعها من العدوّ الملحّ على حصارها. وارتحلوا من تونس فاتح سنة عشرين»وسبعمائة»(١٣٢٠م) في احتفال من العسكر والاصحاب والأُبّهة. وابقى خطة الحجابة خلواً ممّن يقوم بها. وابقى علي بن القالون. وبقي للتصُرف في الامور من رجالات السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الكردي الملقّب بـالمـزوار. وكـان مقدَّماً على بطانة السلطان المعروفين بالدخلة، وعلى الاشغال الكاتب أبو القاسم بن عبد العزيز). جـ٦،ص٣٥٦.

في ذكـر الخـبر عن واقعة رغيس مع ابن اللحيانى(١٠٢٨) وزناتة(١٠٢٩) وواقعة الشقة مع ابن أبى عمران. قال ابن خلدون:ــ (

لما انـهـزم حمـزة بـن عمر وابـن أبـي عمران عن تونس مرة بعد أخـرى، ورأى حمزة أنَّ ابـن أبـي عـمـران غـير مُـغـنٍ عنهُ صـرفـهُ إلى مكان عملهِ بطرابلس(١٠٣٠)،وبعث إلى أبي ضربة ابـن السلطان اللحياني(١٠٣١) بمكانه من المهدية(١٠٣٢) فداخلهُ في الصريخ بزناتة والوفود على سلطان بني عبدالواد(١٠٣٣)فرحل معه أبو ضربة ووفدوا على أبي تاشفين(١٠٣٤) صاحب تـلـمـسـان(١٠٣٥) ورغـبـوهُ في الظفر ببجاية، وأن يشغل صاحب تونس عن مددها بترديد البعوث وتجهيز العساكر إليهِ، فسرح معهم السلطان آلافا من العسكر وعقد عليها لموسى بن علي الـكـردي(١٠٣٦) صاحب الثغر بتيمرزدكت(١٠٣٧)، وكثير الحاشية والرجالات. وارتحـلـوا مـن تلمسان يـغـذون الـسـير، وبلغ السلطان خبر فصولهم بتلمسان فبرز للقائهم من تونس في عساكره حتى انتهى إلى رغيس بين بونة(١٠٣٨) وقسنطينة١٠٣٩). ولما أطلت عساكر زناتة والعرب اختل مصاف السلطان، وانهزمت المجنبات وثبت في القلب وصدق العزيمة واللقاء، فاختل مصافهم وانهزموا في شعبان سنة ثلاث وعشرين«وسبعمائة»(١٣٢٣م) وامتلات أيدي العساكر من اسلابهم والسبايا من نساء زناتة، ومنَّ عليهنَّ السلطان وأطلقهنَّ. ورجع أبو ضربة وموسى بن علي الكردي في فلّهم إلى تلمسان، وعاد السلطان إلى حضرته لايام من هزيمتهم. ولقيهِ الخبر في طريقهِ باجتماع العرب وابن ابي عمران بنواحي القيروان(١٠٤٠)).جـ٦،ص٣٥٨ـ٣٥٩.

في ذكر الخبر عن اجلاب حمزة بابراهيم بن الشهيد وتغلبه على الحضرة (سنة خمس وعشرين وسبعمائة)(١٣٢٤م). قال ابن خلدون:ــ (لما انهزم أبو ضربة بن اللحياني وحمزة بن عمرو عساكر بني عبد الواد لحق أبو ضربة بتلمسان فهلك بها، ولقى حمزة بعده من الحروب مع السلطان ما لقي، ويئس الكعوب من غلابه وتذامروا لفتنته والاجلاب عليهِ، فوفد حمزة ابن عمر علي ابن تاشفين صريخا ،ومـعـهُ طالب بن مهلهل، قرنه في قومهُ، ومحمد بن مسكين شيخ بني حكيم من أولاد القوس وكلهم من سليم ومعهم الحاجب ابن قالون، فاستحثّوا عساكرهِ لصريخهم فكتب لهم السلطان كتيبة عقد عليها لموسى بن علي الكردي وأعادهُ معهم. ونصب لهم لملك تونس من أعياص أبي حفص ابراهيم بن الشهيد منهم، وأبـوهُ الشهيد هو أبـو بكر بن أبي الخطاب عبد الرحمن الذى نصب للامر عند مهلك السلطان ابي عصيدة، وقتلهُ السلطان أبو البقاء خالد كما ذكرناه وكـان أبراهيم هذا قد لحق بالعرب ونصبوهُ للامر، وأجلبوا به على تونس اثر واقعة رغيس. وبـرزت إليهم العساكر فانهزموا كما ذكرناهُ، ولحق بتلمسان، وجاء هذا الوفد على اثره فنصبهُ السلطان أبـو تاشفين لهـم، واستعمل على حجابته محمد بن يحيى بن القالون. وبعث معهم العساكر لنظر موسى بن علي الكردي، وزحفوا إلى افريقية. وخـرج السلطان أبو بكر من تونس لمدافعتهم في ذي القعدة من سنة أربـع وعشرين«وسبعمائة»(١٣٢٣م) وانـتـهى إلى قسنطينة).جـ٦،ص٣٥٩.

في ذكر الخبر عن مهلك الحاجب المزوار وولاية ابن سيد الناس مكانه ومقتل ابن القالون. قال ابن خلدون:ــ (هذا الرجل

محمد بن القالون المعروف بالمزوار، لا أدرى من أوليتهِ أكثر من أنهُ كردي من الأكراد الذين وفد رؤساؤهم على ملوك المغرب، أيام اجلاهم التتر عن أوطانهم بشهرزور عند تغلبهم على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة(١٢٥٨م)،فمنهم من أقام بتونس ومنهم تقدم إلى المغرب، فنزلوا على المرتضى بمراكش(١٠٤١) فأحسن جوارهم. وصار قوم منهم إلى بني مرين واخـرون إلى بني عبدالواد حسبما يذكر في أخبارهم. ومن المقميين بالحضرة كان سلف ابن عبد العزيز هذا إلى أن نشأ هو في دولة الامير أبي زكريا الاوسط صاحب الثغورالغربية، تحت كنف من اصطناعه واختلط بأبنائه وقدم في جملة ابنه السلطان أبي بكر إلى تونس مقدماً في بطانته ورئيسا على الحاشية المسمين بالدخلة، وكان يعرف بذلك بالمزوار. وكان شهماً وقوراً متديناً ولهُ في الدولة حظ من الظهور، وهو الذي تولى كبر السعاية في الحاجب ابن القالون، حتى ارتاب بمكانهِ. وفرّ إلى أبي عمران سنة احدى وعشرين«وسبعمائة«(١٣٢١م) كما قدّمناهُ. وولاهُ السلطان الحجابة مكانهُ فقام بها مستعيناً بالكاتب أبي القاسم بن عبد العزيز لخلوه هو من الادوات. وانما كان شجاعاً بهمّة ولم يزل على ذلك إلى أن هلك في شعبان سنة سبع وعشرين «وسبعمائة«(١٣٢٦م).) جـ٦،ص٣٦١.

في ذكـر الخبر عن مبدا حصار بجاية وشرح الداعية إليه«سنة احدى عشرة وسبعمائة«(١٣١١م).قال ابن خلدون:- (وأوفد على السلطان ابي حمُو(١٠٤٢) بعض رجال دولتهِ مغرياً لهُ بابن خلوف وبجاية. ثم بعث اليهِ ابن خلوف ايضاً يسألهُ المظاهرة والمدد،فأطمعهُ ذلك في مُلك بجاية.ولما هلك ابن مخلوف كما قدّمناهُ،لحق بهِ كاتبه عبدالله بن هلال،فأغراهُ واستحثهُ،وعداهُ عن ذلك شأن الجزائر(١٠٤٣).فلما استولى على الجزائر،بعث مسامحاً مولاهُ في عسكر مع ابن أبي حيّ،فبلغوا الى جبل الزان(١٠٤٤). وهلك ابن ابي حيّ،ورجع مسامح. ثم شغلهُ عن شأنها زحف. وفزع من أمر عدوّه، ونزل بلد شلف(١٠٤٥) كما ذكرناه آنفاً. ولحق به عثمان بن سباع بن يحيى،وعثمان بن سباع بن شبل أمير الدواودة، يستحثونهُ لملك الثغور الغربية من عمل الموحدين، فاهتز لذلك وجمع لهُ الجموع، فعقد لمسعود بن عمهُ أبي عامر برهوم على عسكر وأمرهُ بحصار بجاية، وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة(١٠٤٦) على عسكر، ولمولاهُ مسامح على عسكر آخر. وسرّحهم إلى بجاية وما وراءها لتدويخ البلاد. وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخم، وسرّحهُ مع العرب من الدواودة وزغبة على طريق الصحراء. وانطلقوا إلى وجههم ذلك، وفعلوا الافاعيل كل فيما يليهِ. وتوغلوا في البلاد الشرقية، حتى انتهوا إلى بلاد بونة.)جـ٧،ص١٠٣-١٠٤.

الهوامش والمصادر:

٩١٧ــ شيركوه بن محمد بن شيركوه:ــ المجاهد الايوبي،(٥٦٩ - ٦٣٦ ه = ١١٧٣ - ١٢٣٩ م) شيركوه (الثاني) بن محمد بن شيركوه، أسد الدين أبو الحارث، الملك المجاهد: من ملوك بني أيوب. كان صاحب حمص كأبيه وجده، واشتهر بالشجاعة. له علم بالحديث أجاز له بعض علماء مصر والشام، وحدث بدمشق وحمص،وتوفي بحمص.﴿الأعلام الزركلي،المصدر نفسه،جـ٣،ص١٨٣﴾.

٩١٨ـ مجد الدين:ـ لم نعثر على ترجمته.

٩١٩ــ عيسى الهكاري:ـ ضياء الدين الهكاري (٠٠٠ - ٥٨٥ ه = ٠٠٠ - ١١٨٩ م) عيسى بن محمد بن عيسى الحسني الطالبي، أبو محمد، ضياء الدين الهكاري: مستشار السلطان صلاح الدين الايوبي. كان في مبدأ أمره يشتغل بالفقه في حلب، واتصل بالامير أسد الدين شيركوه فصار إمامه، وتوجه معه إلى مصر.ولما توفي شيركوه سعى الهكاري إلى إقامة صلاح الدين في موضعه من الوزارة.وتولى صلاح الدين، وعظم أمره، فعرف لضياء الدين سابقته، واعتمد عليه في الآراء والمشورات، ولم يكن يخرج عن رأيه.وكان يلبس زي الجند ويعتم بعمامة الفقهاء.واستمر على مكانته وتوفر حرمته إلى أن توفي بقرب عكا، ونقل إلى القدس فدفن بظاهرها.﴿الأعلام الزركلي،المصدر نفسه،جـ٥،ص١٠٧﴾.

٩٢٠ـ باب السلامة:ـ دمشق ثمانية أبواب: باب شرقي، وهو شرقي المدينة،ويلي هذا الباب باب توما، ثم باب السلامة،﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٢٤٠﴾.

٩٢١ـ باب البريد:ـ بفتح الباء الموحدة وكسر الراء بلفظ البريد وهو الرسول اسم لأحد أبواب جامع دمشق وهو من أنزه المواضع. ﴿معجم البلدان،المصدر السابق،جـ١،ص٣٠٦﴾.

٩٢٢ـــ ميدان الحصار:ــ في الكامل،جـ١٢،ص١٤٤:ميدان الأخضر.

٩٢٣ــ قبرص:ــ بضم اوله،وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة،وهي جزيرة في بحر الروم وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشرة يوماً.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٤،ص٣٠٥﴾.

٩٢٤ـ المغيث:ـ المغيث الايوبي (٠٠٠ - ٦٦١ ه = ٠٠٠ - ١٢٦٣ م) عبد العزيز (المغيث شهاب الدين) ابن عيسى بن العادل بن الكامل: من أمراء الدولة الايوبية. كان صاحب الكرك والشوبك. وتحيل عليه الملك الظاهر حين دخل الشام٦٦١هـ(١٢٦٢م) حتى نزل إليه فكان آخر العهد به.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٤،ص٢٤﴾.

٩٢٥ـ الناصر:ـ الملك الناصر (٦٢٧ - ٦٥٩ ه = ١٢٣٠ - ١٢٦١ م) يوسف (الناصر) بن محمد (العزيز) ابن الظاهر غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: آخر ملوك بني أيوب. ولد بقلعة حلب وولي الملك فيها بعد وفاة والده سنة٦٣٤هـ(١٢٣٦م) وعمره نحو سبع سنين،فقام وزراء أبيه بتدبير مملكته،واستقر في دمشق. وصفا له الملك نحو عشرة أعوام،حتى كانت غارة التتر واستيلاؤهم على البلاد،فذهبوا به إلى هولاكو في توريز،فأكرمه

أول الامر،ثم قتله.﴿الأعلام، الزركلي،المصدر نفسه،جـ٨،ص٢٤٩﴾.
٩٢٦ـ ايبك:ـ المنصور ابن المعز (٦٤٥ - بعد ٦٥٧ ه = ١٢٤٧ - بعد ١٢٥٩ م) علي بن أيبك التركماني الصالحي، نور الدين: ثاني ملوك دولة المماليك البحرية في مصر والشام. ولي بعد مقتل أبيه (الملك المعز أيبك) سنة ٦٥٦هـ(١٢٥٨م)،وهو صغير، ولقب بالمنصور، وأرسلوا عليا مع أمه إلى دمياط، فأقام بها في برج السلسلة إلى أن مات.﴿الأعلام الزركلي،المصدر نفسه،جـ٤،ص٢٦٥﴾.
٩٢٧ـ العباسة:ـ بفتح أوله،وتشديد ثانيه،وبعد الألف سين مهملة،وهو من العبوس ضد البَشّ،هكذا يتلفظون بها من غير إلحاق ياء النسبة وهي: بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، ذات نخل طوال، وقد عمرت في أيامنا لكون الملك الكامل بن العادل بن أيوب جعلها من منتزهاته، وبينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخا.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٤،ص٧٥﴾.
٩٢٨ـ قلعة الجبل:ـ بالفتح ثم السكون،قلعة عظيمة بالشام فيها معدن الرصاص.﴿معجم البلدان،المصدر نفسه،المجلد٤،ص٣٨٩﴾.
٩٢٩ـ غزة:ـ بفتح اوله،وتشديد ثانيه وفتحه،مدينة في اقصى الشام من ناحية مصر،بينها وبين عسقلان فرسخان او اقلّ،وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان.﴿معجم البلدان،المصدرنفسه،المجلد ٤،ص٢٠٢﴾.
٩٣٠ـ نابلس:ـ بضم الباء الموحدة واللام، والسين مهملة، وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ولها كورة واسعة.﴿معجم البلدان،المصدرنفسه،المجلد٥،ص٢٤٨﴾.
٩٣١ـ البلقاء:ـ مدينة بالشام من عمل دمشق. ﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٩٠﴾.
٩٣٢ـ بيبرس البندقداري:ـ الظاهر بيبرس (٦٢٥ - ٦٧٦ ه = ١٢٢٨ - ١٢٧٧ م) بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات و الاخبار والآثار. مولده بأرض القبچاق. وأسر فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الامير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجلعه في خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته تصعد به حتى كان (أتابك) العساكر بمصر، في أيام الملك (المظفر) قطز، وقاتل معه التتار في فلسطين. توفي في دمشق ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٢،ص٧٩﴾.
٩٣٣ـ قلاوون الصالحي:ـ قلاوون الالفي (٦٢٠ - ٦٨٩ ه = ١٢٢٣ - ١٢٩٠ م) قلاوون الالفي العلائي الصالحي النجمي، أبو المعالي، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، فبجاقي الاصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين

أيوب سنة٦٤٧هـ(١٢٤٩م)،فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. واستمر إلى أن توفي بالقاهرة. ﴿الأعلام الزركلي،المصدر نفسه،جـ٥،ص٢٠٣﴾. وكذلك في تاريخ ابي الفداء،جـ٣،ص٨٨،وتاريخ ابن الوردي،جـ٢،ص٢٢٨:مات في السادس من ذي القعدة من سنة٦٨٩هـ(١٢٩٠م).

٩٣٤ــ بلبان الرشيدي:ــ في النجوم الزاهرة،جـ٢،ص٢٤٦،وتاريخ الاسلام للامام الذهبي،جــ٤٨،ص٧،والعبر في خبر من غبر،جـ٣،ص٢٦٨:سيف الدين بلبان الرشيدي.

٩٣٥ــ سيف الدين قطز:ــ المظفر قطز (٠٠٠ - ٦٥٨ ه = ٠٠٠ - ١٢٦٠ م) قطز بن عبد الله المعزي، سيف الدين: ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام. كان مملوكا للمعز أيبك التركماني. وترقى إلى أن كان في دولة المنصور بن المعز أتابك العساكر.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٥،ص٢٠١﴾.

٩٣٦ــ الصالحية:ــ اسم لثلاثة مواضع وما نقصدها هي: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصالحين ويسكنها أيضا جماعة من الصالحين.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٣،ص٣٩٠﴾.

٩٣٧ــ بلغار الاشرفي:ــ في عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان،ص٣٧:في ليلة السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة خمس وخمسين وستمائة(١٢٥٧م)،قتل الأمير سيف الدين بُلغان الأشرفى،وفي السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١،ص١٣٤:قتل في يوم الخامس العشر من ذي القعدة في نفس السنة.

٩٣٨ــ عزالدين الرومي والكافوري:ــ في النجوم الزاهرة،جـ٢،ص٢٧٨:عزالدين ايبك الرومي وبلبان الكافوري.

٩٣٩ــ الغور:ــ بالفتح ثم السكون،وآخره راء،والغَوْر:المنخفض من الأرض،وهو غور الأردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق،وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس ولذلك سمي الغَوْر،طوله مسيرة ثلاثة ايام،وعرضه نحو يوم،فيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،الم جلد٤،ص٢١٦ـ٢٧١﴾.

٩٤٠ــ العريش:ــ من ديارمصر في اسفل الأرض. ﴿الروض المعطار،المصدر االسابق،ص٤١٠﴾.

٩٤١ــ العادل بيبرس:ــ في تاريخ ابي الفداء،جــ٣،ص٣٤:قطز ركن الدين بيرس البندقداري،وفي تاريخ ابن الوردي،جــ٢،ص٢٠١:قطز بيبرس البندقداري،سبق ذكره.

٩٤٢ــ كتبغا:ــ العادل كتبغا (٦٣٩ - ٧٠٢ ه = ١٢٤١ - ١٣٠٣ م) كتبغا بن عبد الله المنصوري، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية. في مصر والشام. أصله من سبي التتار من عسكر هولاكو أخذه الملك المنصور قلاوون في وقعة حمص الاولى سنة ٦٥٩هــ(١٢٦٠م) وجعله من مماليكه، فنسب إليه المنصوري ، فأنعم على العادل كتبغا بمملكة حماة وأعمالها، فانتقل إليها سنة ٦٩٩هـ(١٢٩٩م) واستمر إلى أن توفي بها. ثم نقلت جثته إلى دمشق، وكان شجاعا دينا.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٥،ص٢١٩﴾.

٩٤٣ـ سلمية:ـ اسم لموضعين وما نقصدها: بفتح أوله وكسر الميم وتخفيف الياء،بلد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية، وهو حصن كالمدينة صغير عامر آهل، بينه وبين حمص مرحلة.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٣٣٠﴾.

٩٤٤ـ مهنا بن مانع بن جديلة:ـ في البداية والنهاية،جـ١٣،ص٢٥٦:شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع: ابن مهنا (٠٠٠ - ٦٨٣ ه = ٠٠٠ - ١٢٨٤ م) عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شرف الدين الطائي: أمير، من آل فضل. كان بنعت في بادية الشام بملك العرب. ولاه الامارة الملك الظاهر بيبرس،وارتفعت مكانته عند سلاطين مصر، فاستمر في إمارته عشرين سنة، إلى أن توفي.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٥،ص١٠٩﴾.

٩٤٥ـ علم الدين سنجر الحلي الصالحي:ـ علم الدين سنجر الحلبي. مات في عاشر ذي القعدة من سنة احدى وتسعين وستمائة(١٢٩١م)،وكان قد مرض بعد حصار قلعة الروم،فحمل في محفة إلى مصر،فمات بعد حضوره بسبعة أيام،وكان من أكابر الأمراء الصالحية،عصى على الظاهر وتسلطن بالشام كما تقدم،وكان طويل القامة،مخلا بعينه اليسرى،ذكروا عنه أنه أصيب بسهم،وكان ذا بأس وشهامة،وقوة وشجاعة،وإقدام شديد.﴿عقد الجمان،المصدر السابق،ص٢٤٥﴾.وفي السلوك لمعرفة الملوك،جـ١،ص١٤٤:مات في سنة اثنين وتسعين وستمائة(١٢٩٢م).

٩٤٦ـ نجم الدين ابا الهيجاء ابن خشترين الكردي:ـ في السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١،ص١٤٤:مجيرالدين ابو الهيجاء بن عيسى بن خشتر الأزكشي الكردي،وفي عقد الجمان،ص٦٢:نجم الدين ابن الهيجاء بن خشتر بن الكردي.

٩٤٧ـ المظفر علاءالدين بن لؤلؤ:ـ في السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١،ص٦٢:المظفرعلاءالدين علي بن بدرالدين لؤلؤ،وفي تاريخ ابن الوردي،جـ٢،ص٢٠٣،وتاريخ ابي الفداء،حـ٣،ص٣٦:الملك السعيد بن بدرالدين لؤلؤ.

٩٤٨ـ شمس الدين دانشيرالبرلي:ـ في العبر في خبر من غبر،جـ٣،ص٣٠١:اقوش البرلي،وفي تاريخ ابي الفداء،جـ٣،ص٣٦،وتاريخ ابن الوردي،جـ٢،ص٢٠٢:شمس الدين اقوش البرلي العزيزي.

٩٤٩ـ العزيزية:ـ خمس قرى بمصر تنسب إلى العزيز بن المعز ملك مصر، اثنتان بالكورة الشرقية والعزيزيّة تعرف بالسَّلَّنْت بالمرتاحية وأخرى في السَّمَنُّودية وأخرى في الجيزيّة.﴿معجم البلدان،المصدرالسابق،المجلد ٤،ص١٢٠﴾.

٩٥٠ـ الشوبك:ـ بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة،وآخره كاف،قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وايلة و القُلزم قرب الكرك.﴿معجم البلدان،المصدرنفسه،المجلد٣،ص٣٧٠﴾.

٩٥١ـ بدرالدين ايدمري:ـ الأيدمري بيليك بن عبد الله الأيدمري المنصوري، الأمير بدرالدين. أحد مماليك الملك المنصور قلاوون وخواصه.

كان من أعيان الأمراء بالديار المصرية في أيام أستاذه إلى أن توفي بالقاهرة في رابع المحرم سنة ست وثمانين وستمائة(١٢٨٧م)،ودفن بتربته التي أنشأها بقرب مشهد الإمام الشافعي.﴿تغري بردي،جمال الدين يوسف،المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،جـ١،ص٣١٠﴾،وكذلك في تاريخ ابن الوردي،جـ٢،ص٢٢٧،وتاريخ ابي الفداء،جـ٣،ص٨٧:توفي في سنة ست وثمانين وستمائة(١٢٨٧م).

٩٥٢ـ بدرالدين بليان الخصي:ـ في عقد الجمان،جـ١،ص٨٥:سيف الدين بلبان المختصي. وفي المنهل الصافي،جـ١،ص٢٨٧: الرومي بلبان بن عبد الله الرومي الدوادار،الأمير سيف الدين.كان من أعيان الأمراء ونجبائهم، وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه ويحمله أسراره إلى القصاد، ولم يؤمره إلا الملك السعيد بن الملك الظاهر. واستشهد بمصاف حمص سنة ثمانين وستمائة(١٢٨١م).

٩٥٣ ـ الى الشام:ـ يقصد ابن خلدون العشيرتين الكورديتين بني لاوين وبني بابير.

٩٥٤ـ سنجر الحلي:ـ هو علم الدين سنجر الحلبي،سبق ذكره.

٩٥٥ـ بيسان:ـ اسم لموضعين وما نقصدها هي: مدينة بالشام صغيرة جداً،ويقال إن الموضع الذي قتل فيه جالوت كان بيسان من أرض الغور من بلاد الأردن.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص١١٩﴾.

٩٥٦ـ اقسنقر الفارقاني:ـ توفي الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الفارقاني في سنة سبع وسبعين وستمائة(١٢٧٨م)،كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، ثم انتقل إلى ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس.﴿النجوم الزاهرة،المصدر السابق،جـ٢،ص٣٣٧﴾.

٩٥٧ـ عسقلان:ـ مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين، كان يقال لها عروس الشام لحسنها. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أبشركم بالعروسين، غزة وعسقلان.﴿آثار البلاد،المصدر السابق،ص٢٢٢﴾.

٩٥٨ـ المرقب:ـ بلدة وقلعة حصينة مشرفة على سواحل بحر الشام.﴿آثارالبلاد،المصدر نفسه،ص٢٦١﴾.

٩٥٩ـ بعلبك الخزندار:ـ بدرالدين بيليك الخازندار،سبق ذكره.

٩٦٠ـ صاحب الاسبتارية:ـ في النجوم الزاهرة،جـ٢،ص٢٩٧:صاحب انطرطوس. والصحيح طرطوس:ـ بوزن قربوس بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٤،ص٣٠﴾.

٩٦١ـ العليقة:ـ فمررت بحصن القدموس، ثم بحصن المينقة، ثم بحصن العليقة، واسمه على لفظ واحدة العليق، ثم بحصن مصياف،ثم بحصن الكهف. وهذه الحصون لطائفة يقال لهم: الإسماعيلية.﴿رحلة ابن بطوطة،المصدر السابق،جـ١،ص٧٣﴾.

٩٦٢ـ اللجون:ـ بفتح أوله، وضم ثانيه وتشديده، وسكون الواو، وآخره نون، وهو بلد بالأردن، وبينه وبين طبرية عشرون ميلاً، وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون

ميلاً، وفي اللجون صخرة مدورة في وسط المدينة وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٥،ص١٣﴾.

٩٦٣- مصياف:- ويقال مصياب:حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالساحل الشامي،قرب طرابلس.﴿معجم البلدان،المصدرنفسه،المجلد ٥،ص١٤٤﴾.

٩٦٤- الكهف:- هو موضع بالجبل دخله أصحاب الكهف المذكورون في القرآن فراراً بدينهم. ﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٥٠١﴾.

٩٦٥- المنيقة والقدموس:- حصون من اعمال الشام.

٩٦٦- نجم الدين الشعراني:- في العبر في خبر من غبر،جـ٣،ص٣١٧،وفي السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١،ص١٩٨:نجم الدين حسن بن الشعران.

٩٦٧- خادم الدين بن الرضا:- في العبر في خبر من غبر،جـ٣،ص٣١٧،وفي السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١،ص١٩٨،وفي عقد الجمان،ص١٢٤:صارم الدين مبارك بن الرضي.

٩٦٨- سنقر الأشقر:- في عقد الجمان،ص٢٠٠و٢٤١:اعدم شمس الدين سنقرالأشقرفي سنة احدى وتسعين وستمائة(١٢٩١م).

٩٦٩- صهيون:- اسم للموقعين الاول، موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون ،والثاني حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر وهي قلعة حصينة مكينة في طرف جبل خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة مقدار طوله ستون ذراعا أو قريب من ذلك.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،جـ٣،ص٤٣٦﴾. وما نقصده الثاني.

٩٧٠- بليان:الصحيح،بلبان.

٩٧١- الشجاعي:- في النجوم الزاهرة،جـ٢،ص٢٨٩: قتل الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي المنصوري في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة(١٣٩٠م).

٩٧٢- حسام الدين لاجين:- لاچين (٦٣٥ - ٦٩٨ ه = ١٢٣٧ - ١٢٩٩ م) لاچين (المنصور) حسام الدين ابن عبد الله المنصوري: من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام.كان مملوكا للمنصور قلاوون، وإلى نسبته.﴿الأعلام الزركلي،المصدرالسابق،جـ٥،ص٢٣٨﴾.

٩٧٣- عزالدين ايبك الخازندار:- توفي الأمير عز الدين أيبك الخازندار في سابع شهر رمضان بالقاهرة،في سنة تسع وسبعمائة(١٣٠٩م)،وكان من أعيان أمراء مصر.﴿النجوم الزاهرة،المصدر السابق،جـ٢،ص٤٧٢﴾.

٩٧٤- فخرالدين ايبك الموصلي:- في السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ١،ص٢٩٢،وتاريخ ابي الفداء،جـ٣،ص١١٠:عزالدين ايبك الموصلي المنصوري،وتوفي في سنة سبع وتسعين وستمائة(١٢٩٧م)،وفي النجوم الزاهرة،جـ٢،ص٤٣٧:توفي في سنة ثمان وتسعين وستمائة(١٢٩٨م).

٩٧٥- مكة:- هي البلد الأمين الذي شرفه الله تعالى وعظمه وخصه بالقسم وبدعاء الخليل،

عليه السلام: رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات. واجعله مثابة للناس، وأمنا للخائف، وقبلة للعباد، ومنشأ لرسول الله، صلى الله عليه وسلم. وهي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جوانبها، وبناؤها حجارة سود ملس وبيض أيضا. وهي طبقات مبيضة نظيفة حارة في الصيف جدا، إلا أن ليلها طيب وعرضها سعة الوادي وماؤها من السماء، ليس بها نهر ولا بئر يشرب ماؤها، وليس بجميع مكة شجر مثمر.﴿آثار البلاد،المصدر السابق،ص١١٢﴾.

٩٧٦- رميثة:- رميثة بن أبي نمي (...- ٧٤٦ ه =...- ١٣٤٦ م) رميثة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي الحسني، أبو عرادة، ويلقب أسد،وقيل اسمه منجد: شريف، من أمراء مكة.وليها مشتركا مع أخيه حميضة.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٣،ص٣٣﴾.

٩٧٧- خميصة:- في عبر في خبر من غبر،جـ٤،ص٥٨،والنجوم الزاهرة،جـ٢،ص٤٩٢:حميضة: حميضة بن أبي نمي (٠٠٠ - ٧٢٠ ه = ٠٠٠ - ١٣٢٠ م) حميضة بن أبي نمي محمد بن الحسن ابن علي الحسني العلوي الهاشمي: شريف، من أمراء مكة. وليها سنة ٧٠١هـ(١٣٠١م) مشتركا هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلا إلى أن قتل حميضة، غيلة، في وادي نخلة.﴿الأعلام الزركلي،المصدرنفسه،جـ٢،ص٢٨٥﴾.

٩٧٨- عطيفة:- الشريف عطيفة (٠٠٠ - ٧٤٣ ه = ٠٠٠ - ١٣٤٢ م) عطيفة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي الحسني العلوي الهاشمي. ﴿الأعلام الزركلي،المصدرنفسه،جـ٤،ص٢٣٧﴾.

٩٧٩- خربندا:- في النجوم الزاهرة،جـ٣،ص٤٥،وفي المختصر في اخبار البشر،جـ٢،ص١٧:مات خربندا بن ارغون بن ابغا بن هولاكو في سنة ستة عشر وسبعمائة(١٣١٦م).

٩٨٠- قتادة:- من اولاد ابو نمى المار ذكره.

٩٨١- الينبع:- على تسعة برد من المدينة في طريق مكة.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٦٢١﴾.

٩٨٢- الريدانية:- كانت من ضواحي القاهرة وفيها جرت الوقعة بين جيش المماليك والجيش العثماني سنة ٩٢٣ هـ(١٥١٧م)،وقد دخلت الآن في حدود مدينة القاهرة وأصبحت تضم من أحيائها العباسية ومصر الجديدة. ﴿تعريف بألاماكن الواردة في البداية والنهاية،المصدر السابق،جـ١،ص١٨٤﴾.

٩٨٣- احمد بن اويس:- السلطان أحمد بهادر (٠٠ - ٨١٣ ه = ٠٠ - ١٤١٠ م) أحمد بن أويس بن حسن الجلايري، غياث الدين: آخر سلاطين الدولة (الجلايرية) في بغداد. مغولي الاصل، مستعرب. كان أسلافه من رجال جنگيزخان وهولاكو، وآل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن. ونشأ هو في تبريز،وثار عليه مغولي آخر اسمه الامير قرا يوسف، فقاتله، فانهزم السلطان أحمد وأسر وقتل خنقا ببغداد.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ١،ص١٠١-١٠٢﴾.

٩٨٤- جلبان:- قراسقل نائب حلب،(٠٠٠ - ٨٠٢ه - ٠٠٠ - ١٣٩٩م) جُلُبَان بن عبد الله الظاهري المعروف بقَرَاسُقْل الأمير سيف الدين نائب حلب. أصله من مماليك الملك

الظاهر برقوق وخواصه، رقاه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم رأس نوبة النوب، ثم ولاه نيابة حلب.﴿المنهل الصافي،المصدر السابق،جـ١،ص٣٩٩﴾.

٩٨٥ـ كمشبغا:ـ في النجوم الزاهرة،جـ٣،ص٤٣١: توفي الأمير الكبير - أتابك العساكر بالديار المصرية، وعظيم المماليك اليلبغاوية، كمشبغا بن عبد الله الحموي اليلبغاوي، بسجن الإسكندرية، في العشرين من شهر رمضان من سنة احدى وثمانمائة(١٣٩٨م). وفي السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ٣،ص٦:مات الأمير كمشبغا الحموي بسجن الإسكندرية، في ثامن عشرين رمضان من سنة احدى وثمانمائة(١٣٩٨م).

٩٨٦ـ تكلمش امير سلاح:ـ في النجوم الزاهرة،جـ٣،ص٤٣٠: بكلمش امير سلاح،توفي في سنة احدى وثمانمائة(١٣٩٨م).وفي المنهل الصافي،جـ١،ص٢٨٦: العلائي بكلمش بن عبد الله العلائي، أمير سلاح، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الأمير طيبغا الطويل،فلما كان تاسع عشرين المحرم من السنة قبض الملك الظاهر عليه وعلى كمشبغا الحموي الأمير الكبير، فسجنا بالثغر مدة، ثم أفرج السلطان عن الأمير بكلمش صاحب الترجمة، ووجهه إلى القدس بطالاً، فأقام بالقدس إلى أن مات في شهر صفر سنة إحدى وثمانمائة(١٣٩٨م).

٩٨٧ـ احمد بن بيبغا:ـ في النجوم الزاهرة،والسلوك لمعرفة دول الملوك: احمد بن يلبغا، في المنهل الصافي،جـ١،ص١٤١: ابن يلبغا العمري (٧٥٢ - ٨٠٢هـ - ١٣٥١ - ١٤٠٠م) أحمد بن يلبغا العمري الخاصكي الحسني، ابن صاحب المكبش، وأستاذ الملك الظاهر برقوق، الأمير شهاب الدين أحمد.

٩٨٨ـ المنصور:ـ في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية،ص١٨٢: في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة(١٣٢٣م)،توفي السلطان الملك المنصور أيوب بن مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول،وكانت وفاته يوم الأربعاء ثاني شهر صفر من السنة المذكورة في دار الأمارة في حصن تعز معتقلاً،ودفن في مدرسة والده في مدينة تعز المعروفة بالمظفرية.

٩٨٩ـ المجاهد:ـ في المختصرفي اخبارالبشر،جـ٢،ص٢٤،وتاريخ ابي الفداء،جـ٣،ص١٩٦:علي بن داود المظفر يوسف،الملقب بالسيف الاسلام.

٩٩٠ـ الظاهر:ـ الظاهر الرسولي (٠٠٠ - ٧٣٤ هـ = ٠٠٠ - ١٣٣٣ م) عبد الله بن أيوب المنصور بن يوسف المظفر، من بني رسول: أمير جواد عاقل ورع.تعلقت نفسه بطلب الملك، وقصرت. وذلك أن جمعا تألب معه في أيام الملك المجاهد وحملوه على طلب الملك وخلع المجاهد، وبايعوه، ولقبوه الظاهر فسار بهم إلى المجاهد، وهو في تعز، فحاصره أحد عشر شهرا، وعجز، فسار إلى تهامة فتبعه المجاهد. واستمرت بنيهما الوقائع إلى ان تفرق من كان مع الظاهر، فاستأمن المجاهد فأمنه وحبسه بتعز، من غير تضييق عليه، إلى أن مات. ﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٤،ص٧٣﴾.

٩٩١ـ الدملوة:ـ بضم اوله،وسكون ثانيه،وضم

اللام،وفتح الواو،حصن عظيم باليمن.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٢،ص٤٧١﴾.

٩٩٢ـ زبيد:ـ مدينة باليمن بقرب الجند ومعاثر، تسير في صحراء ورمال حتى تنتهي إلى زبيد، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد ولا أغنى أهلاً ولا أكثر خيراً منها، وهي واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه والموز وغيره، ومن زبيد إلى عدن على الساحل عشر مراحل.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٢٨٤﴾.

٩٩٣ـ عدن:ـ مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، سميت بعدن بن سنان بن إبراهيم،عليه السلام،لا ماء بها ولا مرعى،شربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة يوم،وكان عدن فضاء في وسط جبل على ساحل البحر.﴿آثار البلاد،المصدر السابق،ص١٠١﴾.

٩٩٤ـ صنعاء:ـ قصبة بلاد اليمن، أحسن مدنا بناء وأصحها هواء وأعذبها ماء، وأطيبها تربة وأقلها أمراضا، ذكر أن الماء إذا رش في بيوتها تفوح منه رائحة العنبر. بناها صنعاء بن ازال بن عنير بن عابر بن شالح،شبهت بدمشق في كثرة بساتينها،وتخرق مياهها وصنوف فواكهها.﴿آثار البلاد،المصدر نفسه،ص٥٠﴾.

٩٩٥ـ جلال الدين:ـ جلال الدين بن خوارزم شاه بن علاءالدين،في تاريخ ابي الفداء،جـ٢،ص٤٤٣،وفي النجوم الزاهرة،جـ٢،ص٢٠٧:قتل في سنة ثمان وعشرين وستمائة(١٢٣٠م). في سيرة اعلام النبلاء،جـ٢٣،ص١٦٢:قتل في سنة تسع وعشرين وستمائة(١٢٣١م).

٩٩٦ـ ايدس:ـ في الكامل،جـ١٢،ص٥٠٠:بدليس ويقال بتليس او تفليس،وقد سبق ذكرها.

٩٩٧ـ هاكري:ـ ذكره ابن خلدون سابقا اباكري،وفي الكامل في التاريخ جـ١٢،ص٥٠٠:باكري،وهي من اعمال خلاط.

٩٩٨ـ التركمان الأيوبية:سبق ذكرهم بالتركمان الاوامية،وذكرهم عباس العزاوي في عشائرالعراق بالتركمان الأيوانية.

٩٩٩ـ جنكيزخان:ـ جنكيزخان السلطان الاعظم عند التتار،توفي في سنة اربع وعشرين وستمائة(١٢٢٦م) جنكيزخان.﴿البداية والنهاية،المصدر السابق،جـ١٣،ص١٣٧﴾.

١٠٠٠ـ تركستان:ـ هو اسم جامع لجميع بلاد الترك،وفي الحديث ان النبي (ص) قال:الترك اول من يسلب امتي.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٢،ص٢٣﴾.

١٠٠١ـ كاشغر:ـ بالتقاء الساكنين والشين معجمة والغين أيضا وراء وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون.﴿معجم البلدان،المصدر نفسه،جـ٤،ص٤٣٠﴾.

١٠٠٢ـ تمر:ـ في النجوم الزاهرة،جـ٣،ص٣٣٧،وفي السلوك لمعرفة دول الملوك،جـ٣،ص٥٤:تيمورلنك،الذي خرب البلاد واباد العباد،وسبق ذكره.

١٠٠٣ـ قراباغ:ـ وهوموضع ما بين السلطانية وتبريز.﴿رحلة ابن بطوطة،المصدر السابق،جـ١،ص٧٤﴾.

١٠٠٤ـ طغطمش:ـ في شذرات

الذهب،جـ٦،ص٣٥٤:طقتمش،وقتل في سنة ثمان وتسعين وسبعمائة(١٣٩٥م)،قتله احد امراء التتر.

١٠٠٥ــ صراي:ــ بركه بن باطوخان بن دوشي خان بن جنكزخان أعظم ملوك التتر وكرسي مملكته مدينة صراي.﴿تاريخ ابي الفداء،المصدر السابق،جـ٣،ص٥٩﴾.

١٠٠٦ـ القرم:ـ مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان،صاحب بلاد اوزبك.﴿رحلة ابن بطوطة،المصدر السابق،جـ١،ص٢٩٥﴾.

١٠٠٧ــ لؤلؤ:ـ الملك الرحيم (٥٧٠ - ٦٥٧ ه = ١١٧٤ - ١٢٥٩ م) لؤلؤ بن عبد الله الاتابكي، أبو الفضائل.بدرالدين،الملقب بالملك الرحيم: صاحب الموصل. طالت أيامه بها. وكان من أجل الملوك ومن أعلاهم همة، وأسهرهم على رعاياه،توفي بالموصل.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٥،ص٢٤٥﴾.ويجد ايضا شخصية آخرى بهذا اللقب،سبق ذكره.

١٠٠٨ــ منكوفان:ـ في تاريخ الاسلام للامام الذهبي،جــ٤٩،ص١٨٣:مونكوقا،وفي عقد الجمان،ص٧٠: الملك منكوقان بن طلوخان بن جنكزخان ملك التتار.

١٠٠٩ـ ركن الدين اسماعيل:ـ قتلت التتار في ذي القعدة من سنة ستين وستمائة(١٢٦١م)،الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل بعد الأمان.﴿النجوم الزاهرة،المصدر السابق،جـ٢،ص٣٥١﴾.

١٠١٠ــ ابن صلايا:ـ تاج الدين بن صلايا محمد بن نصر بن صلايا بن يحيى،الصاحب تاج الدين،أبو المكارم ابن صلايا الهاشمي العلوي،نائب إربل الشيعي، كان نائب الخليفة بإربل،وكان من رجالات العالم رأياً وعقلاً وحزماً وصرامة،قتله هولاكو بقرب توريز سنة ست وخمسين وستمائة(١٢٥٨م).﴿الوافي بالوفيات،المصدر السابق،جـ٢،ص١٣٦﴾.

١٠١١ــ شرف الدين الكردي:ـ لم نعثر على ترجمته.

١٠١٢ـ خربندا بن ارخو:ـ محمد بن أرغون بن أبغاابن هولاكو بن تولي بن جنكز خان المغولي، القان غياث الدين خدابندا، معناه بالعربي عبد الله وإنما الناس غيروه فقالوا خربندا، صاحب العراق وأذربيجان وخراسان. ملك بعد أخيه غازان،وتوفي في شهر رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة(١٣١٦م)،ودفن بسلطانية. ﴿اعيان العصر واعوان النصر،المصدر السابق،جـ٢،ص٢٥٩﴾.

١٠١٣ــ قازان:ـ غازان بن أرغون بن أبغا ابن هولاكو بن تولى بن جنكزخان، السلطان الكبير والقان الجليل إيلخان، معز الدين. وتوفي في ثاني عشر شوال سنة ثلاث وسبعمائة(١٣٠٣م)،ببلاد قزوين، وحمل إلى تربة شم ظاهر توريز. ﴿اعيان النصر واعوان العصر،المصدر نفسه،جـ٢،ص١٦٣﴾.

١٠١٤ـ قطلوشاه:ـ في البداية والنهاية،جـ١٤،ص٥٠: قتل أمير التتر الكبير قطلوشاه في شهر المحرم من سنة سبع وسبعمائة(١٣٠٧م).وفي تاريخ ابي الفداء،جـ٣،ص١٣٣،وفي المختصر في اخبار البشر،جـ١،ص٤٩٦:قتل في سنة خمس وسبعمائة(١٣٠٥م).

١٠١٥ــ كيلان:ـ جيلان بالكسر اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان،وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرى في مروج بين جبال ينسب إليها جيلاني وجيلي، والعجم يقولون كيلان وقد فرق قوم فقيل إذا نسب إلى البلاد قيل جيلاني وإذا نسب إلى رجل منهم قيل جيلي،وقد نسب إليها من لا يحصى من أهل العلم.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،المجلد٢،ص٢٠١﴾.

١٠١٦ــ جوبان بن تدوان:ـ توفي الأمير سيف الدين جوبان بن تلك بن ندوان نائب القان بوسعيد ملك التتارفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة(١٣٢٧م).﴿النجوم الزاهرة،المصدر السابق،جـ٣،ص٥٤﴾.

١٠١٧ـ أرتنا:ـ (...... - ٥٧٥٣ - ...... - ١٣٥٢م) أرتنا، الحاكم ببلاد الروم من قبل الملك بوسعيد.

﴿المنهل الصافي،المصدر السابق،جـ١،ص١٤٧﴾.

١٠١٨ــ عزالدين:ـ عزالدين كيكاوس،سبق ذكره.

١٠١٩ــ العلايا:ـ وهي أول بلاد الروم وهذا الأقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد،فأهله أجمل الناس صوراً،وأنظفهم ملابس، وأطيبهم مطاعم .﴿رحلة ابن بطوطة،المصدر السابق،جـ١،ص٢٥٦﴾.

١٠٢٠ــ طوائف الأكرادالفراسيلية:ـ في عقد الجمان،ص٣٩: القراسلية والأكراد.

١٠٢١ــ الياروقية:ــ في وفيات الأعيان،جـ٦،ص١١٧:طائفة من التركمان ينتسبون الى ياروق بن أرسلان .

١٠٢٢ـ ركن الدين:ـ قال ابن خلدون:ركن الدين قلج ارسلان بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ،فتله معين الدين البرواناة سنة ست وستين»وستمائة«(١٢٦٧م).للمزيد من المعلومات يراجع تاريخ ابن خلدون،في ذكر الخبرعن بني ارتنا ملوك بلاد الروم.

١٠٢٣ــ تونس:ـ مدينة بأرض المغرب كبيرة على ساحل البحر، قصبة بلاد افريقية. اصلح بلادها هواء وأطيبها ماء وأكثرها خيرا،وبها من الثمار والفواكه ما لا يوجد في غيرها من بلاد المغرب حسنا وطعما.﴿آثار البلاد،المصدر السابق،ص١٧٣﴾.

١٠٢٤ـ قسطنطينة:ـ بإسقاط ياء النسبة،كانت رومية دار ملك الروم، واسمها إصطنبول،وبينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح عمرها ملك من ملوك الروم،يقال له قسطنطين فسميت باسمه والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة،ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبي في البر.﴿معجم البلدان،المصدر السابق،جـ٤،ص٣٤٧﴾.

١٠٢٥ــ رومة:ــ اسم لعدة مواضع وما نحن بصددها هي:دار مملكة الروم،ونزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكاً،وهي في سهل من الأرض وتحيط بها الجبال.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٢٧٤ـ٢٧٥﴾.

١٠٢٦ـ بجاية:ـ قاعدة الغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها، وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل

يسمى امسيول، وهو جبل سام صعب المرتقى. ﴿الروض المعطار،المصدرنفسه،ص٨٠﴾.
١٠٢٧ـ ابن القالون:ـ الآتي ذكره.
١٠٢٨ــ اللحياني:ـ الحفصي(٦٥٠ - ٧٢٧ ه = ١٢٥٢ - ١٣٢٦ م) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص اللحياني الهنتاني، أبويحيى الحفصي: من ملوك الدولة الحفصية في إفريقية. ولد بتونس وقرأ الفقه والعربية، وتأدب،توفي بالاسكندرية.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٣،ص٤٥﴾.
١٠٢٩ـ زناتة:ـ بفتح أوله وبعد الألف تاء مثناة من فوق ناحية بسرقسطة من جزيرة الأندلس. ﴿معجم البلدان،المصدر السابق،جـ٣،ص١٥١﴾. ونسبة الى قبيلة زناتة من البربر.
١٠٣٠ـــ طرابلس:ــ هي ليست طرابلس الشام،وانما: من مدن إفريقية، وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب في سورها، وهو من حجر جليل من بناء الأول، قيل وتفسير طرابلس ثلاث مدن وقيل مدينة الناس، وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة، وفي شرقيها بساتين كثيرة فيها فواكه كثيرة وخيرات جمة، وأهلها تجار يسافرون براً وبحراً.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٣٨٩﴾.
١٠٣١ــ أبي ضربة:ـ (..- ٧٢٣ ه =..- ١٣٢٣ م) محمد بن زكرياء بن أحمد بن محمد اللحياني الحفصي، الملقب بأبي ضربة: من ملوك الدولة الحفصية في تونس.كان في عهد استقرار أبيه بتونس معتقلا فيها. استقر في تلمسان منهزما،ومات فيها.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٦،ص١٣٠﴾.
١٠٣٢ــ المهدية:ــ مدينة بافريقية بقرب القيروان، اختطها المهدي المتغلب على تلك البلاد في سنة ثلاثمائة(٩١٢م).﴿آثارالبلاد،المصدر السابق،ص٢٧٦﴾.
١٠٣٣ـ بنو عبد الواد:- بطن من زناتة من البربر، ولهم ملوك بتلسمان من العرب الأوجام.﴿نهاية الأرب،المصدر السابق،جـ١،ص١١٤﴾.
١٠٣٤ــ أبوتاشفين العبد الوادي:ـ (٦٩٢ - ٧٣٧ ه = ١٢٩٣ - ١٣٣٦ م) عبد الرحمن بن موسى الاول (أبي حمو) بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، أبوتاشفين، من بني عبد الواد: من سلاطين تلمسان وأطرافها، في المغرب الاوسط. قتل أباه وحل في الملك محله سنة ٧١٨هـ(١٣١٨م) وانصرف إلى عمران بلاده. وكان فيه ميل إلى النعيم واللهو.﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٣،ص٣٣٩﴾.
١٠٣٥ـ تلمسان:ـ قاعدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة،وبينها وبين وهران مرحلتان وهي في سفح جبل أكثره شجر،وكانت دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر. وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم،ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها. ﴿الروض المعطار،المصدرالسابق،ص١٣٥﴾.
١٠٣٦ــ موسى بن علي الكردي:ـ كان وزيراً لأبي تاشفين،قتل في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة(١٣٣٦م) مع ابو تاشفين،هومن الأكراد الذين اجلاهم التترعن شهرزورعند احتلالهم

لها الى شمال افريقيا.

١٠٣٧ــ تيمرزدكت:تامزردكت:جاء ذكرها في الروض المعطار،ص١٢٩:بـ(تاكررت) حيث قلعة منيعة بينها وبين تلمسان مسيرة يوم.

١٠٣٨ــ بونة:ـ من بلاد إفريقية قريبة من فحص قل،وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة،وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها، وهي من أنـزه البلاد وأكثرها لبناً ولحماً وعسلاً وحوتاً.﴿الروض المعطار،المصدر نفسه،ص١١٥﴾.

١٠٣٩ـ قسنطينة:ـ من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة،وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار للأول،كثيرة الخصب رخيصة السعر،على نظر واسع وقرى عامرة.﴿الروض المعطار،المصدر نفسه،ص٤٨٠﴾.

١٠٤٠ــ القيروان:ــ معـرّبٌ وهـو بالفارسية كـارَوان،والـقـيروان في الأقليم الثالث،طولها احدى وثلاثون درجة،وعرضها ثلاثون درجة واربعون دقيقة،وهذه مدينة عظيمة بافريقية غَبَرَتْ دهراً وليس بالغرب مدينة اجلّ منها الى ان قدمت العرب افريقية واخربت البلاد وانتقلت اهلها عنها.﴿معجم البلدان،المصدرالسابق،المجلد٤،ص٤٢٠﴾.

١٠٤١ــ مراكش:ـ مدينة من أعظم مدن بلاد المغرب، واليوم سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البر الأعظم، بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر. وإنها كثيرة الجنان والبساتين ويخرق خارجا الخلجان والسواقي، ويأتيها الارزاق من الأقطار والبوادي، مع ما فيها من جني الأشجار والكروم التي يتحدث بطيبها في الآفاق. والمدينة ذات قصور ومبان محكمة. ﴿آثار البلاد،المصدر السابق،ص١١١﴾.

١٠٤٢ــ ابي حمو:ـ (٦٦٥ - ٧١٨ ھ = ١٢٦٧ - ١٣١٨ م) موسى (الاول) بن عثمان (أبي سعيد) بن يغمراسن بن زيان،أبو حمو: رابع سلاطين بني عبد الواد من آل زيان،في تلمسان وبلاد المغرب الاوسط. وحقد عليه ابنه (أبوتاشفين) لتقديمه غيره عليه،فبينما كان السلطان في (الدار البيضاء) فاجأه أبو تاشفين ببعض رجاله،والسلاح مشهور بأيديهم،فقتلوه وقتلوا حاشيته. ﴿الأعلام الزركلي،المصدر السابق،جـ٧،ص٣٢٥﴾.

١٠٤٣ـ الجزائر:ـ مدينة جليلة قديمة البناء فيها آثار للأول،وتدل الآثار العجيبة التي بالجزائر على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم،ولها أسواق ومسجد جامع،وكانت بها كنيسة عظيمة. والجزائرعلى ضفة البحر،وفي جبالها قبائل البربر وزراعاتهم الحنطة والشعير، وأكثر أموالهم المواشي البقر والغنم. ﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص١٦٣﴾.

١٠٤٤ــ الزان:ــ جبل قريب عن مدينة بجاية.﴿رحلة ابن بطوطة،المصدر السابق،جـ١،ص٢١﴾.

١٠٤٥ـ شلف:ـ نهر بالمغرب،بقرب مليانة،وعليه مدينة قديمة ازلية فيها آثار اوليه كانت تسمى شلف.﴿الروض المعطار،المصدر السابق،ص٣٤٣﴾.

١٠٤٦ــ مليانة:ـ مدينة كبيرة بالمغرب من اعمال بجاية،وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات﴿آثار البلاد،المصدر السابق،ص٢٧٣﴾.

تاريخ مَمْلكَــــــةمِيتَّـــاني الحـــوريّـــة
(العَلاقاتُ المِيتَّـــانيّـــة- المِصْرِيّة)

بقلم: د. أحمد محمود الخليل

الجزء الثّالث

١
الصِّراع المِيتَّـــاني- المِصْري
الصِّراعُ على سُوريّا:

مرّ أن عهد الأسرة المصرية الثامنة عشرة يبدأ من تاريخ حكم أوّل ملوكها أُحْمُس (أماسيس) الأول (١٥٧٥ – ١٥٥٠ ق.م) الذي طرد الهِكْسوس من مصر، وينتهي في عهد ملكها الثاني عشر والأخير تُوت عَنْخ أمُون (١٣٤٧ – ١٣٣٩ ق.م). وبعد ذلك تعاظمت قوة الدولة المصرية، وتطلّع ملوكها إلى السيطرة على سوريا، وعلى هذا الأساس أقاموا علاقات إستراتيجية مع المملكة الكاشّية

في بابل، وهذا واضح في رسائل الملك الكاشّي كاداشْمان- خارْبي الأول (١٤١٠ – ١٣٨٦ ق.م) إلى الملك المصري أَمْنُوفِيس (آمُونْحُوتَب) الثالث (١٤٠٥ – ١٣٧٠ ق.م)، ثم تخلّوا عن المملكة الكاشّية حينما دبّ فيها الضعف، وتحوّلوا إلى بناء علاقة إستراتيجية مع الدولة الآشورية الناهضة والمنافسة للكاشّيين، ويتضح ذلك في رسالة من الملك الكاشّي بُورْنا بُورْياش الثاني (١٣٦٧ – ١٣٤٦ ق.م)، إلى الفرعون آمُونْحُوتَب الرابع المعروف باسم أخناتون (١٣٧٠ – ١٣٥٢ ق.م)، يعاتبه فيها على استقبال وفد آشوري، معتبراً ذلك الاستقبال عملاً غير ودّي١.

ومنذ نهاية القرن السادس عشر ق.م، ومثل أيّة قوة سياسية ناشئة وناهضة، تطلّعت دولة ميتّاني الحورية إلى أن يكون لها دور سياسي إقليمي مؤثِّر في الشرق الأدنى القديم، وتصاعد ذلك الطموح في النصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م، ونتيجة للمصالح الجيوسياسية، دخل ملوك مصر من الأسرة الثامنة عشرة في صراع طويل ضد مملكة ميتّاني، بشأن السيادة على سوريا، ويبدو أن ذلك الصراع تصاعد في الفترة (١٥٥٠ – ١٥٠٠ق.م)، والدليل على ذلك أن الفرعون المصري تُحوتْموس الأول (١٥٢٨ – ١٥١٠ ق.م) كان قد غزا سوريا، ووصل إلى مملكة ميتّاني، وأقام له نُصباً هناك يخلّد فيه انتصاراته، وهذا يعني أنه كان معاصراً للملك الميتّاني الثاني شُوتّارنا (شُتَّرْنا) الأول Shuttarna ١، ابن كِيرْتا Ki- ir-ta، حوالي نهاية القرن السادس عشر ق.م. قال الدكتور عبد العزيز صالح:

"واتّجه تُحوتْمُوس ناحية الشام وأطراف العراق، ووجّهه إليها عاملان: عامل القوة الدافعة التي صبغت سلوكه وروح شعبه وعصره، وعامل تحرُّك الجماعات الميتّانية التي ذكرتها نصوصُ عهد سلفه، قرب نهر الخابور والفرات وفي شمال شرق الشام. وكان في كلٍّ من العاملَين ما شجّعه على تنفيذ المرحلة الثالثة من السياسة الخارجية للدولة؛ ألا وهي السيطرة على أبواب التجارة الدولية ومداخل هجرات الشعوب في شمال الشام، وأطراف العراق. ولم تكن أحوال بلاد الشام حينذاك مما يمكّنها من صدّ هجرات جديدة، أو كسر شدّة الهجرات الموجودة على أطرافها، دون دفع خارجي أو عون خارجي»٢.

وأضاف الدكتور عبد العزيز صالح يقول:

«وحين تطلّع تُحوتْموس الأول إلى جمعها ﴿سوريا﴾ تحت رايته اعتمد على جرأته واستعداد جيشه، واستعان بسلاح المبادرة والتحركات القوية الخاطفة، فمَرَق بجيشه من مصر عبر الشام في سرعة غريبة ودون معارضة كبيرة حتى بلغ نَهْرينا في منطقة المِيتّان. ثم عبر نهر الفُرات، وأرسى على ضفّته الشرقية نُصْباً حدّد به تخوم دولته الناهضة التي امتدّت على حدّ تعبير نصوص عهده من قرن الأرض في الجنوب إلى أطراف المياه المعكوسة في الشمال؛ أيْ من جبل

١ - أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ١٢١. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٣٨٨. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٢٠، ٢٥٤ - ٢٥٥.

٢ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

بَرْقَل[3] والشلاّل الرابع حتى أطراف مياه الفرات التي استغرب المصريون جريانها من الشمال إلى الجنوب على عكس جريان مياه نيلهم»[4].

ويبدو من سياق الأحداث أيضاً أن تُحُوتْموس الأول وخَلَفَه تُحُوتْموس الثاني (١٥١٠ – ١٤٩٠ ق.م) لم يستطيعا إيقاف تعاظم قوة مملكة ميتّاني، وتزايد نفوذها في سوريا، والدليل على ذلك أن النصف الشمالي من سوريا انفصل عن السلطة المصرية في عهد الملكة حاتْشِبْسُوت (١٤٩٠ – ١٤٦٨ ق.م)، باعتبار أن سياسة هذه الملكة توجّهت نحو إفريقيا (القرن الإفريقي) أكثر من توجّهها نحو آسيا، واقتصر النفوذ المصري في سوريا خلال عهدها على النشاط التفتيشي. وعندما تسلّم تُحوتْمُوس الثالث (١٤٦٨ – ١٤٣٦ ق.م) مقاليد الأمور في مصر- وكان مشارِكاً في الحكم مع حاتْشِبْسُوت في السنوات التسع الأخيرة من حكمها- كان أول ما اهتم به هو العمل لاستعادة النفوذ المصري في النصف الشمالي من سوريا، والقضاء على نفوذ مملكة ميتّاني، فتزعّمت مملكة ميتّاني حلفاً قوياً ضده[5].

يقول الدكتور عبد العزيز صالح بشأن تحوتموس الثالث:

«عندما اعتلى العرش منفرداً واجه مشكلة واسعة هدّدت زعامةَ مصر وسُمعتَها الدولية في الشرق الأدنى، وكان عليه أن يتحدّاها ويُثبت كفاءته لحلها، وتفرقت مواطن هذه المشكلة في نواحٍ من بلاد الشام وأطراف بلاد النهرين، وكانت عواملها ثلاثة، وهي:

اهتمام عهد حاتْشِبْسُوت بسياسته الإفريقية أكثر من اهتمامه بسياسته الآسيوية، مما باعد بعض الشيء بين مصر وبين جيرانها أهل الشام.

وأمل دولة الميتّانيين التي بدأت تُلملم شملها، وتعترف بمَلك واحد في أن يصبح لها ضلع في توجيه أحوال الشرق الأدنى وتجارته، لا سيّما أن موقعها على الفرات، وامتدادها إلى شرقه نحو دجلة، سمح لها بمركز تجاري متوسط يمكن أن تتحكّم به في

٣ - جبل بَرْقَل (بَركَل) Barkal: منطقة أثرية بين الشلالَين الثالث والرابع في دَنْقَلَة بالسودان، وهو جبل هرمي الشكل قليل الارتفاع، سمّاه المصريون القدماء: "الجبل المقدس"، ويُطلَق اسمُه في بعض المؤلفات الأثرية على كل ما حوله من المعابد والأهرامات.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٢٧.

٥ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٤ - ٣٦٥. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١١٩.

مداخل التجارة السورية العراقية، ويمكن أن تنافس مصر به.
ثمّ اتّجاه حكّامها ﴿= مملكة ميتّاني﴾ إلى شَغل مصر عنهم بإثارة الاضطرابات ضدها، وقد استجاب لتحريضاتهم بالفعل بعض حكّام الشام وشيوخ بدوها، ولا سيّما أنه كانت لا تزال تعيش بينهم بقية من ذراري الهِكْسوس الذين طردهم المصريون من بلاد شرَّ طِردة»٦.

التَّحالف الميتّـاني- السُّوري ضدّ مصر:

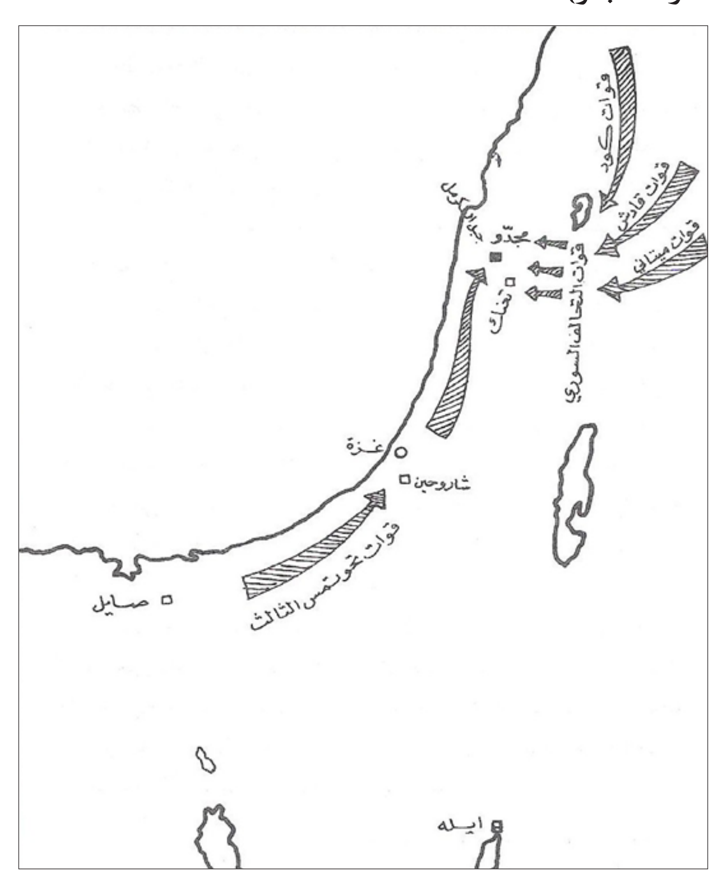
إن العوامل الثلاثة السابقة الذكر أدّت إلى قيام تحالف ضدّ مصر، ضمّ عدداً من حكّام الممالك السورية بزعامة حاكم قادِش (تل النبي مَنْد قرب حِمص على ضفّة العاصي الشرقية)، ومن المحتمل أن هذا الحاكم كان ميتّانياً، أو كان على الأقل من كبار المستجيبين للسياسة الميتّانية، وقد اتجه بالقوات المتحالفة جنوباً نحو شمالي فلسطين، واتخذ مدينة مَجِدُّو (تل المُتَسلِّم، شمال شرقي طُولْكَرم- حالياً) مركزاً لقيادته، ومّد نفوذه حتى مدينة شارُوحِين معقل الهكسوس القديم، وكانت أهمّية مَجِدُّو تتمثّل في أنها تتحكّم في الممرات الجبلية التي تجتازها طرق التجارة الدولية بين جنوبي سوريا وجنوبي بلاد الرافدين من ناحية، وبين فلسطين ومصر من ناحية أخرى٧.

وردّاً على سياسات مملكة ميتّاني وحلفائه في سوريا، قاد تُحوتْمُوس الثالث ستّ عشرة غزوة ضد بلاد رِيتينو (النصف الشمالي من سوريا)، وانتصر في الغزوة الأولى سنة (١٤٦٨ ق.م) على الحلف السوري، ثم تفقّد سوريا في أربعة أعوام متتالية بجيوش ضخمة على نحو سلمي، مستعرضاً قواته الحربية، ومؤكداً لأعدائه أنه قادر على البطش بهم إذا أثاروا المشكلات، وكانت استعراضاته العسكرية موجَّهة إلى مملكة ميتّاني في الدرجة الأولى، باعتبارها كانت القوة الإقليمية المنافسة لمصر. وفي الحملة السادسة قرر تُحوتْموس الثالث مهاجمة حاكم قادِش في عُقْر داره، لأنه كان يقود المقاومة السورية ضد النفوذ المصري (صورة تحوتموس الثالث).

وكان حِصن قادِش ذا موقع إستراتيجي مهم، إنه كان يتحكّم في المدخل الشمالي لوادي البِقاع المؤدّي إلى قلب سوريا، ويشرف على وادي النهر الكبير المؤدّي على ساحل البحر المتوسط، ويُطلّ على طريق تجاري رئيسي يصل بين بلاد الرافدَين وسوريا، ويقع على بُعد حوالي (٥٥) كم معسكر قَطَنا (قَطْنا) أكبر معسكرات الهِكْسوس، وبعد صعوبات كبيرة ألحق تُحوتْموس الثالث الهزيمة بخصمه حاكم قادِش، واحتل الحصن. ورغم هذا النصر يبدو أن الملك المصري لم يستطع فرض نفوذه على جميع أمراء وسط سوريا، وظلت

٦ - المرجع السابق، ص ٢٢٩.
٧ - المرجع السابق، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

المقاومة نشيطة؛ الأمر الذي جعل تحوتموس الثالث يهاجم سوريا مرة بعد أخرى (انظر خريطة معركة مجدّو).



إن تحوتموس الثالث كان يعلم أن خصمه الأكبر والأكثر خطورة هو مملكة ميتّاني المهيمنة على شمالي سوريا، وأنها تثير حكام سوريا في الوسط والجنوب ضد النفوذ المصري، وكان ملك ميتّاني حينذاك يُدعى ساوْشّاتّار Saushshattar بن پارساشاتار Parsashatar، فاضطر تُحوتْموس الثالث إلى أن يغزو النصف الشمالي من سوريا في السنة الثلاثين من حكمه، وهاجم مملكة قادِش للمرة الثانية، وتوغّل في أراضي شمالي سوريا، متوجّهاً نحو مناطق مملكة ميتّاني الواقعة غربي الفرات مباشرة، ووصل في عام (١٤٤٧ ق.م) إلى مناطق كَرْكَميش، وعبر الفرات إلى الضفة اليسرى (الشرقية) دون أن يلقى مقاومة تُذكر من الجانب الميتّاني، وذكر في إحدى حملاته على ميتّاني أنه جاء لوضع لوحة شرقي

الفرات بجوار لوحة جدّه تُحوتْموس الأول٨.

وفي السنة الثالثة والثلاثين من حكمه؛ أي حوالي سنة (١٤٣٥ ق.م)، جرّد تُحوتْموس الثالث حملة عسكرية ضد مملكة ميتّاني، عازماً على أن يغزوها في عُقر دارها، ويأمن تحريضاتها، كي يستقرّ الأمن على التخوم الشمالية للنفوذ المصري، وتحضيراً لحملته الجديدة، ولضمان النصر على ميتّاني، زوّد الموانئ السورية بما يلزم من المواد الغذائية، وطلب إلى رجاله أن يجهّزوا أسطولاً كبيراً من أخشاب لبنان، وينقلوا السفن مفكّكة عن طريق البر، على عربات تجرّها الثيران، إلى قرب نهر الفرات، والتقى تُحوتْموس بالجيش الميتّاني في كَرْكَميش (في شمالي سوريا على نهر الفرات عند جَرابْلُس- حالياً)، بعد أن عبر الفرات عند كَرْكَميش، ولاحق «عدوّه الخاسئ في جبال ميتّاني» حسبما قال في حولياته، وانتصر على الملك الميتّاني ساوْشَاتّار Saushshattar، وأجبره على الفرار، وأقام لنفسه نُصْبين تذكاريين بالقرب من النُّصب الذي كان قد أقامه تُحوتْموس الأول، وسجّل عليهما أخبار نصره، وحدّد بهما حدود بلاده في الشمال، ولم يتوغّل في أراضي مملكة ميتّاني، واكتفى بالاصطدام مع جيشها، وتخريب مناطق حدودها الغربية والجنوبية٩.

غير أن احتلال المصريين لهذه المناطق النائية لم يتخذ سِمة الدوام؛ إذ استطاع ملك ميتّاني في السنوات التالية تكوين جبهة معادية للمصريين داخل سوريا الشمالية والداخلية، وما كاد تُحوتْموس الثالث يصل إلى مصر حتى عادت مملكة ميتّاني من جديد للتدخل في شؤون مناطق شمالي سوريا الأخرى، وتحريض سكانها على النهوض ضد السلطات المصرية؛ لذلك خرج تُحوتْموس الثالث ثماني مرات أخرى إلى الأقاليم الشمالية؛ تارة للاستطلاع، وتارات أخرى للإصلاح وتوطيد الأمن وإرهاب العصاة١٠.

وفي السنة السابعة والأربعين من حكمه، قاد تُحوتْموس الثالث بنفسه جيشاً ضخماً، واجتاح سوريا، حتى وصل إلى الفرات وعَبَره، وتوغّل داخل الأراضي الميتّانية، وذكر في إحدى كتاباته أنه دمّر الجيش الميتّاني في ساعة واحدة، وقال:

«وخرّبتُ مدنَهم ومستوطناتهم، وجعلتُها طعاماً للنيران، وحوّلتُها إلى أماكن لم يَعُدْ باستطاعة الإنسان أن يسكن فيها، وألقيتُ القبض على سكانها، وجعلتُهم من بين الأسرى... وغنمتُ مواشيهم، واغتصبتُ منقولاتهم بأعداد لا تُحصى، وأخذتُ حبوبهم، واقتلعتُ شَعيرهم من جذوره، ودمّرتُ حدائقهم، واقتلعتُ أشجارها المُثمِرة». وورد في الكتابة أيضاً أن تُحوتْموس الثالث حطّم نَهارينا، فتحوّلت إلى أرض لا تنبت فيها الأشجار١١.

---

٨ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦١. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٥. . محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٦٦.

٩ - أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٨٠. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٣.

١٠ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٥ - ٣٦٦. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١١٩. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٣.

١١ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٦.

٢
الصَّداقَةُ الميتّــانيّة- المصْريّة
مَرْحَلةُ العَلاقات القَلقَة:

استمرّت حدّة الصراع بين ميتّاني ومصر، وكانت الغلبة معظم الأحيان لمصر، وأدرك تُحوتْمُوس الثالث أنه غير قادر على إخضاع مملكة ميتّاني، وإفقادها جميع أوراقها الإقليمية، وخاصة أن المسافة بين مصر ومركز مملكة ميتّاني بعيدة، وتؤثّر سلباً على عمليات الإمداد والتموين، فعقد تُحوتْمُوس الثالث معاهدة مع مملكة ميتّاني بقيادة ساوْشاتّار، معترفاً بسلطانها على شمالي سوريا بما فيها مملكتا حلب وكَرْكَميش، مقابل أن تقوم مملكة ميتّاني بتأمين منطقة نفوذ لمصر على نهر الفرات، وفي ساحل بلاد الكنعانيين (ساحل فلسطين) حتى مصبّ نهر العاصي، وإبقاء الممالك السورية الأخرى على حالها بشرط أن تدفع الجزية للمصريين، وهكذا اتفق الملك المصري والملك الميتّاني على تقسيم سوريا وفلسطين إلى منطقتي نفوذ فيما بينهما[١٢].

ويُستفاد من المراجع أن سوريا قُسمت مناصفة بين مصر وميتّاني، كان نصفها الجنوبي تابعاً لمصر، ونصفها الشمالي تابعاً لميتّاني، يقول الدكتور عبد الحميد زايد في هذا الشأن:

«كان لكسل المصريين في سورية أثـرُه في بقاء الصداقة قائمة بين تُوشْراتّا وأَمْنُوفيس ﴿آمُونْحُوتَب﴾ الثالث، وذلك في الفترة الباقية من حكم أَمْنُوفيس الثالث. ولمّا كان هذا الوضع مفهوماً بالرغم من الاتجاهات التوسعية للميتّانيين في سورية، فيحسّ الإنسان أن ساحل سورية وفلسطين، بما في ذلك منطقة دمشق، كان يَعترف بسلطان مصر، أمّا بقيّة سورية فكانت تُعتبَر خاضعة لنفوذ الميتّانيين. وقد لوحظ في الفترة الأخيرة من حكم تُوشْراتّا تَوَطُّدُ العلاقات بين مصر ﴿وميتّاني﴾، بشكل واضح؛ وذلك لوجود شخصية قوية اعتلت عرش الحثيين»[١٣].

ويبدو من سياق الأحداث لاحقاً أن الملك الميتّاني ساوْشاتّار لم يكن راضياً عن جميع بنود المعاهدة مع مصر، وعدّها انتقاصاً من النفوذ الميتّاني في سوريا، والدليل أنه لما توفّي تُحوتْموس الثالث عام (١٤٣٦ ق.م)، وخلفه ابنه آمُونْحُوتَب (أَمْنُوفِيس) الثاني (١٤٣٦ – ١٤١٣ ق.م)، اغتنمت مملكة ميتّاني الفرصة، وحرّضت أمراء سوريا من جديد للثورة على المصريين لتقليص النفوذ المصري في سوريا، وشكّل الأمراء السوريون حلفاً جديداً ضد مصر، فسارع آمُونْحُوتَب الثاني في العام التالي من حكمه إلى الزحف بجيشه على سوريا، ووصل إلى لبنان، وانتصر على تحالف أمراء سوريا، وزحف شمالاً فاصطدم بجيش نَهارينا (مملكة ميتّاني)، ووقع سبعة من أمرائها في

---

١٢ - عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات في التاريخ القديم، ص ٢٨٢.

١٣ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٩. والمقصود بالشخصية الحثية القوية: الملك الحثّي شويلوليوماش.

الأسر، وسيطر آمُونْحُوتَب الثاني من جديد على تلك المناطق، وعاد ومعه غنائم كثيرة، منها ما يعادل (٥٠) طُنّاً من الماس، و(٨٣٠) كيلو غراماً من الأواني الذهبية[١٤].

وكان سبب إحدى الانتكاسات الخطيرة أن أحد كبار قادة ميتّاني، واسمه أُوتْخي Utkhi- ولم يكن ينتمي إلى الأسرة المالكة- تآمر على الملك أرْتاشُوارا Artashuwara ابن شُوتَّارْنا الثاني، واغتاله، وكان أُوتْخي يتزعّم الحزب المعادي لمصر، ويميل إلى الانحياز للجانب الحثّي، وتوّج ابنَ شُوتَّارْنا القاصر، واسمه تُوشْراتّا Tushratta (تُشْرَتّا) ملكاً على البلاد، ليكون طَوْعَ يديه، وكان ذلك حوالي سنة (١٣٦٠ ق.م). لكن الأمور تغيّرت فيما بعد، فقد رسّخ تُوشْراتّا سلطته، وأعدم الثوارَ الذي ذبحوا أخاه أَرْتاشُوارا، وأعاد التحالف مع مصر ضد الفريق الميتّاني المتحالف مع المملكة الحثية[١٥].

وبالرغم من انتصارات آمُونْحُوتَب الثاني على مملكة ميتّاني، وعلى أمراء سوريا، أدرك عدم جدوى شنّ الحروب المتواصلة، لأسباب ثلاثة:

١ – عناد قادة مملكة ميتّاني، وإصرارهم على التصدّي للنفوذ المصري.

٢ – بُعد مصادر تموين الجيش المصري عن ساحات المعارك في أقصى شمالي وشمال شرقي سوريا.

٣ – عدم قدرة البلاط المصري على تمويل تلك الحرب الباهظة التكاليف.

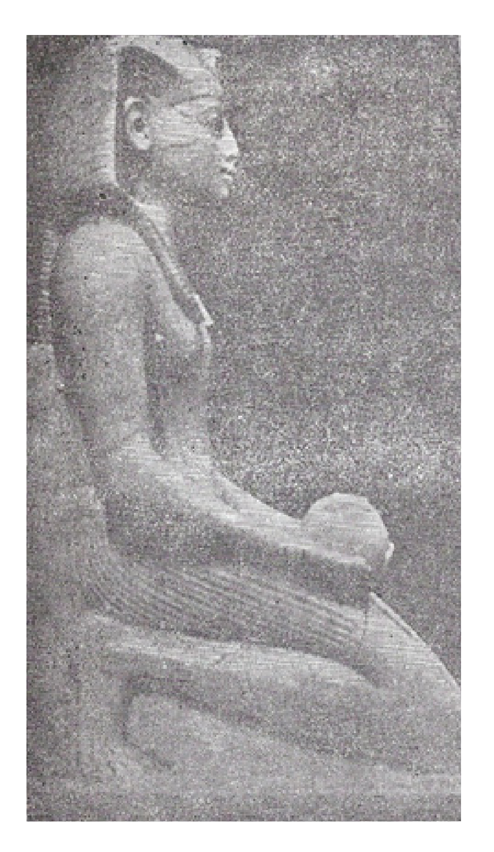
وسرعان ما عادت علاقات الصداقة بين المملكتين إلى سابق عهدها، وخاصة أن آمُونْحُوتَب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م) ابن تُحوتْموس الرابع تسلم السلطة في مصر، وقد مرّ أنه ابن الأميرة الميتّانية جيلو- خيپا، وكان من الطبيعي أن يزيد علاقات القرابة والصداقة مع أخواله قوة، كما توطّدت العلاقات أكثر بين آمُونْحُوتَب الثالث والملك الميتّاني الجديد تُوشْراتّا، وتزوّج الفرعون من الأميرة الميتّانية تادو- خيپا أخت تُوشْراتّا، وفي دار محفوظات العَمارِنَة سبعة خطابات من تُوشْراتّا إلى آمُونْحُوتَب الثالث، تدل على عمق الصداقة فيما بينهما[١٦].

وقد درس ريدل Riedel الرسائل المرقَّمة من ١٧ إلى ٢٩، وتبيّن له أن الرسائل السبع الأولى من هذه المجموعة كانت مرسلَة من ملوك ميتّاني إلى نب- مأ- رع (آمُونْحُوتَب الثالث)، وهناك رسالة عزاء خاصة إلى الملكة تِيا (تِي) تسلّمتها بمناسبة وفاة زوجها، وشوهدت ثلاث رسائل أخرى مرسلَة إلى أخناتون صُنّفت تحت رقم (٢٨٠)، ومحتوى الرسائل المرقَّمة بـ (٢٧) يشبه محتويات

١٤ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٦. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٧٨، ٨٢.

١٥ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٧.

١٦ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ٢/٢٤٦، ٢٥٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨- ٤٧٩.



الرسائل المرقَّمة بـ ١ و ١٢، ويشير ريدل إلى أن جميع هذه الرسائل كانت مرسَلة من تُوشْراتّا خلال الفترة الأخيرة من حكم آمُونْحُوتَب الثالث وبداية حكم أخناتون١٧.

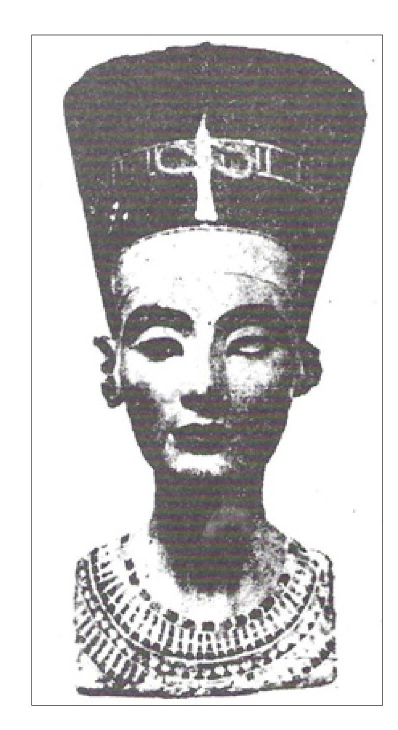
مَرْحَلةُ التَّحالُف والمُصَاهَرَة:

لقد فتح آمُونْحُوتَب الثالث عهداً جديداً من العلاقات الحسنة مع ملوك ميتّاني، والأرجح أن ذلك كان في عهد الملك الميتّاني أَرْتاتاما (أَرْتاداما) الأول Artatama ١، والأرجح أنه ابن ساوْشّاتّار، وكان قد تولّى العرش حوالي سنة (١٤٠٠ ق.م)، واعتمد آمُونْحُوتَب الثاني على صديقه أَرْتاتاما الأول في تهدئة الأوضاع بشمالي سوريا، بدل أن يشكّل هذا الأخير الأحلاف ضد حكام مصر، يقول الدكتور عبد العزيز صالح: "استمرت العلاقات بين الدولتين، مصر والميتّان، علاقات عدائية حتى نهاية عهد الفرعون آمُونْحُوتَب الثاني، ثم مالت كلٌّ منهما إلى سياسة التقارب، وليس من المستبعَد أن يكون التقارب قد بدأ من ناحية الميتّان بعد أن أحسّوا باستيقاظ الآشوريين في شرقهم، واستعداد الخاتيين (الحثيين) في شمالهم الغربي، وتمخّض التقاربُ بين الدولتين عن مصاهرة بيتيهما الحاكمين منذ عهد الفرعون المصري تُحوتْموس الرابع، ثم في عهد ولده آمُونْحُوتَب الثالث، وعهد حفيده أخناتون، واستقرت حينذاك صداقة بين الدولتين، وراسل حكّامُهما بعضَهم بعضاً بلفظ الأخوّة، واعتاد كلٌّ منهم أن يسأل الآخر في رسائله عن أهله وداره وخيوله وأتباعه، وتسامح المصريون مع ديانة أصدقائهم، ولم يرَ آمُونْحُوتَب الثالث بأساً في أن يتقبّل في قصره تمثالين صغيرين للمعبودين العراقيين ﴿كذا﴾ شِمِش وإشْتار أرسلهما الملك الميتّاني مع ابنته عروس آمُونْحُوتَب؛ لتستعين ببركاتهما على إقرار حبها في قلبه، فضلاً عن ٣١٧ من النساء والخدم. ولم يجد الفرعون بأساً كذلك في أن يتقبّل مثالاً آخر لإشْتار أتته هديةً من صديقه الملك الميتّاني، ليتبرّك به في مرضه»١٨.

١٧ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ١٥٩/١.

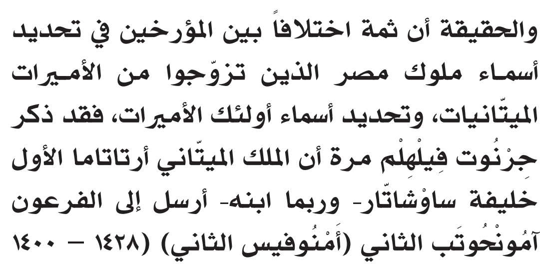
١٨ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٣.

وثمة رواية تفيد أنه في نهاية عهد آمُونْحُوتَب (أَمْنوفِيس) الثاني أرسل ملك ميتّاني أَرْتاتاما الأول بعثة إلى مصر، تناشد فرعون السلام، ونتيجة لذلك جاءت رسل فرعون إلى أَرْتاتاما، تطلب منه رباطاً يؤكد التحالف الذي قام بينهما، فأرسل أَرْتاتاما ابنته جيلو خيپا Gilu – hipa المشهورة في مصر بـ (موت أوم أويا) Mutemuya، لتتزوج من الملك تُحوتْمُوس الرابع الذي تولّى العرش في مصر بعد وفاة والده آمُونْحُوتَب (أَمْنوفِيس) الثاني، وولدت آمُونْحُوتَب الثالث[١٩].



هذا ما ذكره الدكتور جمال رشيد أحمد، لكنه قال في مكان آخر من كتابه:

«لقد أدّت سياسة تقوية العلاقة مع مصر التي قام بها الملك تُوشْراتّا إلى عواقب وخيمة لمصير المملكة الميتّانية منذ زمن الفرعون آمُونْحُوتَب الثالث ﴿وأنّ تُوشْراتّا﴾ زوّج أخته گيلو خيپا ﴿كذا﴾ من هذا الفرعون، وكذلك ابنته تادو خيپا Tadu hepa من آمُونُحوتب الرابع التي قَبلت كُنية (نَفَرْتِيتي)»[٢٠].



والحقيقة أن ثمة اختلافاً بين المؤرخين في تحديد أسماء ملوك مصر الذين تزوّجوا من الأميرات الميتّانيات، وتحديد أسماء أولئك الأميرات، فقد ذكر جِرْنُوت فِيلْهِلْم مرة أن الملك الميتّاني أرتاتاما الأول خليفة ساوْشاتّار- وربما ابنه- أرسل إلى الفرعون آمُونْحُوتَب الثاني (أَمْنُوفيس الثاني) (١٤٢٨ – ١٤٠٠ ق.م) واحدة من بناته لتكون زوجة له، وليس لابنه تُحوتْموس الرابع كما مرّ، ولم يذكر جِرْنُوت اسم تلك الأميرة الميتّانية[٢١].

وذكر الدكتور رمضان عبده علي أن تُحوتْموس الرابع تزوجّ من أميرة ميتّانية سُمّيت في مصر (موت أوم أويا)، ولم يذكر اسمها الميتّاني الأصلي، وأضاف أن آمُونْحُوتَب

١٩ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٤ – ٤٧٥. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ١٥٧/١.

٢٠ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ٢٥/٢ - ٢٥٥. وانظر أحمد هُبَو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١٢٠.

٢١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤.

الثالث تزوّج من الأميرة الميتّانية جيلو هبي ﴿كذا ؟﴾ ابنة الملك شوتّارنا، وأنها وصلت إلى مصر ومعها (٣١٧) وصيفة، وبعد وفاة شوتّارنا أرسل ابنُه الملك شوتّارْنا إلى آمُونْحُوتَب الثالث أميرة ميتّانية صغيرة السن، وكان آمُونْحُوتَب حينذاك مريضاً بسبب كبر سنّه٢٢.

وذكر الأستاذ أحمد فخري أن تُحوتْموس الرابع تزوّج ابنة ملكٍ ميتّاني، من غير أن يذكر اسم الملك ولا اسم ابنته، ثم أضاف أن آمُونْحُوتَب الثالث تزوّج ابنة هذا الملك أيضاً، ثم ضمّ إليها أخته بعد أن كاتبه بشأنها ستّ مرات، واللافت للانتباه في هذا المجال- حسبما ذكر الدكتور عبد العزيز صالح- أن تُحوتْموس الرابع جعل زوجته الميتّانية من زوجاته الرئيسيات في قصره، في حين كان أسلافه يُنزلون زوجاتهم الآسيويات منزلة الزوجات الثانويات٢٣.

وما لا شك فيه أن المصاهرة بين ملوك مصر وملوك ميتّاني استمرت ثلاثة أجيال حتى عهد كلّ من آمُونْحُوتَب الثالث وتُوشْراتّا ضمناً، هذا مؤكّد في إحدى رسائل تُوشْراتّا إلى آمُونْحُوتَب الثالث، وذكر تُوشْراتّا في رسالته أنه يرسل ابنته تَتُو خيپا(تادو خيپا) هدية وزوجة لآمُونْحُوتَب الثالث، وذكر أيضاً أنه سبق أن وصلت عمّة له إلى البلاط المصري كزوجة، وتبعتها أخته أيضاً، وها هو يرسل ابنته، وذكر الدكتور عبد الحميد زايد أن تَتُو خيپا انتقلت بعد وفاة آمُونْحُوتَب الثالث إلى حريم أَمْنوفِس الرابع (أخناتون)٢٤.

ويمكن ترتيب زواج فراعنة مصر من الأميرات الميتّانيات كالآتي:

زواج آمُونْحُوتَب الثاني من ابنة ساوْشاتّار (أخت أَرْتاتاما الأول وعمّة تُوشْراتّا)، اسمها غير معروف.

زواج تُحوتْموس الرابع من ابنة أرتاتاما الأول تسمّى (جيلو خيپا، وهي أخت تُوشْراتا).

زواج آمُونْحُوتَب الثالث من تَتُو خيپا (تادو خيپا) ابنة تُوشْراتّا.

زواج آمُونْحُوتَب الرابع (أَخْناتون) من أميرة تدعى (تادو خيپا) أو (جيلو خيپا)، ولعلها ابنة أخرى لتُوشْراتّا.

ولمقاربة الحقيقة في هذا الشأن قدر المستطاع دعونا نُلق نظرة على أسماء وتواريخ حكم أبرز ملوك مصر وميتّاني في تلك العهود:

---

٢٢ - رمضان عبده علي: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

٢٣ - أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ٨٣. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٧.

٢٤ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٠.

فراعنة مصر	ملوك ميتّاني
١ - آمُونْحُوتَب الثاني (١٤٣٦ – ١٤١٣ ق.م)، أو (١٤٢٨ – ١٤٠٠ ق.م) ٢ - تُحوتْموس الرابع (١٤١٣ – ١٤٠٥ ق.م). أو (١٤٠٠ – ١٣٩٠ ق.م) ٣ - آمُونْحُوتَب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م). ٤ - آمُونْحُوتَب الرابع/ أخناتون (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق.م).	پارْساشاتار Parsashatar، حوالي (١٤٧٠ - ١٤٤٠ ق.م). ساوْشّاتّار Saushshattar، حوالي (١٤٤٠ – ١٤٠٠ ق.م)، أَرْتاتاما Artatama الأول، حوالي (١٤٠٠ – ١٣٨٠ ق.م). شُوتّارْنا Shuttarna الثاني، حوالي (١٣٨٠ - ١٣٦٦ ق.م).

ومهما يكن فالمؤكَّد أن علاقات المصاهرة كانت قائمة بين الأسرتين المالكتين في مصر وميتّاني، وعلى الدوام كان الملك مصرياً والأميرة ميتّانية، وليس العكس، والمؤكَّد أيضاً أن تلك المصاهرة كانت لأغراض سياسية، تهدف إلى الربط بين العائلتين المالكتين برباط وثيق، وقد قال جِرْنُوت فيلْهِلْم بشأن المصاهرة:

«إننا نعرف ذلك بفضل ما ورد في رسالة كُتبت بعد ذلك بجيلين، وهي تذكر أيضاً أن تلك المصاهرة تمّت بعد سبع دعوات؛ أي بعد مباحثات طويلة، ويشير ذلك إلى وجود توازن بين القوتين العُظميين، ولا بدّ أنه تم في هذا السياق تنظيم الحدود المشتركة بينهما في سوريا، وقد بقيت ثابتة خلال العقود التالية، فقد كانت حدود مناطق السيادة المصرية تمتد في المناطق الساحلية أكثر من الداخلية، وتشمل أوغاريت حاضرةَ سوريا التجارية. وفي وادي العاصي كانت الحدود في منطقة سهل حِمْص تقريباً، وبقيت تُونِيب وقَطَنا ضمن مناطق النفوذ الميتّاني، بينما امتدّت السيادة المصرية حتى قادِش وبلاد أَمُورّو»[٢٥].

وأضاف جِرْنُوت فيلْهِلْم قائلاً:

«لقد تمّ ربط معاهدة السلام بين ميتّاني ومصر غالباً مع ظهور خطر حثّي، إن المرحلة التاريخية الحثية التي تسبق عصر المملكة العظمى (الحديثة) مباشرة غير جليّة بعدُ، ولا يمكن تأريخ الأحداث القليلة التي وصلتنا أخبارها، وذلك بشكل موازٍ لتاريخ ميتّاني؛ ولذلك لا يمكن الاقتناع بأن الحثيين كانوا يشكّلون في العَقدين الأولين من القَرن الرابع عشر ق.م ﴿١٤٠٠ – ١٣٨٠ ق.م﴾ خطراً حقيقياً على ميتّاني أو مصر، بل يمكن بالأحرى افتراضُ أن السيطرة على الأوضاع الداخلية في المملكتين باتت أكثر صعوبة، ولم تساعد على القيام بحملات توسعية أخرى. كما نلاحظ أن المملكتين شهدتا بعد حوالي جيلين اضطراباً داخلياً وعسكرياً، وهو أمر لا يمكن إرجاعه إلى ظهور مفاجئ لعدوّ خارجي»[٢٦].

٢٥ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤.

٢٦ - المرجع السابق، ص ٦٤ – ٦٥.

والأرجح أن علاقات المصاهرة بين الأسرتين المالكتين المصرية والميتّانية استمرت لا أقل من ثلاثة أجيال، وثمة معلومات بأن أم الملك آمُونْحُوتَب الثالث كانت ميتّانية من أعالي الفرات، وقد تزوج هو نفسه بأكثر من واحدة من الأميرات الميتّانيات، وحضرت إحداهن، وهي چيلو- خيپا (گيلو خيپا)، ومعها جهاز ضخم قيّم، و(٣١٧) وصيفة، وتزوّجت معظم الوصيفات من رجال البلاط المصري، كما أن آمُونْحُوتَب الثالث زوّج ابنه ووليّ عهده آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) من الأميرة الميتّانية تادو خيپا التي اشتهرت في مصر بلقب (نَفَرْتِيتي)، ويعني بالمصرية (الجميلة وصلت)، وهي ابنة الملك الميتّاني شُوتَّارْنا٢٧.

وبما أن المملكة الحثية الحديثة بدأت بالظهور مرة أخرى كقوة عظمى على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في غربي آسيا، وبدأت بتوسيع مناطق نفوذها في شمالي سوريا، فقد تقاسم آمُونْحُوتَب الثالث مناطق النفوذ في سوريا مع مملكة ميتّاني الصديقة، وكان النصف الشمالي من نصيب مملكة ميتّاني، واكتفى آمُونْحُوتَب الثالث بالسيطرة على النصف الجنوبي. والأرجح أن الدافع الأساسي لعملية التقسيم هذه هو عدم رغبة مصر في الصدام المباشر مع الحثّيين، ووضع عبء الصدام مع المملكة الحثّية الناهضة على كاهل مملكة ميتّاني؛ إذ كان الحثّيون يعملون بإصرار على احتلال سوريا، وخاصة نصفها الشمالي التابع للنفوذ الميتّاني٢٨.

مَرْحَلَةُ تَراخِي العَلاقَات:

تولّى عرشَ مصر آمُونْحُوتَب (أَمْنوفِيس) الرابع الذي عُرف باسم أخناتون، فانصرف إلى تنفيذ برنامج ديني، وتغيّرت علاقات مصر مع مملكة ميتّاني، وانتهى إرسال الذهب المصري إلى الملك الميتّاني، وتوقّف إرسال المبعوثين والمندوبين الخاصين من الطرفين، وانقطعت العلاقات تماماً، ولعل استخفاف الفرعون أخناتون بالعلاقات مع ميتّاني يعود إلى أن مملكة ميتّاني كانت

٢٧ - أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ٤٤، ٨٣. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٤. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٦٠.

٢٨ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

محاصرة جزئياً أو كلياً من قِبل الحثّيين، ولم تَعُدْ تتمتّع بمكانتها السابقة كواحدة من القوى السياسية في غربي آسيا، هذا إضافة إلى أن أخناتون انشغل بفلسفته الدينية الجديدة، وإحلال عقيدة (آتون) التوحيدية محل عقيدة (أمون) المصرية العريقة.

ونتيجة لانشغال أخناتون بثورته الدينية، وبالمشكلات الخطيرة الناجمة عن تلك الثورة، وأيضاً نتيجةً لبرودة العلاقات في عهده بين مصر وميتّاني، ترك أخناتون حليفه الميتّاني يسقط فريسة الغزو الآشوري، وفي رسالة له إلى الفرعون أخناتون ساوى الملك الآشوري آشور أُوبالِّيت (١٣٦٣ – ١٣٢٨ ق.م) نفسه بالملك الميتّاني، بل يبدو أن أخناتون رحّب بخلاص مملكة آشور من التبعية لمملكة ميتّاني، وهذا ما تحقق في عهد الملك الآشوري شَلْمانَسَر الأول حوالي (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق.م) الذي أزال دولة ميتّاني من الوجود[٢٩].



وصحيح أن العلاقات بين ميتّاني ومصر كانت تهدف إلى كبح جماح أطماع العدوّ المشترَك (الدولة الحثّية)، غير أن العلاقات الميتّانية المصرية لم تقتصر على الجانب السياسي، وإنما كانت ذات أبعاد ثقافية أيضاً، وقد أثمرت تلك العلاقات في عهد الفرعون آمُونْحُوتَب الرابع (أَخْناتون) (١٣٧٥ – ١٣٥٨ ق.م) أو (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق.م) ابن آمُونْحُوتَب الثالث، ولعله ابن الأميرة الميتّانية جيلو-خيپا؛ فقد أحدث انقلاباً جوهرياً في الدين المصري، وأحلّ عبادة الإله الواحد (أَتُون)- مرموز إليه بقرص الشمس- محلَّ عبادة (أَمُون) المرموز إليه بالعجل أَبيس، وأطلق على نفسه لقب (أَخـن آتون/أخناتون)، ومعناه (أَتُـون راض)، أو (حبيب أَتُـون)، ولعل هـذه الموجة الجديـدة من الديانة الشمسانية التوحيدية انتقلت مع الأميرات الميتّانيات ووصيفاتهن إلى البلاط المصري، فأحيا في مصر الإرث الديني الشمساني القديم، المتمثّل في الإله (رَعْ) قبل سيادة ديانة آمون[٣٠].

٢٩ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٣. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٩٦ – ١٧٠.

٣٠ - ول ديورانت: قصة الحضارة، ٦٨/٢ – ٧٩. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٤٩/١. إيمانويل فلايكوفسكي:

٣
المُراسَلات المَلَكيّةُ بَين مِيتّاني ومِصْر

إن علاقة ملوك الميتّانيين بملوك مصر كانت أقوى من العلاقات التي ربطت ملكَي مصر آمُونْحُوتَب الثالث وآمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) بالأسرة الكاشّية المالكة في بابل، والدليل على ذلك اللهجة الودّية الحارّة السائدة في الخطابات المتبادَلة بين الملك شُوتّارْنا الثاني بن أَرْتاتاما الأول وفرعون مصر تُحوتْموس الرابع، والتي يخاطب فيها كل ملك صاحبه بصيغة (الأخ)، وهي تعبير عن التكافؤ بين الاثنين، وجاء في رسالة من تُوشْراتّا إلى الملك المصري ما يلي:

«إلى نيموريا٣١ الملك الكبير، ملك مصر، أخي، صهري، إلى الذي أحبّه ويحبّني، أنا بخير، لعلّك بخير، لعلّ بيتَك وأختي وبقيّةَ نسائك وأطفالك وعرباتك وأحصنتك، وبلادَك وكلّ ما تملك، لعلّهم جميعاً بخير وفير وفير جدّاً. كانت صداقة متينة تربط فيما مضى بين آبائك وآبائي، وقد وطّدتَها، وكانت صداقةٌ متينة جدّاً تربطك مع والدي، وبما أننا الآن في علاقات صداقة متينة جدّاً، فقد جعلتَها أنت أقوى بعشرة أضعاف عمّا كانت عليه في عهد والدي، لعلّ الآلهة تزيدها قوّةً عمّا نحن فيه الآن من صداقة، ونزولاً عند رغبة سيّدي تِشُوب٣٢ وسيّدي عَمُون٣٣ ستبقى إلى الأبد.

وعندما بعث أخي رسوله ماني، قال أخي: "ابعثْ لي ابنتك زوجةً لي وسيّدة لمصر"، وبما أني لا أريد أن أسبّب الألم لقلب أخي قلت بسرور: "سأحقق له ذلك"، ولقد أَرَيتُ ماني المرأةَ التي رغب فيها أخي، وعندما شاهدها امتدحها جيّداً، لعلّها تصل بخير إلى بلاد أخي، لعلّ عَشتار وعَمون يجعلان أخي مسروراً.

ونقل إليّ رسولي جيليا كلمات أخي، ولمّا سمعتُها بدتْ لي طيّبة جداً، وسررتُ للكميات٣٤ وعقبتُ على ذلك: "انظر، بناءً على هذه الكلمات سنظل في علاقات صداقة أبدية". وعندما أرسلتُ إلى أخي قلت أيضاً: عشرةُ أضعاف ما كان لوالدي، ورجوتُ من أخي ذهباً كثيراً، حيث قلت: "لعلّ أخي يخصّص لي أكثرَ ممّا أرسله لوالدي ويرسله عادةً إليّ". ألم ترسلْ لوالدي ذهباً كثيراً، أوعيةَ أضاحي ذهبيّة كبيرة، وأباريقَ ذهبيّة كبيرة، وأرسلتَ له لوحات ذهبيّة كبيرة؟ لقد أرسلتَ له (من ذلك) كثيراً كالنحاس... ولعلّ أخي يرسل لي ذهباً كثيراً، بكميات كبيرة، لعلّ أخي يرسل

عصور في فوضى، ص ٢٤٨ . عامر سليمان، وأحمد مالك الفتْيان: محاضرات في التاريخ القديم، ص ٢٨٥.

٣١ - نيموريا، وورد بصيغة (نيمّوريّا) أيضاً، هو اسم آمُونْحُوتَب الثالث قبل اعتلائه العرش.

٣٢ - تِشُوب: كبير آلهة الحوريين.

٣٣ - عَمُون: هو أمون كبير آلهة مصر، وما زال اسمه باقياً في صيغة (آمين) التي تَرِد في الابتهالات عند المسيحيين والمسلمين.

٣٤ - المقصود كميات الذهب.

إليّ، لعلّ أخي يرسل ذهباً أكثر مما أرسله لوالدي»٣٥.

وجاء في رسالة أخرى من تُوشْراتّا إلى آمُونْحُوتَب الثالث، بشأن زواج الفرعون من إحدى بنات تُوشْراتّا تدعى تادو- خيبا (تَتُو –خيبا)، وهي غير (تادو- خيبا) التي تزوّجها أخناتون، يقول تُوشْراتّا:

«لـ (نيمَوريّا)، لملك مصر، لأخي، لصهري الذي أحبّ، الذي يحبّني، قل ما يأتي: هكذا يقول تُوشْراتّا ملك بلاد ميتّاني، حَمُوكَ الذي يحبّك، أخوكَ، أحوالي جيّدة، أتمنّى أن تكون أحوالك جيّدة أيضاً، يا صهري، أتمنّى أن تكون أحوال نسائك وأبنائك وشيوخك (كبارك) وخيولك وعرباتك الحربية وقوّاتك العسكرية وبلادك وممتلكاتك جيّدة...

وتمنّى أخي زوجةً له، والآن ها قد أعطيتُها، وقد سارت إلى أخي، . . . والآن ها قد أعطيتُها، وقد سارت إلى أخي... والآن ها قد أعطيتُ أخي زوجةً، وقد سارت إلى أخي، وعندما تصل سيراها أخي، ... وستصل، وهي مُبهِجة لأخي مناسبة لرغبة قلب أخي، وسيتلقّى أخي مرة أخرى مَهْراً، ...

وإذا ما وصلتْ زوجةُ أخي وأظهرتْ نفسها لأخي، فليت (هديّتي) تُكشَف، وليت أخي يجمع كلَّ البلاد وجميعَ البلاد الأخرى والوجهاء، وليكن كلُّ الرسل حاضرين، وليُعرَضْ على أخي مَهْرُه، ليت كلَّ شيء يكون في نظر أخي مُثيراً للسعادة...وليت المَهْرَ يكون مُثيراً للسعادة، وليتها هي ﴿العروس﴾ تكون مُبهِجة.

والآن ها هي ابنة أبي، أختي هناك، والرَّقيم الذي يتضمّن مَهرَها موجود، وها هي ابنة جدّي، أخت أبي هناك أيضاً، والرَّقيم الذي يتضمّن مَهرها موجود أيضاً، ليت أخي يطلب رَقِيمَيهما، ويسمع الكلمات المدوَّنة عليهما، وليتَه يطلب رَقيمي، رَقيمَ المَهر الذي قدّمتُه أنا، وليتَه يسمَع أن المَهْرَ كبير، أنه جميل، أنه لائق بأخي.

أودّ أن أقول لأخي أمراً آخر، وليت أخي يسمعه... إنّ الأشياء التي حقّقها أَرْتَتَما جَدّي لأبيك هي...، وقد جعلتُها أكثرَ فيما أرسلتُه إليك وضاعفتُها عشرَ مرّات... وليت أخي يجعلني غنيّاً في نظر بلادي، وليت أخي لا يُمْرِضُ قلبي! لذلك... تمنّيتُ من أخي تمثالاً لابنتي مسكوباً من الذهب. أنا أعلمُ أنّ أخي يحبّني من أعماق القلب بدرجة كبيرة جدّاً جدّاً، وأعلمُ أيضاً أنّ في بلاد أخي ذهباً... كثيراً...

ومن ناحية ثانية؛ ليتَ أخي يقدّم... تمثالاً من العاج. (وأتمنّى أن أسمع ما يأتي): "هذا التمثال المسكوب من الذهب هو تمثال تَتو- خِبا ابنة تُشْرَتّا سيّد ميتّاني؛ التي أعطاها لإيمُوريّا[٣٦] سيّد مصر زوجةً له. وقد صنع إمّوريّا تمثالاً مسكوباً من الذهب، وقدّمه بكل حبّ لتُشْرَتّا".

ولهذا كله فإننا نحبّ بعضنا، بشكل كبير جدّاً جدّاً، ويسود في بلادنا السلام، أتمنّى ألاّ يوجدَ

٣٥ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٤ - ٣١٥.

٣٦ - كذا، والمقصود: نيمَوريّا.

عدوٌّ لأخي، ولكن إذا ما حصل أن تغلغل عدوٌّ لأخي في بلاده فليرسلْ إليّ خبراً، وسوف تكون البلاد الحورية، والمدرّعات والأسلحة وغيرها، تحت تصرّف أخي لمواجهة العدوّ. من ناحية ثانية إذا ما وُجد عدوّ لي- وأتمنّى ألاّ يوجد- فسأرسل إلى أخي خبراً، وسوف يضع أخي البلاد المصرية، والمدرعات والأسلحة وغيرها، مما يخصّ صديقي تحت تصرّفي.

...وإذا ما قال شخصٌ ما لأخي أيَّ كلام سوء عنّي أو عن بلادي، فعسى أخي لا يصدّقُ تلك الكلمات إنْ لم يقلها مانِ وكِليّا[37]. أما الكلمات التي يقولها مانِ وكِليّا عنّي أو عن بلادي فهي حقيقة وصحيحة، وعسى أخي يصدّقها. ومن ناحية ثانية؛ إذا ما قال شخصٌ ما لي أيَّ شيء عن أخي أو عن بلاده فلن أصدّقه، إنْ لم يقله كِليّا ومانِ، أمّا ما يقوله كِليّا ومانِ عن أخي أو عن بلاده فهو حقيقي وصحيح، وسأصدّقه.

والآن لقد حقّقتُ كلَّ ما ذكره أخي وتمنّاه، وجعلتُه في عشرة أضعاف، وحرصتُ على ألاّ أُزعج قلبَ أخي بأيّ شيء، وأعطيتُ أخي زوجةً تُبهج قلبَه، وأرسلتُ مانِ مبعوثَ أخي، وكذلك كِليّا وأرتِشّوب وأَسَلي مبعوثِيّ- كِليّا هو من الكبار وأَسَلي هو كاتب رَقيمي...- إلى أخي بشكل لطيف جدّاً، وسوف يراهم أخي.

عسى أخي لا يُوقف مبعوثِيّ...، وعسى أخي يَدَعُهم يأتون بأقصى سرعة...، فأنا أودّ أن أسمع ما يُطَمْئن عن صحة أخي وحالته الجيّدة، وسأفرح كثيراً لسلامة أخي.

قد يقول أخي: "أنت نفسَك أوقفتَ مبعوثِيّ أيضاً"! لا، لم أُوقفهم،... عسى أخي يَدَعُ مبعوثِيّ يأتون بأقصى سرعة، ومن المفروض أن ينطلقوا، وعسى أخي يرسل معهم مانِ، ولْينطلقْ مع مبعوثيّ. وليت أخي لا يرسل مبعوثاً آخر، ليته يُرسل مانِ فقط، وإذا لم يرسل أخي مانِ، وأرسل غيره، فأنا لا أودّ ذلك، وليت أخي يعرف ذلك. لا، أتمنّى أن يرسل أخي مانِ.

إنني أتمنّى من قلبي وبدرجة كبيرة أنْ أكون جيّداً مع أخي، وأنْ أصون المودّةَ المتبادَلة، وأنْ يرعى أخي هذا الإخلاص بدرجة كبيرة. إننا نريد أنْ نكون جيّدَين مع بعضنا، ونرغب من قلبَينا أنْ نحبّ بعضنا...، وكما يحدّد شِري وإلهُك حياتَنا ومصيرَنا، ليتهما يتوسّطان لنا لدى الإلهين تِشّوب وأمانُ[38] سيّدَينا وأبَوَينا، ولنكنْ محميَّين...، ولْنحبّ بعضَنا بشكل أخويّ وحميم، كما يحبّ المرءُ إلهَ الشمس...؛ هكذا نريد أنْ نحبّ بعضنا»[39].

وقال تُوشْراتّا في رسالة أخرى إلى آمُونْحُوتَب الثالث:

«إلى آمُونْحُوتَب العظيم ملك مصر، وأخي وصهري الذي أحبّه ويحبّني، أقول أنا دُوشراتّا ملك ميتّاني العظيم وأخوك ووالدُ زوجتك الذي يحبّك، صحتي جيّدة، وإنّي أبعث إليك بتحيّاتي يا

---

٣٧ - المبعوثان المصري والميتّاني.

٣٨ - كذا، والأرجح أن المقصود: آمون.

٣٩ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٠ – ٧٣.

أخي وصهري، وكذالك إلى أقاربك وزوجاتك وأبنائك ورجالك،... «٤٠.

وثمة مجموعة رسائل أرسلها الملك تُوشْراتّا (والد تادو- خيپا) إلى أحد فراعنة الأسرة الملكية الثامنة عشرة في مصر، والأرجح أنه آمُونْحُوتَب الثالث، واكتُشفت جميعُها أثناء الحفريات في موقع تل العَمارِنة، يقول تُوشْراتّا في إحداها:

«... وفي النهاية ليسمحْ لي أخي؛ لأقول الكلمة لكي يسمعه أخي، فما يتعلق بمناسبة مصاريف الزفاف التي أُرسلتْ من قِبل أخي بيد ماني قد وصلت،... وهكذا أرسلتُ حقاً تمنّياتي، لأن أخي قد أرسل لي الهديّةَ التي أَوصيتُ به ماني... وتلك الرسائل التي بعثها أخي ﴿فيما لو يرسل أخي هدايا لي﴾ سأكون بناءً على ذلك فرحاً جدّاً جدّاً من كل قلبي، وبهذه الطريقة يا أخي هو هذا كلُ الصدق الذي قلتُه»٤١.

وفي رسالة أخرى ذات الرقم (٢٥)، يتضح أن الملك الميتّاني تُوشْراتّا قد استلم هدية تزويج ابنته، فيقول: «هذا التمثال الذهبي المصبوب هو تادو- خيپا ابنة تُوشْراتّا، ملك ميتّاني التي أصبحت زوجاً لإموريا ملك مصر، وصنع إموريا تمثالاً لها من الذهب، ومنحه لتُوشْراتّا مع كل المحبّة»٤٢.

لا ريب في أن هذه رسالة أخوية ودبلوماسية مهمّة بين ملكين لقوّتين إقليميتين كبيرتين في الألف الثاني قبل الميلاد، وقد علّق جرْنوت فيلهلْم عليها قائلاً: «ثمّة ملاحظة مهمَة؛ هي أنّ رجاء تُوشْرَتّا المتكرّر تزويده بذهب أكثر هو ذو علاقة بعزمه على بناء ضريح (في الحورية: كَرَشْك) لجدّه أَرْتَاتَاما الأول، وأن تأكيده على الاهتمام بالسلف الملكي يرجع إلى حرصه على إزالة التشكيك بشرعية حكمه»٤٣.

وأورد الدكتور عبد العزيز صالح رسالة من الملك الميتّاني- لم يذكر اسمه، والأرجح أنه تُوشْراتّا- إلى صهره آمُونْحُوتَب الثالث يقول فيها:

«أخي، أرجو أن تُهديَني ذهباً كثيراً لا يُحصى، وإني على ثقة من أن أخي سوف يحقق ذلك، ويُهديني ذهباً أكثر من الذهب الذي حصل والدي عليه، أليس الذهب في بلد أخي كتراب الأرض؟ بارك الأربابُ فيه حتى يصبح الذهب في أرض أخي أضعافَ ما هو عليه الآن، وعسى ما أطلبه لا يضايق أخي ولا يضيق به قلبه، ... وسوف أردّ لأخي فضله عشر أمثال مما يشتهيه، فهذه الأرض أرض أخي، وهذا البيت بيت أخي»٤٤.

والحقيقة أن رسالة الملك الميتّاني تحمل كثيراً من الدلالات السياسية في طيّات مشاعر الصداقة الجيّاشة، وفيما يلي أهم النقاط التي ركّز عليها الملك الميتّاني:

٤٠ - أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ٨١.

٤١ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ٩٢/٢.

٤٢ - المرجع السابق، ٩٤/٢.

٤٣ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٣.

٤٤ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٨.

تذكير الفرعون بأن الصداقة بينهما ليست مستحدَثة، وإنما هي تراث عريق، يرجع إلى عهود الأجداد (هذا يوحي ضمناً بأن من الضروري استمرارها، وأن التخلّي عنها هو خروج عن النهج الذي رسمه الأجداد).
ظهور قدر كبير من التقوى في خطاب الملك الميتّاني، وهو لا يميّز بين الإله الوطني الحوري تِشّوب والإله الوطني المصري أمون، فيصف كلاً منهما بلقب (سيّدي)، (هذا يوحي بأن الصداقة بين الملكين والمملكتين هي مقدّسة باركها كل من الإله الحوري والإله المصري)
الفرعون المصري هو طالب الزواج من الأميرة الميتّانية تَتُو-خِبّا ابنة تُوشْراتّا، وهذا الزواج هو تقليد سنّه الفراعنة الذين قبله، إذ سبق أن زُفّت عمّة تُوشْراتّا وأخته إلى فراعنة سابقين (هذا دليل على أن ملوك مصر كانوا يرغبون في الزواج من الأميرات الميتّانيات، ونعتقد أن السبب لم يكن يقتصر على جمالهنّ الأخّاذ، وإنما أيضاً لتميّزهن بقدر رفيع من السلوك الحضاري بمقاييس ذلك العصر).
حرص الملك الميتّاني على الإشادة المتكررة بجمال ابنته، وبأنها ستُدخل البهجة على قلب الفرعون المصري (هذا يعني ضمناً أن الملك الميتّاني كان حريصاً على كسب قلب الفرعون من خلال جمال ابنته).
أرسل الملك الميتّاني مع ابنته مَهراً ثمين القيمة جداً، ويطلب من الفرعون أن يقارن بين هذا المهر والمهر الذي أرسله كلٌّ من جدّه وأبيه لكل من عمته وأخته سابقاً (وهذا يعني ضمناً أن الملك الميتّاني كان راغباً في تطوير العلاقة نحو الأفضل).
لقاء المَهر المرسَل، يطلب الملك الميتّاني من الفرعون كثيراً من الذهب، لكن بلباقة وليس بطريقة فجّة، فهو يطلب أن يرسل له الملك تمثالاً للعروس الميتّانية مسكوباً من الذهب، وأخر من العاج (هذا يعني أن الملك الميتّاني كان بحاجة ماسّة إلى الذهب، وأن ملوك مصر كانوا يمتلكون كميّات كبيرة منه، باعتبار أنهم كانوا يسيطرون على مناجم الذهب في جنوب مصر، والملاحَظ أن ملوك مملكة كاشّو كانوا يلحّون أيضاً على طلب كميّات كبيرة من الذهب من فراعنة مصر).
يحرص الملك الميتّاني على أن تكون القوة الحربية المصرية بخير، ويؤكد من خلال رسالته التزامَه المطلق بمضمون معاهدة الصداقة والدفاع المشترك بين المملكتين، وأنه على أُهبة الاستعداد للوقوف إلى جانب الفرعون ضدّ كل عدوان على مصر، ويتوقّع أن يعامله الفرعون بالمثل (وبطبيعة الحال كانت مملكة الحثيين في الأناضول العدوَّ المشترَك للمملكتين، وكانت مملكة ميتّاني أكثر عرضة لاعتداءات الحثيين، لذلك كان الملك الميتّاني حريصاً على أن يقف حليفه المصري إلى جانبه في المستقبل).
يبدو الملك الميتّاني راغباً في السلام مع الجميع، فهو يتمنّى في رسالته ألاّ يكون له عدوّ (الملاحَظ أن هذا النهج يسود في معظم عهود تاريخ أسلاف الكرد قبل الميلاد، ويسود في جميع عهود تاريخ الكرد بعدئذ، وهو دليل على أن الأمة الكردية ترغب في السلام والوئام مع الآخرين، وكانت في

معظم تاريخها في موقف الدفاع عن النفس).

يبدو من خلال العبارات الواردة في آخر الرسالة أن ثمة جهات إقليمية- وربما مصرية- كانت تعمل لتعكير صفاء الصداقة بين الملكين، ويحرص الملك الميتّاني على إزالة الشكوك، والتأكيد بأن صداقته راسخة).

وفي رسالة بعثها الملك الميتّاني تُوشْراتّا الثاني إلى الفرعون المصري آمُونْحُوتَب (أَمْنُوفِيس) الثالث، يتضح أن الفرعون كان يعاني من تقيّح مؤلم في أسنانه، وأن الملك الميتّاني أرسل تمثال الإلهة عَشتار لتشفيه من مرضه، ويُفهم من الرسالة أن تمثال عَشتار كان قد أرسل إلى مصر في عهد أَرْتاتاما الأول والد تُوشْراتّا، وبعد فاتحة طويلة قال الملك الميتّاني في رسالته:

«هكذا تقول عشْتار نِينَوَى، سيّدة البلدان: سأذهب إلى مصر، البلاد التي أحبّها، ... واعلمْ أنني أرسلتُها، وأنها جاءت في طريقها إليكم، واعلمْ أن السيّدة كانت قد ذهبت إلى تلك البلاد في زمن أبي، ... ومثلما كرّمها الناس عندما نزلتْ في المرة السابقة، عسى أن يكرّمها أخي عشر مرات أكثر من الأيام السابقة، وأن يرعاها ومن ثَمّ يُرجعها، وعسى أن تَحفظ عَشْتارُ سيّدةُ السماء أخي، وتحفظني مئة ألف عام، وعسى أن تُعطي هذه الإلهة لكلينا صداقة متينة. إنّ عَشْتار بالنسبة لي هي إلهتي، أما بالنسبة لأخي فهي ليست إلهته»[45].

وكان من الطبيعي أن يحرص تُوشْراتّا على بقاء العلاقات الميتّانية- المصرية راسخة، وأن يتأثّر بشدّة حينما عرف أن صديقه وصهره آمُونْحُوتَب الثالث توفّي، خوفاً من أن تتعرض العلاقات بين المملكتين إلى التراخي وربما إلى الضرر، ولذلك بادر إلى مراسلة الملك المصري الجديد آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) ابن آمُونْحُوتَب الثالث، معبّراً عن حزنه الشديد على الفقيد الراحل، وعن ارتياحه التام لكون أخناتون هو الذي تولّى العرش، قائلاً له ومعزّياً:

«حينما مات والدك بكيتُ يوم علمتُ بوفاته، وسقطتُ مريضاً، وأشرفتُ على الهلاك، ولكن عندما علمتُ بأن أكبر أنجال الملك آمُونْحُوتَب والملكة تي قد جلس على العرش، قلتُ الآن لم يمتْ آمُونْحُوتَب»[46].

---

٤٥ - فاضل عبد الواحد علي: من سومر إلى التوراة، ص ١٥٨.

٤٦ - أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ٨٢.

الفَصْلُ الرَّابع
مَمْلَكَـــــةُ مِيتَّـــــاني
(طَوْرُ الانْحِـــــدار والزَّوال)

١
مَمْلَكَة ميتَّاني في طَوْر الانْحِدار
تَوازُناتُ القِوَى الإقْليميَّة:

إن تصاعد قوة مملكة ميتّاني تحقّق بفضل ملوك أقوياء من الفرع الميتّاني الحوري، وكان ذلك التصاعد معاصراً لضعف المملكة الآشورية الوسطى (١٥٢١ – ٩١١ ق.م) في الشرق، ولضعف المملكة الحثية القديمة (١٦٠٠ – ١٣٨٠ ق.م) في الشمال الغربي خلال النصف الثاني من عهدها، إضافةً إلى أن مملكة كاشّو في بابل كانت تنزع إلى السلام مع دول الجوار، واكتفى ملوكها بحكم وسط بلاد الرافدَين وجنوبها ومواطنهم الأصلية في جبال زاغروس الوسطى، ولم يكونوا راغبين في التوسع غرباً نحو سوريا والأناضول. وأما مملكة مصر فصحيح أنها نهضت من جديد في أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ – ١٢١٤ ق.م)، لكن ملوكها الأوائل اكتفوا بالسيطرة على فلسطين وعلى النصف الجنوبي من سوريا، ولم تظهر تطلعاتهم نحو شمال شرقي سوريا إلا في عهد الفرعون تحتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م).

لكن موازين القوى بدأت بالتغيّر في القرن (١٤ ق.م)، فمن جانب ظهرت المملكة الحثية الحديثة بقوتها الفتيّة الطامحة إلى التوسع شرقاً نحو بلاد الرافدَين وجنوباً نحو جنوبي سوريا، وظهر ملوك أقوياء في مملكة آشور أيضاً، وراحوا يتحيّنون الفرصة المناسبة للخلاص من قبضة مملكة ميتّاني، وتنفيذ مشروع التوسّع غرباً للوصول إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى رغبة ملوك مصر الأقوياء في التوسع نحو الشمال والشمال الشرقي، ووجد ملوك مملكة ميتّاني أنفسهم في مواجهة قوى إقليمية ناهضة وقوية تنافسهم شرقاً وشمالاً وجنوباً، وكانت النتيجة أن المملكة خسرت مواقعها الجيوسياسية حيناً بعد آخر، إلى أن انتهى بها الأمر إلى السقوط على أيدي الحثيين من الشمال، ثم أجهز عليها الآشوريون من الشرق.

ويمكن القول بصورة عامة: إن الصراع الحثّي والآشوري ضد مملكة ميتّاني كان صراع وجود؛ إذ كان ملوك الحثّيين وملوك آشور يعملون بكل وسيلة للقضاء على مملكة ميتّاني، وضمّ ممتلكاتها ذات الموقع الجيوسياسي المهم إلى دائرة نفوذهم. أما الصراع الميتّاني-

المصري فكان صراعاً على المصالح؛ إذ كان يهمّ المصريين أن يكون لهم نفوذ في القسم الجنوبي من بلاد الشام على الأقل، وأن تتحقّق مصالحهم التجارية في شمالي سوريا وفي مملكة ميتّاني بشكل عام، وقد مرّ أن الصراع بدأ حامياً بين المصريين والميتّانيين، لكنّ الفريقين الميتّاني والحثّي توصّلا إلى الحل عبر تفاهمات سياسية وعبر المصاهرة. وفيما يلي تفاصيل الصراع.

الصِّراعُ الميتَّــانّي- الحَثِّي:

مرّ أن الميتّانيين طبقة حاكمة من الحوريين، ضخّوا دماء جديدة في جسد المجتمع الحوري، وورثوا نفوذها الجيوسياسي، بما فيه السيطرة على شبكة الطرق التجارية العالمية، وخاصة الطريق التجاري الواصل بين بلاد الرافدَين ومصر عبر شمالي سوريا ووسطها، وكان من الطبيعي أن يصطدموا بالمملكة الحثّية في الأناضول (آسيا الصغرى). وفي الوقت الذي نشأت فيه مملكة ميتّاني، وشهدت نهوضاً قوياً (خلال القرن ١٥ ق.م)، كانت الإمبراطورية الحثّية القديمة قد ضعفت بسبب الصراعات الداخلية، فبسط الميتّانيون نفوذهم على شمالي سوريا، ولكن ما لبثت الإمبراطورية الحثّية الحديثة أن نهضت بين (١٣٨٠ – ١١٩٠ ق.م)، وصارت قوة إقليمية ذات شأن، وصارت تقارع الدولة الميتّانية من جانب، وتقارع الدولة المصرية من جانب آخر، وكان الهدف- كما مر- هو السيطرة على شبكة طريقي الحرير والبخور في غربي آسيا عامة، وفي شرقي البحر المتوسط خاصة.

لقد بدأت الإمبراطورية الحثية الحديثة بالنهوض في عهد الملك الحثّي شوپيلوليوما (١٣٨٠-١٣٤٦ ق.م)، إنه تولّى العرش بعد فترة ضعف، وأعاد بسط النفوذ الحثي على شرقي آسيا الصغرى وغربيها، ولم يكتفِ بذلك بل اجتاز جبال طوروس، ووصل إلى لبنان، وغزا مناطق الأموريين في وسط سوريا وعلى سواحلها، وأصبح معظم الشمال السوري خاضعاً للنفوذ الحثي.

لكن مع ذلك ظلت مملكة ميتّاني تشكّل عَقَبة وحيدة في طريق السيطرة الحثية الكاملة على النصف الشمالي من سوريا، إضافة إلى أن مصر كانت العدو الأشدّ خطورة على المصالح الحثّية، بسبب الصراع على سوريا وفلسطين، وكان من المهم بالنسبة للحثّيين ضربُ الصداقة القائمة حينذاك بين مصر وميتّاني، والقضاء على النفوذ والمصالح المصرية في شمالي سوريا، وقد ساءهم أن يحصل تقارب بين ملوك ميتّاني وفراعنة مصر، وبما أن علاقات الصداقة والمصاهرة بين ملوك ميتّاني وملوك مصر كانت عميقة ووثيقة، ولم ينجرّ ملوك ميتّاني إلى دائرة النفوذ الحثّي، بادر الحثيون إلى العمل على تقويض مملكة ميتّاني وإزالة نفوذها، كي يخلو الجو للمشروع التوسعي الحثي.

وقد نشط الحثيون على محورين: محور سياسي ومحور عسكري.

المِحْور السِّياسي: كانت مملكة ميتّاني قد بلغت في عهد الملك شُوتّارنا Shuttarna (شُتَّرْنا) الثاني (حوالي عام ١٣٨٠ ق.م) درجة عالية من الشهرة والنفوذ، إلى درجة أنه صادق الفرعون أمنوفيس (آمُونْحُوتَب) الثالث، وزوّجه من ابنته تادو- خِيبَا (تاتو-خيپا)، لكن بدأ الانحدار بعد هذا الملك مباشرة؛ إذ كان أحد كبار الضباط الميتّانيين، واسمه أُوتْخي Utkhi- من أعداء التحالف مع المصريين- فاغتال وليّ العهد أَرْتاشُوارا Artashuwara، ونصب الابن الأصغر لشُوتّارْنا الثاني، واسمه تُوشْراتّا Tushratta ملكاً على ميتّاني حوالي سنة (١٣٦٠ ق.م)، كي يكون طوْع يديه، لكنّ بعد أن تولّى تُوشْراتّا العرش رسّخ سلطته، وقضى على قتلة أخيه بما فيهم أُوتْخي، واستقلّ بالسلطة، وحرص على أن يعيد للمملكة قوتها ومكانتها الإقليمية، ويجعلها منافسة لكلّ من المملكة الحثية في الشمال وللمملكة المصرية في الجنوب.

وقد مرّ في الفصل الأول أن الحوريين كانوا ينتشرون في مناطق واسعة جداً، تمتد من أَرّابْخا (كركوك) شرقاً إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، ويبدو أنه كان ثمة صراع داخلي بين الطبقات الحورية الحاكمة، وكان ملوك فرع ميتّاني ينافسون الحكام الذين سمّوا أنفسهم (ملوك بلاد حوري/خورّي) Khurri، وعلى الغالب كان نهر الفرات هو الحدّ الفاصل بين البلاد التي كانت تحت نفوذ ملوك حوري وتلك التي كانت تحت نفوذ الميتّانيين٤٧.

ولذلك لم تسر كما شاء لها تُوشْراتّا، وخاصة أن النزاعات الداخلية أطلّت برأسها داخل الأسرة الحاكمة، وظهر أمير منافس يُدعى أَرْتاتاما Artatama (أرتاداما) الثاني، وتزعّم حزباً معادياً لتُوشْراتّا، وتمرّد على حكومة المركز، مستفيداً من الدعم الآشوري له، وأقام مملكة صغيرة تدعى (هانيجَلْبات/خاني جَلْبات) في المنطقة التي سُمّيت بعدئذ (طُور عَبْدِين)، وصارت منافسة لمملكة ميتّاني الأم، وتحالف أرتاتاما الثاني مع الملك الحثّي شوپيلوليوما، في الوقت الذي كان فيه تُوشْراتّا متحالفاً مع الفرعون أَمْنُوفيس (آمُونْحُوتَب) الثالث٤٨.

وهكذا بات واضحاً أن مملكة ميتّاني فقدت قرارها السياسي المستقل، وصارت منقسمة على نفسها، ودائرة في فلك نفوذ قوتين إقليميتين حينذاك: مملكة الحثيين والمملكة المصرية. وقد عدّ تُوشْراتّا تصرّف أرتاتاما إذلالاً لشخصه، وتحدّياً صارخاً لنفوذه، وبدأ التوتّر بين الملكين الميتّاني والحثّي، وازداد التوتّر عندما أعلنت مقاطعة (شي) المجاورة لأراضي مملكة ميتّاني الولاء للملك الحثي، واضطر الملك الميتّاني تُوشْراتّا إلى الدخول في

---

٤٧ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨.

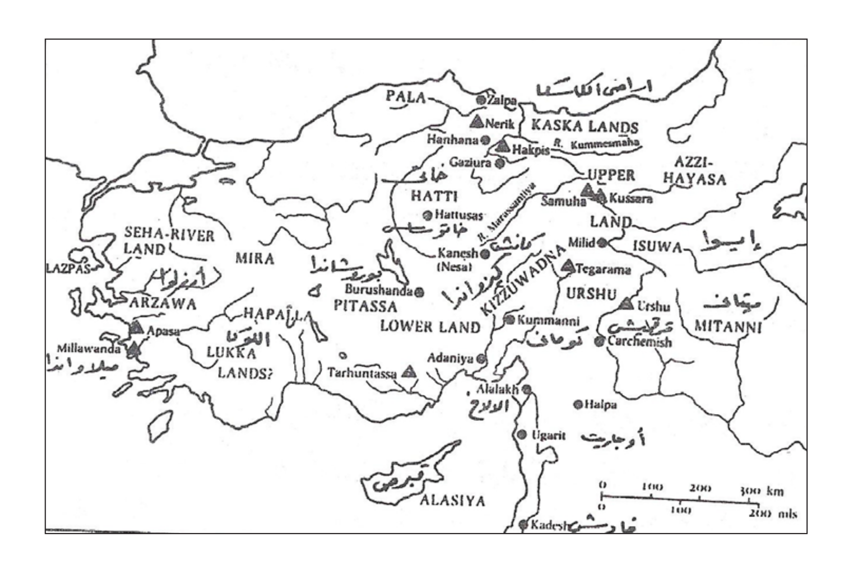
٤٨ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٤.

عداء صريح ضد مملكة الحثيين٤٩.

المِحْوَرُ العَسْكَري: بعد أن نجح الملك الحثي شوپيلوليوما في استفزاز الملك الميتّاني تُوشْراتّا، ودفْعه إلى الدخول في عداء ضد الحثيين، انتهز الفرصة، وظل طوال ستّة أعوام يشنّ الحملات على بلاد الحوريين في شمالي سوريا.

- في الحملة الأولى هاجم أحد قادة الحثيين سهل البقاع في لبنان التي كانت موالية لمصر، ويبدو أنه كان يريد تطويق مملكة ميتّاني من الجنوب الغربي، وقطْع الطريق بين الحليفين (مصر وميتّاني)، وقطْع طرق مواصلاتها مع الموانئ السورية في شرقي المتوسط، لتضييق الخناق عليها اقتصادياً، وتمهيداً للقضاء عليهما.

- وفي الحملة الثانية توجّهت جيوش الحثيين نحو الفرات في عمق مملكة ميتّاني، حيث توجد مملكة كَرْكَميش ذات الموقع الجيوسياسي والتجاري، وكانت تلك الجيوش بقيادة تيليپينو Telipinu ابن الملك شوپيلوليوما، والذي كان يشغل وظيفة كاهن كُوماني عاصمة إقليم كيزُّوواتْنا (كيزُّوفَتْنا التي تشمل كِيليكْيا وما حولها)، وكان لنجاحه المفاجئ أثره في خضوع مملكتي أَرْزيا Arziya (أَرْزاوا Arzawa في أقصى جنوب غربي آسيا الصغرى) وكَرْكَميش، لكن مدينة كَرْكَميش لم تسقط.



٤٩ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٥ - ٢٧٦، ٣١٦.

وقد عاد تيليپينو إلى بلاده لحضور بعض الطقوس الدينية العاجلة، تاركاً إدارة الحملة للقائد لوپاكّى Lupakki، وقد سهّلت عودة تيليپينو للفرق الحربية الميتّانية الهجوم على الجيش المعسكر في خُورْمُوريجا Khurmuriga، فطوّقتها وحاصرتها، وقام المصريون في الوقت نفسه بمهاجمة قادِش (تل النبي مَنْد)، وهذا دليل على أن ميتّاني ومصر كانت قد شعرتا بالخطر الحثّي الزاحف نحوهما، وبضرورة التصدّي له، فنسّقتا فيما بينهما للقيام بالعلميات الحربية ضد الهجمات الحثية، وهو ما يسمّى في العلوم العسكرية بالهجوم المضادّ٥٠.

- وفي الحملة الثالثة جهّز شوپيلوليوما ضربته الحاسمة بعناية تامة، إنه قام بتجميع قوات جديدة في تجارْما Tegarma، (كانت تقع جنوبي مَلاطِيا الحالية)، وعند حلول الربيع أرسلها إلى سوريا تحت إشراف وليّ العهد أَرْنُووَانْداش Arnuwandash، يساعده قائد عسكري يُدعى زِيداش Zidash، وألحق الجيشُ الحثي الهزيمةَ بالميتّانيين، ورفع الحصار عن خُورْموريجا، وتقدم لمحاصرة كَرْكَميش، وفي الوقت نفسه أرسل بعض الفرق العسكرية لمهاجمة المصريين في قادِش وإبعادهم واحتلال البقاع في شرقي لبنان٥١.

ونتيجة الحملات المتتالية اجتاح شوپيلوليوما بجيوشه مناطق سوريا الشمالية، وقضى على نفوذ الملك الميتّاني في سوريا، وقام بعزل جميع الولاة الحوريين الذين كان الميتّانيون يعتمدون عليهم، ونصب بدلاً منهم ولاة آخرين يثق بهم، ويكونون تابعين للدولة الحثية، وبطبيعة الحال أدّى ذلك إلى تقويض توازن القوى بين الخصوم الأقوياء (مصر والحثيين والميتّانيين)، وإلى ازدياد التنافس على ولاء ملوك الدويلات السورية والكنعانية.

الصُّمُودُ المِيتّـانِي:

لم يستسلم الملك تُوشْراتّا للأمر الواقع الذي فرضه شوپيلوليوما، وظل مُصرّاً على مقاومة النفوذ الحثّي، وقام بحملة مضادّة في عمق الأراضي السورية، وخاصة في المناطق الساحلية، وحاول الاستيلاء على بِيبْلوس (جُبَيْل) في لبنان، ولا تخفى الأهمية التجارية التي تمتاز بها المناطق التي هاجمها، ولكنه تقهقر بعدئذ، وعاد من حيث أتى، تُرى هل كانت تحركات تُوشْراتّا العسكرية مجرّد استعراض لقوته، أم أنه كان يحاول الاتصال بالأمراء الحوريين في جنوبي سوريا، أو ربما أيضاً الاتصال بفرعون مصر؟ لعل الفرضيات الثلاث صحيحة، يقول الدكتور عبد العزيز صالح:

«لكن ملكهم تُوشْراتّا استعان بصهره الفرعون المصري آمُونْحُوتَب الثالث، فأعانه بجيوش

---

٥٠ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٨. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٧٠.

٥١ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٨.

ردّت الخاتيين ﴿الحثيين﴾ على أدبارهم، واحتجز الملك الميتّاني عربة وخيولاً من الغنائم لصهره آمُونْحُوتَب المصري وبعض الحُلِيّ لأخته (زوجة آمُونْحُوتَب)»[٥٢].
وقد انشغلت مصر بعدئذ بمشاكلها الخاصة، كما أن الملك الحثي شوپيلوليوما عمل من جانبه لتأليب بعض الأمراء الميتّان على ملكهم، واستمالة ودّ الآشوريين للوقوف معه ضد مملكة ميتّاني، وقام بعدئذ بعملية التفاف كبيرة على الحدود الشمالية والشرقية للمملكة الميتّانية، من جهات مَلاطيا وآمَد (دياربكر)، إنه عبر بقواته نهر الفرات عند مجراه العلوي، فاحتل إيسوا (إشُوَا، كانت تقع جنوب غربي بحيرة وان)، ووصل حتى حدود بلاد أَلْش (أَلْشي= أَلْزِ، ويبدو أنها كانت قرب منطقة آمَد الحالية)، حيث سلّم ملكها أَنْتَرِ- أَتْلي مدينة كُتْمَر.
ثم سار شوپيلوليوما نحو مركز مملكة ميتّاني، فاصطدم بالقوات الآشورية التي كانت تعمل بدورها للسيطرة على ميتّاني، وردّها إلى داخل حدود أرضهم الأصلية، ثم عاد فاجتاح الأراضي الميتّانية في طريقه إلى العاصمة واشّوكانّي، وخاض معارك عسكرية ضد تُوشْراتّا، وانتصر عليه، وسيطر على سوريا الشمالية، وراح يهدّد مناطق النفوذ المصري في النصف الجنوبي من سوريا، ويدل على ذلك ما جاء في رسالة حاكم جُبَيْل (في لبنان حالياً) الموالي لفرعون مصر، إذ كتب فيها: «فليعلمْ سيّدي الملك أنّ ملك الحثيين قد استولى على الدول التي اشتركت مع ملك بلاد ميتّاني؛ أي ملك ناخْريما ﴿= نَهْرِينا﴾»[٥٣].
وجاء في مصادر أخرى أن تُوشْراتّا تجنّب الاصطدام شوپيلوليوما، فتوجّه شوپيلوليوما نحو الغرب، وعبر الفرات، واحتل جميع المناطق الميتّانية الواقعة بين منعطف الفرات والبحر الأبيض المتوسط، ومن ضمنها مدينة كَرْكَميش (عند مدخل الفرات، شمالي مدينة جَرابْلُس في سوريا حالياً)، وفرض سلطته على الحكام المحليين، وألزمهم بالتبعية له، وكانت الطبقة الحاكمة في ميتّاني من أصل حوري، لذلك لم يطمئن شوپيلوليوما إليهم، فنفى معظمهم إلى الأناضول، ثم توجّه لاحتلال الدويلات الأمورية في سوريا الداخلية، ومن أبرزها دويلة قادِش، فاستنجدت هذه بمصر، وبما أن مصر صمتت ولم تردّ على استغاثات الحكام الأموريين، اضطرت تلك الدويلات أخيراً إلى الرضوخ للملك الحثّي[٥٤].

سِياسَةُ المَلك الحِثّي شُوپيلُولِيُوما:

مرّ أن شوپيلوليوما ترك أمر إخضاع بقية الدويلات السورية لابنه تيليپينو Telipinu الذي كان يحمل لقب (كاهن)، وكان كاهناً لإله الطقس في مدينة كُمَّنّى (كُوماني عاصمة

٥٢ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٤.
٥٣ - هاري ساغز: عظمة آشور، ص ٥٧. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٠ – ٤٨١.
٥٤ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٥. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٦.

كيزُوفَتْنا/كيزُوواتْنا في شمالي كِيليكْيا)، وأوكل الأمر نفسه إلى أحد قادته العسكريين المدعوّ لُبَكّي (لوپاكّى Lupakki). لكن الميتّانيين والمصريين اتفقوا معاً على التصدّي للحثيين، وعملوا لاسترداد سوريا من قبضة الحثيين، ويبدو أنهم قد أفلحوا في ذلك إلى حدّ كبير، واستردّوا بعض المواقع الإستراتيجية المهمة، ومنها مدينة كَرْكَميش، فاضطر شوپيلوليوما إلى الظهور بنفسه على مسرح المعارك في سوريا ثانية، ويبدو أن مملكة ميتّاني بقيت قادرة على المقاومة في هذه المرحلة من الصراع، والدليل على ذلك أن تُوشْراتّا بقي حيّاً ولم تنته سيادته بشكل نهائي٥٥.

وقد فرض شوپيلوليوما الحصار على كَرْكَميش، وفي الوقت نفسه انصرف قائده لُبَكّي إلى صدّ القوات المصرية التي حاولت استعادة قادِش، وأفلحت القوات الحثية في احتلال كَرْكَميش التي كانت أهم معقل على الفرات، وكانت ذات مكانة إستراتيجية مهمّة، كما كانت تتمتّع بمكانة متميّزة؛ لأنها كانت مركزاً دينياً لعبادة الإلهة الأم كُبَبا Kubaba أو (كُبَبات)، وكانت معبودة في آسيا الصغرى منذ عصر المراكز التجارية الآشورية، لذلك اكتفت القوات الحثية بنهب الجزء السفلي من المدينة، ولم تتعرض للجزء العلوي الذي كانت فيه المعابد الدينية.

إن مدينة كَرْكَميش الواقعة على نهر الفرات، كانت عقدة مواصلات تجارية بين بلاد الرافدَين شرقاً والأناضول شمالاً وموانئ شرقي المتوسط غرباً، لذلك اختار شوپيلوليوما لحكمها ابنه بِيَشّيلي الذي تلقّب هناك بالاسم الحوري شَرّي كُشُخ، وقد حمل كلُّ خلفائه أسماء حورية، وهذا دليل على أن التقاليد الحورية كانت راسخة في كَرْكَميش، أما ابنه الثاني تليپينو- وكان كاهناً- فقد تولّى حكم حلب، وكانت حلب المركز الديني الأساسي لعبادة إله الطقس الحوري تِشُّوب الذي عبده الحثّيون، بعد أن أسبغوا عليه صفة محلية خاصة٥٦.

أما تُوشْراتّا فبعد أن فقد الجزء الواقع غربي الفرات من مملكته اغتيل نتيجة مؤامرة دُبّرت ضده، ويبدو أن ولده شتّي وازا (ماتّي وازا)- يسمّى في بعض المصادر كُورْتيوازا Kurtiwaza- كان من بين المتآمرين، ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى الخلاص من التيّار المتشدّد الذي كان يحرّض والده ضد الحثّيين٥٧.

واغتنم شُوتّارْنا (شُتَّرْنا) الثالث بن أَرْتاتاما الثاني الفرصة، فسيطر بمساعدة حلفائه

---

٥٥ - جِرْنُوت فيِلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٦.

٥٦ - جَرْنُوت فيلهِلْم: الحوريون، ص ٧٦ - ٧٧. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٧٠.

٥٧ - جرْنُوت فيلْهلْم: الحوريون، ص ٧٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٢، ٤٨٥. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٨٨.

الآشوريين والأَلْشيين على ميتّاني وعاصمتها وخرّب ودمّر في الأراضي الميتّانية التي كانت تابعة للملك تُوشْراتّا، ونُقلت كنوز القصر الملكي إلى آشور، ونُقل عدد كبير من الوحدات العسكرية الميتّانية المختصّة باستخدام العربات الحربية إلى أَلْشِ، وحُبست في تَئيد (قرب أوركيش)، وهذا دليل واضح على أن شُوتّارْنا كان أداة سهلة في أيدي حلفائه، وما أكثر أمثال هؤلاء في التاريخ الكردي القديم والحديث[٥٨]!

وبطبيعة الحال لم يكن الملك الحثي شوپيلوليوما راضياً عن التوسّع الآشوري في مملكة ميتّاني، وعن وصول الآشوريون إلى منعطف الفرات، بل كان ناقماً على ذلك، لأنه يمثّل تهديداً مباشراً للمجال الحيوي الحثي في شمالي سوريا، ولم يتردّد في استغلال أول فرصة مناسبة لتغيير الموقف الجديد، وانتزاع ميتّاني من النفوذ الآشوري، وإعادتها إلى حظيرة النفوذ الحثي.

وقد سنحت الفرصة لشوپيلوليوما عند ظهور ابن آخر لتُوشْراتّا يُدعى شَتّي وازا، ويسمّى (كيلي تِشُّوب) أيضاً، وكان شُوتَّارْنا الثالث يطارده للقضاء عليه، كي ينفرد بالعرش الميتّاني، ويبدو أنه استعان في ذلك بحلفائه الآشوريين، لكن شَتّي وازا نجا من الاغتيال، وفرّ على رأس وحدة عربات حربية صغيرة العدد، وحاول الحصول على اللجوء السياسي في مملكة كاشّو في بابل، لكنه أخفق في ذلك، وقد مرّ أن سياسة ملوك الكاشيين كانت تقوم على مهادنة الجيران وعدم الدخول في الصراعات الإقليمية، فلم ير شتّي وازا بُدّاً من اللجوء إلى الملك الحثي شوپيلوليوما، والتقى به على ضفاف نهر هاليس (ﭬيزيل إرماق) في وسط الأناضول، راجياً منه المساعدة[٥٩].

وكان من الطبيعي أن يسرع شوپيلوليوما إلى انتهاز هذه الفرصة الثمينة، ولا يضيّعها من يده، فإن شَتّي وازا هو خير من يكون مرشَّحاً للعرش الميتّاني، باعتباره ابن الملك السابق تُوشْراتّا، وهو خير من ينتزع العرش من قبضة شُوتّارْنا مرشّح الآشوريين، فحماه شوپيلوليوما وزوّجه من إحدى بناته ليوثّق ارتباطه به، وكان كثيرون من الملوك القدماء يفعلون ذلك، لأن بناتهم سيكنّ أمينات على مصالح ممالكهم في بلاطات الملوك الذين كانوا يتزوّجونهن، وسيكنّ عيوناً على أزواجهن الملوك عند اللزوم أيضاً.

إن شوپيلوليوما كان يهدف إلى إقامة حزام من الدول التابعة للمملكة الحثية، لحماية أراضيها من الأطماع الآشورية، لذلك عقد مع شَتّي وازا معاهدة صداقة ودفاع مشترك، تنصّ على وجوب وقوف كل منهما إلى جانب الآخر، عندما تصبح أراضي أيّ من الدولتين

---

٥٨ - جِرْنُوت فيلْهلْم: الحوريون، ص ٧٧. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١٢٠ - ١٢١. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٧٠.

٥٩ - جِرْنُوت فيلْهلْم: الحوريون، ص ٧٧.

عُرضة لهجوم من دولة ثالثة، وكان المقصود الدولة الآشورية أولاً، والدولة الكاشّية ثانياً، وخطر الاجتياح الآرامي القادم من الجنوب (من البادية السورية) ثالثاً، وإن شوپيلوليوما أرجع شَتّي وازا معزَّزاً مكرَّماً إلى ميتّاني، وأمر ابنه شَرّي كُشُخ حاكم كَرْكَميش بدعمه عسكرياً.

المُعاهَدَةُ الحِثّية- المِيتّـانيّة:

لقد بات واضحاً أن مملكة ميتّاني أصبحت دولة ضعيفة وهامشية، يقع بعضها في دائرة النفوذ الآشوري، وصار بعضها الآخر تابعاً للإمبراطورية الحثّية، وصارت حاجزاً يحمي ممتلكات الإمبراطورية الحثّية من أطماع دولة آشور التي كانت قد استعادت نهوضها، وباشرت مشروعها التوسعي، وفي الوقت نفسه أقام شوپيلوليوما علاقات حسنة مع مملكة كاشّو في بابل[٦٠].

وجدير بالذكر أن مصر كانت تمر حينذاك بحالة ضعف شديد، فلم تستطع الوقوف في وجه الأطماع الحثية، حتى إنه بعد موت آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) طلبت أرملته من الملك الحثي شوبّيليولوما أن يرسل أحد أبنائه ليكون زوجاً لها وملكاً على مصر، ولبّى شوبّيليولوما طلبها، لكن الأمير الحثي قُتل في أثناء سيره إلى مصر، والأرجح أن ذلك كان بتدبير من بعض قادة المصريين، هذا في حين كان ملوك مصر السابقون يرفضون تزويج أخواتهم أو بناتهم أو أية أميرة من الأسرة المالكة من أيّ ملك أو أمير غير مصري» وأصبحت أنظار ملوك وأمراء وشعوب هذه البلدان موجّهة إلى خاتُوشا بدلاً من مِمْفيس أو آشور أو بابل»[٦١].

ويبدو أن شَتّي وازا تمكّن من إعادة بسط سيطرته على المدن المهمّة في ميتّاني، وتمّ توقيع معاهدة بينه وبين شوپيلوليوما دُوّنت فيها هذه التغييرات، وحدّدت معالمَ المملكة الخاضعة لحكمه، لكن كان ذلك في ظل السيادة العليا للملك الحثّي، ويظهر في حاشية النسخة الباقية من المعاهدة أن شَتّي وازا اختار بنفسه لقبه الملكي وهو (ماتّي وازا)، وهو لقب هندو أوربي، وليس معروفاً إلى أيّ مدى بلغت مملكة ميتّاني الجديدة في الجهات الشرقية، ولكن يُفترَض أنها تقلّصت كثيراً بسبب التوسع الآشوري.

واللافت للنظر في المعاهدة أنها أقرّت بحق أرتاتاما الثاني في الحكم، وعبّرت عن احترامه، وحدّدت حق شَتّي وازا في وراثة العرش، والسرّ في ذلك أن شوپيلوليوما لم يرغب في إلغاء معاهدة سابقة كان قد عقدها مع أرتاتاما الثاني؛ كي لا يَحْنَث بالقسم الذي أدّاه أمام الآلهة، ولا يعرِّض نفسه للعناتها، ولذلك فهو لم يتعرّض لأرتاتاما الثاني بسوء، وأشار إليه بلقب

---

٦٠ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٧. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ٢٥٥/٢. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٦، ٣١٦.

٦١ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٦. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٧.

عامّ يلمّح إلى سيادته على جميع البلاد الحورية التي كانت ميتّاني أهمّ جزء منها، وبناء على ذلك صار من حق شَتّي وازا أن يكون وريثاً لعرش مملكة ميتّاني بدلاً من شُوتّارْنا الثالث ابن أَرْتاتاما الثاني، ويكون في الوقت نفسه تابعاً للحثيين٦٢.

وجدير بالذكر أن الأمور لم تسر في المملكة الحثّية كما كان يودّ لها شوپيلوليوما أن تسير، فقد مرّت المملكة بحالة من التمزّق الشديد، إذ انتشر فيها وباء فتّاك عاماً كاملاً، وظهرت حركات تمرد في الأناضول، وأُصيبت المملكة أيضاً بضربة خطيرة حينما توفّي شوپيلوليوما، وتوفّي خليفته أَرْنُووانْدا Arnuwanda الثاني، ولذلك انخفض مستوى العمليات القتالية في الجيش الحثّي، ولم يكن ممكناً القيام بهجوم فعّال على مناطق شرقي الفرات، وعجزت المملكة الحثّية عن استكمال مشروعها التوسعي وبسْط نفوذها على بقيّة مملكة ميتّاني والبلاد الحورية بشكل عامّ٦٣.

ولا نعرف بدقة أخبار شَتّي وازا في هذه الفترة، لكن يبدو أنه حقّق بعض التماسك الداخلي في مملكة ميتّاني، ويبدو أن الضغط الآشوري، الذي برز في أواخر عهد الملك آشور أوبالِّيت ashur Uballit (١٣٦٣ – ١٣٢٨ ق.م)، جعل شَتّي وازا يعتقد أن بإمكانه الاستغناء عن دعم سيّده الحثّي، فأعلن العصيان، وتخلّى عن الولاء للمملكة الحثّية، وكان ذلك في مطلع حكم الملك الحثّي مورشيلي الثاني (حوالي ١٣٢٥ ق.م)، وقد ورد في دعاء لهذا الملك أن ميتّاني "مستعدةٌ للصراع، لا إلهَ لها، حانثةٌ بالقَسَم»، ويعني هذا الوصف إلى أن مملكة ميتّاني نقضت المعاهدة التي عقدها شَتّي وازا سابقاً مع شوپيلوليوما، وهذا الدعاء هو من الوثائق الأخيرة التي ورد فيها اسم «ميتّاني»، أما أحدث الشواهد إطلاقاً فيعود إلى عهد الملك الآشوري تِغْلات پلاسر الأول (١١١٤ – ١٠٦٧ ق.م)٦٤.

ولا تقدّم المصادر المكتشفة في العاصمة الحثية خاتُّوشا معلومات مفيدة بشأن الأحداث التي جرت في مملكة ميتّاني في الفترات اللاحقة، وتوجد رسائل كان الملوك الحثيون تبادلوها مع ملوك خاني جَالْبات (حَلْبَت)- وهو اسم مملكة ميتّاني بعد أن تقلّصت جغرافياً وسياسياً- ولكن لا يمكن تأريخ تلك الرسائل بدقّة، وليست فيها معلومات مؤكَّدة. أما المصادر الآشورية التي تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م فهي غنيّة بالمعلومات المفيدة، وهذا دليل واضح على أن اهتمامات مملكة الحثيين بمملكة خاني جَلْبات كانت قد ضعفت، واستلم ملوك آشور زمام المبادرة والتوسع في غربي آسيا، وكانت مملكة خاني جالبات في مقدمة اهتماماتهم٦٥.

٦٢ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٨. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد في التاريخ، ٢/٢٥٦.

٦٣ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٨.

٦٤- المرجع السابق، ص ٧٨ – ٧٩.

٦٥ - المرجع السابق، ص ٧٩.

الكرد في كازاخستان



إعداد: د. محمد الصويركي

أ

جمهورية كازاخستان:

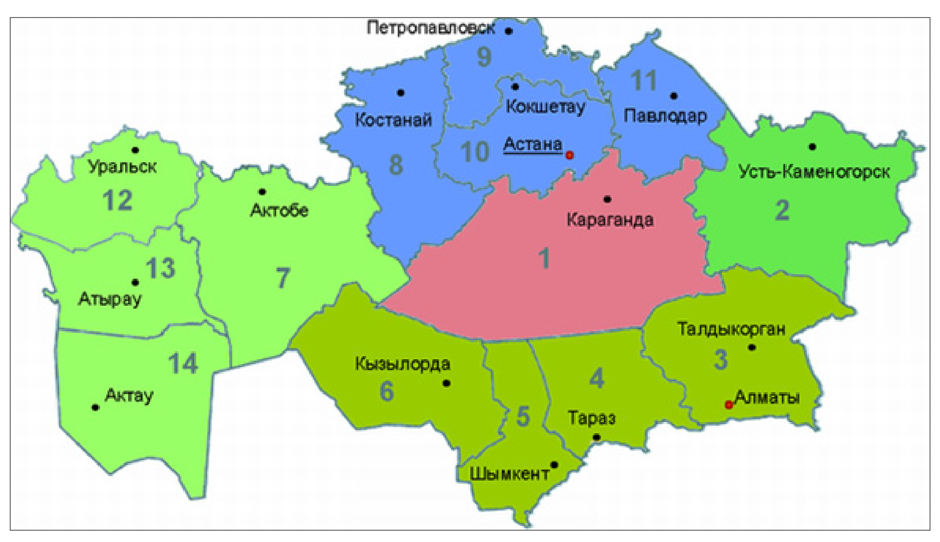
جمهورية كازاخستان أو قزخستان أو قزقستان (كما تنطقها الشعوب التركية) أو قبجاق كما تسمى قديماً بالكازاخية، هي بلاد يقع معظمها في شمال آسيا الوسطى وجزئياً في نهر الاورال.

كانت هذه البلاد قديماُ مأهولة بالقبائل الرحل، ومحل نزاع على النفوذ بين الحضارتين الصينية والروسية، وفي عصور لاحقة سكنتها قبائل (الكازاك) الرحل الذين يمتهنون الصيد وتربية الماشية، وتعتمد تقاليدهم الاجتماعية على القبيلة والعشائرية، وفي القرن الحادي عشر اعتنق الكازاك الدين الإسلامي، وفي القرن الثالث عشر تعرضت بلادهم لغزو المغول بقيادة جنكيز خان، وفي القرن السادس عشر حتى القرن السابع عشر تعرضت إلى غزوات قادمة من الغرب، وبين سنوات ١٨٢٠-١٨٥٠م تم إلحاقها بالإمبراطورية

الروسية القيصرية، ونحو عام ١٨٥٠م هاجر الفلاحون الروس إليها، وأعلنت كجمهورية سوفيتية (جمهورية الكيرقيز) عام ١٩١٧م، ثم ألحقت بالإتحاد السوفيتي عند نشأته، وتحولت إلى جمهورية اشتراكية ذاتية الحكم ضمن الإتحاد السوفيتي الجديد عام ١٩٢٠م. ومن ٥ ديسمبر ١٩٣٦م أصبحت جمهورية اشتراكية سوفيتية.

وفي السنوات اللاحقة لحكم (ستالين) أصبحت كازاخستان في إطار مخيمات العمل «Steplag" ومكانا لعدة عمليات تهجير خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وقد طالت أعراقاً كاملة مثل تتار القرم، والبولونيين، والشيشانين، وألمان الفولغا، وأكراد القفقاس.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق حصلت البلاد على استقلالها في ١٦ ديسمبر ١٩٩١م. وفي عام ١٩٩٥م اعتمدت دستوراً جديداً، وتم بعد ذلك إجراء انتخابات تشريعية وإنشاء برلمان.



أقاليم دولة كازاخستان

عرفت كازاخستان دائما «ببلد آسيا الوسطى» بسبب الروابط اللغوية والثقافية والسياسية التي تربطها بالجمهوريات السوفيتية الأربعة السابقة من قرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان التي يعبر عنها بآسيا الوسطى.

تبلغ مساحة كازاخستان نحو (٢،٧٢٤،٩٠٠) كم٢، وبذلك تعتبر ثاني أكبر دول

الإتحـاد الـسوفـيـيـتي الـسابـق مساحة، والرابعة آسياوياً بعد روسيا والصين والهند، والتاسعة عالمياً، والأولى في العالم الإسلامي.

يعتمد اقتصادها أساساً على النفط الذي يمثل ٥٦٪ من قيمة الصادرات، و٥٥٪ من ميزانية الدولة. وتمتلك احتياطات نفطية تعادل احتياطات العراق، ولكنها تـوجـد في طبقات عميقة، مما يفسر التأخر في استغلالها. كما تعتبر إحدى أهم الدول المنتجة للغاز في آسيا، ولاحقاً أصبحت مكاناً لعدة مشاريع سوفييتية ناجحة، ومخابر نووية، ومركز بيكاونور الفضائي، وحملة الأراضي العذراء.

والعاصمة هي مدينة (أسطانا)، وفيها لـلـغـتـان رسمـيـتـان، وهـمـا: الـروسـيـة، والكازاخية، ونظام الحكم فيها جمهوري. ويبلغ تعداد السكان نحو (١٥) مليون نسمة حـسـب تـقـديـرات عـام ٢٠٠٦م، ونسبة السكان هي ٥٣٪ مـن الـكـازاخ، و٣٠٪ من الروس، مع وجود العديد من الأعراق والقوميات التي تربو على (١٢٠) قومية، من بينها: الأوكرانيون، الأوزبك، الكوريون، الألمان، الشيشان، الأكراد...

الـديـانـات الـرئـيـسـة فيها هـي الإسـلام ٦٠٪، ويدين به الكازاخ وبعض الأقليات كالتتار، والبشكير، والأوزبك، والأكراد... والمسيحية الأرثوذكسية ٣٠٪، ويدين بها الروس، وبعض الأوكرانيون، والبلاروس. والمسيحية البروتستانتية ٣٪، وهناك أديان ومعتقدات أخرى بنسبة ٧٪ (١).

التهجير القسري للأكراد إلى جمهوريات آسيا الوسطى:

أول هجرة كردية قدمت إلى كازاخستان ترجع الى عام ١٩٣٧م، والثانية حدثت عام ١٩٤٤م، والأخيرة ١٩٨٩م لم تكن قسرية بل حدثت في قبيل انهيار الإتحاد السوفيتي السابق.

بـعـد اتـفـاقـيـة سـايـكـس بيكو السرية (١٩١٦م) التي شاركت فيها كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية من أجل اقتسام ممتلكات الإمبراطورية العثمانية فيما بينهما, قسمت كردستان إلى خمسة أجزاء، وتم إلحاق كل جزء بدولة مجاورة (سورية, العراق, تركيا ،إيران، أرمينيا)، علماً بأن القسم الشرقي من كردستان كان تحت سيطرة إيران منذ عام ١٥١٤م. وفي عـام ١٩١٧م قامت الثورة البلشفية بقيادة (لينين) الذي كشف سر اتفاقية سايكس ـ بيكو، وبذلك خسرت روسيا معظم حصتها من شمال كردستان، والتي ألحقت بالدولة التركية الحديثة, وبقي جزء صغير تابعاً للاتحاد السوفيتي. وردّاً على اتفاقية لـوزان أعطت حكماً ذاتياً لذلك الجزء الصغير في الإتحاد السوفيتي، وسمّي بـ (كردستان الحمراء) عام ١٩٢٣م، وانـتـخـب رئـيـسـاً لهـا الـسـيـد (غـوسـين غاجييف) أي حسين حاجيف، وعاصمتها لاجين, ومن مدنها كيلباجان, كوباتلي, زانغيلان, جليلابسكي.

بـدأت فرحة الـكـرد تقرع على طبول الـرقـص الـكـردي، مهللين بكردستان الحمراء. ولكن بعد وفاة لينين واستلام ستالين عـرش الشيوعية بـدأ الحكام الأتـراك يشممون رائحة النفط إلى أنف ستالين، وبدأ ستالين يتنازل لهم رويداً رويـداً حتى انـدلاع ثـورة الشيخ سعيد بيران (١٩٢٥)، فهرب أتاتورك إلى أحضان سـتـالـين، وطـلـب مـنـه أن يقضي على (كردستان الحمراء)، لأن الكرد في الشمال ينظرون إلى كردستان الحمراء، ويحاربون الأتـراك دون هـوادة من أجـل استقلال كردستان, فلبّى طلبهم.

في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين تم الاتـفـاق بين النظام التركي بقيادة مـصـطـفـى كـمـال أتـــاتـــورك، والـنـظـام الدكتاتوري الستاليني في موسكو، والقادة القوميون المتعصبون في أذربيجان بتنفيذ خطتهم في القضاء على الإقليم الكردي (كردستان الحـمـراء)، وقـد تم لهم ذلك في عام ١٩٣٠م. وفي العام نفسه وباتفاق ثـلاثـي (إيـــران، والاتحــاد الـسـوفـيـتي، وتـركيا) تم القضاء على ثـورة (أكري داغ) في شرقي تركيا، والتي كانت بقيادة نور الدين باشا.

وبـعـدهـا بـعـدة سـنـوات أي عـام ١٩٣٧م قـام (ستالن) بتهجير الأكــراد قسراً إلى جمهوريات آسيا الوسطى (كازاخستان، وقيرغيزيا، طاجيكستان)، ونتيجة لذلك مات وقتل وفقد المئات منهم، ومن أسباب النقمة على الأكــراد؛ فمنهم مـن يرى بأنهم يعيشون على الحـدود التركية – السوفيتية، ولذلك اعتبروا يشكلون خطراً على أمن الدولة الروسية. فتم تشتيتهم على جمهوريات الإتحاد السوفيتي، مثل: أوكرانيا، مولدافيا، قرقيزيا، أوزبكستان، طاجيكستان، تركمانستان، كازاخستان.

وخـلال فـترة الحـرب العالمية الثانية، وتحـديـداً في عـام ١٩٤٤م بـدأ الإتحـاد السوفيتي مرة أخرى بالتهجير القسري للكرد من جورجيا وأرمينيا إلى صحراء كازاخستان وأوزبكستان وقرغيزستان، وكـان لهـذه الهـجـرة فظاعتها الخـاصـة، فحين هجر الكرد من جورجيا مسقط رأس ستالين لا أحـد يعرف سبب ذلك على وجه التحديد، ومنهم من يقول كان التهجير بحجة أن ستالين كان يكره كل من ينتمي الى العرق الآري، ومنهم الأكراد فهم والألمـان مـن ذلـك الـعـرق، وهناك سبب آخر بأنه كان يعتقد بأن الأكراد يتجسسون لصالح الأتـراك وإيـران، علماً أنه كان هناك الكثير من الشبان الكرد مع الروس في الجبهة ضد النازيين، ولكن لم يتّضح إلى الآن لماذا غضب ستالين على الكرد، فهجّرهم قسراً بعربات القطار، وساق بهم إلى الصحراء في الشتاء القارص. ولا يزال الكرد يتذكرون بكل مرارة تلك الهجرة التي دفنوا خلالها خير أولادهم في محطات القطار، ولا يذكرون أين قبورهم حتى يضعوا باقة من الورود عليها؟!!

ومنهم من يقول بأن عشيق والدة ستالين كان كردياً واسمه (شيركو)، والبعض يقول بأن ستالين أراد أن يطهر بلده من الأقليات ومن بينها الكرد، ليحقق التوازن في الجمهوريات السوفيتية، والأغرب من ذلك بأن الكثير من الكرد كانوا يحاربون بجانب القوات الروسية ضد الألمان، وينشدون:(يعيش السوفيت، يعيش ستالين).
لقد شارك الإتحاد السوفيتي الذي ادعى بأنه نصير المظلومين من العمال والفلاحين والشعوب المقهورة في القضاء على الأحلام الكردية، وبدون سبب مقنع الى اليوم، ولم يتعض الكرد من غدر الشيوعيين الروس، بل وثقوا بوعودهم مرة أخرى عندما أسسوا (جمهورية مهاباد) في كردستان إيران عام ١٩٤٦م، وبعد ذلك تخلوا عنهم وتركوا جمهوريتهم في مهب الريح.
كما هاجر الكرد طوعياً في عام ١٩٨٩ إلى جمهوريات آسيا الوسطى بسبب الحرب القائمة بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم كارباخ (كردستان الحمراء)، وقد تركوا بيوتهم وجاءوا إلى كازاخستان وآسيا الوسطى حفاظاً على حياتهم (٢).

مأساة الهجرة وقسوة النظام الشيوعي على الشعب الكردي!

تحدث الأكاديمي الكردي الدكتور نادير كريموفيج ناديروف عن هذه مأساة الهجرة التي حلت بالكرد، فيقول: أن أول هجرة كردية بدأت في عام ١٩٣٧م، وقد شحنونا في عربات القطار المخصصة للمواشي والحيوانات، وقد هجروا في فصل الشتاء القارص، حيث الثلوج والصقيع القاتل،والجوع يأكل بطون الصغار، ولم نجد من يمدّ لنا يد العون, سار بنا القطار أكثر من عشرين يوماً، ومات الكثير من الأطفال والشيوخ والنساء بيننا خلال عملية الشحن، وكنا ندفنهم في محطات القطار، ولم يبلغوا السلطات الروسية عن مواتهم، لأنها ستلقي بجثثهم في الأنهار أو في العراء على الثلوج لتكون طعاماً للوحوش والذئاب، وكانوا يدفنونهم تحت الثلج، لافتقارنا إلى ما نحفر به الأرض، وتصوروا كيف يرى الإنسان عزيزا عليه وجثته أمامه ولا يستطيع دفنه بما يليق به، والأسوأ من ذلك أن ترى جثته تتفسخ ورائحتها تزكم الأنوف، إنها بحق مأساة لا يتصورها بني البشر، وبعد وصولهم إلى صحراء آسيا الوسطى، وتحديداً في منطقة مقفرة تغطيها الثلوج وخالية من الحياة والبشر تدعى (كاسكه بولاك)، أعطوهم الخيام التي لا تقي من البرد والثلج، فكانت كل خيمة تتسع لعشرة أشخاص، وكان الأطفال والنساء يسكنون معاً، بينما الرجال في خيم منفصلة، بهدف تشتيت العائلة الواحدة عن بعضها البعض، وعندما حل فصل الربيع بدأوا يبنون بيوتاً من

الطين، ويسكنون فيها، وعندها شعروا بدفء الحرارة، وصارت الأحزان تتلاشى عن ملامح وجوهم.



ويتابع الدكتور ناديروف أحد الذين شاهدوا تلك المأساة: في إحدى ليالي شهر نيسان وصلت إلى تجمعنا في المخيم سيارات عسكرية، فاختبأ رجالنا في الوديان خوفاً منهم، وخرج من السيارة اثنان من (KGB= اسم جهاز المخابرات السوفيتي) وأخبرونا بأن مجيئهم هو بأمر من القيادة في موسكو القاضي بأخذ كل من بلغ الثامنة عشر إلى الخامسة والستين من الرجال لتشغيلهم في الدوائر الحكومية، من أجل كسب قوتهم وقوت عيالهم، فزغردت النساء وتهللنا نحن الأطفال بهذا النبأ السار مقلدين أمهاتنا. وهكذا تم تجميع ستين فرداً منا واركّبوهم في تلك السيارات ومضوا بهم.... ولم يعودوا بهم حتى يومنا هذا!! وكان

من ضمنهم أخي وعمي وكثير من أقربائي.

وبعد انهيار الإتحاد السوفييتي في العام ١٩٩١م، فتش في الأرشيف السوفيتي، فتبين إن الأكراد الذين تم أخذهم بالسيارات العسكرية قد تمت تصفيتهم ودفنهم في مقابر جماعية في مدينة (شمكينت) في جنوبي كازاخستان على حدود أوزبكستان. وتم اكتشاف تلك المقابر الجماعية في حديقة المدينة، وعثر فيها على رفات أكثر من مائتي شخص كردي تم قتلهم أثناء الهجرة القسرية الأولى عام ١٩٣٧م، وقامت إدارة المدينة مشكورة ببناء نصب تذكاري للضحايا عام ١٩٩٦م، ومتحفاً عام ٢٠٠٣م، ودعت الحديقة باسم (كين باباي)، لتذكر العالم بجرائم الأممية الشيوعية والنظام الستاليني الوحشي بما اقترفوه بحق الإنسانية، حقيقة لقد تشابه الدكتاتوران (ستالين) و(صدام حسين) في قتل الأكراد ودفنهم في المقابر الجماعية... وهكذا يتمت حكومة العمال والفلاحين العائلات الكردية المهجرة قسراً- وبلا سبب- وقضت على أحلامهم وشتتهم عن أقاربهم وصادرت أرضهم، وستبقى هذه الجريمة البشعة وصمة عار في جبين الشيوعية الى أبد الأبديين، فتعساً لحكومة العمال والفلاحين(٣).



نصب تذكاري للمقبرة الجماعية لكرد كازاخستان

ويروي السيد (محمد سلو بابايف) بعض ظلم الشيوعيين للأكراد،فيقول: أن السيد كنياز بدربيك تخرج في كلية لينينغراد، وكتب عدة رسائل إلى القيادة الشيوعية، وطلب بإرجاع كردستان الحمراء،لكن القيادة الشيوعية كانت تهمّش هذه الرسائل، فرُحِلَ السيد كنياز

بدر بيك مع (١٥٠) من أفـراد عائلته إلى تركيا بسبب هذه المطالب.

ويتابع الحديث فيقول: ...كنت مديراً لأحد المراكز الزراعية في منطقة ماسيس التابعة لأرمينيا, وفي عام ١٩٦٩ رشحوني لمنصب رفيع؛ لأنني كنت أجيد عدة لغات كالروسية، والأرمينية, والأذربيجانية، والـكـرديـة, وقـال لـي المـسـؤول الحـزبـي للمنطقة: أنت تستحق هذا المنصب، ولكنك لست أذربيجانياً، ولا أرمينياً؛ أنما أنت كردي؟ ولا يسمح للكردي بأن يكون في هذا المنصب الرفيع!! يقول: اتجهت إلى الجبل وصرخت باكياً عدة ساعات... هكذا كانت تعاملنا السلطة الشيوعية.

ويتحدث المهندس (زاهر عفدي صاديكوف) عن ظلم الشيوعية للكرد، فيقول: لا أريد أن أتذكر الكثير، ولكني أريـد قـول هذا، إنه في عام ١٩٨٠ جرت في موسكو الألعاب الأولمبية، فقررنا أن نحضر تلك الأولمبياد، وقبل سفرنا بأربعة أيام اجتمع بنا المدير العام للشركة، وقال: لا أريد أن أزعج أحداً منكم، ولكن لا يستطيع بعضكم حضور الأولمبياد! وأخرج ورقة من حقيبته، وقال: هذا القرار من موسكو: لا يسمح بالدخول إلى موسكو كل من الأكراد والقرباط قبل بـدء الأولـمـبـيـاد بأسبوع. لقد تجمّـدت في مكاني، قارنونا بالقرباط وأنا نائب المدير العام. وأشار المدير بأصبعه إليّ وقال: هذا أمر من موسكو....بعدها اتجهت إلى مكتبي وبكيت لساعات.... لكن ما العمل؟ هكذا قدرنا وكأنَّ على جبيننا مكتوب علينا أن نظلم أينما كنا...!!!

ويقول الاقتصادي (د.عزيز زيا بدرخان عالييف): في عام ١٩٤٤م كان والدي في الجبهة يحـارب النازيين الألمـان، وقامت الحكومة الشيوعية الستالينية بتهجير عائلتنا قسراً إلى آسيا الوسطى، هكذا كان يحاربنا ستالين, تصوّروا الأب في الحرب يدافع عن حكومة ستالين، وستالين يقوم بتهجير الكرد من ديارهم و ديار أجدادهم!!

ويقول (زاهـر عفدي) مسئول العلاقات الخـارجـيـة في الجـمـعـيـة الـكـرديـة الكازاخستانية: كانت القوميات الأخرى تكره الأكراد، مثلاً في أرمينيا، كان الكردي (ماماد سليمان باباي) مسئولاً في الحزب الشيوعي، وكانت له مكانته، وعندما رشح لمنصب حزبي رفيع رفض من قبل القيادة الحزبية الشيوعية، بسبب كونه كـردي، وعندما ذهب إلى المسؤول الحزبي في يريفان، قال له: حرام أن تكون كردياً، وأنت المثقف الواعي؛ لكنك كردي، ولا أستطيع أن أوافق على ترشيحك.

ويروي السيد (ساري حسينوفيح اصلانوف) أحد الأكراد الذين خاضوا المعارك السوفيتية ضد فنلندا وألمانيا – في الحـرب العالمية الثانية- عن الهجرات القسرية التي تعرض لها الكرد من قبل ستالين، ويقول:ليعرف الكرد بأننا شعب خلقنا لنحرر الشعوب الأخـرى، ونفكر بجيراننا، ونشعر بـآلام الآخرين قبل أن نفكر بأنفسنا، ومشكلاتنا،

وقضيتنا، وعلينا أن نتعلم من الاعيبهم الماكرة، ووعودهم الكاذبة. لقد ولدت في عام ١٩١٨م، في قرية (نكلاكيفي) التابعة لمنطقة أسبيسكي في جمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية، وبعد الانتهاء من دراستي المتوسطة اتجهت إلى (يريفان) عاصمة أرمينيا، وهناك تابعت دراستي في المعهد التربوي، في قسم اللغة الكردية اللاتينية في عام ١٩٣٦م.

وبعد تخرجي عملت مدرساً لمدة سنة في قريتي، وبعد ذلك تزوجت، ثم طلبت للخدمة العسكرية أيام الحروب السوفيتية – الفنلندية، وأرسلت إلى جبهة القتال، وهناك حاربت أعداء السوفيت في فنلندا ومن ثم في ألمانيا، ولم استطع البوح بأنني كردي، وأتذكر مئات الشهداء الكرد الذين قضوا في هذه الحرب؛ لأنهم كانوا في مقدمة الجيش الروسي.

بعد الانتصار على الفنلنديين اتجهت إلى أوكرانيا، وبعدها إلى مالدافيا، ومن ثم إلى بولونيا وحررت مع الجيش الروسي كل المدن التي دخلوها، وفي ٢٢ -٦-١٩٤١م نقلوني مرة أخرى إلى الجبهة ضد ألمانيا الفاشية حتى وصلنا إلى النمسا، وهناك رفع علم الانتصار في فينا، وقد جرحت في عام ١٩٤٣، وبقيت أكثر من ستة أشهر في المشفى، وبعد العلاج التحقت بالجيش حتى انتصرنا على ألمانيا، وفي عام ١٩٤٥ بقيت سنة في النمسا، ثم أرسلوني إلى أهلي في عربات القطارات بفرح وأغاني الانتصار.

رجعت إلى قرية (نكلاكيفي) في جورجيا، وعندما اقتربت منها شعرت بأن الوضع غير طبيعي، وأن الخراب قد حل في قريتي، وعندما اقتربت من بيتي وجدت فيه عائلة جورجية فسألتهم: «هل تعرفون أين أهلي؟ فقالوا: هجّروا الى آسيا الوسطى، وعند رجوعي سمعت صوتاً يَصرخ نحوي، فإذا هي مُدَرِسة القرية السيدة (أولغا) فقالت لي: «يا ساري، كتب لك صديقك (علي الشان) رسالة يقول فيها: «بأنه موجود في كازاخستان».

اضطررت أن ابقي هناك حتى أستلم أوراقي التي تثبت بأنني حاربت الألمان، وكنت من أبطال الحرب، ثم استلمت كل أموالي، واتجهت صوب كازاخستان. وفي حدود شهر تقريباً كانت أفتش عن أهلي حتى وصلت إلى مدينة (ألماتا) العاصمة، وفي السوق الأخضر التقيت بشقيق زوجتي، وأخذته بالأحضان وبكيت، فقال لي:«أننا استلمنا خبراً في عام ١٩٤٣ بأنك استشهدت في الحرب لكن - الحمد الله- الخبر ليس صحيحاً، وسألته عن أهله وأقاربه؟ فقال: أنهم بخير، ويسكنون في (جمبول) التي تبعد عن المآتا حوالي ٤٨كم، فأخذني إليها، وبتُ عنده في تلك الليلة، وفي الصباح الباكر ذهبت خارج البيت وشاهدت زوجته وهي تنشر الغسيل، فركضت صوبها وقلت: هل هذا خيال أم حقيقة؟ هل رأيتي زوجتي (جيجاك)، فبكت، وقالت: يا أخي ساري، هي ماتت بالنسبة لك (أي تزوجت شخصاً آخر).

ويتابع ساري الحديث:......عندما انتصرنا على الألمان فرحنا كثيراً بأننا انتصرنا على الظلم. لكن عندما أتيت فرحت معاً بالانتصار، وندمت لأننا كنا نقول نحارب الظلم والفاشية. حقاً الفاشية هو النظام الشيوعي الذي هجر أهلي قسراً، وأخذ يبكي... ثم يصمت قليلاً ...ويقول: كم هو صعب جداً أن يلحق الظلم بالكرد، الكثير منهم استشهد في الحرب مع الفاشست، وأهل هؤلاء الشهداء هجروا قسراً رغماً عنهم، فستالين أكبر فاشي في العالم، ولم استطيع القول بأنه ضد الكرد فقط، وإنما هو ضد كل القوميات الأخرى، وضد الإنسانية جمعا.

لم أعرف لماذا هجروا الكرد؟ ولكني أعتقد بأنهم كانوا يريدون مثل بقية القوميات أن ترحل من جورجيا موطن ستالين. فالسلطة الشيوعية أرهبت جميع الأقليات ولكن بشكل خاص الشعب الكردي، فطهروا جورجيا من بقية القوميات، وهجروهم ثلاث هجرات، وأرهقتهم في قعر دارهم لدرجة بان الكثير من الكرد سجلوا قوميتهم أتراكاً أو أذربيجانيين، ليس فقط أرهقوا الكرد وإنما قتلوهم ودمروا شعورهم...

فيما بعد عاش المناضل (ساري) في (جاناتورمز)، وعمل في سافخوز (الجمعية الفلاحية) كونه مشاركاً في الحرب العالمية الثانية، ورفع العلم السوفيتي فوق مدينة (فينا)، وحصل على عدة جوائز، لكنه بقي دون هوية أو جنسية حتى ١٩٥٩، حتى سجل نفسه وقال أنا كردي. وعندما رأى بأن الموظف كتب بدل ذلك أذربيجاني، فقال له: لكني كردي، فقال له: ألست مسلماً؟ فقال: نعم. لكنني كردي، فقال له لا فرق بيننا نحن مسلمين، فقال: إذا لا يوجد فرق فسجلني كردي، وسجل نفسك كردي أيضاً، فصرخ به وقال: أذهب وسجل نفسك كردي في مكان آخر، والله سيغضب منك لأنك ترفض بان تكون أذربيجانياً مسلماً، وخرج من عنده بدون هوية ....؟؟؟!!!!!

وفي عهد خروشوف سمح للجميع بالعودة الى ديارهم، وفي عام ١٩٥٩م أراد (ساري) الرجوع إلى مسقط رأسه (نكلاكيفي) في جورجيا، لكن منع من دخولها، فاتجه الى أذربيجان وعمل في تعليم المهن حتى عام ١٩٧١، ثم تعب من معاملة الأذربيجانيين له الذين كان تعاملهم أبشع من الأتراك مع الكرد، فعملوا على طمس الهوية الكردية عن أكرادها، ولم يسمحوا لأحد بالتحدث باللغة الكردية حتى في منازلهم، وكانوا يضايقونهم، ويرددون: بأن المسلمين أخوة، وعلينا أن نتعلم الأذرية، ونقول: نحن أذريين. ونتيجة للمعاملة السيئة رجع (ساري) إلى كازاخستان بإرادته، من أجل قضاء بقية حياته مع أقربائه هناك... (٤).

وخلاصة القول، لقد تم طرد الأكراد وتهجيرهم قسراً من الدول القفقاسية (جورجيا، أرمينيا، أذربيجان) منذ أعوام ١٩٣٧، ١٩٤٠-١٩٤٦م إلى جمهوريات آسيا الوسطى، ومات الكثير منهم برداً ومرضاً

وجوعاً، وأمر طردهم صدر من القيادة العليا في موسكو أيام الدكتاتور (ستالين)، وستبقى هذه المأساة المفجعة تبين للعالم الحر كيف كان الروس يعاملون الأكراد المسالمين في زمن الدولة الشيوعية التي كانت تتبجح بنصرة المظلومين والكادحين والمزارعين والعمال، فتعساً لتلك الأفكار التي كشف زيفها، وانهار بسببها الاتحاد السوفيتي من الوجود، وتفكك الى غير رجعة، ورحم الله أكراد روسيا الأبرياء الذين قتلوا ظلما وعدوانا، أنه قدر الكرد أن يظلموا في كل مكان يتواجدون فيه....!!! (٥).

الوجود الكردي في كازخستان:



كرد من كازاخستان

إن أغلب الأكراد الموجودين اليوم في جمهوريات آسيا الوسطى وخصوصاً في كازاخستان قد انحدروا من منطقة جبال القفقاس (أرمينيا، ومن كردستان الحمراء في أذربيجان، وجورجيا) بعد التهجير القسري الذي تعرضوا له من قبل السلطة الشيوعية الستالينية, وعندما وصلوا إلى كازاخستان تمركزوا في ثلاثة أقاليم، وهي: ألمآتا، جامبو، جمكند، وبتحديد سكنوا في مناطق تراز وريفها، شمكينت وريفها، المأتأ وريفها, كسكيلين, إيسك, زريا فاستوكة, جانا ترمز, كمسمولسكايا, عشقي بولاك, تولكي كورغان...

وقد أشار الدكتور نادر نادريوف إلى أن الشعب الكازاخي استقبل الكرد بالترحاب واللطف، لكنهم كانوا يخافون من السلطة الشيوعية آنذاك، ويشاطره الرأي السيد حسين ساري أصلان الذي يقول بأن الكازاخ المسلمين عاملوا الكرد معاملة حسنة، ومع مرور الزمن أصبحوا أصدقاء لهم وجيران، ويسجل لهم الدور الإنساني في المحافظة حياة الكرد وبقائهم على قيد الحياة، فقد هجر الكرد قسراً في أيام الشتاء ذات البرد القارس، وأخذهم الكازاخ إلى بيوتهم، وهناك بقوا ما بين أعوام (١٩٤٥ -١٩٥٧) لا يستطيعون التحرك من مكان إقامتهم الى أي مكان آخر، إلا بإذن من السلطة الموجودة في المنطقة، وبموافقة عليا من اللجنة الحزبية الشيوعية.

في كازاخستان اليوم تعيش جالية كردية

يقدر عددها بما يزيد عن (٢٢) ألف كردي. ويقدر الدكتور محمد البرازي عددهم الفعلي برقم يتجاوز (١٠٠) ألف نسمة، ولو أجريت إحصاءات دقيقة هناك فسوف يتخطون الرقم السابق، ولكن إحصاءات عام ٢٠١٠م تقدر عددهم بنحو (٤٣) ألف كردي فقط، وسبب ذلك أنهم عندما تم تهجيرهم إلى كازاخستان سجلوا قوميتهم كأذربيجانيين أو أرمن أو أتراك خوفاً على حياتهم من السلطات الروسية، علماً بأن الدولة الكازاخستانية لم يكن لها أي طرف في الموضوع، وليس لها عداوة تاريخية أو سياسية مع الأكراد، وقد صرحت وزارة الداخلية الكازاخستانية عن ذلك، وقالت: بأن الأكراد هم الذين قاموا بتسجيل أنفسم تحت مسميات القوميات الأخرى.

لذلك قامت (جمعية الصداقة الكازاخستانية الكردستانية) على إعادة الهوية القومية لبعض الكرد المسجلين باسم قوميات أخرى، فتم تصحيح الهوية القومية لنحو (٣) آلاف كردي، وهذا العمل تستحق الشكر عليه (٦).

كما يحتل بعض أكراد كازخستان مراكز مرموقة في مفاصل الدولة، فبرز منهم عدة شخصيات في المجال العلمي، ومنحتهم الدولة أوسمة رفيعة تقديراً لما قدموه من خدمات عادت على البلاد بالسمعة الطيبة، والفوائد الجمة. ويقف في مقدمتهم الأكاديمي د. عزيز زيا بدرخان الحائز على جائزة الدولة الذهبية من الدرجة الأول، حيث قلده هذا الوسام رئيس الجمهورية (نور سلطان نزربايف) بتاريخ ٢٧ نيسان عام ٢٠١٢م تقديراً لجهوده التي قدمها لدولة كازاخستان (٧).

العشائر الكردية في كازاخستان:

توجد عدة عشائر كردية في كازاخستان, منها: عشيرة بروكه، وتنقسم إلى قسمين: الأولى، بشكه، وأغلب أبناء هذه العشيرة متعلمون ويحملون الشهادات العليا مثل الأكاديمي د.نادير كريموفيج ناديروف العالم النفطي المعروف، والحائز على الجوائز العالمية. والثانية، قركه، وأبناء هذه العشيرة نسبة التعليم بينهم قليلة، ولا يوجد بينهم أسماء معروفة، ويسمونهم أكراد القفقاس، وهناك عشيرة الجلاليه, ومرتفه, وميليه, والإيزيديون. ويسكن الكرد في الأرياف والمدن، ولكن الأغلبية تسكن في مناطق :ألماتا، وشمكينت، وتراز، وأريف.

تقول الأمهات الكرديات هناك:«أينما كنا لم ننس عاداتنا و تقاليدنا». وللأسف فإن أغلب النساء الكرديات هناك أميات, وتوجد نسبة محددة بينهن ممن أكملن دراستهن, حيث يتزوجن وهن في ريعان الصبا، ولذلك لم يستطعن إكمال دراستهن. ولباس المرأة الكردية في كازاخستان ينقسم إلى قسمين: جيل الشابات ويلبس الشكل الحضري، أما المسنّات فيلبسن الكوفي، ويزينّها بالفضة والخفتان الكردي، وهذا اللباس يذكرنا بلباس نساء أكراد سورية لا سيّما في منطقة

(كوباني)، إذ إن النساء هناك يلبسن اللباس نفسه، فالكوفي غير موجود في كردستان العراق وإيـران وتركيا, لكنه موجود في سورية.

الزواج عند أكراد كازاخستان يكون في سن مبكرة، فالبنات يتزوجون في سن الثامنة عشرة أو العشرين, وأغلب الـزواج يكون متفقاً عليها مسبقاً من قبل الأب والأم، فيخطِبون، والأولاد يوافقون، ولا يجوز أن يرفض طلب الأهل، ويتزوجن من الأقرباء أي من ابن العم، علماً أن زواج الأقرباء كان ممنوعاً في زمن الشيوعية .وعلى العموم فأن أكـراد كازاخستان لا يزالوا الى اليوم محافظين على اللغة والـعـادات والتقاليد الكردية، بالرغم من ابتعادهم عن الوطن والأقرباء في القفقاس وكردستان الكبرى(٨). وهم يتعاملون بشكل جيد مع الأذريـين والأتراك المحليين والأرمن. و يكتبون الآن بالكردية اللاتينية. وأغلبهم يجيدون اللغات الأرمنية أو الأذربيجانية أو الروسية. ومعروفين من قبل الجميع، وهناك الكثير منهم من يعمل في الجامعات، والمـدارس، ومنهم: الأطباء، ورجال الأعمال. كما يعمل بعضهم في التجارة، والمقاولات، والتدريس، والرعي والزراعة.

مـن الأدبـــاء والـشـعـراء الـكـرد في كازاخستان:

يوجد عدد لا بأس به من الأدباء والشعراء الكرد في كازاخستان، مثل:الشاعر والكاتب حسن حجي سليمان، وهـو أيضاً رئيس تحـريـر جـريـدة (جينا كــرد). والشاعر مجيد سليمان، صاحب قصيدة:"ولاتي مه كردستانه، جيي مه سكه ني مه كردانه، ولات كانيا زيـرانـه كـرد هه مو برانه". التي تغنيها الفنانة الكردستانية المشهورة (كلستان برور).

وهناك الكاتب كنياز إبراهيم، والدكتور نادر كريموفيج نادروف مؤلف كتاب «نحن كرد كازاخستان»، ويعكف على تأليف كتاب« أكراد العالم»، وله مقالات عن الملا مصطفى البرزاني باللغة الروسية، ومؤلفات تدرَّس اليوم في أمريكا ومعظم الدول الأوربية، وفي روسيا، وكازاخستان. وهناك الكاتب والناقد والشاعر علي عبد الرحمن. وله العديد من المؤلفات (٩).

الجمعيات الكردية في كازاخستان:

في عـام ١٩٩٢م تشكل اتحـاد الجمعيات في كازاخستان، وتأسست الجمعية الكردية في عـام ١٩٩٣م باسم (يه ك بـون)، واختير المؤسس د. عزيز زيا بدرخان عالييف أول رئيس للجمعية من عام (١٩٩٣ -١٩٩٥م)، وتلاه السيد بدر الموسى (١٩٩٥-١٩٩٧م)، ثم تلاه البروفيسور كنياز إبراهيم ميرزايف عـام ١٩٩٧م، ثم الأكـاديمـي الدكتور نادر كريموفيج نادروف (١٩٩٧-٢٠٠٣م)، ثم عاد السيد كنياز إبراهيم مـيرزايف لرئاسة الجمعية مرة أخـرى، ويحتل السيد زاهر عفدي مسؤولية العلاقات الخارجية لهذه الجمعية.

ولـدى اتحـاد الجمعيات الـكـرديـة فـروع

عديدة؛ في كل من مدن: شمكينت, و تاكي كورغان, وكركندي, وألمآتا. ولدى هذه الفروع فرق موسيقية؛ مثل: فرقة كردستان الموسيقية، ومقرها في كسكيلين. وفرقة ميديا الموسيقية، ومقرها في جانا ترمز. وفرقة ميديا الموسيقية، ومقرها في شمكينت. وفرقة الدبكات الكردية. وفرقة الفلكلور الكردي للأطفال.

وقد شاركت هذه الجمعية في متحف إتحاد الجمعيات الكازاخستانية، وحصلت على قسم في المتحف تحت اسم (الجناح الكردي)، كما شاركت أيضاً في الأندية الرياضية في اتحاد الجمعيات الكازاخستانية، وحصل فريق كردستان على المركز الثالث، وقامت الجمعية بفتح قسم لتدريس اللغة الكردية في مدرسة الأحد، وحصل مدرسو اللغة الكردية على الجوائز الفخرية، وطبعت كتب باللغة الكردية بالأحرف اللاتينية من أجل تدريسها في المدارس الكردية، وهذه الجمعية تحتفل بالأعياد القومية، مثل: عيد المرأة، وعيد نوروز، وتشارك في الأعياد الوطنية والقومية الكازاخستانية. كما أن اتحاد الجمعيات الكردية في كازاخستان يصدر جريدة فصلية بعنوان: (جينا كرد)، ومجلة (نوبار).



رئيس جمهورية كازاخستان يقلد رئيس جمعية «بربانك» الكردية (كنياز إبراهيم) الميدالية الذهبية

وقد عقدت جمعية شعوب كازاخستان (إيه بي كيه) جلستها السادس عشرة في شهر تشرين الثاني من عام ٢٠١٠م، وتضمن جدول أعمالها توطيد الثقة والشفافية ومبدأ التسامح. وفي هذا الإطار تم تكريم رئيس جمعية كرد كازاخستان (باربانك) السيد كنياز إبراهيم من قبل رئيس جمهورية كازاخستان (سلطان نزار بابيف)، حيث قلده الميدالية الذهبية تكريماً لجهوده في أنشطة الجمعيات الوطنية والثقافية، وتفعيل سياسة الديمقراطية الجارية في البلاد (١٠).

جمعية الصداقة الكازخستانية الكردستانية (هيفي):

أسست (جمعية الصداقة الكازاخستانية الكردستانية (هيفي = الأمل)) لتكون الممثلة الشرعية لإقليم كردستان العراق الفيدرالي في دولة كازاخستان؛ وهي جمعية ثقافية مستقلة، قام بتأسيسها الدكتور محمد احمد برازي ممثل وزارة الثقافة لإقليم كردستان في الجمعية، وبلغ عدد أعضائها ١١ عضواً من الكرد والباقون من القوميات الأخرى في كازاخستان. وتعمل الجمعية على تعريف شعوب أسيا الوسطى وتحديداً كازاخستان على القضية الكردية العادلة، والتاريخ الكردي العريق، واللغة الكردية، والثقافة والعادات والتقاليد الكردية من خلال عقد دورات ثقافية، وتوعية قومية وثقافية بين جيل الشباب الكردي في أرجاء كازاخستان، وقد أخذت الجمعية الموافقة على تدريس اللغة الكردية في المدارس التي يتواجد فيها أعداد من الكرد يزيد عن ١٣ تلميذاً. ولكن المشكلة هي الافتقار الى مدرسي اللغة الكردية، وهي بصدد إصدار جريدة أسبوعية ومجلة شهرية.

كما قامت بالعديد من النشاطات، ففي يوم ١٨ /١١/٢٠١٠م قامت بأحياء ذكرى مرور ثلاثة وسبعين عاماً وستة وستين عاماً على الهجرات القسرية للكرد السوفيت، وخمسين عاماً على إحراق سينما عامودا في كردستان سوريا. وقد دعت العديد من الشخصيات الهامة في جمهورية كازاخستان بمناسبة هذه الذكرى الأليمة. وتحدث فيها الدكتور ناديروف وقال: "لقد كانت أياماً صعبة لنا ككرد. هُجرنا قسراً، في عز الشتاء، وكان النقل بواسطة السكك الحديدية؛ حيث سفرونا مع الحيوانات، ومات الكثير من كبيري السن والأطفال والمرضى، والذي بقي حياً لازمته الأمراض إلى أمد طويل...".

كما أبدى د.عزيز زيا عالييف عن استغرابه حتى هذه اللحظة عن سبب هجرة الكرد ومن ضمنهم عائلته، وقال:"لقد كان والدي وأعمامي في الجبهة الأمامية يقاتلون الألمان عندما هجرونا من أرضنا، لم نخن الدولة، أو لم يحتلنا الألمان حتى يظن بنا أننا تعاونا مع العدو، فنحن في الجبهة نقاتل، وفي مناطق بعيدة عنها، يُهجر شعب عنوة دون أي ذنب اقترفه...؟!!!".

ومن نشاطات الجمعية الأخرى دعوة الوفد

الكردستاني بشكل رسمي إلى كازاخستان، حيث تم استقبالهم من قبل محافظة الماتا ووزارة الخارجية ووزارة الثقافة في كازاخستان. وقد زار الوفد برئاسة السيد مقداد علي ويسي منطقة توليبي وجمبول، واتفقوا على تبادل العلاقات عن طريق جمعية هيفي. وتضمن البرنامج الداخلي لها بأنها تستطيع دعوة جميع المثقفين الكرد من الخارج كي يقيموا محاضرات في التاريخ والثقافة وكل شيء يتعلق بثقافة الشعب الكردي.

وقد رحب بالوفد الزائر مدراء المناطق والمحافظين، ورئيسة اتحاد الفدراسونات، وممثلو الحزب الحاكم، وجمع غفير من كرد كازاخستان. وركزوا على أن الجهود ستبذل من أجل ترسيخ أواصر الصداقة بين الشعبين الكردي والكازاخي،وأبلغ رئيس الوفد تحيات رئيس الإقليم السيد مسعود البارزاني، وتحيات شعب كردستان العراق، وتطرق إلى الإنجازات التي حصلت في الإقليم على المستوى الاقتصادي والعمراني والتعليمي، وتوصل الجانبان إلى عدة اتفاقيات، وبحثت القضايا المشتركة بين الجانبين. ثم غادر الوفد الزائر مطار شيمكينت الدولي في ٢٠١١/٧/٩م عائداً الى بلاده (١١).

وقد تمكنت هذه الجمعية أيضاً من لم شمل أكراد كازاخستان عندما سافر رئيسها د. محمد البرازي إلى المحافظات التي يتواجد فيها الكرد كمحافظة شمكينت و تراز، وهناك أجتمع بهم، ورأى أنهم متعطشون على مساعدته ومشاركته بكل همة في النشاطات والفعاليات، وقد وعدهم بأنه سيعمل بكل جدية، وسيبدأ مع الأطفال بتعليمهم اللغة الكردية. والآن يشاركونه بالعمل في كل قرية ومدينة، وبينهما اتصالات متواصلة، والوضع يتجه نحو الأفضل... (١٢).

أعلام كردية من كازاخستان:



الدكتور نادر كريموفيج نادريروف
(١٣٥٠هـ - = ١٩٣٢م-)

البروفيسور الدكتور نادر كريموفيج نادیروف: أكاديمي، عالم في مجال النفط، ونائب رئيس أكاديمية الهندسة، وعضو أكاديمية العلوم في جمهورية كازاخستان.

ولد في جمهورية كازاخستان عام ١٩٣٢م، ويرجع أصل أجداده إلى جهات (وان) في كردستان تركيا، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م نزح هرباً من الظلم التركي إلى الإتحاد السوفييتي السابق، وسكن في منطقة (نقشيوان) و(كرباخ) التي سميت فيما بعد بإقليم (كردستان الحمراء)، وفي عهد الدكتاتور (ستالين) ألغى هذا الإقليم من الوجود ١٩٢٩م، وحارب الكرد بشكل وحشي وبلا سبب مبرر، فقام عام ١٩٣٧م بتهجير سكانه الأكراد من نقشيوان وجمهوريات جورجيا، وأذربيجان، وأرمينيا إلى جمهوريات آسيا الوسطى، وكان مع هذه الهجرة القسرية في ذلك الوقت الطفل (نادر) ذو الخمس سنوات، حيث حشر مع الأكراد في عربات القطارات المخصصة للمواشي، ورموا بهم في قفاري آسيا الوسطى وسيبيريا، وقد مات الكثير منهم على الطريق من شدة البرد والجوع والمرض، ومن كتب له النجاة رموا في صحراء كازاخستان القاحلة، وسكنوا في الخيام، وكان الثلج كثيفاً يغطي الأرض، وفي الربيع استدعت السلطات الروسية شباب الأكراد الذين بلغوا الخامسة والعشرين من العمر فما فوق بحجة إيجاد عمل لهم، ولم يعودوا الى أهلهم بعد ذلك الوقت... وعندما انهار الاتحاد السوفييتي، عرف بأن الحكومة الشيوعية قتلتهم ودفنتهم في مقبرة جماعية بالقرب من مدينة شمكينت في جنوب كازاخستان.

لقد كان المجرم (ستالين) يحارب الأكراد لسببين:الأول، لأنه كان يعتقد بأن الشعب الكردي يتجسس لصالح الأتراك وإيران. والثاني، كان يكره كل من ينتمي إلى العرق الآري، لأن هتلر كان من هذا العرق، وكذلك الكرد.

يشغل اليوم منصب النائب الأول لرئيس أكاديمية الهندسة الوطنية، وعضوية الهيئة العليا والمستشار الأول في أكاديمية الهندسة الوطنية في كازاخستان. وكذلك عضو أكاديمي في الهندسة الدولية، ويعد من أبرز العلماء في مجال النفط، وله العديد من المؤلفات حول النفط، كما تدرس كتبه في الجامعات الأمريكية، والألمانية، والروسية الفيدرالية، وكازاخستان. ولديه أكثر من ثماني عشرة مخطوطة حول النفط، وشغل رئاسة الجمعية الكردية في كازاخستان بين أعوام (١٩٩٧ -٢٠٠٣م).

ألف الكثير من الكتب حول تاريخ الأكراد، منها كتاب: (أكراد كازاخستان)، ويعكف على تأليف كتاب بعنوان: (أكراد العالم)، كما نشر مقالات عن الملا مصطفى البارزاني باللغة الروسية.

يقول الدكتور نادروف بأنه مستعد لتقديم خبراته في مجال النفط إلى وطنه كردستان كهدية، وله علاقات طيبة مع الحكومة الكازاخستانية، تلك الجمهورية التي تعترف بأكرادها وتحترمهم، ولهم فيها جمعية تحافظ على أواصر العادات والثقافة الكردية، تلك العادات والتقاليد واللغة الكردية التي حافظ عليها أكراد كازخستان (١٣).



الدكتور عزيز زيا بدرخان عالييف
(١٣٧٠هـ - = ١٩٥٠م-)

الدكتور عزيز زيا بدرخان عالييف: أكاديمي ورجل أعمال. من مواليد جمهورية كازاخستان في ضاحية جمبول. درس الابتدائية والمتوسطة في مدينة ألماتا، وأكمل دراسته الجامعية في كلية الاقتصاد بامتياز، وخلال الحقبة السوفيتية شغل عدة مناصب مهمة، وبعد استقلال كازاخستان عمل مديرا عاماً لشركة سييلك سيتي كومباني، وشغل منصب رئيس الفدراسيون الكردي (يكبون) بين أعوام ١٩٩٣-١٩٩٧م. وحصل على عدة جوائز منها جائزة حرمات.

حالياً لديه شركة خاصة يترأس إدارتها، وله صلات قوية مع الكرد في أجزاء كردستان الأربعة، بالإضافة إلى علاقاته مع الشخصيات الكردية داخل كردستان وخارجها.

وأخيراً حاز هذا الأكاديمي عزيز زيا بدرخان على جائزة الدولة الذهبية من الدرجة الأولى في ٢٧ نيسان من هذا العام ٢٠١٢م. وقد قلده هذا الوسام رئيس الجمهورية نور سلطان نزربايف بنفسه في الأول من شهر أيار/ مايو ٢٠١٢م تقديراً لجهوده التي قدمها لدولة كازاخستان (١٤).

---

(١) المصدر: من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (بتصرف واختصار).

(٢) د. محمد احمد برازي، مقابلة مع البروفيسور: نادر كريموفيج ناديروف.، موقع سما كرد الالكتروني.

(٣) موقع سما كرد: الهجرة القسرية الكورد السوفيت،محمد أحمد برازي،٢٨ تشرين الثاني، ٢٠٠٩م.

(٤) ساري حسين أصلان: بطل كردي من زمن السوفيت حارب النازية – حاوره : د.محمد احمد برازي: كازاخستان \ الماتا، ٣٠ آذار، ٢٠٠٩ ، منشور على موقع سما كرد.

(٥) أجرى اللقاء محمد احمد برازي، لقاء زاهر عفدي مسؤول العلاقات الخارجية في الجمعية الكردية في كازاخستان، موقع سما كرد –(الماتا)، تاريخ (٢٠٠٦/٨/١٤). المهندس

زاهر عفدي: ولد عام ١٩٥٠، ودرس في يريفان حتى مرحلة المتوسطة، وأكمل الجامعة في قرقيزيا ـ قسم الهندسة الميكانيكية، وبعد التخرج عمل في يريفان لمدة ١٨ سنة، بمنصب نائب المدير العام، وكان له نضال وطني من اجل المطالبة بحقوق الكرد المهضومة والعمل على استرجاع كردستان الحمراء من قبل الاتحاد

السوفييتي السابق، وبقي في منصبه حتى سقوط الشيوعية، وهو اليوم يعيش في كازاخستان.

(٦) إحسان ايراواني: على موقع (aknews.com) ١٤٣٣/٤/٢٤هـ

(٧) إحسان ايراواني: على موقع (aknews.com) ١٤٣٣/٤/٢٤هـ

(٨) د. محمد احمد برازي، مقابلة مع البروفيسور: نادر كريموفيج ناديروف،، موقع سما كرد الالكتروني. السيرة الذاتية للبروفيسور الكردي الكازاخستاني نادر كريموفيج نادريروف: عالم نفطي. وهو النائب الأول لرئيس أكاديمية الهندسة الوطنية، وعضو الهيئة العليا والمستشار الأول في أكاديمية الهندسة الوطنية في كازاخستان، وعضو أكاديمي في الهندسة الدولية، وله العديد من المؤلفات حول النفط, وتدرس كتبه في الجامعات الأمريكية والألمانية, والروسية الفيدرالية, وكازاخستان، وله أكثر من ثماني عشرة مخطوطة، حول النفط، وله عديد من الجوائز، وله جائزة باسمه في كازاخستان وهي "جائزة ناديروف" تمنح كل سنة خمس جوائز في مجال العلوم و النفط و الكيمياء.كما رئس الجمعية الكردية في كازاخستان من عام ١٩٩٧ -٢٠٠٣م.

(٩) مقال كتبه د. محمد احمد البرازي بعنوان: "الكرد خارج كردستان/ الحلقة (٧)، نظرة على الكرد في كازاخستان"، تاريخ ٢٠٠٧/٠٧/٢٦، منشور على عدة مواقع كردية اكتر ونية منا: موقع سما كرد، وموقع عامودا. ومقابلة مع البروفيسور: نادر كريموفيج ناديروف في موقع: سما كرد الإلكتروني

(١٠) عن موقع: PUKmedia، تاريخ ١٥ تشرين الثاني ٢٠١٠م

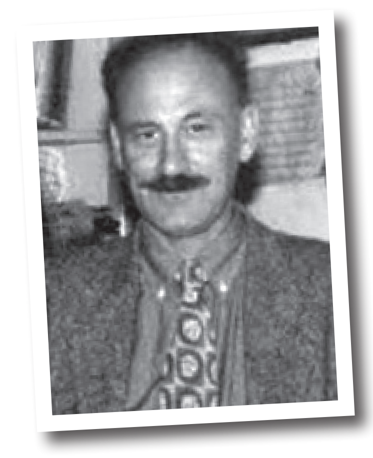
(١١) هيئة هيفي الإعلامية، آلماتا –كازاخستان، بتاريخ ١٢-٠٧-٢٠١١(١٢) جمعية هيفي في كازاخستان.. أمل لكرد آسيا الوسطى، أجرى الحوار: بدل رفو المزوري/ كازاخستان، خاص بجريدة التآخي.العدد ٥٥٣٥ من تاريخ ٢٠٠٩/٣/٨ الى ٢٠٠٩/٣/١٤، نشر على موقع سما كرد. الدكتور محمد أحمد برازي: أحد المناضلين الكرد، درس في قرية جقل ويران التابعة لمنطقة كوباني في كردستان سوريا. أكمل دراسته الثانوية في جرابلس، انتسب الى الحزب الشيوعي ، ثم تركه عام ١٩٨٨م، وسافر الى الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي، تخرج طبيباً من جامعة طشقند الحكومية اختصاص في مجال الإمراض النسائية، ومن ثم تابع عمله السياسي والاجتماعي والثقافي.عمل كصحفي مع راديو زاغروس، والجريدة الالكترونية به يامنير، وهو ممثل سما كورد في أسيا الوسطى، ومسؤول العلاقات الخارجية في الفيدراسيون الكردي في قرقيزيا منذ عام ٢٠٠٦، وممثل وزارة الثقافة لإقليم كردستان في كازاخستان، ورئيس جمعية الصداقة الكازاخستانية الكردستانية (هيفي). وعضو لجنة حقوق الإنسان الكردستانية- الكندية، وعضو جمعية شباب يورو أسيا

(١٢) نقل بتصرف عن موقع: سما كرد ألإلكتروني

(١٣) رئيس كازاخستان يقلد الوسام الذهبي من الدرجة الأولى للأكاديمي الكردي عزيز زيا بدرخان عاليف، د. محمد أحمد برازي.

Bottom of Form

إيجاد لغة كوردية موحدة



بقلم: د. مهدي كاكه يي

إن كوردستان كانت مهد الحضارات و إبتكار الكتابة و الأرقـام. الحضـارات السومرية و الإيلامية و الميدية و الساسانية التي أقامها أسـلاف الـكورد، تشهد على عراقة الشعب الكوردي و مساهمته الكبيرة في بناء صرح الإنسانية على كوكبنا الأرضي. اللغة التي هي وسيلة التفاهم و التواصل الإنساني، بدورها تم تطويرها منذ آلاف السنين من قِبل أسلاف الكورد و حصلت فيها تغييرات كبيرة عبر التأريخ نتيجة تطوّر حياة الإنسان و الظروف التي عاشها أسلاف الكورد و وطنهم من غزوات و حروب و إحتلال و إنتصارات و هزائم و هجرات و جوع و مرض و مدى توفر مصادر العيش من مياه و صيد و زراعة.

مع تطور اللغة، تطورت الكتابة بدورها لتواكب التطور الـذي شهدته اللغة. منذ سقوط الدولة الميدية الكوردية في عام ٥٦٠ قبل الميلاد، أي منذ حوالي ٢٦ قرناً لم يتم تأسيس دولة كوردستانية تضم كافة أنحاء كوردستان، رغم أنها ظهرت خلال هذه الفترة دول و إمارات كوردية عديدة، إلا أنها لم يمتد حُكم أي منها الى كامل الرقعة الجغرافية لكوردستان. كما أنه تم إحتلال كوردستان و تقسيمها بين عدة دول التي فيها إستلم الحكم أُناس عنصريون و شموليون حاولوا بمختلف

الوسائل أن يُبيدوا الشعب الكوردي و يقضوا على معالم و آثار وجود هذا الشعب الذي هو أحد أعرق شعوب العالم، لسرقة وطنه و نهب خيرات بلاده. كما هو معروف فأن اللغة هي إحدى أهم معالم شعبٍ ما، و لذلك حاول و يحاول محتلو كوردستانَ و السياسيون و الكُتّاب العنصريون طمس و تشويه التأريخ الكوردي و إظهار الشعب الكوردي و كأنه شعب طارئ على المنطقة و بلا تأريخ و يفتقر الى اللغة.

إن ظهور العولمة و التقدم الهائل في وسائل الإتصالات و المعلومات عن طريق الإنترنت و الفضائيات و الموبايل و غيرها و بروز معالم نظام عالمي جديد و بدء الشعوب المقهورة و المسلوبة الإرادة بالإنتفاضة و الثورة على المحتلين و على الحكومات العنصرية و الشمولية البدائية المتخلفة و التغييرات التي حصلت و تحصل في منطقة الشرق الأوسط و في جنوب غرب آسيا و خاصة في الدول المحتلة لكوردستان و إنهيار صرح هذه الحكومات العنصرية المتخلفة و تأسيس إقليم شبه مستقل في جنوب كوردستان، كل هذه التطورات الإيجابية لشعب كوردستان ساعدت و تساعد على إكتشاف معالم حضارة الشعب الكوردي و عراقته و إمتداد جذور وجوده في وطنه منذ بدء الخليقة. هكذا بدأ يظهر التأريخ العريق للشعب الكوردي و تنكشف محاولات العنصريين في تزييف حقائق التأريخ الكوردي و عراقة حضارته و لغته. لذلك إرتأيتُ أن أكتب نبذة مختصرة عن تأريخ اللغة الكوردية بعد ظهور معلومات جديدة في هذا المجال لتبيان دجل و أكاذيب العنصريين الذين يتناولون الحضارة و اللغة الكوردية و لوضع هذه المعلومات التأريخية في متناول الكورد الذين يجهلونها و يتساءلون عن تأريخ لغة شعبهم و عُمق جذورها التأريخية.

إستعمل أسلاف الكورد، السومريون (صور رقم ١-٣) و الإيلاميون (صور رقم ٤-٥) و الميديون (صورة رقم ٦) الكتابة المسمارية التي هي نوع من الكتابة التي كانت يتم نقشها على ألواح الطين و الحجر و الشمع و المعادن و غيرها و التي كانت مُستعملةً من قِبل الشعوب القديمة في جنوب غرب آسيا. اللغة الكوردية هي أيضاً إمتداد للغة الميتانية، حيث أن تدوين لوحات ملوك الأشوريين تم باللغة الكوردية القديمة التي معظم مفرداتها لا تزال باقية في اللغة الكوردية الحالية. كما أن الكورد هم أصحاب التراث اللغوي والتأريخي لسكان المنطقة.

المفكر الكوردستاني مسعود محمد يتوصل في بحثه المنشور في كتابه المعنون «لسان الكُرد» الصادر في عام ١٩٨٧، الى أن الكتاب المقدس للديانة الزردشتية، الأڤيستا، مكتوبة بلغة كوردية قديمة، حيث أن اللهجة الموكريانية هي نفسها لغة الأڤيستا و لا يزال الموكريانيون في شرق كوردستان محافظين على لُغة الأڤيستا و يتكلمون بها. كان الميديون يستعملون الخط المسماري في الكتابة و أحياناً الخط الهيروغليفي الذي تغيّر شكله نسبياً بعد أن أصبحت الزردشتية الدين الرسمي للبلاد، إذ تم إستخدام حروف مشابهة للمسمارية في كتابة « الأڤيستا»، و التي تُسمَى «اللغة والكتابة الأڤيستيه» (صورة رقم ٦). اللغة البهلويه كانت اللغة الرسمية للدولة الساسانية و التي

كتابتها عبارة عن كتابة مقطعية مأخوذة من الأبجدية الآرامية (صورة رقم ٧)، حيث أن اللغة الكوردية هي وريثة اللغة البهلويه.
كان للكورد قبل الإحتلال العربي الإسلامي لكوردستان، أبجدية خاصة بهم للكتابة (صورة رقم ٨)، حيث نشر الباحث في الدراسات التأريخية واللغوية الشرقية الأستاذ محمد روني المراني مقالاً مهماً عن الأبجدية الكوردية المستعملة قبل الإحتلال العربي الإسلامي لكوردستان، معززاً بالحروف الكوردية التي كانت تُستعمَل في الكتابة آنذاك (يمكن ملاحظة الرابط رقم ١). يذكر في مقاله بأن إبن وحشية قبل أكثر من ألف و مائة سنة، نشر كتابه المعنون «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» (أحتفظ بنسخة إلكترونية من هذا الكتاب)، حيث يذكر إبن وحشية في كتابه المذكور الحروف الكوردية القديمة المستعملة من قِبل الكورد. الكتاب مطبوع في أوربا قبل قرنين من الزمن وأن نسخة المخطوطة ترجع إلى أكثر من عشرة قرون.
إبن وحشية هو أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن حرثيا و المعروف بالصوفي وهو كلدانيّ الأصل، عالمٌ بالكيمياء و اللغة و الزراعة، لا يُعرف له تأريخ ميلاد و يرجّح أنه توفي في أواخر القرن الثالث الهجري – العاشر الميلادي. كان يعيش في «قسين» التي كانت كورة من مدينة الكوفة الحالية. أورد إبن النديم أسماء كثير من مؤلفاته. من كُتبه الأخرى وترجماته: غاية الأمل في علوم الرياضيات، الفوائد العشرون في الكيمياء، الإشارات في السحر، الأصنام، الحياة و الموت في علاج الأمراض، كتاب الطبيعة، كتاب الفلاحة النبطية (مخطوط) ترجمه عن الكلدانية في سنة ٢٩١هـ، و كتاب في إصلاح الكروم والنخيل (مخطوط) ترجمه عن الكوردية في دمشق.
في هذا الكتاب يعنون إبن وحشية الباب السابع من كتابه في صفحة ٦٧ كالآتي: «الباب السابع من شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام في ذكر أقلام الملوك التي تقدمت من ملوك السريان والهرامسة والفراعنة والكنعانيين والكلدانيين والنبط والأكراد والكسدانيين والفرس والقبط» (يستعمل إبن وحشية عبارة «رموز القلم» للدلالة على «حروف الكتابة»). كما أنه يكتب في صفحة ١٣١ ما يلي: «و أما الكلدانيين فكانوا أعلم الناس في زمانهم بالعلوم و المعارف و الحُكم و الصنايع، و كان الأكراد يريدون مناظرتهم و مماثلتهم». يستنتج المرء من هذا القول بأن الكورد كانوا أهل العلم و المعرفة، حيث أنهم كانوا ينافسون الكلدانيين في هذا المجال. يستطرد إبن وحشية في حديثه في نفس الصفحة قائلاً: «و إنما كانت براعة الأكراد الأول في صناعة الفلاحة وخواص النبات ويدعون أنهم من أولاد بينوشاد، وقد وصل إليهم سفر الفلاحة لآدم عليه السلام». يقول إبن وحشية في كتابه عن الكتابة الكوردية ما يلي: «وهو من الأقلام العجيبة والرسوم الغريبة، وقد رأيت في بغداد في ناووس من هذا الخط نحو ثلاثين كتاباً، وكان عندي منها بالشام كتابَين: كتاب في إفلاح الكرم والنخيل، و كتاب في علل المياه و كيفية استخراجها من الأراضي المجهولة،

فترجمتُها من لسان الأكراد إلى اللسان العربي لينتفع به أبناء البشر». يقول ابن وحشية في نهاية كتابه المذكور ما يلي: «صفة قلم آخر من الأقلام القديمة وفيه حروف زائدة عن القواعد الحرفية، تدّعي الأكراد وتزعم أنه القلم الذي كتب به بينوشاد وماسي التوراتي جميع علومهما وفنونهما وكُتُبهما».

هكذا نرى بأن القراءة و الكتابة والصحافة كانت منتشرة في كوردستان منذ القدم، نظراً لكون الكورد أحد أعرق شعوب الأرض و لكون كوردستان مهد الحضارة البشرية الثانية. كانت اللغة الكوردية هي اللغة المستعملة من قِبل سكان المنطقة المحصورة بين منابع نهري دجلة و الفرات و الخليج، (كوردستان)، حيث كانوا يتكلمون و يكتبون بها. اللغة الكوردية كانت اللغة الرسمية الوحيدة في بلاد ما بين النهرين و كانت دفاتر ودواوين دار بكاملها تُدار من قِبل الكورد في هذه البلاد. العملة النقدية كانت أيضاً مسكوكة باللغة الكوردية في كوردستان، وفي كل المناطق الناطقة بالكوردية. إن جميع الكتب الفارسية التي ظهرت في العصر الإسلامي قد تمت ترجمتها من الكتب الكوردية التي تعود الى العهد الساساني، حيث أنّ اللغة البهلويه (الكوردية) كانت اللغة الرسمية للدولة الساسانية.

الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان كان من أكثر الخلفاء الأمويين تمسكاً بالتعصب العربي العنصري، حيث طبّق سياسة التعريب في مجالات عديدة. لقد منع بن مروان التعامل بالعملة الرومية التي كانت متداولة آنذاك و إستعاض عنها بسكة عربية. كما منع إستعمال اللغة البهلويه في الدواوين و الشؤون الرسمية الادارية فقام بتعريب الجهاز الحكومي الإسلامي في زمن أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (٦٦٠ - ٧١٤ م)، وهو كان سياسياً و قائداً عسكرياً أموياً. حينذاك كان العراق يشتمل على عراقَين، عراق العرب وعراق العجم. كانت جميع الدواوين الرسمية بإدارة رجل كوردي إسمه (زادان مه رروخ). تمت ترجمة جميع الدفاتر وأمور الدولة من اللغة الكوردية إلى اللغة العربية في زمن الحجاج الثقفي و بأمر منه. كانت اللغة الكوردية وأبجديتها متداولة حتى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي دون إنقطاع و كانت الأبجدية الكوردية تُستعمل حتى أواخر عصر الخلفاء العباسيين. بعد أن ألغى الحجاج اللغة الكوردية كلغة رسمية لبلاد ما بين النهرين و إستبدلها باللغة العربية، بقيت اللغة الكوردية وأبجديتها مستعملة على نطاق ضيق وبشكل سري (لمزيد من المعلومات حول تأريخ اللغة الكوردية يمكن مراجعة كتاب الأستاذ كيو موكريانى المعنون « فرهگنى مهاباد»، چاپى يەكەمين – هەولێر- چابخانەى كوردستان، ١٩٦١ و كتاب «مێژووى كورد و كوردستان» للكاتب محمد مردوخي كوردستانى، ترجمة السيد عبدالكريم محمد سعيد، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٩١).

رغم الظلم التأريخي الذي تعرضت له الأمة الكوردية على مدى حوالي ٢٦ قرناً، أي منذ سقوط الإمبراطورية الميدية في عام ٥٦٠ قبل الميلاد، حيث لم تستطع هذه الأمة أن تؤسس دولة خاصة بها، فأنها صمدت بوجه الغزوات و الإحتلال و الإبادة و التعريب و التفريس و

التتريك و لم تستسلم لإرادة المحتلين و بذلك إستطاعت أن تحافظ على وجودها كأمة نظراً لعراقتها و إمتداد جذورها التأريخية في أعماق كوردستان. هكذا بالنسبة للغة الكوردية، فأنها واصلت تطورها و تقدمها رغم إفتقاد الشعب الكوردي لكيان سياسي يقوم بتطوير هذه اللغة و الحفاظ على ديمومتها. إختارت المجلة الفرنسية (Le Françaıs dans le mond) المختصة باللغات في عام ٢٠٠٨ في عددها ٣٥٥، اللغة الكوردية كلُغةٍ حيّة من ضمن ٨٨ لغة في العالم، حيث جاءت اللغة الكوردية في هذا التقييم في المرتبة ٣١ من بين اللغات العالمية الحيّة، بينما جاءت لغات شعوب لها كيانات سياسية مستقلة مثل اللغة البيلاروسية و الرومانية و الهندية و البلغارية و الفارسية و الصربية و الآذرية و اللغة الفيتنامية و الأزبكية و البشتو الأفغانية بعد اللغة الكوردية في المرتبة ٣٢ و ٣٤ و ٣٧ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٧ و ٥٤ و ٥٦ و ٥٨ على التوالي (لاحظ الرابط رقم ٢).

كانت كوردستان مهد الحضارات و الكتابة و اللغات، لذلك فأن اللغة الكوردية هي لغة ثرية جداً و كل ما يحتاجه اللغويون الكورد هو جمع شتات اللهجات الكوردية و إجراء مسوحات ميدانية، و خاصة في المناطق النائية المحتفظة بمفرداتها الكوردية الأصيلة و الإستفادة من (آفيستا) التي تحمل في طياتها مفردات كوردية عريقة و الإستعانة بكتب الديانات الكوردية القديمة الأخرى، مثل الديانة الإيزيدية و الكاكائية التي تُعتبر من المصادر الأصيلة للمفردات الكوردية و البحث في ثنايا الوثائق و الكتب الكوردية القديمة و الكتابات الكوردية في معالم الآثار التي تنتشر بشكل كبير في أرجاء كوردستان، بدلاً من محاولة تعريب و تتريك و تفريس اللغة الكوردية و إدخال مفردات و أصوات أجنبية غريبة على اللغة الكوردية و الذي يؤدي الى تشويه لغتنا الجميلة. يجب أن لا ننسى بأن اللغة الكوردية هي من أعرق اللغات في العالم و أن جميع اللغات الهندو- أوروبية و بدون إستثناء، متأثرة بها و إستعارت منها الآلاف من الكلمات و أنّ الباحثيين اللغويين الكورد مدعوون لإجراء دراسات و بحوث لمعرفة تأثير اللغة الكوردية على اللغات الهندو- أوروبية و لغات الشعوب الجارة للكورد من عرب و أتراك و فرس.

الكورد بحاجة الى البحث عن كلمات كوردية أصيلة في كافة اللهجات الكوردية، من لورية و كرمانجية شمالية و جنوبية و هورامية لإثراء اللغة الكوردية و تخليصها من مفردات أجنبية و أصوات غير موجودة في اللغة الكوردية مثل حروف ال(ع) و ال(غ) و ال(ح). لو نعود قليلاً الى تصفح التأريخ الكوردي القديم، لنرى أن قمم جبل جودي في شمال كوردستان كانت مهد الحضارة البشرية الثانية و أن جميع الحضارات الكوردية العريقة ظهرت في لورستان و إيلام و بلاد ما بين النهرين، بدءً من الحضارة السومرية و مروراً بالحضارات الإيلامية (العيلامية) و الميدية و إنتهاءً بالإمبراطورية الساسانية. من عراقة الحضارات الكوردية، ندرك أن أرض كوردستان، المناطق السهلية المنبسطة منها،

كانت مهد اللغات و الثقافات و الأديان و العلوم و أن الشعوب العربية و الفارسية و التركية و الأوروبية قد أخذوا الكثير من المفردات الكوردية و أثروا بها لغاتهم و إستعانوا بها لتطوير لغاتهم و سد نواقصها. ينقل الدكتور مؤيد عبد الستار في مقاله القيّم المعنون «السومرية والعلاقة اللغوية مع الانجليزية والكردية (الرابط ٣) بأن البروفيسور الإنكليزي «واديل» يذكر في مقدمة قاموسه السومري – الآري بأن أكثر من ٥٠٪ من كلمات اللغة الإنكليزية الحالية التي هي اللغة الرسمية لكوكبنا الأرضي في الوقت الحاضر، مأخوذة من اللغة السومرية، لغة أسلاف الكورد Wadell, L. Austin) (١٩٢٧). Sumer – Aryan Dictionary, London –).

في محاضرة قيّمة للغوي الكوردستاني، البروفيسور جمال نبز الذي ألقاها في المؤتمر الاسلامي الثاني لحل القضية الكوردية و الذي تم إنعقاده في مدينة كولن الألمانية في عام ١٩٩٤ و تم نشرها ككتاب بعنوان «المستضعفون الكورد و إخوانهم المسلمون»، يذكر الدكتور نبز بأنه نظراً لِكون اللغة العربية لغة البداوة، عاجزة عن سد متطلبات وحاجات المعاملات الرسمية في إمبراطورية مترامية الأطراف، فقد إضطر العرب أن يدخلوا الى اللغة العربية آلافاً من الكلمات الكوردية الاصيلة. يذكر الدكتور نبز على سبيل المثال، بعض الكلمات الكوردية الأصيلة التي تم أخذها من قِبل العرب، مثل كلمات الدستور و الجمهور و الجزية و الهندسة و النموذج و الساذج و الدست و الحرف و البريد و العسكر و القلم و الدفتر و التاريخ و الوزير و ذلك كلمات الفردوس و جهنم و السراط و المسجد و الجولق و الديزج و الديوان و البيادة و الجمع و الشمع و البرق و الأستاذ و الفولاذ و البابوج و الخانة و الخزانة و الدولاب و الورق و الكهرباء و الفن و الخندق و البيمارستان. كلمة «بيمارستان» دخلت الى اللغة العربية في عهد صلاح الدين الأيوبي عندما أسس أول مستشفى في مصر. يذكر البروفيسور جمال نبز أيضاً بأنَ الكلمة العربية «ثورة» مأخوذة من الكلمة الكوردية «شۆڕه» التي تعني «العنف و الإنفجار و الإنتفاضة» (جمال نبز. ناسنامه و كێشەی ناسیۆنالی کورد لەچەند سیمینارو کۆڕێکی زانستیدا. بلاوكراوەی بنكەی كوردنامه - لەندەن ٢٠٠٢، لا ٢٣٢). كما يذكر الأستاذ نبز في صفحة ٢٣٣ من كتابه المذكور بأن «ئاسمان ASMAN» الكوردية التي تعني «السماء»، هي متكونة من كلمتين، هما «ئاسۆ ASO» التي تعني «الأُفق» و «مانMAN» التي تعني بالكوردية «مكان»، و بذلك فأنّ «ئاسمان» تعني «مكان الأُفق أي السماء»، أخذها اليهود من الكورد و غيّروها الى كلمة «شما» العبرية و العرب بدورهم إقتبسوها و جعلوها «سماء» في اللغة العربية. يذكر الباحث المصري الدكتور لويس عوض في كتابه «مقدمة في فقه اللغة العربية» بأن الگوتيين، أسلاف الكورد كانوا يطلقون إسم «گبل» على «الجبل» و أن العرب أخذوا هذه الكلمة الگوتيه و أدخلوها الى اللغة العربية بعد أن غيّروا حرف ال«گ» الى حرف ال«ج» بسبب إنعدام هذا الحرف في اللغة العربية (رابط رقم ٤) . مفردات (صابون، طهي، برنامج) العربية مأخوذة أيضاً من اللغة

الكوردية، حيث أن كلمة «الصابون» مأخوذة من الكلمة الكوردية «ساوين» و التي تعني «الدلك» و أن الإنكليز بدورهم قد إقتبسوا هذه الكلمة الكوردية و حوروها الى «soap». كلمة «الطهي» مأخوذة من الكلمة الكوردية «تاوين» التي تعني «الذوبان» أي ذوبان زيت الطعام المستعمل في الطبخ. كلمة «برنامج» إقتبسها العرب من الكلمة الكوردية المركبة «بەرنامە» المؤلفة من كلمتَي «بەر» التي تعني «قبل أو أمام» و «نامە» التي تعني «رسالة أو خبر» و هكذا تعني الكلمة المركبة «بەرنامە» «الإجراءات التي يتم القيام بها قبل تنفيذ عملٍ ما أي البرنامج». مفردات (شِعر، أرض، دين) هي مفردات سومرية - كوردية مأخوذة من قِبل العرب. كلمة «الشِعر» العربية مأخوذة من الكلمة السومرية «شرو أو سرو»، حيث أن كلمة «سرود» المتحورة من هذه الكلمة السومرية، لا تزال باقية في اللغة الكوردية و التي تعني «نشيد». كلمة «ئەرد» الكوردية التي تعني (أرض) هي كلمة سومرية و مذكورة أيضاً في الكتب الدينية الإيزيدية القديمة، فهي مفردة كوردية أصيلة إقتبسها العرب من الكورد، كما أنّ الإنكليز قاموا بأخذ كلمة (ئەرد) الكوردية و أصبحت هذه الكلمة في اللغة الإنكليزية (Earth)، التي تُعطي نفس المعنى، و كما نلاحظ أنّها حافظت على نطقها الكوردي الى حدٍ كبير. كلمة «دين» أصلها سومري و لا يزال الكورد يستعملونها، حيث أنّ هذه الكلمة مذكورة في الكتاب الزرادشتي المقدس «الأڤيستا» أيضاً و الذي ظهر قبل الإنجيل و القرآن في زمن الإمبراطورية الميدية الكوردية و أنّ العرب أخذوا كلمة «دين» من الكورد. الأتراك بدورهم كانوا شعباً بدوياً فقير المفردات اللغوية و إنهم هاجروا من توران الى منطقتنا قبل ٨٠٠ سنة، أي أنهم حديثو العهد في المنطقة، و لهذا السبب أدخل الأتراك آلاف المفردات الكوردية الى اللغة التركية، حتى أنهم أخذوا الكلمات الكوردية المركبة مثل «سَردار» و «سَربَست» و غيرهما الى لغتهم.

تحظى مسألة توحيد اللغة الكوردية بالإهتمام الكبير من قَبل المختصين و الكُتّاب و المثقفين الكورد من خلال نشر آرائهم و وجهات نظرهم و إقتراحاتهم حول هذا الموضوع المهم. هذا الإهتمام يدعو الى التفاؤل و الأمل في أن يؤدي مثل هذه الكتابات و المناقشات الى بلورة أفكار بناءة تخدم الموضوع و يثير جلب إهتمام المسئولين الكورد و تذكيرهم بالأهمية القصوى لإستنباط أو إيجاد لغة مشتركة للكورد و دفعهم الى التحرك و العمل على إنجاز هذا العمل، نظراً لأهميته و حاجة الأمة الكوردية الملحة له، لولادة لغة مشتركة تجمع شمل لهجاتها و مناطقها و أقاليمها، و لتصبح لغة التفاهم و التخاطب و الكتابة للشعب الكوردي. إن وحدة اللغة الكوردية هي من أهم العوامل المؤدية الى توحيد هذه الأمة العريقة المشتة و إستقلال و توحيد كوردستانها المقسمة.

لا أدعّي بأنني من المختصين باللغة الكوردية، إلا أن إهتماماتي باللغات بدأت في فترة مبكرة من حياتي. بالرغم من بُعد إختصاصي عن اللغات، إلا أنه لا يكاد أن يمر يوم دون أن أدخل في مناقشات و تبادل الآراء مع الأصدقاء حول كيفية تحقيق إيجاد لغة كوردية موحدة، لأن مستقبل الشعب الكوردي و وحدته تتوقفان

على نجاح هذه المهمة التأريخية الكبرى. كما أنه كلما يطيل إنتظارنا لبلوغ هذا الهدف، كلما تزداد مخاطر أن تصبح حالة تشتت و تقسيم الكورد واقعاً مستديماً يصعب علاجه و كلما يساهم في ترسيخ و تثبيت الحدود المصطنعة بين أجزاء كوردستان، بل قد تُرسَم حدود جديدة تفصل بين لهجاتها و مناطقها، حيث أن اللغة المشتركة هي إحدى المقومات الأساسية لبناء صرح أمة حية قادرة على الديمومة و التطور. هنا لا أسمح لنفسي أن أتصدى لموضوع مهم و شائك، كموضوع توحيد اللغة الكوردية، الذي يقع خارج إختصاصي، حيث أتركه لأهل الإختصاص للبت فيه و معالجته، إلا أنني هنا أطرح أفكاراً و آراء قد تكون مفيدة و تكون موضع إهتمام اللغويين و المسئوليين الكورد لجمع شمل الكورد حول لغة مشتركة توحدّهم و توحّد بلادهم.

لو ألقينا نظرة على الواقع الكوردستاني، نرى أن هناك العديد من المعوقات التي تقف في طريق وحدة اللغة الكوردية. أهم و أخطر هذه التحديات هي إفتقار الشعب الكوردي الى كيان سياسي يجمعهم و يوحد لغتهم. كما أن كوردستان بلد محتل من قِبل أربع دول (تركيا و إيران و العراق و سوريا)، بالإضافة الى تشتت الكورد في بلدان أخرى مثل أرمينيا و أذربيجان و جورجيا و لبنان. هذه الحالة من الإنقطاع و الإنفصال المفروضة على الكورد بسبب هذا الإحتلال، حيث تُقسّم حدوداً مصطنعة الشعب الكوردي و بلده و تُشكّل حاجزاً سياسياً و جغرافياً يمنع التواصل اللغوي و الثقافي و الإجتماعي بين سكان الأقاليم الكوردستانية و تفرض على اللغة الكوردية التطور في كل إقليم بمعزل عن الأقاليم الأخرى و التي تُشكّل العقبة الرئيسة في طريق ظهور لغة كوردية موحدة وتعمل على خلق تباعد بين اللهجات الكوردية. كما أن كل جزء محتل من كوردستان يتبع الدولة المحتلة له سياسياً و ثقافياً و إقتصادياً و بذلك فأن المحتلين يقررون السياسة الثقافية و اللغوية و يفرضونها على الشعب الكوردي.

إختلاف حروف الكتابة في كل دولة محتلة لجزء من كوردستان عن تلك المستعملة في الدول الأخرى المحتلة لأجزاء من كوردستان، خلق كتابة كوردية بثلاث أنواع من الحروف، حيث أجبرت الأنظمة المحتلة الكورد على إستعمال أبجديتها. في كل من العراق و سوريا، اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيه، حيث تُستعمل الحروف الآرامية في الكتابة، مما إضطر الكورد في جنوب كوردستان الى تبنّي الأبجدية الآرامية (العربية) في الكتابة الكوردية دون توفر حق إختيار أبجدية تلائم الأصوات الموجودة في اللغة الكوردية. أما في غرب كوردستان، فأن تبعية الأبجدية الكوردية للعربية لم تُتبع و شذت عن القاعدة، حيث أن الكورد هناك إختاروا الكتابة بالأبجدية اللاتينية نظراً لتأثرهم بالكتابة اللاتينية المستخدمة في شمال كوردستان، حيث الترابط العائلي و الإجتماعي بين كورد الغرب و الشمال و لإشتراكهم في التكلم باللهجة الكرمانجية الشمالية. في تركيا، حيث تُستخدم الأبجدية اللاتينية، يستعمل الكورد الشماليون تلك الحروف في الكتابة الكوردية دون أي

إعتبار لملاءمة هذه الأبجدية للغة الكوردية أو حاجتها لبعض التغييرات و التحويرات اللازمة لجعلها تتناغم مع الأصوات الموجودة في اللغة الكوردية. هكذا في الإتحاد السوفيتي السابق، أصبحت اللغة الكوردية تستعمل الحروف السنسكريتية التي كانت متبعة هناك. نرى أن إحتلال كوردستان من قِبل شعوب عرقية مختلفة، أدى الى ظهور الكتابة الكوردية بثلاث أبجديات مختلفة و الذي أدى بدوره الى خلق مشكلة كبيرة لتوحيد اللغة الكوردية و التي أصبحت عقبة في طريق وحدة الشعب الكوردي.

إيجاد لغة كوردية مشتركة تواجه عقبة أخرى هي وقوع الكورد تحت إحتلال دول عنصرية و دكتاتورية متخلفة تحاول إلغاء اللغة الكوردية بكل الوسائل المتوفرة لديها، بل تعمل على إلغاء الشعب الكوردي عن طريق التتريك و التعريب و التفريس. في مثل هذه الظروف، تكون اللغة الكوردية مهددة بالتأخر أو التقوقع و تصبح مسألة توحيدها و تفاعل لهجاتها أمراً صعباً. في تركيا، لا تسمح الحكومة العنصرية للكورد أن يتعلموا لغتهم الأُم و تمنع إستعمالها في وسائل الإعلام و في المدارس و المعاهد و الجامعات و تفرض اللغة التركية عليهم. نتيجة إفتقار الكورد لكيان سياسي خاص بهم و فقر اللغة التركية، يقوم الترك بسرقة و نهب المفردات الكوردية و يجعلونها ملكاً لهم، حتى أن الثقافة الكوردية من أدب و شعر و فن، لم تنجُ من سرقة الأتراك لها (راجع كتاب الباحث التركي الدكتور إسماعيل بيشيكجي المعنون ("كوردستان مستعمرة دولية "، ترجمة زهير عبد الملك، ١٩٩٨، صفحة ٢٥٧-٢٦١)، حيث يقومون بسرقة ثقافات الشعوب الأصلية في المنطقة. معاناة اللغة الكوردية في غرب كوردستان تتشابه مع تلك في تركيا، حيث أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في سوريا التي تحتل هذا الجزء من كوردستان، و أن الكورد هناك محرومون من تعلم لغتهم و تطويرثقافتهم، بل أن حوالي ٢٥٠ ألف شخص من المواطنين الكورد هناك محرومون من المواطنة السورية. هكذا بالنسبة للنظام الإيراني الذي يُحرّم الكورد من تعلم لغتهم و الحفاظ عليها و تطويرها و توحيدها. في العراق، منذ تكوين الكيان السياسي العراقي، سُمِح للكورد في جنوب كوردستان بتعلم اللغة الكوردية، إلا أنه إقتصر على مناطق محدودة كمحافظة السليمانية، بينما حُرّم المواطنون الكورد من تعلم اللغة الكوردية في مناطق بهدينان و كَرميان مثل دهوك و كركوك و خانقين و مندلي و بدرة و غيرها من المناطق و المدن و القصبات الكوردستانية، الى أن تم إنشاء المنطقة الآمنة في جزء من جنوب كوردستان و من ثم سقوط النظام البعثي في العراق، حيث أصبحت الكوردية اللغة الرسمية في الجنوب، إلا أنه مما يؤسف له أن حكومة جنوب كوردستان، بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على إدارتها لجنوب كوردستان لم تعمل على توحيد اللغة الكوردية في الجنوب، حيث في مناطق سوران و گرميان، لا تزال تُستعمل اللهجة الكرمانجية الجنوبية و تتم الكتابة بالحروف العربية، بينما في منطقة بهدينان، تُستخدم اللهجة الكرمانجية الشمالية و تتم

الكتابة بالحروف اللاتينية.
تأخّر كوردستان و إستمرارية هيمنة نظام المجتمع الزراعي فيها، تُعتبر سبب مهم آخر لتخلف اللغة الكوردية عن التوحد و تجانس لهجاتها. لو كان كل إقليم من أقاليم كوردستان أو الدول المحتلة لها، متطورة إقتصادياً و صناعياً كالدول الغربية على سبيل المثال، لإستطاعت أن تخدم وحدة اللغة الكوردية و لتقاربت لهجاتها و تمكنت اللغة الكوردية من الإزدهار نتيجة ظهور سوق مشتركة بين المناطق و الأقاليم الكوردستانية و تواصل إقتصادي بينها.
تعدد الكتابة الكوردية يُعتبر من العوامل التي ساهمت أيضاً في عدم ظهور لغة كوردية موحدة، حيث أن كتابة لغوية موحدة تعمل على التقريب بين اللهجات من خلال التواصل الكتابي بين المجاميع اللهجوية لشعب ما. كما أن الطبيعة الجبلية لكوردستان خلقت لهجات كوردية عديدة و جعلت اللهجات تتقوقع على نفسها و تنعزل نتيجة إنعزال المجموعات اللهجوية و المناطقية عن بعضها و التي ساهمت الى حد ما في عرقلة تواصل اللهجات الكوردية و تفاعلها لخلق لغة كوردية مشتركة.
نتيجة التعريب و التفريس و التتريك و إرهاب الحكومات المحتلة لكوردستان و إضطهادها للكورد و بسبب تعرض كوردستان لحملات عسكرية عنصرية وحشية مستمرة و نتيجة هدم القرى و القصبات فيها و فقدان الأمن و فرص العمل هناك، إضطر الملايين من الكورد الى ترك كوردستان، حفاظاً على أرواحهم و طلباً للأمن و الإستقرار و الحصول على العمل لإعالة أنفسهم و أُسرهم. القسم الأكبر من هؤلاء هاجروا الى المدن الكبيرة مثل إستانبول و أنقرة و إزمير و طهران و بغداد و دمشق و غيرها من مدن هذه الدول و إستقروا فيها لبدء حياة جديدة لهم في هذه المناطق. قسم آخر من هؤلاء، و الذين قد تصل أعدادهم الى حوالي مليونين شخص، إضطروا الى الهجرة الى أوربا و قارة أمريكا الشمالية و أستراليا و كوّنوا حياة جديدة هناك. بالإضافة الى تشريد النظام البعثي العراقي العنصري لحوالي نصف مليون شخص من الشريحة الفيلية الى إيران و مواجهتهم حياة مزرية و صعبة هناك و إنقطاعهم عن التواصل مع لغتهم و ثقافتهم. هؤلاء المُهجّرون و المهاجرون من كورستان يواجهون خطر الإنسلاخ عن الأمة الكوردية نتيجة إنقطاعهم عن التواصل مع اللغة والثقافة الكوردية و خاصة بدءً من الجيل الثاني لهؤلاء المهاجرين و المهجّرين الذين يواجهون الإنسلاخ اللغوي و الثقافي و التشبع بثقافات و لغات البلدان التي يعيشون فيها. هذا يعني أن هؤلاء سينقطع إنتماؤهم و إرتباطهم بالشعب الكوردي بعد جيلين أو أكثر و تخسرهم الأمة الكوردية إذا لم تُتخذ إجراءات و حلول لديمومة تواصلهم مع الشعب الكوردي و إحتضان الأمة الكوردية لهذه الثروة البشرية الضخمة من المنتمين لها. هنا موضوعنا عن اللغة الكوردية، لذلك لا يسع المجال للإستطراد في بحث بعض الإجراءات الناجحة لمنع إنسلاخ هؤلاء عن أمتهم.
العولمة و ثورة الإتصالات و المعلومات لها

تأثير إيجابي كبير على توحيد اللغة الكوردية، حيث أنها تعمل على إزالة الحدود و الحواجز بين الأقاليم الكوردستانية و زيادة الإتصال بين المواطنين الكوردستانيين مناطقياً و إقليمياً و التي تؤدي بدورها الى تقارب اللهجات الكوردية و تجانسها و بالتالي ظهور لغة كوردية موحدة. يحدث هذا عن طريق إنتقال الرأسمال و الإستثمارات و كثافة العلاقات التجارية و العلمية و الثقافية بين مختلف أجزاء كوردستان و كذلك نتيجة ظهور الفضائيات الكوردية و مئات المواقع الإلكترونية الكوردية. كما أن النظام العالمي الجديد و العولمة تعملان في نفس الوقت على إزالة الأنظمة الدكتاتورية و العنصرية للدول المحتلة لكوردستان و إحلال أنظمة معتدلة محلها و التي تعني تمتع الكورد بحرية نسبية و بعض الحقوق القومية و تمكينهم من توحيد لغتهم و إحياء ثقافتهم. من جهة أخرى، فأن العولمة و التطور التكنولوجي لهما آثار سلبية أيضاً على توحيد اللغة الكوردية، حيث أنهما يعملان على هيمنة اللغة الإنكليزية و أن الفضائيات المختلفة، و خاصة الناطقة بالعربية و الفارسية و التركية و مواقع الإنترنت بهذه اللغات، تجذب إهتمام قطاع واسع من الكورد و تكسبهم و تبعدهم عن الفضائيات و المواقع الكوردية مما يؤثر سلباً على مشروع اللغة الكوردية المشتركة.

لدراسة موضوع توحيد اللغة الكوردية بشكل علمي، ينبغي أن تتوفر في هذه الدراسة الشروط الأساسية للدراسات العلمية. بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدده، فأن أول هذه الشروط هو أن يكون الباحث محايداً لا يميل الى فرض حل معين يعتقد بصحته، على الحلول الأخرى، و إلا ستخرج الدراسة عن المنهجية العلمية. مثلاً تفضيل الباحث إختيار لهجة معينة لتكون أساساً للغة الكوردية الموحدة دون إمتلاكه لمبررات علمية تُرجّح ذلك الإختيار. الشرط الثاني هو أن يكون الهدف من البحوث إيجاد لغة كوردية موحدة للأمة الكوردية بأسرها دون أن ينحصر على توحيد اللغة الكوردية في جزء مُعيّن من كوردستان و الذي يعني القبول بواقع تجزئة كوردستان و دعم الواقع التقسيمي لها. الشرط الثالث هو أن يتم إختيار الوسائل المستعملة لخلق لغة مشتركة و بيان مبررات هذا الإختيار. لو دققنا في الدراسات و المقالات المنشورة من قِبل بعض الكُتّاب حول هذا الموضوع و إحتكمنا الى هذه المقومات، لنرى بكل أسف أن معظمها يفتقد الى توفر هذه الشروط.

فيما يخص توحيد اللغة الكوردية، النزعة الإقليمية أواللهجوية تدل على نقص في الوعي القومي و ضحالة في المعلومات و قُصر نظر في الرؤية. بعض الطروحات الإقليمية التقسيمية تُطرح من قِبل أناس يباركون بقاء كوردستان مقسمة أو تأتي من أناس يائسين فاقدي الأمل في تحقيق وحدة كوردستان. أما أصحاب النزعة اللهجوية هم من المتعصبين للهجتهم الذين لا يجيدون التكلم باللهجات الأخرى، بل لا يريدون تعلمها أو هم من القلقين على إندثار لهجتهم و إختفائها. على هؤلاء أن يدركوا أن مصير أقاليمهم و لهجاتهم مرتبطة بشكل عضوي بمستقبل توحيد كوردستان و

توحيد اللغة الكوردية لأن هذه اللهجات ليست لها مقومات البقاء و الحياة إذا لم تتوحد و إذا لم تفلح في التزاوج و التلاقح و التفاعل مع بعضها لتكوين لغة موحدة تمثل الأمة الكوردية و تصبح لساناً كوردياً واحداً يشق طريقه نحو الحياة و التقدم و التطور. كلما تبقى كوردستان محتلة و مجزأة كلما تواجه اللغة الكوردية تحديات أكبر لتصبح لغة موحدة للأمة الكوردية. في منطقة مضطربة تسودها النزعة العنصرية و العنف و إلغاء الآخر، مثل منطقة الشرق الأوسط، و في عالم التكتلات السياسية و الإقتصادية و العسكرية الكبرى، فأن وحدة الكورد و تطورهم هما الضمان الوحيد لبقائهم كشعب قادر على إيجاد هويته و الحفاظ على وجوده و ثقافته و لغته. من هنا ندرك أن النزعة الإقليمية و اللهجوية عند بعض الكورد هي نزعة غبية و لها آثار سلبية خطيرة على مستقبل و وجود الشعب الكوردي. ليعلم أصحاب هذه النزعة بأن محتلي كوردستان مستعدون لصرف مليارات الدولارات لتشجيع الفكر الإقليمي و اللهجوي و الإستسلامي بين الشعب الكوردي لتمزيقه و تقسيمه الى قبائل و طوائف متناحرة و بائسة لإنجاح مشروع تذويب الشعب الكوردي و القضاء عليه، بعد أن عجزت ماكنتهم العسكرية من طائرات و دبابات و مدافع و أسلحة كيميائية، عن تحقيق هدفهم بإبادة الشعب الكوردي و سرقة كوردستان و محو وجودها.

ينطبق نفس الشئ بالنسبة الى توحيد الكتابة الكوردية، حيث ينطلق الذين يدعون الى إستخدام الأبجدية العربية، من حقيقة الإنتشار الواسع لهذا النوع من الكتابة أو ينطقلون من منطلق ديني، حيث أن لغة القرآن هي العربية و يريد هؤلاء إستمرار تواصل الكورد مع الثقافة الإسلامية و العربية. هناك فريق آخر يفضل إستخدام الأبجدية اللاتينية في الكتابة الكوردية لإعتقاده بملاءمة هذا النوع من الحروف للأصوات الكوردية و لتمكين الكورد من مواكبة التطور التكنولوجي و العلمي العالمي. إن مناقشة هذه المواضيع مفيدة، إلا أنه يجب مراعاة الجانب العلمي و المصالح القومية العليا للأمة الكوردية. إن اللغويين الكورد هم الأشخاص المؤهلون لإداء هذه المهمة التأريخية في توحيد الكتابة الكوردية و إيجاد لغة كوردية مشتركة. على اللغويين و المسؤولين الكورد الشعور بالمسئولية و التفكير بمستقبل و وجود الشعب الكوردي و البدء بالعمل بكل جد و مثابرة على إنجاز هذه المهمة التأريخية الكبرى التي يتوقف عليها مستقبل و مصير الأمة الكوردية.

الى أن تظهر لغة كوردية موحدة و التي من الصعب جداً تحقيقها بدون إستقلال كوردستان، إلا أنه من الممكن إتخاذ بعض الإجراءات في الوقت الحاضر لبناء أسس صائبة لها لتسهيل عملية تقارب و دمج و تكامل اللهجات الكوردية. منذ نشوء الدولة العراقية الحالية، فأن الحكومات العراقية المتعاقبة عملت على تكريس اللهجوية في جنوب كوردستان لتعميق الإختلافات بين اللهجتين الكرمانجية الشمالية و الجنوبية، حيث تعاملت هذه الحكومات العنصرية مع هاتين اللهجتين كلغتين مستقلتين عن طريق

بث الأخبار و المقابلات الإذاعية و التلفزيونية بهاتين اللهجتين بشكل مستقل و كذلك سلكت هذه الحكومات نفس الطريق بالنسبة الى نشر الكتب و المجلات و الصحف. من المؤلم جداً أنه، بعد تحرر الجنوب الكوردستاني و تشكيل مؤسسات الحكم في الإقليم، سارت حكومة كوردستان على نفس النهج، حيث تتم قراءة الأخبار باللهجتين بشكل منفصل و تُعد البرامج الإذاعية و التلفزيونية بإحدى هاتين اللهجتين بشكل مستقل. هناك الكثير من المواطنين الذين لهم إلمام في مجال الكتابة و الصحافة و اللغة و الذين يجيدون التكلم بعدة لهجات كوردية. ينبغي دعوة هؤلاء و فسح المجال أمامهم ليصبحوا مذيعين و مُعدّي برامج في الإذاعة و التلفزيون للعمل عل خلق لغة مشتركة مؤلفة من اللهجات الكوردية الهورامية و اللورية و الكرمانجية الشمالية و الجنوبية المتواجدة في الجنوب، حيث لا يخفى الدور الحيوي للإذاعة و التلفزيون في التقارب بين اللهجات الكوردية. كما يجب أن يتم إصدار صحف و مجلات و كتب باللغة الكوردية المشتركة، بإختيار مرادفات و مفردات جميع اللهجات الكوردية.

من الوسائل الأخرى للتقارب بين اللهجات الكوردية هي إنخراط المواطنين الكورد، سواء في كوردستان أو خارجها، في الجمعيات و الإتحادات و النقابات الثقافية و الإجتماعية و المهنية الكوردية و المجتمعات المدنية الأخرى وفي صفوف الأحزاب الكوردستانية و التي توفر فرصة ممتازة لإلتقاء اللهجات المختلفة و تواصلها و تقود الى التقريب بين اللهجات الكوردية و تجانس اللغة الكوردية.

كما ينبغي فتح دورات تعليم اللغة الكوردية في كوردستان و في كل المناطق و الدول التى تتواجد فيها الجاليات الكوردية، لتعلم اللغة الكوردية بإشراف معلمين يجيدون التكلم بأكثر من لهجة واحدة للوصول الى تقارب و تجانس اللهجات الكوردية. مما سبق نستنتج أن مشروع إيجاد لغة كوردية موحدة هو مشروع قومي إستراتيجي، يحتاج الى كثير من العمل و التضحيات و النضال و على الكورد أن يقوموا بإنجازه إذا يُراد للشعب الكوردي أن يبقى كشعب واحد و أمة واحدة.

يجب أن يكون الأشخاص الذين يتصدون لهذا المشروع الإستراتيجي مختصين باللغة الكوردية و بأصولها و تأريخ تطورها و بلهجاتها. كذلك يتطلب ذلك منهم أن يكونوا ملمّين بالمبادئ الأساسية للبحث و الدراسة، للتمكن من النجاح في تحديد الأهداف و إختيار المواد و العناصر و الوسائل اللازمة لإستخدامها للحصول على نتائج جيدة و صائبة و من ثم أن يكونوا كفوئين في تحليل النتائج التي يتوصلون إليها و الخوض في مناقشتها لكي يصلوا الى إستنتاجات و مقترحات و توصيات تخدم توحيد اللغة الكوردية و الذي بدوره يساهم في توحيد الأمة الكوردية. عندئذ يستطيعون إغناء الموضوع و تطويره و خدمته و الوصول الى الهدف بنجاح.

إن إيجاد لغة كوردية موحدة هي عملية صعبة تحتاج الى كثير من الجهد و الوقت، إلا أن تحقيق الحلم الكوردي ممكن بكل تأكيد. كما نوهتُ، أن صعوبة إيجاد لغة مشتركة للكورد

تكمن في تقسيم كوردستان الى أربع أجزاء رئيسية و كل جزء تحتله دولة ذات نظام لا يعترف بالشعب الكوردي و لا يعترف باللغة الكوردية، بل يحاول القضاء عليها عن طريق التتريك و التعريب و التفريس. هذا التقسيم الجائر خلق لغة كوردية تُكتب بثلاث أنواع من الحروف (العربية و اللاتينية و السنسكريتية) و بلهجتين رئيستين (الكرمانجية الشمالية و الجنوبية). كما أن الحدود المصطنعة التي تقسم كوردستان، تمنع التواصل و الإختلاط بين الكورد، و بذلك تعرقل تكوين لغة كوردية مشتركة. إلا أن تحرر إقليم الجنوب و تسلم السلطة فيه من قِبل حكومة كوردستانية، بعث الأمل في نفوس الكورد في توحيد لغتهم و الذي بدوره يُعتبر شرطاً أساسياً لتوحيد كوردستان و شعبها.

أود هنا أن أسلّط الضوء على جانبين مهمين من جوانب توحيد اللغة الكوردية. الجانب الأول؛ هو علمي بحت يتناول تحديد اللغة الموحدة و وضع خريطة طريق للوصول الى ذلك الهدف، و الجانب الثاني هو الجانب التنفيذي للمشروع. مسئولية الجانب الأول من المهمة، تقع على عاتق اللغويين. لتحديد الهدف بوضوح و بشكل شفاف، يجب تعريف اللغة المشتركة التي هي اللغة الرسمية للبلاد، و التي تعني أنها لغة الكتابة و التفاهم و التعليم و وسائل الإعلام، على أن تتم مراعاة الإرث اللغوي الكوردي و لهجات اللغة الكوردية. هذا التعريف يعني إيجاد لغة كوردية تكون وسيلة لتفاهم الكورد مع بعضهم، شفهياً و كتابةً. الشق الثاني من التعريف يعني الحفاظ على كل الموروثات اللغوية الكوردية السابقة، سواء كانت كتباً أو مجلات أو صحفاً أو أغانٍ أو برامج تلفزيونية و إذاعية أو أفلاماً و غيرها. كما يؤكد الجزء الثاني من التعريف على السماح لتطور اللهجات الكوردية و حمايتها من الإنقراض، لأنها هي أيضاً تُشكّل جزء من التراث و الثقافة الكوردية، بشرط أن تصبح اللهجات الكوردية لهجات محلية تتفاهم بها أصحاب هذه اللهجات فيما بينهم و ينشرون بها أشعارهم و غناءهم، إلا أنه يجب أن يكون واضحاً بأن اللغة الرسمية ستكون اللغة الكوردية الموحدة و التي تعني أن التعليم و وسائل الإعلام و المخاطبات الرسمية ستكون بهذه اللغة.

يتصور البعض أن اللغة الكوردية الموحدة ستكون عن طريق إختيار لهجة معينة و هيمنتها على اللهجات الأخرى، لتصبح لغة للكورد و منح الحياة و الديمومة لتلك اللهجة و ترك اللهجات الأخرى تتجه نحو الإنقراض. أعتقد أن اللهجات الكوردية تتكامل مع بعضها البعض و بعد تفاعلها و تلاقحها، ستصبح لغة مشتركة للكورد. أستغرب الضجيج المفتعل حول اللهجات الكوردية و كأنما الإختلاف بينها كبيراً الى درجة يصعب توحيدها. لو نتمعن في اللهجات الكوردية، نرى أن قواعدها متشابهة جداً و هناك إختلافات طفيفة جداً بينها. أما بالنسبة لكثير من مفرداتها، فأنها متشابهة أيضاً، بإستثناء بعض التحويرات البسيطة التي تعرضت لها هذه اللهجات خلال التطور التأريخي لهذه اللهجات و التي تمت بمعزل عن بعضها البعض، نتيجة فصل قسري بينها و بسبب وقوع كل لهجة تحت تأثير النظام السياسي

الذي تعيش في ظله و تأثير لغة الشعوب المحتلة المهيمنة على كل منها. التباعد بين اللهجات الكوردية المتأتي من تشتيت الشعب الكوردي و تقسيم كوردستان، تتم معالجته عند توحيد الشعب الكوردي و بناء دولته الموحدة. من هنا ندرك أن التغييرات الطارئة على المفردات المختلفة بين اللهجات الكوردية هي ظاهرة طبيعية، حيث أن الكلمات في كل لغات الدنيا لها مـرادفـات. من الملاحظ أيضاً أن النقاش الدائر حول توحيد اللغة الكوردية يُركّز على اللهجة الكرمانجية الشمالية و الجنوبية اللتين الكتابة بهما أكثر إنتشاراً من اللهجات الأخرى، إلا أننا لا يمكن تجاهل اللهجات الأخرى التي هي غنية بالمفردات الكوردية الأصيلة. على سبيل المثال لا الحصر، اللهجة اللورية الـتي كانت مناطق إنتشارها مهداً للحضارة البشرية ، حيث الحضارة السومرية و الإيلامية و الميدية و الساسانية. اللغات الهندو-أوروبية أخذت من اللهجة اللورية الآلاف من مفرداتها التي تستعملها في الوقت الحاضر. على سبيل المثال، يذكر الأستاذ مسعود محمد، في كتابه القيّم المعنون "لسان الكُرد" الصادر في بغداد في عام ١٩٨٦، بأن كلمة "دوت" التي تعني "بنت" باللهجة اللورية هي كلمة كوردية أصيلة مذكورة في "آڤيستا" و أن اللغات الأخرى، كاللغات الإنكليزية و السويدية و غيرهما، قد قامت بإستعارة هذه الكلمة الكوردية. لو نستمر في التدقيق في مفردات اللهجة اللورية، سنكتشف أنها تحوي على الآلاف من الكلمات الكوردية الأصيلة. كما يجب أن لا ننسى اللهجة الهورامية، حيث أن الكتب الدينية للكاكيين مكتوبة بهذه اللهجة، و التي هي إحدى الديانات الكوردية القديمة. هكذا بالنسبة للهجات الأخرى. من هنا ندرك بأن اللغة الكوردية الموحدة بحاجة الى روافد جميع لهجاتها لإثرائها و العمل على تكاملها.

لإنجاح توحيد اللغة الكوردية، أول خطوة نحتاج للقيام بها هي توحيد كتابة اللغة الكوردية. لتنفيذ هذا العمل، ينبغي عقد مؤتمر علمي حـول هـذا المـوضـوع، يقوم بتنظيمه المجمع العلمي الكوردي لجنوب كوردستان، بالتعاون مع الأقسام الكوردية في الجامعات الكوردستانية و المراكز الثقافية الكوردية القائمة في دول عديدة. لهذا الغرض، تتم دعوة علماء اللغة الكورد من مختلف أنحـاء كوردستان، بحيث تشمل المختصين باللهجات الكوردية جميعها. كما يتطلب الأمـر دعـوة العلماء الأجـانـب المختصين باللغة الكوردية و كذلك مشاهير علماء العالم في مجال اللغات. كما أقترح أن تُنظّم هذه التظاهرة العلمية في كوردستان و أن تعضدها حكومة جنوب كوردستان، و خاصة من الناحية المادية. أقترح أيضاً دعوة اللغويين الأجانب و الكورد القاطنين خارج كوردستان و تحمّل نفقة سفرهم و إقامتهم، حيث أن ميزانية البحوث العلمية في جامعات و مراكز البحوث في الغرب، تكون عادةً محدودة، تأتي عن طريق إعانات حكومية و مساعدات مقدمة من شركات و جمعيات ذات الصلة. كما من الضروري الإعلان عن عقد المؤتمر المذكور في وقت مبكر، أقترح أن يكون ذلك قبل عام واحد من إنعقاده، لضمان توفر الوقت الكافي للباحثين لتحضير دراساتهم و بحوثهم بشكل جيد. ينبغي أن يتم إشعار الباحثين عن مكان

إنعقاد المؤتمر و موعده و مدته و شعاره و لغة عرض البحوث عند إرسال الدعوات الى المختصين للمشاركة في المؤتمر المذكور. يمكن أن يكون شعار المؤتمر مثلاً (السبيل الى إيجاد كتابة كوردية موحدة). تُستعمل اللغة الإنكليزية عادة في المؤتمرات العلمية العالمية (بالنسبة للباحثين الذين لا يجيدون الإنكليزية، يمكن تقديم دراساتهم على شكل ملصقات posters، حيث أنهم في هذه الحالة لا يحتاجون الى إلقاء بحوثهم بصورة شفهية) أو يمكن إلقائها بلُغة أخرى على أن يقوم مترجمين بترجمتها شفهياً بشكل مباشر الى اللغة الكوردية و الإنكليزية. في نهاية المؤتمر، يقوم المؤتمرون بتقديم توصيات و مقترحات حول الموضوع و يمكن لحكومة جنوب كوردستان تبنّيها لتصبح الكتابة الرسمية في الإقليم و في أجزاء أخرى من كوردستان و من قِبل الكوردستانيين في كل مكان قدر المستطاع.

إيجاد لغة كوردية موحدة يحتاج أيضاً الى تأليف قاموس (كوردي- كوردي) شامل يحتضن بين دفتيه مفردات اللهجات الكوردية لتصبح أساساً للغة كوردية مشتركة. هذا العمل الجبار يجب أن يُناط باللغويين الكورد و العلماء الأجانب المختصين باللغة الكوردية. لإنجاز هذه المهمة التأريخية، يمكن أن يتوزع هؤلاء اللغويون على شكل مجاميع لغوية، كل مجموعة تأخذ على عاتقها مسئولية جمع مفردات لهجة معينة من مصادر مختلفة، مثل الكتب و الصحف و تسجيل أحاديث الناس في القرى و الأرياف و المدن و في المهجر و غيرها من الوسائل التي يستطيع الباحثون إتباعها، و التي هم أعرَفُ مني بها، حيث أن مثل هذا العمل هو من إختصاصهم. يصبح هذا القاموس أساساً للغة مشتركة. قد يظن القارئ بأن القاموس سيحتاج الى مجلدات ضخمة و عديدة، الا أنني أعتقد بأن الكثير من مفردات اللهجات متشابهة أو متقاربة و أن فصل و عزل الكورد عن بعضهم البعض و منع إستعمال اللغة الكوردية من قِبل الحكومات المحتلة تجعلنا نتصور أن هناك بَوناً شاسعاً بين اللهجات الكوردية، حيث أن الإختلاف بين اللهجات الكوردية لا يزيد عن ذلك الموجود بين لهجات اللغات الأخرى.

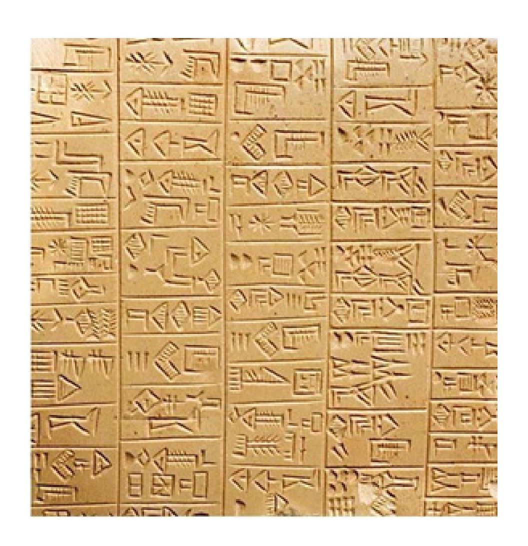
يجب أن لا ننسى أيضاً أن اللغة الكوردية بحاجة لتثبيت قواعد لها. لهذا الهدف، يجب دراسة اللهجات الكوردية من قِبل اللغويين المختصين باللغة الكوردية لوضع كتاب شامل لقواعد اللغة الكوردية، ليصبح مرجعية لها، تتبعها المؤسسات التربوية و الرسمية الأخرى و وسائل الإعلام و الكُتّاب و المؤلفون. بعد إنجاز مشروع القاموس و كتاب النحو الكوردي، تبدأ الدراسة باللغة الكوردية الموحدة بالنسبة لتلاميذ الصف الأول الإبتدائي و يتم تعليم الآخرين، المعلمين و المدرّسين و الصحفيين و غيرهم، عن طريق فتح حلقات دراسية لهم. صحيح أننا في بداية تطبيق اللغة الكوردية سنواجه صعوبات كبيرة، إلا أن العملية ستنجح و تأخذ مسارها الطبيعي بعد جيل أو جيلين.

المعنى	رموز كتابية حوالي ٣٠٠٠ ق.م	كتابة مسمارية حوالي ٢٠٠٠ ق.م	آشورية حوالي ٧٠٠ ق.م	بابلية حوالي ٥٠٠ ق.م
الشمس				
إلة أو سماء				
جبل				
رجل				
ثور				
سمكة				

صورة رقم ١: كتابة سومرية



صورة رقم ٢: كتابة سومرية



صورة رقم ٣: كتابة سومرية



صورة رقم ٤: كتابة إيلامية

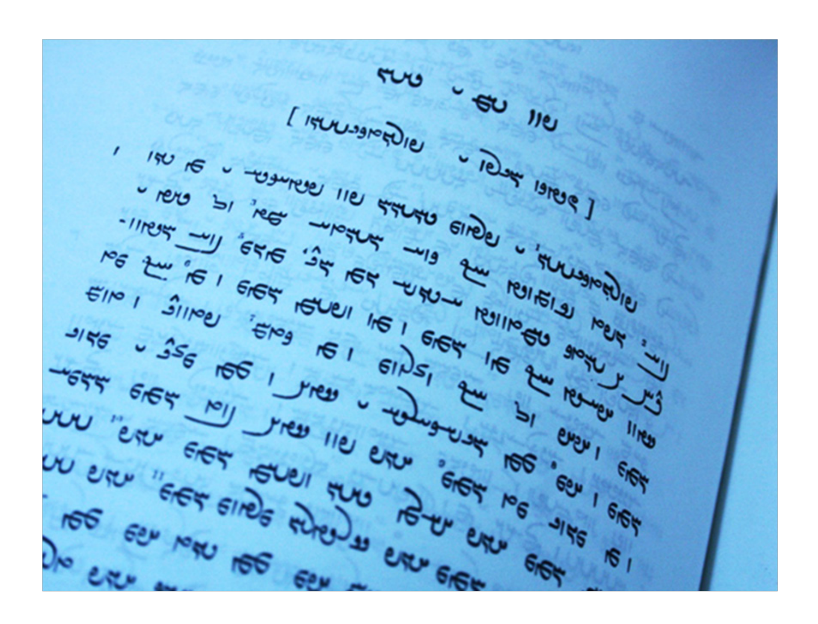


صورة رقم ٥: كتابة إيلامية

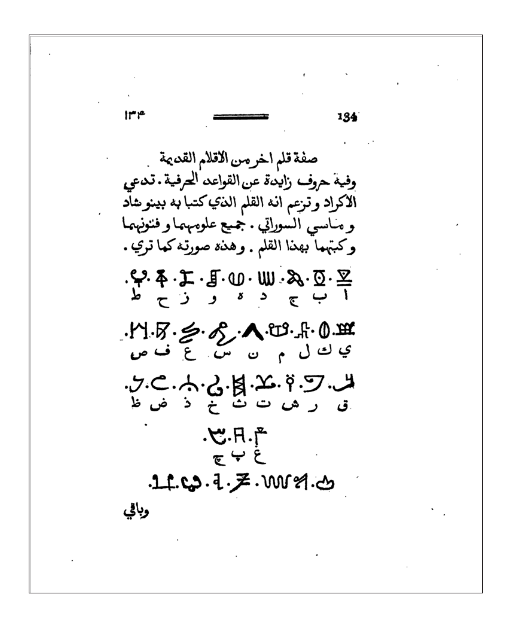
eer sha aow dan sadawee arzee shar bajeer bapadsha sha shan qawat
brda barax ao qan sareesaree barzee eesh shonasara shaood madeena
schn madia ba padsha machod dsha yad by sharesh bo ewa bababraba dza
shar barat bar eak desh shonasara shawwd madeena

ئیرشا ئاو دان سەداوی (لافاوی دووای) ئەرزی شاربازیر (خاکی شاربازیر) بەپادشا شا شایان هیری
ڕەوانەکرد بو سەرەوەی لافاو هاتن و بە لەشکری خوی بەشیوەیەکی ریر کارەکان دابەشکرا ئەوەبوو کاری
شوناسەر واتە سەروک شاوود مادی

صورة رقم ٦: كتابة الآفيستا في زمن الإمبراطورية الميدية



صورة رقم ٧: الكتابة البهلوية التي كانت اللغة الرسمية للدولة الساسانية



١٣٤ 134

صفة قلم اخر من الاقلام القديمة

وفية حروف زايدة عن القواعد الحرفية . تدعي الاكراد وتزعم انه القلم الذي كتبا به بينوشاد وماسي السوراتي . جميع علومهما وفنونهما وكتبهما بهذا القلم . وهذه صورته كما تري .

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ

ع پ چ

وباقي

صورة رقم ٨. حروف الكتابة الكوردية التي كانت مستخدمة قبل الإسلام

الروابط

١. http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?t=٥٧٦٣

٢. http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/٢٣٧٢٩٩.html

٣. http://www.gilgamish.org/viewarticle.php?id=language-٢٠٠٦١٠٠٦-٢٠٢

٤. http://www.doxata.com/aara_meqalat/٩٩٦٢.html

الصراع الكردي - التركي بين آفاق الحلّ السلمي وتجدد دورة العنف

إعداد: هوشنك أوسي

لكل حربٍ سلامها الذي تنتهي به. ولكل صراع خلفيّاته وحوامله، ودوافع وتبعات استمراره، والعوائد السياسيّة والاقتصاديّة الناجمة عن توقّفه. الصراع الكردي - التركي، يمتدّ بجذوره إلى نهايات الدولة العثمانيّة، مع انتفاضة عبيدالله النهري سنة ١٨٨٠، ثم تلتها انتفاضات البدرخانيين في جزيرة بوطان. وتفاقم الصراع مع ولادة الجمهوريّة التركيّة على يد مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨)، وتعمّق واتسع نطاقه مع انطلاقة حزب العمال الكردستاني PKK نهاية عام ١٩٧٨. ما يعني أن الصراع الكردي - التركي هو الأطول من نوعه ليس في الشرق الأوسط وحسب، بل في العالم.

وخلال فترة الصراع هذه، عاش كرد تركيا فترة مظلمة وقاتمة، قوامها القمع والترهيب والصهر والانكار والتذويب العرقي في بوتقة القوميّة التركيّة، وصلت بالكرد إلى التنكّر لأصلهم ولغتهم وثقافتهم وهويّتهم القوميّة.

وفي هذه الأيّام، تجري أنقرة مفاوضات مع زعيم العمال الكردستاني عبدالله أوجلان، المسجون في تركيا إثر اختطافه من العاصمة الكينيّة نيروبي في ١٥/٠٢/١٩٩٩. والإعلام التركي مطبول بهذه المفاوضات وما يمكن أن يتمخّض عنها.

أثناء ذلك، اغتيل ثلاث ناشطات كرديّات في العاصمة الفرنسيّة باريس ليلة ٠٩/٠١/٢٠١٣، هنّ ليلى سويلمز وفيدان دوغان وسكينة جانسيز. والأخيرة، إحدى القيادات النسائيّة البارزة في الكردستاني، ومن مؤسسيه. هذا الحدث، ألقى بظلال الخوف والقلق على التفاوض بين أنقرة وأوجلان، فازدادت التحليلات والتكهّنات حول عملية السلام، وهل ستتكلل بالنجاح؟

هذه الدراسة، تدور حول جذور وخلفيّات الصراع الكردي - التركي، والعوائد السياسيّة والاقتصاديّة التي ستحصدها

تركيا وحكومتها، في حال تكللت المفاوضات بالنجاح.

توطئة

يعيد الكثير من المؤرّخين جذور الكرد إلى العرق الآري، ويعتبرونهم أحفاد شعوب سكنت جبال زاعروس وطوروس والمناطق المحاذية لها، منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. ويرى الباحث والمؤرّخ الكردي محمد أمين زكـي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) في مؤلّفه «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» أن أصول الكرد تشكّلت من طبقتين، الأولى سكنت جبال زاغــروس وطــوروس وهــي: لـولـو، كوتي، كورتي، جوتي، جـودي، كاسي، سوباري، خالدي، هوري، ميتاني. والطبقة الثانية، هي الشعوب الهندو – اوروبـيّـة التي أتت فيما بعد واستقرّت في المنطقة، كالميديين والكاردوخيين، واندمجت بشعوبها ليتشكّل منها فيما بعد الكرد.

كما أتـى الـمـؤرّخـون اليونانيون على ذكر الكرد، بخاصة أثناء الحـروب اليونـانيّة – الفارسيّة وتقهقر جيش اسكندر في جبال زاغـــروس. ومــن ذلــك، الـــمـؤرّخ اليوناني زينفون (٤٢٧ - ٣٥٥) الـذي أشـار الى شعب وصفهم «بالمحاربين الأشداء ساكني الجبال»، وسمّاهم بـ«كاردوخ» الذين هاجموا الجيش اليوناني أثناء عبوره للمنطقة عام ٤٠٠ قبل الميلاد. كما اتى هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥) على ذكر الكرد في مؤلفاته. وجاء المسعودي (٨٩٦ – ٩٧٥) في كتابه «مروج الذهب» على ذكرهم أيضاً. ما يعني انهم من أقدم شعوب المنطقة وليسوا طارئين او وافدين.

كلمة كردستان (وطن الكرد) كاصلاح جغرافي – إداري ذي دلالة قوميّة وديموغرافيّة، لم يبتدعها الكرد، بل جاءت على عهد السلطان سنجار السلجوقي (١١١٨ – ١١٥٧) حين فصل القسم الغربي من إقليم الجبال وجعله ولاية تحت حكم قريبه سليمان شاه وأطلق عليه اسم كردستان. وشملت هذه الولاية الأراضي الممتدة بين أذربيجان ولورستان (مناطق سناه، دينور، همدان، كرمنشاه.. في ايران) والمناطق الواقعة غـرب جبال زاغـروس، كشهرزور وكوي سنجق في كردستان العراق. كما جاء ذكر الكرد وكردستان في الوثائق والمــراســلات الـرسميّـة العثمانيّة ايـضـاً. ومؤسس الجمهوريّة التركيّة مصطفى كمال اتاتورك نفسه، واثناء خدمته في المناطق الكرديّة، كان يشير الى انه في كردستان!

نتيجة مشاريع الصهر القومي التي مارستها الانظمة المتعاقبة على الحكم في تركيا وايـران والعراق سورية، وانكارها لوجود القوميّة الكرديّة، لا يوجد احصاء دقيق لعدد الكرد، بشكل علمي ومحايد. وبحسب الموقع الالكتروني لمشروع جوشوا للمجموعات الإثـنـيّـة (JOSHUA PROJECT) يصل عدد الكرد الى ٢٧,٣٨٠,٠٠٠ نسمة، ٥٦٪ في تركيا، و١٦٪ في إيـران، و١٥٪ في العراق، و٦٪ في سورية.

بينما يرى الباحثون والساسة والمثقفون الكرد ان عددهم يتجاوز ذلك بكثير، ليصل الى اربعين مليون نسمة، نصفهم في تركيا.

كما يقدّر هؤلاء مساحة كردستان بـ٥٥٠٠٠٠ كيلو متر مربّع، تتوزّع على تركيا وايران والعراق وسورية ومساحة صغيرة في منطقة «لاجين» باقليم ناغورنو كراباخ المتنازع عليه بين ارمينيا واذربيجان. وبحسب احصاء اجرته وزارة الداخليّة التركيّة سنة ٢٠١١، بلغ عدد سكّان تركيا ٧٤,٧٢٤,٢٦٩، منهم ١٥,٠١٦,٠٠٠ كردي، ما نسبته ٢٠٪ من عدد سكّان تركيا، و٥٦٪ من اجمالي عدد الكرد في العالم. لكن الكرد لا يثقون بهذه الاحصائيّات كونها صادرة من جهات رسميّة تركيّة، لا تريد ابراز الارقام الحقيقيّة، لغايات سياسيّة. ويؤكدون ان عددهم في تركيا يتجاوز ٢٠ مليون نسمة، يشكّلون الاكثريّة في ٢١ محافظة من المحافظات التركيّة التسعين.

والمحافظات ذات الغالبيّة الكرديّة، تقع في شرق وجنوب شرق تركيا ويطلق عليها الكرد اسم كردستان تركيا، او كردستان الشماليّة، اعتماداً على ان اتفاقيّة سايكس – بيكو، قسّمت كردستان الى اربعة اجزاء. والمحافظات التركيّة ذات الغالبيّة الكرديّة هي: أرزنجان، أرضروم، قارص، ملاطية، ديرسم (تونجَلي)، آلعزيز (ألازغ)، جَولك (بينغول)، موش، آغري، باطمان - آدييَمان، آمد (ديار بكر) سيرت، بدليس، وان، أورفا، عنتاب، مرعش، ماردين، جولامريك، (هكّاري)، شرناخ.

كما يوجد عدد كبير من الكرد في محافظات سيواس، أنقرة، قونية كايسري، أزمير، ميرسين، اسكندرون. في حين يقدّر النشطاء الكرد عدد القاطنين في اسطنبول من الكرد بأربعة ملايين نسمة، بخاصة بعد حملات التهجير التي قام بها الجيش التركي اثناء صراعه مع الكردستاني.

أسباب المشكلة الكرديّة في تركيا

بعد تقسيم تركة «الرجل المريض» بين الإنكليز والفرنسيين في اتفاقيّة سايكس – بيكو سنة ١٩١٦، خشيت النخب التركيّة الحاكمة، من زيادة تفتيت المتبقّي من السلطنة العثمانيّة. ويشير د. ابراهيم الداقوقي في كتابه «أكراد تركيا» إلى أن: تصريح كليمنصو، رئيس وزراء فرنسا، الذي قال فيه إن «إدارة العثمانيين سيّئة، ومظالمهم متنوّعة من عصور عديدة، وهم عديمو الكفاءة والأهليّة في إدارة العناصر غير التركيّة، فيجب ألاّ نترك أمّة ما في إرادتهم»، هذا التصريح، وارتفاع وتيرة النشاطات القوميّة للجمعيّات الكرديّة، أقلق الباب العالي من ان يؤدّي الى إنفصال كردستان عن الادارة التركيّة. فأخذت الصحافة العثمانيّة تذكّر الكرد بالإخاء الاسلامي والوطنيّة العثمانيّة.

ثم بادر الاتراك الى تشكيل هيئة وزاريّة لدراسة القضيّة الكرديّة، مؤلّفة من شيخ الاسلام حيدري زاده ابراهيم افندي، عيوق باشا وزير الاشغال، عوني باشا وزير البحريّة، الأمير علي بدرخان عضو جمعيّة تعالي كردستان، ومراد بدرخان وعبد القادر افندي من اعضاء مجلس الاعيان.

واتفقت الهيئة على:
١ ـ منح كردستان الاستقلال الذاتي، شريطة قبولهم البقاء في الجامعة العثمانيّة.
٢ ــ اتخاذ التدابير الفعالة لاعلان هذا الاستقلال والشروع في تنفيذ مقتضاه حالاً.
ويقول الداقوقي: لم ينفّذ الصدر الاعظم فريد باشا مقررات الهيئة. ويشير الى انه «بعد تنصيب مصطفى كمال رئيساً لمؤتمر (جمعية الدفاع عن حقوق الولايات الشرقيّة) الكرديّة، تحرّك سريعاً لتعبئة جماهير شرقي الاناضول للانخراط في حركة التحرير.
وينقل الباحث الكردي محمد ملا أحمد (١٩٣٤ – ٢٠٠٩) عن الكاتب الانكليزي ــ الكابتن هــ. س. آرمسترونغ، من كتابه «الذئب الاغبر.. مصطفى كمال أتاتورك» قوله: «كانت الوعود دائماً في نظر مصطفى كمال وسيلة لغاية، وسلّماً إلى هدف. لذا اتصل مع زعماء العشائر الكرديّة، وحاورهم باسم الوطنيّة والدين. حتى أنه ارتدى زيّ رجال الدين المسلمين، واتصل بهم وطلب منهم الوقوف في وجه مؤامرات الأرمن، والأوربيين المسيحيين (الكفار). فجذبهم إليه. وتقوّى بمساعدتهم.
وكان الاتحاديون قد جذبوا العديد من القوميين الأكراد، من أعضاء النوادي السياسيّة في دياربكر وماردين وغيرها إليهم. مقابل وعود بإعطائهم الاستقلال الذاتي، إذا ساعدوهم ضد الحلفاء والأرمن. واستطاع مصطفى كمال إبعاد الأكراد عن دعم حكومة اسطنبول وقطع لهم الوعود الكثيرة بإعطائهم الاستقلال، إن هم ساعدوه في التخلّص من الأعداء. وبيّن للأكراد لزوم «إرجاء القضيّة الكرديّة إلى أن يطهّر البلاد من الأعداء... قاطعاً لهم الوعود الصريحة باعتراف تركيا للأكراد وكردستان بالإستقلال، بمساحة أوسع من التي وردت في معاهدة سيفر.
ووثق الكثير من زعماء الأكراد بمصطفى كمال، لأنه كان يتكلم باسم الدين والوحدة الوطنية».
ولكن، لم تقتنع بعض الزعامات الكرديّة بوعود مصطفى كمال، بخاصّة بعد «رفضه وقادته العسكريين تشكيل الكرد فرقة عسكريّة كرديّة في ارضروم للدفاع عن الولايات الشرقيّة، ورفضهم قيام ايّة حركة باسم الكرد، فانقسم الكرد الى فريقين. الاول: يؤيد التعاون مع مصطفى كمال، وإرجاء مسألة الحقوق القوميّة الكرديّة. والثاني: رفض التعاون معه ودعا للاتصال بدول الائتلاف للحصول على الحقوق القوميّة. وعلى رأسهم جمعيّة تعالي كردستان وعائلة بدرخان باشا» بحسب ما أورده ابراهيم الداقوقي في كتابه «أكراد تركيا». شارك الفريق الاول في مؤتمر سيواس المنعقد في ٤ الى ١٩١٩/٠٩/١٢ الذي دعا اليه مصطفى كمال مع وفد لمثلين عن (جمعية الدفاع عن حقوق الولايات الشرقيّة) الكرديّة، هم؛ مصطفى كمال، رؤوف بيك، العالم الديني رائف افندي الكردي، الشيخ فوزي افندي الكردي، الشيخ سامي بيك.
ثم انتخب مصطفى كمال بمساعدة ومساندة

المندوبين الكرد رئيساً، مع معارضة آخرين!. وانتخب المؤتمر تسعة اعضاء جدد للهيئة التأسيسيّة، هم الذين وضعوا مبادىء الميثاق الوطني وايديولوجيّة الدولة الجديدة واتجاهاتها السياسيّة والاجتماعيّة. مع اتخاذ العديد من القرارات منها إرجاء القضيّة الكرديّة الى ما بعد التحرير. وتغيير اسم (جمعيّة الدفاع عن حقوق الولايات الشرقيّة) الكرديّة الى (جمعية الدفاع عن حقوق الاناضول وبلاد الروم). ومعارضة كافة اشكال الدويلات التي تحاول دول الائتلاف اقامتها.

ويذكر الداقوقي انه في مؤتمر سيواس، وبعد انتخاب الهيئة التاسيسيّة المؤلّفة من ٩ اشخاص انضموا الى (جمعيّة الدفاع عن الحقوق في الاناضول وبلاد الروم) اثناء انعقاد مؤتمر ارضروم في ١٩١٩/٠٧/٢٣، تمّ انتخاب ٣ أكراد من أصل ٨ أعضاء كلجنة اشراف على مؤتمر سيواس. وبعد انتهاء المؤتمر بعث مصطفى كمال رسائل الى العديد من رؤساء العشائر والشخصيّات الكرديّة للمشاركة في حركة التحرير، مذكرا اياهم بدورهم البطولي في استرداد بتليس (بدليس) من الاعداء.

وينقل الداقوقي عن الباحث الكردي محمد امين زكي قوله: «عندما انعقد المجلس الوطني التركي في انقرة ١٩٢٠، كان فيه ٧٢ نائباً يمثلون كردستان، هم الذين تعاونوا مع مصطفى كمال، وأبرقوا الى الحلفاء بانهم لا يرغبون في الانفصال عن الاتراك».

وفي سياق الصراع على السلطة بين حكومة اسطنبول برئاسة الصدر الاعظم الدماد فريد باشا وجماعة الاتحاد والترقي والخليفة العثماني محمد وحيد الدين (١٨٦١ – ١٩٢٩) من جهة، وحكومة مصطفى كمال في انقرة من جهة أخرى، حاول كل طرف استمالة الأكراد الى جانبه.

وتجدر الاشارة الى ان حكومة فريد باشا الأولى هي التي أوفدت مصطفى كمال الى المناطق الكرديّة بمنصب المفتش العام على الجيوش التركيّة، لاستمالة الاكراد واعلان الثورة. بينما حكومة فريد باشا الثانية، أصدرت قرار إقالته بتهمة العصيان والتمرّد على السلطان.

معاهدة سيفر

بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالميّة الأولى، وفي اطار الحفاظ على السلطة وقطع الطريق على حكومة مصطفى كمال في أنقرة، وبالتوازي مع مساعي استمالة الأقليّات القوميّة في السلطنة بخاصّة الكرد والأرمن، وكنوع من تبرئة الذمّة من مذابح الأرمن، وقّعت حكومة اسطنبول برئاسة علي رضا باشا يوم ١٩٢٠/٠٨/١٠ على معاهدة سيفر والتي نصّت على الاعتراف بأرمينيا، وبالعراق وسورية تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني.

كما نصّت البنود ٦٢، ٦٣، ٦٤ من الفقرة الثالثة على منح المناطق الكرديّة الحكم الذاتي، واحتمال حصول كردستان على الاستقلال، والسماح لولاية الموصل بالانضمام

إلى كردستان، طبقاً للبند ٦٢. ونصّت البنود الثلاث على التالي:

٦٢ ـ تشكل الحكومة لجنة يكون مقرها القسطنطينة – اسطنبول - تتألف من اعضاء ثلاثة تعيّنهم الحكومة البريطانيّة والفرنسيّة والايطاليّة. وعلى هذه اللجنة ان تضع في غضون ستة اشهر من التوقيع على هذه المعاهدة مشروعاً للحكم الذاتي المحلي للمناطق التي تسكنها غالبيّة كرديّة والواقعة شرق الفرات وجنوب الحدود الجنوبيّة لأرمينيا، كما ستقرر فيما بعد، وشمال حدود تركيا مع سورية، وبلاد ما بين النهرين.

٦٣ ـ توافق الحكومة العثمانيّة من الآن على قبول وتنفيذ القرارات التي تتخذها الهيئة المقرر تشكيلها في المادة ٦٢ أعلاه خلال ثلاثة أشهر من تاريخ إخطارها بتنفيذ تلك القرارات.

٦٤ ـ في غضون سنة واحدة من هذا التاريخ، اذا ظهر الشعب الكردي القاطن ضمن المناطق المحددة في المادة ٦٢، ان اغلبيّة سكان تلك المناطق ترغب في الاستقلال عن تركيا، واذا رأى المجلس (مجلس عصبة الأمم) أن هؤلاء جديرون بهذا الاستقلال، وإذا اوصى بأن تمنح لهم، فعلى تركيا ان توافق على تنفيذ مثل هذه التوصية، وان تتنازل عن كل حقوقها وامتيازاتها في تلك المناطق.

رفضت حكومة أنقرة هذه المعاهدة، واعتبرتها اذلالاً للسلطنة العثمانيّة وظلماً بحقّها، وتخاذلاً من حكومة اسطنبول والسلطان محمد وحيد الدين، وان الفريق الحاكم في اسطنبول قد خان الوطن. ففي ١٩٢٢/١٠/٣٠ قدّم مصطفى كمال مشروع قرار الى البرلمان يطالب فيه بإلغاء السلطنة واتهام السلطان بالخيانة العظمى. ووافق البرلمان على ذلك في ١٩٢٢/١١/٠١ بفصل السلطنة عن الخلافة وإلغاء الأولى!.

ونجحت حكومة أنقرة في اقناع الاكراد بإرجاء مطالبهم القوميّة، عبر قطع الوعود لهم، كما ذكرنا آنفاً، فأرسل مصطفى كمال وفداً الى مؤتمر لوزان، برئاسة صديقه عصمت إينونو (١٨٨٤ _ ١٩٧٣). وأثناء تواجد الوفد هناك، طلب مصطفى كمال من النواب الأكراد في البرلمان، الرد على الاستفسار، الذي وصله من إينونو (كردي الاصل)، في مؤتمر لوزان، حول رغبة الأكراد في البقاء ضمن الدولة التركيّة الجديدة. فردَ النائب الكردي عن أرضروم، حسين عوني بيك، قائلاً: «إن هذه البلاد هي للأكراد والأتراك. وإن حقّ التحدّث من هذه المنصّة، هو للأُمتَين، الكرديّة والتركيّة». وأيده النواب الكرد في البرلمان. وبموجبه، أعلن إينونو في مؤتمر لوزان، أن «تركيا هي للشعبَين، التركي والكردي، المتساويَين أمام الدولة، ويتمتعان بحقوق قوميّة متساوية».

وحين وجد المشاركون، أن الأكراد، لا يريدون الانفصال عن تركيا، وأن الاخيرة وعدت بتلبية مطالبهم القوميّة، وافقوا على غض النظر عن أي فكرة لاستقلال كردستان، وحذفوا ذكر الأكراد من وثائق المؤتمر. وتمّ التوقيع على معاهدة لوزان بين الحلفاء وحكومة أنقرة في ١٩٢٣/٠٧/٢٤.

ونسفت هذه المعاهدة ما جاء في معاهدة سيفر، عبر تقديم التنازلات المتبادلة بين تركيا والانكليز والحلفاء فيما يخصّ المسألة الكرديّة. ولم يُذكر في نصّ المعاهدة أي شيء عن استقلال الأكراد وحقوقهم القوميّة، سوى ما جاء تلميحاً في المواد ٣٨، ٣٩، ٤٤ من الفصل الثالث. حيث جاء في المادّة ٣٨: تتعهد الحكومة التركيّة بمنح جميع السكان الحماية التامّة والكاملة، لحياتهم وحريتهم، من دون تمييز في العِرق والقوميّة واللغة والدين. وفي المادة ٣٩: «لن تصدر أية مضايقات في شأن الممارسة الحرة لكل مواطن تركي لأية لغة كانت، إن كان ذلك في العلاقات الخاصة أم في العلاقات التجارية، أم في الدين والصحافة، أم في المؤلفات والمطبوعات، من مختلف الأنواع أم في الاجتماعات العامة.

وتقول المادة ٤٤: إن تعهدات تركيا هذه، هي تعهدات دولية، لا يجوز نقْضها، في أي حال من الأحوال، وإلا فيكون لكل دولة من الدول الموقعة معاهدة لوزان، والدول المؤلفة منها عصبة الأمم، الحق في الإشراف على تنفيذ تركيا هذه التعهدات، بدقة، والتدخل ضدها، لحملها على تنفيذ ما تعهدت به أمام العالم.

وبعد إعلان مصطفى كمال – أتاتورك ولادة الجمهوريّة التركيّة في ١٩٢٣/١٠/٢٩، وضمانه دعم الغرب والقوى العظمى، وتغاضيها عن مذابح الأرمن وحقوق الاكراد، بدأ أتاتورك التنصّل مما جاء في معاهدة لوزان، ووعوده للكرد. بدأت مرحلة مريرة ومظلمة في حياة أكراد تركيا. وكردّة فعل على «خيانة» اتاتورك لوعوده التي قطعها للكرد، اندلعت انتفاضة الشيخ سعيد بيران، سنة ١٩٢٥، وساندها الأرمن والشركس والعرب والاشوريين في مناطق جنوب شرق تركيا. ومشاركة الأرمن والآشوريين في الانتفاضة، يعني بأنها لم تكن إسلاميّة صرفة، تدعو لعودة دولة الخلافة، كما يرى البعض. وانتهت هذه الانتفاضة بالسحق واعتقال الشيخ سعيد واعدامه مع رفاقه في ١٩٢٥/٠٥/٣٠. ثم اندلعت انتفاضة جبل آغري، بقيادة الجنرال في الجيش العثماني، إحسان نوري باشا (١٨٩٣ – ١٩٧٦) سنة ١٩٢٦ واستمرّت لغاية ١٩٣٠. وأيضاً تمّ سحقها. ثمّ اتت انتفاضة الكرد العلويين في محافظة ديرسم، بقيادة سيد رضا، سنة ١٩٣٧ - ١٩٣٨. وتمّ سحقها عبر استخدام الطيران. وكانت ابنة اتاتورك بالتبنّي، صبيحة غوكتشن (أوّل أمرأة تقود طائرة حربيّة في تركيا والعالم. ويقال انها من أصول أرمنيّة، بحسب الكاتب التركي الارمني الراحل هرانت دينك) هي التي تقصف مدينة ديرسم بالقنابل. وراح في المجازر التي ارتكبت في سحق الانتفاضات الكرديّة عشرات الالوف من الكرد، ومئات الالوف من المشرّدين والمهجّرين قسراً.

وهكذا، كانت خاتمة السلطنة العثمانيّة مذابح الأرمن (١٩١٥ – ١٩١٧)، وكانت بداية العهد الجمهوري – العلماني، الاتاتوركي، المجازر بحق الكرد.

أثناء ذلك، أرسى اتاتورك مبادئ الدولة – الأمّة في تركيا، ارتكازاً على عمليّات الانكار والصهر والتذويب لكل الأقليّات القوميّة،

وفي مقدّمتها الكرد، ضمن بوتقة القوميّة التركيّة. وجرى انكار كل شيء له علاقة او يوحي بوجود الكرد في تركيا. وتمت تسميتهم بـ«اتراك الجبال».
وحوربت اللغة والثقافة الكرديتين، الى درجة جرا فيه تغيير الوان اشارات المرور؛ الاخضر والاحمر والأصفر (ألوان العلم الكردي). وتفاقمت سياسات الصهر والقهر والمنع والقمع والتذويب بحقّ الكرد في الانقلابات العسكريّة الثلاث التي شهدتها تركيا (١٩٦٠، ١٩٧١، ١٩٨٠) حيث ازدادت الدولة الكمالية (الاتاتوركيّة) في تشددها وتطرّفها القومي. وفي نهاية السبعينات، وتحديداً ١٩٧٨/١١/٢٧، أجتمعت مجموعة من الشبيبة الكرديّة، بقيادة عبدالله أوجلان (الطالب في كليّة العلوم السياسيّة وقتئذ) في قرية فيس التابعة لمنطقة «لجه» بمحافظة آمد / دياربكر، وأعلنت عن تشكيل حزب العمال الكردستاني PKK (الاحرف الثلاث الأولى من الاسم الكردي للحزب). كان شعار الحزب: تشكيل كردستان المستقلّة الاشتراكيّة الموحّدة. والخطوة الأولى في هذا المسار هو التمهيد لاعلان الثورة والكفاح المسلّح. وبخصوص آيديولوجيّته فكانت خليط من اليساريّة والقوميّة كردّة فعل على اليسار التركي الذي انشق عنه أوجلان. ذلك ان هذا اليسار طالب الكرد بإرجاء مطالبهم لحين تحقيق الاشتراكيّة في تركيا. تماماً كما فعل اتاتورك سابقاً، وكما كان يطالب اليساريون والاسلاميون العرب والفرس من الكرد في العراق وسورية وايران، حتّى الآن.
عقد العمال الكردستاني مؤتمره الثاني سنة ١٩٨٢ في سورية، واتخذ قرار التمهيد للعمل المسلّح. وقام بأوّل عمليّة عسكريّة ضدّ الجيش التركي في منطقة أروه التابعة لمحافظة شرناخ في ١٩٨٤/٠٨/١٥. وبحلول ٢٠١٣، يكون قدّ مرّ على الصراع المسلّح بين تركيا والكردستاني ٢٩ سنة، لم يستطع كلا الطرفين حسم الحرب لصالحه، رغم تفاوت ميزان القوى لصالح تركيا والدعم الاقليمي والدولي الذي حظيت به من الغرب والناتو واسرائيل.
لا يوجد إحصاء دقيق لعدد ضحايا الصراع المسلّح بين الكردستاني وتركيا. وكل طرف يورد الارقام حسب تقديراته, وتتراوح بين ٦٠ – ٧٠ ألف شخص. ناهيكم عن إحراق الجيش التركي لما يناهز ٤٥٠٠ قرية كردية وافراغها من سكّانها.
مع استلام تورغوت أوزال (١٩٢٧ – ١٩٩٣) لرئاسة الجمهوريّة في ١٩٨٩/١١/٠٩، بدأت تلوح في الأفق بوادر اصلاحات في سياسات الدولة تجاه الكرد. منها؛ اصدار عفو عن السجناء السياسيين، شمل آلاف الكرد، بينهم قيادات بارزة في الكردستاني (مصطفى قره سو، ساكنة جانسيز، كاني يلماز، محمد شنر...)، ثمّ استبدل الحظر الكلّي عن التكلّم باللغة الكرديّة بحظر جزئي، سنة ١٩٩١.
كما أشار أوزال إلى أنه ينحدر من أصول كرديّة. وبموت أوزال المفاجئ والغامض في ١٩٩٣/٠٤/١٧، دخل الصراع الكردي – التركي نفقاً شديد العنف والدمويّة، شمل كل الموالين للحلّ السلمي بين الساسة والعسكر التركيين.

مفاوضات قديمة - جديدة

أوّل مفاوضات غير مباشرة بين الكردستاني وتركيا كانت سنة ١٩٩٣، عبر وساطة الرئيس العراقي وزعيم الاتحاد الوطني الكردستاني جلال طالباني، بتكليف من تورغوت أوزال. حيث أعلن أوجلان نهاية آذار ١٩٩٣ وقفاً لاطلاق النار، كبادرة حسن نيّة وتجاوباً مع مبادرة أوزال.

وصلت المفاوضات الى مرحلة الاعلان عنها للرأي العام. ويشير أوجلان في كتبه التي ألّفها في السجن، انه كان من المفترض ان يتصل به أوزال هاتفياً يوم ١٩٩٣/٠٤/١٧، للاتفاق على موعد الاعلان عن التفاهم المبرم بين الطرفين، ولكن، تفاجأ العالم بخبر (وفاة) أوزال في نفس اليوم!. تلك المفاوضات باءت بالفشل نتيجة ممانعة مراكز القوى القوميّة التقليديّة (الدولة الخفيّة في تركيا) لحلّ القضيّة الكرديّة سلميّاً. وبالإضافة الى موقف القوميين الاتـراك المعتنّت، نصب الكردستاني كميناً لجنود أتراك عزّل، كانوا عائدين من إجازاتهم في منطقة بينغول، وقتل ٣٣ جندياً تركياً رمياً بالرصاص. تلك العمليّة العسكريّة، قادها القائد الميداني البـازر والسابق في الكردستاني، شمدين صاكك، (المسجون حالياً في تركيا) اتضح فيما بعد، أنّه كان على علاقة بدوائر الدولة الخفيّة التركيّة، وفق مصادر الكردستاني.

المفاوضات الثانيّة، غير المباشرة، كانت سنة ١٩٩٧، حين أرسل رئيس الـوزراء التركي، وقتئذ، نجم الدين أربكان (١٩٢٦ - ٢٠١١)، رسائل إلى اوجلان، عبر الحركة الإسلاميّة اللبنانيّة. وانتهت هذه المبادرة، حين اطاح العسكر بأربكان، عبر الانقلاب الأبيض الذي قام به الجيش التركي في نفس العام، وإبعاد اربكان عن الحياة السياسيّة وحظر حزبه بقرارٍ من المحكمة الدستوريّة العليا.

الجولةُ الثالثة من المفاوضات كانت مباشرة، بـدأت بلقاءات أجرتها السلطات التركيّة مع أوجـلان، بعد اختطافه من العاصمة الكينيّة نيروبي في ١٩٩٩/٠٢/١٥ ومحاكمته وسجنه في جزيرة إيمرالي. وذكر أوجلان أكثر من مرّة أن هذه اللقاءات كانت تتمّ بشكلٍ رسمي، وبعلم وتفويض من حكومة بولند أجاويد (١٩٢٥ - ٢٠٠٦) وهيئة الأركان التركيّة، وأن هذه المفاوضات انقطعت فجأة. ثـمّ طالب أوجـلان مـراراً بعودتها، أثناء لقاءاته مع محاميه، لإيجاد منفرج سلميّ للقضيّة الكرديّة. وجرت جولات جديدة من اللقاءات -المفاوضات، على زمن حكومة حزب العدالة والتنمية. كانت تنقطع وتبدأ من حينٍ لحين.

أطـول جولة مفاوضات بين الكردستاني وأنقرة كانت تلك السريّة المباشرة، التي احتضنتها العاصمة النرويجيّة أوسلو، من سنة ٢٠٠٨ ولغاية تموز ٢٠١١، حيث توقّفت بشكلٍ مفاجئ بعد هجوم شنّه مقاتلو الكردستاني على موقع عسكريّ تركي! بالإضافة إلى تسرّب تسجيلات صوتيّة لتلك اللقاءات إلى الاعلام التركي. وفي تصريح له لوكالة فرات للأنباء يوم ٢٠١٢/٠٧/٠٦، اعترف رئيس اللجنة التنفيذيّة للعمّال الكردستاني،

مـراد قره إيـلان، بهذه المفاوضات. مشيراً إلى انها بـدأت سنة ٢٠٠٨، ونفى أن تكون المخابرات البريطانيّة هي التي أشرفت عليها، بل منظمة مدنيّة دوليّة، رافضاً ذكر اسمها.
ومع الهجوم الذي شنّه مقاتلو الكردستاني على الموقع العسكري التركي يوم ٢٠١١/٠٧/١٤، وتوقّف المفاوضات بين الطرفين في أوسلو، أوقفت السلطات التركيّة اللقاءات الدوريّة التي كان يجريها محامو أوجلان مع موكلهم. بل اعتقلت العشرات منهم.
وفي يـوم ٢٠١٢/٠٧/٠٨، ذكـرت صحيفة «آيدنلك» التركيّة، أن أوجلان، أجرى اتصالاً هاتفيّاً، مع البرلمانيّة الكرديّة المعروفة ليلى زانا، وطلب منها الانخراط في العمليّة السلميّة والاجتماع بأردوغان. جاء ذلك في سياق مقال كتبه الكاتب والصحافي التركي صباح الدين أونكيبار، نشرته «آيدنلك». ونقل أونكيبار عن شخص، مكتفياً بوصفه «الاسم الهامّ»؛ تأكيده اتفاق الاستخبارات التركيّة MIT والامريكيّة CIA على «افساح المجال أمام انطلاق مرحلة سلام جديدة في تركيا، لانهاء الصراع».
وأضـاف: «الاسـتـخـبـارات الـتركـيّـة تلتقي بأوجلان يوميّاً. ولكنّ أوجلان، أصرّ على الـتـساؤل: إلى أيّ مـدى أمريكا جـادّة في انخراطها ضمن مساعي الحلّ السلمي. ولكي يُقنع الأتـراك أوجـلان بذلك، ساهموا في إجراء لقاء جمعه بدبلوماسي أمريكي رفيع المستوى، بصحبة عميل كبير في الاستخبارات الامريكيّة. ونجحوا في اقناع أوجلان, فاتصل هاتفيّاً مع ليلى زانـا، طالباً منها اللقاء بأردوغان». وأكّد «أن أنقرة، قطعت وعداً لواشـنـطـن بخـصـوص ايجـاد حـل!. وبعد إنجازه، شيئاً فشيئاً، ربما يتمّ إعلان العفو عن اوجلان»، ينهي «الاسم الهام» كلامه.
كما ذكر رئيس تحرير جريدة «راديكال» الـتركـيّـة أيـوب جـان في عـامـوده المنشور يوم ٢٠١٢/٠٧/٠٤، أنّ اللقاءات بين أوجلان والـدولـة التركيّة «لا زالـت مستمرّة»، وأن اللقاء الذي جرى بين ليلى زانا وأردوغان، كان بعلم أوجلان.
على ضوء ما سلف، الدولة التركيّة تريد التواصل مع أوجـلان بشكلٍ مباشر، إلى جانب استمالة بعض المعتدلين المحسوبين على الكردستاني، كالبرلمانيّة ليلى زانا. هذه الفرضيّة، أكّدتها صحيفة «روداو» الكرديّة الـصـادرة في إقليم كردستان الـعـراق، عبر نشرها يوم ٢٠١٢/٠٧/١٣ تقريراً مفصّلاً عن المفاوضات السريّة بين الكردستاني وتركيا.
وذكـرت الأسبوعيّة الكرديّة، أنّ أوجـلان يعتكف على إعداد خارطة طريق جديدة لحلّ القضيّة الكرديّة، تتألّف من سبعة بنود. وأشـارت إلى أنّ الكردستاني سيرضى بأيّ حلٍّ يراه أوجلان مناسباً.
الجولة الأخيرة للمفاوضات بين الكردستاني وأنقرة، كانت في الشهرين الماضيين، بحيث تم التمهيد لها عبر تصريحات صادرة عن مسؤولين اتـراك كبار، تشير الى احتمالات بـدء «أوسـلـو جـديـدة»، في إشـارة منهم الى المفاوضات السابقة في العاصمة النيرويجيّة التي توقّفت في منتصف تموز ٢٠١١.
وفي هذا الإطـار، سمحت السلطات التركيّة

لبرلمانيين أكراد عن حزب السلام والديمقراطيّة الكردي (موالي للكردستاني وله كتلة برلمانيّة في البرلمان التركيّة: ٣٠ نائب) الاجتماع بأوجلان يوم ٢٠١٣/٠١/٠٣، لسبع ساعات. في حين ان السلطات التركيّة سابقاً كانت تضيّق كثيراً على المحامين وتمنعهم من مقابلة أوجلان، تارةً بحجّة سوء الاحوال الجويّة، وتارةً بحجّة عدم جهوزيّة المركب الذي سيقلّهم الى جزيرة إيمرالي!. زد على ذلك، ان برلمانيين عن حزب العدالة والتنمية، اكّدوا ان المفاوضات مع أوجلان وصلت لمرحلة متقدّمة. كما أكّد أردوغان، انهم يتفاوضون مع اوجلان كدولة، وليس كجهة أمنيّة أو حزب حاكم فقط.

وسط أجواء التفاؤل هذه، قتل الجيش التركي ١٠ من مقاتلي الكردستاني في منطقة جولك / بينغول، جنوب شرق تركيا، في ٢٠١٢/١٢/٣١، وردّ الكردستاني باستهداف مراكز عسكريّة تركيّة. والصدمة الكبرى لجميع المراقبين، هي عملية التصفية – الاغتيال التي حدثت في باريس يوم ٢٠١٣/٠١/٠٩، المذكورة أعلاه، وراح ضحيّتها ثلاث كوادر قياديّة في الكردستاني.

اللافت في ردود الأفعال على هذه الجريمة، تنديد السلطات التركيّة بها، وتقديم التعازي، سواء من بلندر أرينج، نائب رئيس الوزراء، والناطق باسم الحكومة حسين تشيليك (من أصل كردي). وتنديد اردوغان نفسه بها. بالتوازي مع ذلك، اصدر الكردستاني بياناً يوم ٢٠١٣/٠١/١٠، متهماً فيه (غلاديو تركيا) بأنها تقف وراء الجريمة. ولم يتهم حكومة العدالة والتنمية بذلك. واكتفى بتوجيه الانتقادات للتصريحات التركيّة، ونفي ان تكون عمليّة الاغتيال اتت في سياق «تصفية حسابات داخليّة»، كما أشاعه الأتراك.

وفي ٢٠١٣/٠١/١١، نقلت وكالة فرات نيوز الكرديّة، المقرّبة من الكردستاني، بياناً آخر له، بنفس الصدد، لم يختلف في دباجته عن السابق، حيث ذكر الكردستاني بأن الجريمة، أتت بالتنسيق بين القوى الظلاميّة في تركيا (غلاديو) والقوى الدوليّة لعرقلة عمليّة السلام الجاريّة بين اوجلان وتركيا. مؤكداً ان هذه القوى، لن تحقق أهدافها مطلقاً.

ولم يتهم البيان الحكومة التركيّة او الدولة بشكل عام، بل اكتفى بتوجيه الانتقاد لتصريحات المسؤولين الاتراك والاعلام التركي المقرّب من الحكومة. ما يعني ان الكردستاني مصمم على المضي في عمليّة السلام، مهما كانت الأكلاف.

وفي ٢٠١٣/٠١/١٤ ذكرت وكالة فرات نيوز للانباء، نقلاً عن مقال للقيادي البارز في الكردستاني وأحد مؤسسه، جميل باييك، نشرته صحيقة «آزاديا ولات» الصادرة في دياربكر، نقلت عنه اتهامه بشكل مباشر وصريح للدولة والحكومة التركيّة على أنهما اللتان «ارتكبتا الجريمة». حيث شنّ باييك هجوماً عنيفاً على الدولة التركيّة وحكومتها وإعلامها، متهماً الحكومة بأنها «كانت على علم بالجريّمة، وأمّنت لها التغطية السياسيّة، ونفّذتها الجهات الاستخباريّة التركيّة». وذكر باييك بأن الدولة والاستخبارات التركيّة، «بعد ان فشلت في الوصول الى قيادت الحزب

في جبال قنديل، بغية تصفيتهم، ارتكبت هذه الجريمة». وأشار الى ان الدولة ارسلت «فـرق الاعـدام الى مناطق عديدة لتعقّب واغتيال قيادات الكردستاني». وان الحكومة التركيّة «ليست لديها مشروع حلّ، بل لا زالت مصممة على مشروع التصفيّة».

وقال: إن «أرغاناكون الأخضر» (في إشارة منه الى الدولة الخفيّة الاسلاميّة التابعة لجماعة فتح الله غولان الاسلاميّة وحزب العدالة والتنمية في تركيا) هي التي نفّذت جريمة بـاريـس، بالتعاون والتخطيط مع جهات دوليّة، لا تريد السلام والحلّ الديمقراطي للقضيّة الكرديّة في تركيا»، متهما الوزير السـابـق في حـكـومـة الـعـدالـة والتنمية، والناطق باسم الحـزب والحكومة، حسين تشيليك (كـردي الأصـل)، بأنه متورّط في جريمة اغتيال الناشطات الثلاث».

بصرف النظر عن صحّة اتهامات باييك من عدمها، ومن خلال مقارنة مقاله، واللهجة التصعيديّة فيه، بالبيانين الصادرين عن الكردستاني، يُلاحظ علوّ لهجة التشدد والحـزم والاتهام المباشر للدولة والحكومة ولأشخاص بعينهم في المقال، قياساً ببيانيّ الكردستاني!. ما يعني أنه ربما يكون هنالك اختلاف في الأمزجة والمواقف، ضمن قيادة الكردستاني. وتتقاطع هذه الفرضيّة، مع آراء الكثير من المحللين السياسيين المتابعين للشأن التركي والكردي.

على الطرف الآخر، تحاول الحكومة التركيّة والاعلام الموالي لها، تبرئة ساحتها من هذه الجـريـمـة وانـهـا ماضية في عمليّة السلام والحوار مع اوجلان. ولكن، ثمّة تصريحات صـادرة عن أردوغـان، تلقي بظلال الشكّ والريبة على النوايا التركيّة في ان تتكلل هذه المفاوضات مع أوجلان بإبرام اتفاق ينهي الصراع بشكل مشرّف لكلا الطرفين!. حيث صرّح أردوغان، بأن أوجلان، لن يتغيير مكانه، بإخراجه من السجن الانـفـرادي ووضعه تحت الاقامة الجبريّة!. وان الجيش التركي سيواصل حملات التمشيط في تعقّب مقاتلي الـكـردسـتـانـي، حـتّـى لـو حـاولـوا الخـروج خارج الاراضي التركيّة. وان على المقاتلين إلقاء اسلحتهم، حتّى يتم السماح لهم بالخروج من الاراضي التركيّة!.

وكل هذه الاشتراطات، هي بالضدّ تماماً من الشروط الـتي يضعها الكردستاني في أيّة تسوية سلميّة للقضيّة الكرديّة: (تحسين وضـع اوجـلان. وقـف حمـلات التمشيط العسكريّة. الافراج عن السجناء السياسيين. الاعتراف بالكرد كشعب في الدستور التركي. ادراج تعليم اللغة الكرديّة ضمن مناهج الـتربـيّـة والتعليم). وإذا كانت حكومة اردوغان تصرّ على ذلك، فأنه لا معنى لأي عمليّة تفاوض، طالما تريد فرض الاستسلام على الكردستاني، بشكل مهين ومذلّ، بحسب رأي العديد من المراقبين.

بالنتيجة، رغم ان الاجواء المشحونة بالتوتّر، يترّقب الجميع ما سيدلي به أوجلان، تعليقاً على عمليّة الاغتيال التي شهدتها باريس، وحـيـال مـواقـف قـيـادة حـزبـه في جبال قنديل، وتصريحات الحكومة التركيّة. ذلك ان القول الفصل سيكون لأوجلان كرديّاً.

وبناء عليه، ستتوضّح أمور كثيرة، أقلّها؛ هل سيحافظ الكردستاني على حالة الانسجام والولاء المطلق لزعيمه السجين؟، ام ستطفوا على السطح حالات انشقاق، تلقي بظلالها ووطأتها على أيّ مشروع حلّ بين أنقرة وأوجـلان، من جهة؟. ومـن جهة اخـرى، هل ستتخلى النخب السياسيّة الاسلاميّة الجديـدة الحاكمة في تركيا، عن المـوروث القومي، العنصري، الذي ورثته عن النخب الاتاتوركيّة السابقة؟.

عوائد الحلّ السلمي

الصراع بين الكردستاني وتركيا كان داخل وخارج الأراضي التركيّة، بشكليه السياسي والعسكري. وإذا كانت تركيا قد نجحت في توجيه ضربات سياسيّة ودبلوماسيّة للكردستاني، وخاصّة على صعيد إدراج الكردستاني في لائحة المنظمات الإرهابيّة في أمريكا والاتحاد الأوروبي، فإن الكردستاني، استنزف تركيا لثلاثة عقود، وقادر على استنزافها لثلاثة عقود أخرى، بالنظر الى القوة العسكريّة والجماهيريّة والاعلاميّة التي ما زال يمتلكها، ليس في تركيا وحسب وبل في كامل منطقة الشرق الاوسط وأوروبا. ومما لا شكّ فيه ان الصراع بين الكردستاني وتركيا، يعبّر عن نفسه في الساحة السوريّة أيضاً بأشكال مختلفة، لم تصل بعد للمنحى العسكري. بحيث يسعى الكردستاني إلى الاستـفـادة مـن الأزمـة الـسوريّـة للحدود القصوى، بغية تعزيز موقفه التفاوضي مع أنقرة وتحقيق مكاسب سياسيّة في تركيا.

وقد حاولت الاخيرة حثيثاً التبرير لـ«غزو» المناطق الكرديّة شمال وشمال شرق سورية، تـارةً بحجّة إقامة منطقة عازلة لحماية المدنيين من بطش النظام السوري، وتارةً أخـرى بحجّة حماية حدودها من تواجد عـنـاصـر الـكـردسـتـانـي، أو التنظيمات السياسيّة الواليّة له، بين أكراد سورية. هذه المساعي باءت بالفشل، نتيجة رفض واشنطن لأيّ غـزوٍ تركيّ لشمال سـوريـة. وكشفت صحيفة «Zaman Today» التركيّة يوم ٢٠١٢/٠٩/١٨، أنّ قائد الجيوش الامريكيّة مارتين ديمبسي، أبلغ رئيس هيئة الأركان التركيّة نجدت أوزال بضرورة سحب القوّات العسكريّة من الحـدود التركيّة-السوريّة، تفادياً لإشعال المناطق الكرديّة يكون فيها الرابح الأكبر هو الكردستاني بشكلٍ مباشر، والنظام السوري، بشكلٍ غير مباشر.

ويبدو أن أنقرة وواشنطن بدأتا تقتنعان بالأهميّة الاستراتيجيّة القصوى لعقد صفقة سلام مع الكردستاني، بعد فشل كلّ محاولات التصفية والحسم العسكري التي مارستها تركيا. ومع اندلاع الثورة السوريّة، وظهور الكردستاني كعاملٍ استراتيجيّ وحاسم في سورية والمنطقة، ازدادت الحاجة الملحّة والحيوية لاحتواء هذا الحزب. ولعل أبرز العوائد الاقتصاديّة التي ستعود على تركيا من هكذا صفقة؛ دخـول نفقات «مكافحة الارهـاب» التي تقدّر بمليارات الـدولارات، إلى خزينة الـدولـة للمساهمة في مشاريع التنمية. ناهيكم عن توقّف نزيف الدم

الكردي - التركي. في حين يمكن اختصار المكاسب السياسيّة من هكذا صفقة على النحو التالي:

١ ـ انخراط الكردستاني في السياسة التركيّة، بحيث يصبح مدافعاً عن مصالحها في سورية وايـران والعراق والمنطقة، وعـدم ممانعة المشاريع والمخططات والطموحات التركيّة في المنطقة على اعتبارها من مصالح كرد تركيا ايضاً.

٢ ـ تستفيد تركيا من الثقل الجماهيري الـوازن للكردستاني في سورية على وجه الخصوص، وفي إيران والعراق عموماً؛ ويمكن لتركيا وأمريكا أن تستفيدا مـن الجناح الإيراني للكردستاني (حزب الحياة الحرّة الكردستاني – PJAK)، كذراع عسكريّة منظّمة وقويّة داخل إيران.

٣ ـ بحلّ القضيّة الكرديّة في تركيا تكون أنقرة قد طوت ملفّاً لطالما استنزفها منذ سنة ١٩٢٥. وبذلك تكسب الأكراد إلى جانب العرب السنّة والأقليّات الأخرى في سورية والمنطقة.

٤ ـ بحلّ القضيّة الكرديّة في تركيا، تزيح انقرة حجر عثرة كبير من أمام انضمامها للاتحاد الاوروبـي. وبذلك تكون مرتاحة تماماً في الامتداد شرقاً وجنوباً وغرباً.

كـرديّـاً: انـتـعـاش الحـال الـديمـقـراطـيّـة والسياسيّة في تـركـيـا، سينعكس بشكل مباشر، ليس فقط على أكراد تركيا وحسب، بل ستطال أكـراد العراق وسورية أيضاً. فتركيا الـتي كانت تمانع وتـرفـض بشكل مطلق الفيديراليّة في كردستان العراق، هي الان، ترتبط مع كردستان بعلاقات سياسيّة واقتصاديّة ضخمّة ووثيقة، بحيث وصل حجم التبادل التجاري بين كردستان وتركيا لما يزيد عن ثمانية مليار دولار.

خلال فترة الصراع، قام الكردستاني بطرح العديد من مبادرات السلام، وتخفيض سقف المطالب، لتصل الى المطالبة بما يشبه الحكم الذاتي في المناطق ذات الغالبيّة الكرديّة، والاعــتـراف بـالـوجـود القومي الـكـردي في الدستور التركي. وتحسين وضع أوجلان من السجن الانفرادي المعزول في جزيرة ايمرالي الى الاقامة الجبريّة، بحيث يمنع عليه الحياة السياسيّة والخروج من تركيا، ولكن يسمح له بالتواصل مع الخارج.

هـذه الـمـطـالـب معقولة ومعتدلة بحسب الكثير من القانونيين والمحللين السياسيين، ويعتبرونها أنها من صلب اتفاقيّة لوزان الـتي وقّـعـت عليها تـركـيـا سـنـة ١٩٢٣، وانتهكتها طيلة هذه العقود. سابقاً، كان رئيس الحكومة التركيّة يبرر تباطؤ او تلكؤ حكومته في ايجاد حل سلمي للقضيّة؛ بأن «الجيش والقوى النافذة في تركيا هي التي تمانع وليس هو وحكومته وحزبه»!.

ومـع وجـود عـبـدالله غـل، (احـد مؤسسي العدالة والتنمية) في رئاسة الجمهوريّة، وامتلاك حزب اردوغان الاغلبيّة البرلمانيّة والتفويض الـشـعـبي، وامـتـلاكـه مفاتيح الاقتصاد والقضاء والاعلام، ووجود نجدت اوزال، المقرّب من اردوغان على رأس هيئة الاركان التركيّة، ووجود هاكان فيدان، المقرّب من اردوغان، على رأس مؤسسة الاستخبارات

التركيّة... كل ذلك، يخوّل اردوغان ان يعقد اتفاق سلام مع الكردستاني، وبشروط تكون مشرّفة للطرفين.

يبقى القول: هل سيقتدي العثمانيين الجدد بأجدادهم حين تصالحوا وتحالفوا مع الكرد، فانتصروا على الروم في معركة ملاذكر سنة ١٠٧١، ومعركة تشلديران سنة ١٥١٤ ضدّ الصفويين، فشكّلوا السلطنة السلجوقيّة ثمّ العثمانيّة؟. أم سيقتدون بأتاتورك، لجهة غزارة الوعود، ثم الاخلاف بها، وابقاء تركيا تعوم في دوّامة دماء أبنائها من الكرد والترك؟. وهل سيلقي الكردستاني السلاح، في اطار تسوية سلميّة معقولة ومشرّفة، ويسعى لتحقيق باقي الحقوق الكرديّة في تركيا عبر السياسة، بعيداً من قعقعة السلاح؟. إن تصافت النوايا وتضافرت الجهود والارادات الوطنيّة والديمقراطيّة، فكل شيء ممكن.

المصادر

الموقع الالكتروني لمؤسسة البيت الكردي
http://www.shafaaq.com/mallkurd/index.php?option=com_content&view=article&id=232:---------1&catid=41:history&Itemid=199

كتاب «أكراد تركيا» للدكتور ابراهيم الداقوقي _ دار المدى للثقافة والنشر – ٢٠٠٣

الموقع الالكتروني للباحث والسياسي الكردي محمد ملا احمد
http://www.mihemede-mele-ehmed.com/web/pirtukenMME/pirtuk_arabic.php?arID=١٨٥

موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، ص ٤٠٣، المجلد ٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ٢ سنة ١٩٩٣.

صحيفة الحياة اللندنيّة: «أكراد تركيا بين الحلم المندثر والصحوة الثائرة». عدد الثلاثاء / ٣ يناير / ٢٠١٢

أسبوعيّة روداو الكرديّة الصادرة في كردستان العراق.. عدد ٢٠١٢/٠٧/١٣

النشرة العربيّة لصحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسيّة.. عدد اكتوبر ٢٠١٢: تركيا والعمال الكردستاني

من دولة الكهنة السومريّة نحو الحضارة الديمقراطيّة: عبدالله أوجلان – دار آماردا/ بيروت ٢٠٠٢

دفاعاً عن شعب: عبدالله أوجلان / منشورات حزب العمال الكردستاني / ٢٠٠٥

وكالة فرات نيوز للانباء:
http://ku.firatajans.com/index.php?rupel=nuce&nuceID=41130
http://ku.firatajans.com/index.php?rupel=nuce&nuceID=41166
http://ku.firatajans.com/index.php?rupel=nuce&nuceID=41273

المرأة الكردية والهوية السياسية في تركيا



بقلم: دلشا يوسف

من أكثر المفاهيم الدارجة في المجتمع الكردي في كردستان تركيا (شمال كردستان) هي « أنّ درجة وطنيتك تقاس بمدى إيمانك بالمساواة الإجتماعية.»

ففي السنوات الثلاثين الأخيرة و في ظل الحركة التحررية الوطنية الكردية، طرأت تطورات كثيرة على مكانة و موقع المرأة الكردية في المجتمع الكردي في كردستان تركيا، بتأثير إيديولوجية ثورة التحرر الوطنية التي منحت المجتمع الكردي هوَيته السياسية الخاصة به و التي ميَزت الثورة التحررية الكردية عن باقي الثورات التحررية العالمية الأخرى، من خلال التوَجه أولا نحو التحرر الإجتماعي.

تثمن الباحثة و الأكاديمية التركية (هاندان جاغلايان) في ابحاثها و دراساتها القيِمة، دور المرأة الكردية و مسيرتها النضالية في صفوف الثورة التحررية الكردية، و قد صدر لها كتاب أيضا بهذا الشأن، بعنوان « الهوية السياسية الرسمية من منظور المرأة الكردية» من منشورات دار ئيليتشم التركي. حيث و حسب إعتقاد الباحثة أن وضع المرأة الكردية في كردستان تركيا طرأت عليه تغييرات جمة في ظل النهج الثوري للحركة التحررية الكردية بقيادة حزب العمال الكردستاني و أفكار زعيمها عبد الله أوجلان، و بالأخص في العقدين الأخيرين، حيث من الملحوظ أن المعرفة السياسية نضجت لدى المرأة الكردية خلال هذه المرحلة.

وتضيف الباحثة قائلة:

« في بداية القرن العشرين، كان النشاط السياسي ينحصر في نخبة معينة من الكرد، و بالأخص كان من عمل الرجال فقط. و عائلة البدرخانيين خير مثال

على ذلك. و لكن في سنوات الخمسينيات و الستينيات من القرن العشرين بدأت الظروف تتغير، و إتسع نطاق المشاركة السياسية لتشمل عامة الناس، و بدأت الحركات الشبابية بالظهور. أما حضور المرأة في الميدان السياسي فكان نادرا في تلك المراحل، و تطور المعرفة السياسية لدى المرأة الكردية و نضج أكثر في العقود الثلاثة الأخيرة. يظهر لنا جليا من خلال الأبحاث و الدراسات التي أجرتها السيدة هاندان جاغلايان حول وضع المرأة الكردية في كردستان تركيا، أنه و رغم تباين آراء النساء الكرديات حول سبل إيجاد الحلول للقضية الكردية في تركيا، لكنهن متفقات بشأن مطاليبهن من قبيل « حقوق المرأة» و « المساواة الإجتماعية». و تخوض المرأة تجربة المشاركة الفعلية في كافة المجالات و النشاطات و في كل مناسبة تنادي بصوت واحد بالسلام و المساواة في الحقوق و الواجبات. و السلام و المساواة مفهومان لا يمكن فصلهما مبدئياً عن المطاليب التحررية و الوطنية للجماهير الكردية.

و المرأة الكردية في كردستان تركيا تعرضت لصنوف المعاناة و التنكيل خلال عقود طويلة من تاريخ النضال التحرري الكردي، منذ بدايات القرن العشرين و حتى يومنا الراهن. و إشتدت عليها المعاناة في العقود الأخيرة، نتيجة الممارسات القمعية و الشوفينية للأنظمة التركية التي لم تتورع عن تدمير كافة البنى التحتية في المناطق الكردية و التي طالت إحراق آلاف القرى و تهجير أهاليها قسريا، و فرض أبشع أساليب الحرب النفسية على المجتمع الكردي، و تعريضه لحملات الإنكار و الصهر القومي، و شن حرب شعواء على الهوية القومية و الثقافة الكردية، و فرض الأحكام العرفية الجائرة على المناطق الكردية، و تسليح المليشيات الكردية لحماية مصالحها، و زج الآلاف من الرجال و النساء و الأطفال في السجون، و قتل آلاف آخرين على أيدي قتلة مجهولي الهوية، و ما تزال أثار المقابر الجماعية التي نفذت بحق الكرد شاخصة إلى يومنا هذا. كل هذه الممارسات القمعية حملّت المرأة الكردية أكثر من طاقتها و جعلتها تكسر قوقعتها و تخرج للنضال لتنهي مأساتها و ماساة أمتها التاريخية.

إهتدت المرأة الكردية في كردستان تركيا بالفكر النيَر للثورة التحررية الكردستانية، و خرجت تتحدى واقعها المرير، لتبث روح المقاومة و التحدي في كافة شرائح المجتمع الكردي، منطلقة من ثقتها بنفسها و إرادتها الحرة، لتشارك في كافة مجالات الحياة السياسية و الإجتماعية و العسكرية و الثقافية، مسجلة بذلك فارقا كبيرا و مميزاً، جعلها تتقدم عملياً على باقي الثورات التحررية في المنطقة و في العالم أيضا. كونها سجلت ثورة داخل ثورة.

حاربت المرأة الكردية ضد المفاهيم القديمة، محطمة التابوهات القديمة التي تحصر المرأة في نطاق مفهوم الشرف، و إستطاعت أن تهدم المفاهيم القديمة للشرف و للعائلة و العلاقات الإجتماعية، و تشيَد بدلا عنهم مفاهيم حديثة من قبيل (إمرأة حديثة)،و (عائلة حديثة)، و (رجل و إمرأة حديثين)، و علاقات إجتماعية متحررة، مشرعة الأبواب أمام مشاركة فعلية للمرأة في تأسيس المجتمع، و ترفع من مستواها المعرفي و تجعلها تتصدر مراكز القرار، لتصل لمستوى المناصفة مع الرجل في كافة مجالات الحياة. و يعتبر أسلوب مشاركة المرأة الكردية بالمناصفة في كافة مهام حزب السلام و الديمقراطية، و في كافة المجالات الإدارية و الوظيفية، نموذجا راقيا و مميزا يحتذى به.

هذه المشاركة الفعلية للمرأة الكردية في كردستان تركيا، ساهمت في تغيير ستراتيجية الثورة التحررية الكردستانية، و أكسبتها هوية سياسية وطنية متساوية جنسيا.

المعارضة السياسية في أقليم كردستان - العراق (النشأة والمستقبل)

د. رشيد عمارة الزيدي
م. يوسف محمد صادق

المقدمة

ان الديمقراطية الحقيقية هي حراك اجتماعي و سياسي و ثقافي مستمر من اجل تحقيق الصالح العام و صيانته، اي تحقيق المصلحة العامة و الدفاع عنها في مواجهة المصالح الذاتية الضيقة للماسكين بالسلطة .

و يعد الصراع السلمي بين القوى السياسية من اجل الوصول الى السلطة، حسب قواعد سلمية عامة و مثبتة، هو الآلية الأنسب لتحقيق الهدف المذكور، و هو لب الحراك اعلاه. اذن؛ ان صراع الأحزاب و القوى السياسية في الأنظمة الديمقراطية من اجل الوصول الى السلطة و البقاء فيها عن طريق كسب رضا المواطنين، يؤدي بالنهاية الى تحقيق المصلحة العامة و ضمان استمراريتها. و هذه العملية كلها تفترض وجود قوة أو قوى سياسية في السلطة تحاول تحقيق برامج معينة تؤدي الى تحقيق المصلحة العامة خشية من فقدانها لرضا و قبول المواطنين و من ثم خسرانها للسلطة. و من جانب آخر يفترض وجود معارضة سياسية تهيئ نفسها لإستلام السلطة عن طريق وضع برامج و مشاريع تكسب بها رضا المواطنين، و تحاول في الوقت نفسه كشف مكامن الخلل في عمل الماسكين بالسلطة و إثارة الرأي العام ضدهم.

إن العملية السياسية في اقليم كردستان/ العراق لا تخرج عن هذا السياق لاسيما في الآونة الاخيرة، حيث تشهد تغيرات جذرية تؤمل أن تؤدي الى تصحيح مسارها و جعلها اكثر إنسجاما مع روح و جوهر الديمقراطية. تتمثل هذه التغيرات في ولادة معارضة سياسية قوية نسبيا، إستطاعت أن تحوز على ما يقارب ثلث مقاعد البرلمان في الانتخابات البرلمانية و الرئاسية في تموز ٢٠٠٩.

إن هذه الظاهرة جديرة بالإهتمام و الفحص و المتابعة وذلك من اجل فهم المتغيرات التي أدت

الى هذا التحول، و استكشاف طبيعة هذه المعارضة و توضيح مكامن الخلل و الضعف فيها، فضلا عن نقاط قوتها و فرص نجاحها، و كيفية تعامل السلطة السياسية معها.
وتأسيسا على ماتقدم نحاول في هذا البحث إيجاد إجابات لمجموعة من التساؤلات منها: كيف نشأ و تطور النظام الساسي في الإقليم؟ هل رافق تلك النشأة عملية ديمقراطية سليمة؟ و لماذا؟ كيف بدأت مظاهر الإعتراض و إرهاصات المعارضة في الإقليم، و لماذا؟ كيف برزت المعارضة السياسية الحقيقية في الإقليم، و لماذا؟ ماهي اهم روافدها؟ كيف هو أداء المعارضة السياسية الآن، و كيف تتعامل معها السلطة و مع الواقع الجديد في الإقليم؟ ماهي أهم المتغيرات الكابحة لنشاط المعارضة السياسية في الإقليم؟ و ماهي أهم المتغيرات الداعمة لها؟ و ما مستقبل هذه المعارضة؟
تحاول الدراسة الإجابة على هذه الأسئلة الرئيسة و أخرى فرعية من خلال فرضية قوامها: «أدى تفاعل جملة من المتغيرات الى تأخر و بطأ ظهور المعارضة السياسية في الإقليم، و أن ظهورها و بروز دورها خاصة بعد الإنتخابات البرلمانية و الرئاسية في تموز ٢٠٠٩، سوف يؤدي الى إغناء تجربة الحكم في الإقليم.»
نظراً لطبيعة بحثنا فقد إستخدمنا المنهج التاريخي و منهج التحليل النظمي لكي نتمكن من استكشاف جذور و مدخلات العملية السياسية في الإقليم و أهم مخرجاتها. بغية معرفة دور المعارضة فيها، وآلية عملها.
و تأسيسا على ماتقدم فقد تم تقسيم البحث على الآتي:
الفصل الأول: المعارضة منذ تأسيس حكومة إقليم كردستان - العراق (١٩٩٢ الى ٢٠٠٥).
المبحث الأول: المعارضة منذ تأسيس المجلس الوطني إلى إحداث ٣١ آب ١٩٩٦.
المبحث الثاني: المعارضة منذ أحداث ٣١ آب ١٩٩٦ إلى كانون الثاني ٢٠٠٥.
الفصل الثاني: إرهاصات تشكيل المعارضة- الدورة الثانية لبرلمان إقليم كردستان ٢٠٠٥-٢٠٠٩
المبحث الأول: المعارضة الشعبية والمدنية.
المبحث الثاني: المعارضة من داخل الحكومة.
الفصل الثالث: بروز دور المعارضة- الدورة الثالثة لبرلمان إقليم كردستان
المبحث الأول: الأحزاب المعارضة في الإقليم
المبحث الثاني: المعارضة السياسية بعد أحداث ١٧ شباط ٢٠١١
الفصل الرابع: انجازات ومعوقات المعارضة السياسية في إقليم كردستان و مستقبلها
المبحث الأول: انجازات المعارضة السياسية في إقليم كردستان
المبحث الثاني: معوقات المعارضة في إقليم كردستان
المبحث الثالث: مستقبل المعارضة في إقليم كردستان

الفصل الأول:

المعارضة منذ تأسيس إقليم كردستان –العراق (١٩٩٢ الى عام ٢٠٠٥)

لم تكن المعارضة السياسية في إقليم كردستان العراق نابعة من فراغ، ولا هي وليدة مرحلة تأسيس الإقليم، وإنما تعود جذور المعارضة الكردية إلى بداية تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ لكنها كانت معارضة كردية ضد الأنظمة السياسية العراقية التي تعاقبت على السلطة، و نشطت المعارضة الكردية بصورة خاصة ضد نظام الحكم السابق، فانتشرت ثقافة المعارضة بكل أصنافها في إقليم كردستان – العراق.

و تجدر الإشارة إلى أن تجربة الحكم في الاقليم بدأت بعد الانتفاضة الشعبية في كردستان العراق في شهر آذار ١٩٩١ و إنسحاب المؤسسات الإدارية و السياسية و العسكرية العراقية في شهر تشرين الثاني من السنة نفسها، مما أدى ذلك الى اتخاذ قرار من جانب القيادة الكردية ببناء مؤسسات تشريعية و تنفيذية و إدارية خاصة بكردستان العراق. لذلك أصدرت القيادة السياسية للجبهة الكردستانية(١) في ٨/ ٤/ ١٩٩٢ باعتباها سلطة أمر الواقع (De Facto) قانون رقم (١) لسنة ١٩٩٢ قانون المجلس الوطني لكردستان – العراق، و قانون رقم (٢) لسنة ١٩٩٢ قانون انتخاب قائد الحركة التحررية الكردية.

و ساعد على هذا التوجه لدى القيادة السياسية الكردية، التدخل الدولي عام ١٩٩١، بموجب قرار ٦٨٨(٢) و من ثم اقامة مشروع توفير الراحة (Provide Comfort) (٣) مما أدى الى انفصال فعلي للأراضي الواقعة تحت سيطرة القيادة السياسية الكردية المتمثلة بالجبهة الكردستانية من العراق.

و قد جرت انتخابات المجلس الوطني لكردستان العراق في ١٩/ ٥/ ١٩٩٢. وتنافست فيها (٧) قوائم كردية و (٤) قوائم آشورية لإنتخابات المجلس الوطني و (٤) أشخاص لإنتخابات

---

١. هي جبهة شكلت ١٢/ ٦/ ١٩٨٨ للتنسيق بين الأحزاب الكردية عشية انتهاء الحرب العراقية الإيرانية و بعيد حملات ألأبادة البشرية و القصف الكيمياوى التي انتهجها النظام السابق في العراق ضد الكرد في كردستان العراق. لذلك إنضمت (٨) أحزاب الى هذه الجبهة التي قادت الإنتفاضة الشعبية في آذار ١٩٩١ و هي: الحزب الديمقراطي الكردستاني، الاتحاد الوطني الكردستاني، منظمة اقليم كردستان للحزب الشيوعي العراقي، حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني، الحزب الاشتراكي الكردستاني، الحزب الاشتراكي الكردي – باسوك، حزب الكادحين الكردستاني و الحركة الديمقراطية الاشورية.
أنظر: أوراق توما توماس (٣٨)، في موقع:
http://telskuf.com/articles.asp?article_id=١٠٧١١

٢. لتفاصيل اكثر حول ماهية هذا القرار و أهدافه ينظر: د. عبدالحسين شعبان، السيادة و مبدأ التدخل الانساني، (اربيل: مطبعة جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٠)، ص٢٦.

٣. و ذلك عندما اضطر مئات الالاف من الاكراد للنزوح من مدنهم و قراهم عقب الانتفاضة التي شملت العراق من الشمال إلى الجنوب، و لجؤوا إلى الجبال المحيطة بالمنطقة باتجاه ايران و تركيا، تفادياً لانتقام النظام العراقي السابق. فتدخلت قوات الحلفاء الغربين بدعوة من فرنسا لانشاء مناطق محمية من الهجمات العراقية. للتفاصيل ينظر: غسان العزي، سياسة القوة / مستقبل النظام الدولي و القوى العظمى، (بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية و البحوث و الثوثيق، ٢٠٠٠)، ص ٦١.

قائد حركة تحرير كردستان. وتمت الإنتخابات في جو مشحون سياسياً و ايدولوجياً، و قد شابها الكثير من النواقص(٤) و التزوير(٥). و لكن على الرغم من ذلك عُدَّت هذه الإنتخابات إحدى أكثر الإنتخابات ديمقراطية في الشرق الأوسط أنذاك(٦)، حيث تنافست الأحزاب و القوى الكردية و الآشورية بإتجاهاتها المختلفة على أصوات الناخبين بحرية. كذلك وصف المراقبون المستقلون الأجانب المشاركة الكثيفة للمواطنين في الإنتخابات بأنه «مؤشر واضح لإدراكهم بأهمية المبادئ الديمقراطية، و دليل على رفضهم لنظام صدام حسين»(٧).

و نتيجة للإنتخابات و التوافقات التي جرت فيما بين الإتحاد الوطني الكردستاني (الإتحاد) و الحزب الديمقرطي الكردستاني (البارتي)، تم تقسيم مقاعد المجلس الوطني للإقليم (عدا ممثلي الآشوريين الخمسة الفائزين) مناصفة بين الحزبين المذكورين (لكل منهما ٥٠ مقعداً)، حيث لم تحصل اي من القوائم الكردية الخمسة الأخرى على مقعد في المجلس الوطني، لأن اي منها لم تتمكن من عبور حاجز (٧٪) من أصوات الناخبين(٨).

يمكن تقسيم هذه المرحلة من حيث تطور العملية السياسية في الإقليم الى حقبتين فرعيتين:

الأولى: المعارضة منذ تأسيس المجلس الوطني في الاقليم إلى أحداث آب ١٩٩٦

---

٤ . من هذه النواقص: عدم وجود سجل الناخبين بسبب عدم وجود إحصاء سكاني دقيق، عدم توزيع المراكز الإنتخابية بصورة متوازنة على الدوائر الإنتخابية، عدم صلاحية حبر الإقتراع. ينظر: نوشيروان مصطفى، خلافات البارتي و الإتحاد (باللغة الكردية)، إعداد: لقمان عباس، (هانكو – فينلاند: جهة الطبع بلا، ١٩٩٥)، ص ص١٧ – ٢٣. و كذلك ينظر: آراس عبدالرحمن مصطفى، إنتفاضة آذار ١٩٩١ في جنوب كردستان (باللغة الكردية)، (السليمانية: مؤسسة حمدي للنشر، ٢٠٠٩)، ص ٤٥١. و لمعرفة كيفية توزيع المراكز الإنتخابية على المحافظات الثلاث المشمولة بالإنتخابات، ينظر: جراس ثار. في ستانسفيلد، كردستان العراق التطورات السياسية و نمو الديموقراطية (باللغة الكردية)، ترجمة: د. ياسين سردشتي، (السليمانية: مطبعة سيما، ٢٠١٠)، ص ٢٩٩.

٥ . وصل التزوير الى حد انه في بعض المناطق لاسيما في محافظة دهوك كان عدد الأصوات أكثر من عدد الناخبين المحتملين، حيث بلغت نسبة التصويت في محافظة دهوك (١٢٤٪). ينظر: نوشيروان مصطفى، نتائج الإنتخابات العامة في كردستان (باللغة الكردية)، على موقع:

http://sbeiy.com/UserFiles/PDFPart4.pdf

٦ . ستانسفيلد، ص ٢٩٨.

٧ . نقلاً عن: نفس المصدر، ص ٢٩٩.

٨ . نصت المادة ٣٦ الفقرة ٣ من قانون المجلس الوطني رقم (١): ﴿كل قائمة لم تحصل على (٧٪) أو أكثر من أصوات المقترعين لا تمثل في المجلس و تجري توزيع أصواتها على القوائم الفائزة بنسبة فوزها﴾. و قد عدلت هذه الفقرة بموجب المادة الخامسة عشر من قانون التعديل الثالث لقانون انتخاب المجلس الوطني لكردستان العراق المرقم (٤٧) لسنة ٢٠٠٤، و أصبحت كالآتي: ﴿في حالة عدم حصول أي حزب ضمن المجموعة التي تنافس باسم قومية واحدة (التركمان، الكلدان، الآشوريين، الأرمن، العرب) على (المعدل الإنتخابي) يمنح الحزب الذي حصل ضمن القومية المعنية على أكثر الأصوات مقعداً واحداً﴾. أنظر: المجلس الوطني لكردستان العراق، مجموعة القوانين و القرارات الصادرة عن المجلس الوطني لكردستان العراق، مجلد الثاني، ط١، ١٩٩٧.

الثانية: المعارضة منذ إحداث آب ١٩٩٦ إلى كانون ثاني ٢٠٠٥ أي إنتخاب الدورة الثانية لبرلمان الإقليم. و سنتناولهما في مبحثين.

المبحث الأول: المعارضة منذ تأسيس المجلس الوطني في الاقليم إلى أحداث آب ١٩٩٦

تبدأ هذه المرحلة بتشكيل اول حكومة برئاسة د. فؤاد معصوم عضو المكتب السياسي للإتحاد(٩)، و كانت الحكومة إئتلافية ضمت كل من (البارتي و الإتحاد)١٠ و ممثلي المكونات و الأحزاب الأخرى، حيث (اتفق البارتي و الإتحاد على تقسيم الوزارات مناصفة فيما بينهم و إعطاء بعض الوزارات للأحزاب الأخرى من أجل إسكاتهم)(١١). و نتيجة لذلك لم تشكل في هذه المرحلة معارضة سياسية داخل المجلس الوطني و لو كانت هناك آرآء داخل قيادة الإتحاد تنادي بالإنسحاب من الحكومة و تشكيل معارضة برلمانية و لكن لم تؤخذ بها. أما خارج المجلس الوطني فقد رفضت الحركة الإسلامية في كردستان العراق(١٢) التي حازت قائمتها (التي كانت تضم أيضاً الإسلاميين المستقلين، و بالأخص تيار الإخوان المسلمين انذاك في كردستان) على المرتبة الثالثة في انتخابات ١٩/ ٥/ ١٩٩٢، الإشتراك بالحكومة، و بذلك أصبحت الحركة معارضة خارج المجلس الوطني. و نظراً لكون هذه الحركة ذات توجه قتالي و كانت مسلحة إصتدمت بصورة مسلحة مع الحزبين الرئيسيين خاصة مع الإتحاد مرات عدة منذ عام ١٩٩٣ الى عام ١٩٩٩.

و يرى البعض ان معارضة الحركة الاسلامية لم تكن معارضة سياسية ضد نظام الحكم، و إنما هي معارضة عقائدية كانت رافضة لأي شكل من اشكال النظام السياسي خارج النظام الاسلامي، وهو ما أكده القيادي الكردي نوشيروان مصطفى بقوله: «الحركة الاسلامية في تلك الحقبة لاتعد معارضة سياسية، لأنهم كانوا متشددين لايشتركون في حكومة غير إسلامية، وهم غير موافقين على تشكيل النظام السياسي بشكل علماني، وليس لهم أي توجه سياسي، واحتكمو إلى السلاح، بدعم من ايران»(١٣).

---

٩ . إستقالت هذه الحكومة عام ١٩٩٣ و شكلت حكومة أخرى مماثلة للحكومة السابقة من حيث التركيبة السياسية برئاسة كوسرت رسول علي.

١٠ أينما ترد كلمة (البارتي) تعني الحزب الديموقراطي الكردستاني، و (الإتحاد) يعني الإتحاد الوطني الكردستاني.

١١. نوشيروان مصطفى: الحزب و الحكم تجربة إقليم كردستان (باللغة الكردية)، على موقع:
http://sbeiy.com/ku/ArticleParts.aspx?PartID=25&ArticleID=485&AuthorID=36

١٢. هي حركة اسلامية جهادية انشقت من تيار الإخوان المسلمين في كردستان العراق عام ١٩٨٧ و قاتلت الى جانب القوى الكردية الأخرى ضد النظام العراقي السابق. و قد انشق منها لحد الآن بعض جماعات عدة مثل الجماعة الإسلامية في كردستان و جماعة أنصار الإسلام. لتفاصيل أكثر أنظر: الجزيرة، الحركة الإسلامية في كردستان العراق، في موقع:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8D1C10BA-5216-40D4-BCD8-01B2E0BC7CA4.htm

١٣. نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية، السليمانية، ٥/ ٨/ ٢٠١٠.

كان من المقرر حسب قانون انتخاب المجلس الوطني إجراء إنتخاب اعضاء المجلس عام ١٩٩٥، حيث نصت المادة (٥١) منه على أن مدة المجلس ثلاث سنوات. و لكن اندلاع المعارك الداخلية بين الأحزاب الكردية و خاصة بين البارتي و الإتحاد، أدى الى استحالة إجراء الإنتخابات في موعدها المقرر. و لذلك جرى تمديد مدة المجلس الى سنة ٢٠٠٥(١٤).

من خلال ما تقدم يمكن القول ان هذه المرحلة لم تشهد اي نوع من انواع المعارضة السياسية السلمية، وانما كانت هناك معارضة مسلحة مثلتها الحركة الاسلامية لكردستان العراق، وهي لا تدخل بطبيعة الحال ضمن الفهم الحديث للمعارضة السياسية التي تشترط توافر شرط عدم استخدام السلاح.

المبحث الثاني: من ٣١/ آب/ ١٩٩٦ الى كانون الثاني سنة ٢٠٠٥

سيطرت قوات البارتي في ٣١/ ٨/ ١٩٩٦ بمساعدة النظام العراقي السابق على اربيل عاصمة إقليم كردستان(١٥)، و بدأت بتفعيل المجلس الوطني الذي شل مع استمرار المعارك الداخلية، و شكلت أيضاً حكومة برئاسة د. رؤذ نوري شاويس و بمشاركة أحزاب أخرى مثل الحركة الإسلامية في كردستان العراق و الإتحاد الإسلامي الكردستاني(١٦) و الحزب الشيوعي، و من دون مشاركة الإتحاد الوطني.

هذه الخطوة أدت الى نتيجتين رئيستين:

لم يبق هناك أحزاب و قوى كردية رئيسة خارج السلطة السياسية، خصوصاً بعدما قام الإتحاد أيضاً بتشكيل حكومة في المناطق الخاضعة له برئاسة كوسرت رسول و بمشاركة الأحزاب المتحالفة معه مثل حزب الكادحين و الحزب الإشتراكي الديمقراطي. و بذلك أضحت كل الاحزاب الكردية في السلطة ولم يبق للمعارضة في الاقليم اي دور يذكر.

و مما ترتب على ذلك أنقسام الإقليم سياسياً و ادارياً بعدما جزأته المعارك الداخلية أصلاً الى

---

١٤. للتفاصيل أنظر: الانتخابات في كوردستان، على موقع:

http://www.reform-kurd.com/politics1.asp?processId=2

١٥. للتفاصيل أنظر: لفين، «تفاصيل أحداث ٣١ آب» (باللغة الكردية)، مجلة لفين، العدد ٧٤، (١ من أيلول ٢٠٠٨)، ص ٣١ – ٣٥. علماً ان البارتي طلب المساعدة من نظام صدام بحجة مساعدة النظام الايراني لحزب الاتحاد الوطني في سيطرته على اغلب مناطق الاقليم، ويشير نوشروان مصطفى الى «ان كلا الحزبين كانا على علاقة جيدة مع ايران، و بعض الاحيان يخرج احد الحزبين عن الطاعة فيرغبون في إرجاعه، وهذه سمة السياسة الايرانية، اذ لاتسمح لاي من الطرفين السيطرة على الآخر». نقلاً عن: نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

١٦. أُعلن الإتحاد الاسلامي الكردستاني في ٦/ ٢/ ١٩٩٤، و يعتقد بأنه قريب من الإتجاهات الفكرية لجماعة الإخوان المسلمون في مصر. و قد شارك منذ بدأ المعارك الداخلية في كردستان في جهود المصالحة بين الأطراف المتقاتلة ولم يشارك في أي من جولات الحرب الداخلية. لتفاصيل حول هذا الحزب و اتجاهاته الفكرية و السياسية أنظر: يةككرتوو، من نحن؟، في موقع الرسمي للحزب:

http://www.kurdiu.org/ar/aboutus.php

ثلاث مقاطعات: منطقة تحت نفوذ البارتي و أخرى تحت نفوذ الإتحاد، و ثالثة تحت نفوذ الحركة الإسلامية(١٧). و تلى هذا الإنقسام الجغرافي و السياسي و الإداري، التقسيم القانوني أيضاً بعد تنصيب السكرتير العام للإتحاد السيد جلال الطالباني كرئيس للإقليم في منطقة نفوذ الاتحاد و تشكيل محكمة الإستئناف في المنطقة نفسها سنة ١٩٩٩(١٨).

غير أنه و في نهاية المطاف ونتيجة اتفاقية واشنطن للسلام التي وقعت عام ١٩٩٨ بين السيدين (جلال طالباني ومسعود بارزاني) بحضور وزيرة الخارجية الامريكية آنذاك السيدة (مادلين اولبرايت)، بدأت منذ أواخر عام ٢٠٠٢ عملية إعادة توحيد الإقليم. و الخطوة الأولى كانت بتوحيد المجلس الوطني الكردستاني الذي عقد أول إجتماع موحد له من جديد بتأريخ ٢٠٠٢/١٠/٤(١٩). و لكن مع ذلك تأخر توحيد حكومة الإقليم الى ٢٠٠٦/٥/٧ (٢٠)، اي بعد أكثر من سنة من انتخاب الدورة الثانية للمجلس الوطني لكردستان في ٣١/ ١/ ٢٠٠٥.

و تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة شهدت هي الأخرى وجود معارضة سياسية مسلحة قادتها جماعة أنصار الإسلام التي تشكلت في ٥ كانون الأول ٢٠٠١ بعد اتحاد جماعة جند الإسلام بزعامة (أبي عبدالله الشافعي) مع حركة الإصلاح (بزعامة نجم الدين فرج احمد الملقب بملا كريكار) التي انفصلت عن الحركة الإسلامية في كردستان. وهذه الجماعة تعد جماعة سلفية جهادية مقربة من أفكار القاعدة. و كانت تدعو إلى تطبيق الدين الاسلامي، و كانت تعارض و تقاتل النظام السياسي القائم في الإقليم برمته و ترفض المشاركة فيه.

و في ٢٠٠٣ سيطرت الجماعة على مجموعة من المدن الصغيرة و القرى في الاقليم قرب سلسلة الجبال التي تفصل حدود العراق مع إيران. وإتخذت منها معسكرات ومراكز تدريب. و قد ورد إسمها ضمن تقرير وزارة الخارجية الأميركية عن الإرهاب في ٢٧ ابريل ٢٠٠٥، إذ عدت الولايات المتحدة هذه الجماعة (أنصار الاسلام) متعاونة مع تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن. و أعلنت أيضا على لسان وزير خارجيتها كولن باول ان الجماعة تمتلك معسكرا لانتاج السموم وان لها علاقات مع الرئيس العراقي السابق صدام حسين، و هي اتهامات نفتها الجماعة. و عندما بدأت حملة الولايات المتحدة لغزو العراق و بالذات في ليلة ٢٢- ٢٣ من آذار ٢٠٠٣ قامت قوات البحرية الأمريكية من البحر الأحمر و البحر المتوسط بقصف معاقل الجماعة في شمال

١٧. أنظر: نوشيروان مصطفى، الحزب و الحكم.

١٨. أنظر: نوشيروان مصطفى، بين مام جلال و أنا آذار ١٩٩٩ – شباط ٢٠٠١ (باللغة الكردية)، ، (السليمانية: مطبعة رنج، ٢٠٠٩)، ص ٩٦. أو على موقع القريب من حركة التغيير:
http://sbeiy.com/ku/ArticleParts.aspx?PartID=39&ArticleID=2426&AuthorID=36

١٩. أنظر: تأريخ إنتخابات الدورة الاولى ١٩٩٢، على موقع برلمان كردستان:
http://www.kurdistan-parliament.org/default.aspx?page=sitecontents&c=Parliament-History1992

٢٠. أنظر: ياسين صالح، المعارضة السياسية (باللغة الكردية)، (السليمانية: مطبعة رنج، ٢٠٠٩)، ص ٣٣٠.

العراق بنحو (٧٠) صاروخاً بعيدة المدى. و بعد ذلك قامت الوحدات الخاصة الأمريكية بحملة عسكرية على اعضائها بالاشتراك مع مقاتلي الاتحاد الوطني الكردستاني مما أدى الى القضاء على معاقلها و فرار قياداتها الى ايران و من هناك الى المناطق الوسطى من العراق التي بدأت فيها انذاك نشاط حركات المقاومة و التمرد و الإرهاب(٢١).

من خلال كل ذلك نستنتج بأنه لم تبرز في هذه المرحلة بحقبتيها، معارضة سياسية فاعلة و مؤثرة للسلطة السياسية في الإقليم، و ذلك لأسباب عدة منها:

كانت الأحزاب الكردية معارِضة للنظام العراقي طيلة ثلاثين سنة تقريباً، و بالأخص الحزبان الرئيسيان (البارتي و الإتحاد) ويرغبان باستلام السلطة أو المشاركة فيها. و كان من الصعب أن يقبل أي منهما ان يبقى في المعارضة .

لم يكن لدى هذه الأحزاب تجربة في الحكم و ممارسة العمل الديمقراطي المدني، بل بالأحرى لم يكن لدى الشعب الكردي أية تجربة للحكم سوى تجربتي حكومة الشيخ محمود الحفيد عام ١٩٢٢ التي لم تدم أكثر من سنة و أفشلها الإستعمار البريطاني، و تجربة حكومة مهاباد التي شكلها قاضي محمد سنة ١٩٤٦، و لم تدم أيضاً أكثر من سنة، حيث قام الجيش الايراني باسقاطها و أعدم القاضي و رفاقه(٢٢). قلة التجربة هذه تنطبق أيضاً على ثقافة المعارضة السياسية و كيفية ادارة الصراعات السياسية و ترسيخ مقومات و مبادئ الديمقراطية و لاسيما مسألة مداولة السلطة سلمياً بين القوى السياسية.

كانت لدى الأحزاب الكردية تجربة مريرة من الصراعات و المعارك الداخلية حتى في الجبال وقت مجابهتهم للنظام السابق. هذه الصراعات و المعارك رسخت حالة من عدم الثقة العميقة فيما بينهم و خاصة فيما بين الحزبين الرئيسيين. وعمقت هذه الحالة عمليات التزوير التي شابت العملية الإنتخابية سنة ١٩٩٢ و كذلك إستئناف المعارك الداخلية بين هذه الأحزاب منذ سنة ١٩٩٣ إلى ١٩٩٩، مما أدى الى عدم قبول أى من الحزبين الرئيسين الإنسحاب من الحكومة و القيام بدور المعارضة البرلمانية خشية إحتكار السلطة من جانب الطرف الآخر. في الوقت نفسه ان تجربة الحكم في العراق عموماً كانت تعمق من شكوك الأحـزاب الكردية تجاه بعضها البعض. حيث كان يتم إحتكار السلطة من جانب قلة قليلة و إبعاد الآخرين و حتى المتحالفين وقت الإستيلاء على السلطة.

---

٢١. يعتقد ان الجماعة مسؤول عن عدد من العمليات في شمال العراق و خاصة محاولة إغتيال د. برهم صالح رئيس حكومة الإقليم/ الادارة السليمانية انذاك في ٢/٤/٢٠٠٢. و كذلك العملية التي وقعت في ٢٦ شباط ٢٠٠٣ في أحد نقاط التفتيش في شمال العراق ضد عناصر الثيَشمةرطة و العملية التي استهدفت مقر القوات الأمريكية في محافظة اربيل في ٩ أيلول ٢٠٠٣ و العملية التي استهدفت مقرين للحزبين الكرديين الحزب الديمقراطي الكردستاني و الاتحاد الوطني الكردستاني في اربيل و التي قتل فيها ١٠٩ و جرح ٢٠٠ في ١ فبراير ٢٠٠٤، أنظر: يوسف جوران، ظهور تنظيم القاعدة في كردستان العراق (باللغة الكردية)، (السليمانية: مكتب الفكر و التوعية للإتحاد الوطني، ٢٠٠٩)، ص ص ٤٢-٤٧.

٢٢. نوشروان مصطفى: الحزب و الحكم، مصدر سابق.

كان من المفترض أن تكون هذه المرحلة مرحلة التأسيس و لذلك لا بأس أن يشارك الكل في بناء تجربة ديمقراطية جديدة في منطقة الشرق الأوسط، و لكن الإقتتال الداخلي أدى الى إنحراف هذه التجربة عن مسارها. وهو ما أوضحه السيد نوشروان مصطفى رئيس حركة التغيير: "بأننا لم نقم بحركة المعارضة آنذاك لأنها كانت مرحلة تأسيس وكانت أولوياتنا ترسيخ المؤسسات الكردية في الاقليم وتم التغاضي عن الكثير من الامور منها تشكيل حركة معارضة سياسية"(٢٣).

الفصل الثاني: إرهاصات تشكيل المعارضة- الدورة الثانية للمجلس الوطني لإقليم كردستان ٢٠٠٥-٢٠٠٩

إحتلت الولايات المتحدة و حلفاؤها العراق، و أُسقط النظام العراقي في عام ٢٠٠٣ و تم الشروع في إعادة بناء الدولة العراقية من جديد، و بناء عملية سياسية ديمقراطية فيها، بدأت بمجلس الحكم الذي أُسس في تموز ٢٠٠٣ و إعداد قانون ادارة الدولة للمرحلة الإنتقالية و تشكيل الحكومة الإنتقالية برئاسة د. اياد علاوي و من ثم الحكومة المؤقتة برئاسة د. إبراهيم الجعفري، و كتابة الدستور الدائم للعراق و الإستفتاء عليه و من ثم إنتخاب مجلس النواب عام ٢٠٠٥. و قد شاركت الأحزاب الكردية الرئيسة خصوصاً البارتي و الإتحاد و الإتحاد الاسلامي في كل هذه التحولات(٢٤).

أما على صعيد الإقليم فقد جرت في ٣٠/ ١/ ٢٠٠٥ انتخابات الدورة الثانية للمجلس الوطني الكردستاني مع انتخابات مجالس المحافظات. شارك البارتي و الإتحاد مع الأحزاب الأخرى الكردية (عدا حزب الكادحين و الجماعة الإسلامية(٢٥) و حزب (الحل الديمقراطي) بقائمة واحدة في انتخابات المجلس الوطني خشية منهم من تفاقم الصراعات من جديد فيما بينهم بسبب المنافسة الإنتخابية(٢٦).

توصل الحزبان الرئيسيان أنذاك البارتي و الإتحاد الى اتفاق في ٧/ ١/ ٢٠٠٦ حول كيفية توزيع

٢٣١٧. نوشروان مصطفى، مقابلة شخصية.

٢٤. للتفاصيل حول مشاركة الأحزاب الكردية في إعادة بناء الدولة العراقية، أنظر: نوشيروان مصطفى أمين، مذكراتي في مجلس الحكم (باللغة الكردية)، (السليمانية: مركز جمال علي بابير للطباعة و النشر)، سنة الطبع بلا.

٢٥. خرجت الجماعة الإسلامية بقيادة علي بابير من رحم الحركة الإسلامية، أو حركة الوحدة الإسلامية التي كانت عبارة عن اندماج الحركة الإسلامية وحركة النهضة الإسلامية. ولا يمكن الحديث عن خلاف فكري بين الجماعة و الحركة، إلّا ان الخلاف على قيادة حركة الوحدة أدى الى الإنشقاق الذي حدث بينهما سنة ٢٠٠١. أنظر: الجزيرة، الجماعة الإسلامية في كردستان العراق، في موقع:
9C15-BFD6676858FC.-49B8-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/065300DE-1908 htm

٢٦. للإطلاع على نتائج هذه الإنتخابات أنظر: نتائج إنتخابات ٢٠٠٥، على موقع برلمان كردستان العراق:
http://perleman.org/default.aspx?page=sitecontents&c=Parliament-History2005

المناصب الرئيسية في الإقليم و الحكومة الإتحادية(٢٧)، و قد جرى تشكيل حكومة الإقليم بموجب هذه الإتفاقية في ٧/٥/ ٢٠٠٦ كأول حكومة موحدة بعد أحداث ٣١ من آب ١٩٩٦ برئاسة السيد نيجيرفان برزاني عضو المكتب السياسي للبارتي. و قد شارك جميع الأحزاب الداخلة في المجلس الوطني في هذه الحكومة. و لكن كانت أحزاب أخرى خارج المجلس الوطني لم تشارك في الحكومة مثل الحركة الإسلامية التي كانت تعاني من مشاكل داخلية أضعفتها كثيراً، و لم تشارك أصلاً في انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥، و كذلك حزب الحل الديمقراطي الذي لم يستطع الوصول الى المجلس الوطني بسبب قلة أصواته.

إذن؛ فدخول كل الكتل البرلمانية في الحكومة و عدم وجود قوى فاعلة و مؤثرة خارج الحكومة ادى الى عدم بروز معارضة سياسية في الإقليم.

و يمكن الاشارة الى عدد من العوامل التي أدت الى عدم بروز المعارضة السياسية في هذه المرحلة:

ان كابوس تكرار الإقتتال الداخلي كان ماثلاً في الأذهان، لاسيما و ان السلاح بقي بيد الكوادر الحزبية، كما و أن فقدان الثقة بين الأحزاب السياسية خصوصا بين البارتي و الإتحاد كان من بواعث القلق التي أدت بهذين الحزبين الى عدم الدخول في صراعات حادة مثل المشاركة بقوائم مختلفة و بقاء أحدهما في المعارضة و تشكيل الآخر الحكومة.

عدم تثبيت ميزانية الأحزاب في قانون (على الرغم من وجود قانون الأحزاب السياسية رقم ١٧ لسنة ١٩٩٣)(٢٨) أدّى الى تحديد دور و فاعلية و حرية الحركة للأحزاب الأخرى بمعزل عن الحزبين الرئيسيين انذاك. لآنه كان و لايزال بامكان هذين الحزبين استعمال المنح المالية لتلك الأحزاب للضغط عليهم.

لم تترسخ في هذه المرحلة الحريات السياسية و حرية حركة الأحزاب و القوى السياسية الأخرى بعيدا عن رغبات الحزبين الرئيسين. فمثلاً عندما قرر الإتحاد الإسلامي الدخول في انتخابات مجلس النواب العراقي في ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٥ بقائمة مستقلة، جرى قتل ثلاثة من كوادره و كذلك تخريب و إحراق مقراتهم في مناطق عديدة من محافظة دهوك من جانب مجموعة من جماهير البارتي في ٦/ ١٢/ ٢٠٠٥(٢٩). إذن لم يكن هناك مجال واسع لحرية حركة الأحزاب الأخرى بحيث تستطيع تشكيل معارضة سياسية فعالة.

تذرع الحزبان الحاكمان بإنشغالهما بتثبيت بالحقوق القومية السياسية مع إعادة بناء الدولة العراقية في عدم تصحيح مسار العملية الديمقراطية في الإقليم. بيد أن ذلك لم يكن يمنع

٢٧. للتفاصيل أنظر: ياسين صالح، ص ٣٣٠.

٢٨ تنص المادة ١٤ أولاً من هذا القانون: توزع المنح التي تخصص من ميزانية الاقليم للاحزاب وفق ضوابط يقررها المجلس الوطني لكوردستان – العراق. ولكن يعرقل الحزبين الحاكمين لحد الآن إقرار قانون تنظيم المنح المالية للأحزاب في الإقليم. للإطلاع على نص قانون الاحزاب لاقليم كوردستان العراق رقم ١٧ لسنة ١٩٩٣ راجع موقع قاعدة التشريعات العراقية في: http://www.iraq-ild.org/LoadLawBook.aspx?SP=ALL&SC=171020077683857

٢٩. للتفاصيل أنظر: بيانين للاتحاد الإسلامي حول هذه الأحداث في أرشيف موقع kurdistannet.org في يومي ٧/ ١٢/ ٢٠٠٥ و ٨/ ١٢/ ٢٠٠٥.

من القيام بالإصلاحات و بناء المؤسسات لتقوية الوضع السياسي الداخلي في الإقليم إلى جانب التركيز على الحقوق القومية.

و بذلك لايمكن الحديث عن معارضة حزبية في هذه الحقبة. ولكن على الرغم من ذلك تعد هذه الحقبة، مرحلة تمهيدية لبروز معارضة سياسية كردية داخل إقليم كردستان العراق، و ان عدم وجود معارضة سياسية فاعلة في هذه المرحلة لم يمنع بروز أشكال أخرى من المعارضة مثل الإعتراضات الشعبية و المعارضة المدنية و المعارضة داخل الحكومة، و كذلك المعارضة داخل الأحزاب و الإعلام الحر. و بعض هذه التحركات أدت الى بروز المعارضة السياسية فى الإقليم في المرحلة اللاحقة. واتخذت هذه المعارضة صوراً و أشكالاً عدة، يمكن إيجاز أبرزها بالآتي:

المبحث الأول: المعارضة الشعبية والمدنية.

المبحث الثاني: المعارضة السياسية داخل الحكومة.

المبحث الأول: المعارضة الشعبية والمدنية

بدأت في هذه المرحلة حركة معارضة سياسية على شكل حركة كتابة نقدية، و تأسيس الإعلام الحر و تشكيل الحركات المدنية و بروز الاحتجاجات الشعبية. و يمكن الإشارة بهذا الخصوص الى كتابات و مقالات مجموعة من المثقفين و الأكاديميين من إمثال مجموعة (نيَوةندي رةهةند)(٣٠) أي (مركز البُعد) و غيرهم و اللذين أسسوا بنيان خطاب نقدي و معارض. و أثّر هذا الخطاب بصورة واضحة على قرّائه و خاصة من جيل الشباب بصورة أصبح النقد للحكومة و السلطة بمثابة نمط سياسي و ثقافي في الإقليم(٣١). ليس هذا فحسب، بل حاول العديد من هؤلاء المثقفين و الكتاب التنظير للتغيير و تيار التغيير في الإقليم فيما بعد(٣٢).

من جانب آخر فان الإعلام الحر الأهلي كان له دور مهم في بلورة الرأي العام المعارض للأوضاع

---

٣٠. و هي مجموعة من الكتاب و المثقفين من إمثال بختيار علي و مريوان وريا قانع و آراس فتاح و ريبين هردي الذين حاولوا من بدايات التسعينات من القرن الماضي التنظير لفكر نقدي علماني في كردستان. يمكنك زيارة موقعهم على النيت: http://www.rahand.com/

٣١. زوبير رسول، «المعارضة السياسية في إقليم كردستان) (باللغة الكردية)، مجلة روشنجري، العدد ٢٧، (شتاء ٢٠١٠)، ص ٧٦.

٣٢. فمثلاً أنظر الى هذه الدراسات:

بختيار علي، الهروب من الفراغ (باللغة الكردية)، في موقع:

http://sbeiy.com/ku/article_detail.aspx?ArticleID=1664&AuthorID=201

و أيضاً أنظر:

مريوان علي، الخروج من الميتافيزيكا كيف ننظر للتغيير؟ (باللغة الكردية)، على موقع:

http://sbeiy.com/ku/article_detail.aspx?ArticleID=1853&AuthorID=482

التي كانت تسود في الإقليم من كل النواحي السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الخدمية. و كانت القنوات الإعلامية كافة حكراً على الأحزاب السياسية في الإقليم. و لكن عام ٢٠٠٠ شهد ولادة أول جريدة أهلية باسم (هاولآتي)(٣٣). و بعد ذلك ازدادت القنوات الإعلامية الأهلية كماً و نوعاً، وبلغت عشرات المجلات الأهلية مثل (لفين(٣٤)، و ريجا، و جيهان، .. الخ) كما كانت هناك قنوات مسموعة حرة مثل (راديو نةوا(٣٥))، فضلا عن مجموعة أخرى من المواقع الإلكترونية مثل (ستاندارد(٣٦)، كوردستان بوست(٣٧)، كوردستان نيت(٣٨) ..الخ). و كان لهذه القنوات دور كبير في إلقاء الضوء على المشاكل و الأزمات الداخلية و الخارجية للإقليم، و كذلك فتحت منابر حرة للمثقفين و الكُتّاب من أرباب الميول المعارضة حتى قبل بروز حركة التغيير في الإقليم، و بالتالي ساهمت في خلق رأي عام معارض للسلطة. و ساهمت هذه القنوات الإعلامية الأهلية (غير الحزبية) المقروئة منها و المسموعة في كشف المعلومات المستورة عنها سلفاً و توعية المواطنين بما كان يجري وراء الكواليس، و إبراز النقص في الخدمات، و أوجه الفساد المختلفة، مما أدى إلى خلق رأي عام مهيأ للتغيير إستطاع المعارضة السياسية في المرحلة اللاحقة قيادته و توجيهه في الإنتخابات و محاولة تغيير المعادلة السياسية في الإقليم.

من دون أن نغفل دور منظمات المجتمع المدني و الحركات المدنية التي كان لها دور كبير في توعية المواطنين و خلق أرضية مناسبة لبروز تيار معارض داخل الإقليم.

و مما تجدر الاشارة إليه أن الاحتجاجات الشعبية التي خلفها تردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الاقليم لاسيما استقرار مؤسساته، و مشهده السياسي. فقد ظل الوضع على تدهوره على الصعيد الشعبي في مجال خدمات تقديم الماء و الكهرباء و معالجة المحروقات مما أدى الى سلسلة من المظاهرات الشعبية في النصف الثاني من عام ٢٠٠٥ و بداية عام ٢٠٠٦ في كلار و رانية و السليمانية و آكرى و حلبجه الشهيدة إعتراضاً على عدم وفاء السلطة بالوعود التي قطعتها على نفسها في انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥. رغم انه لم يكن هناك أهداف سياسية وراء هذه المظاهرات و الإعتراضات إذ كان الهدف الرئيس منها توفير الحاجيات و الخدمات الأساسية للمواطنين، و لكن جاء الرد عليها من السلطة بعنف عليها و لاحقت منظميها حتى

٣٣. هاولاتي «المواطن»، صحيفة سياسية مستقلة حرة اهلية، صدر عدد «الصفر» منها في ٢٠٠٠/١١/٥ في مدينة السليمانية في كردستان العراق. تأسست هاولاتي لتحقيق حق المواطنة للكل، و تأمين حرية التعبير، وتحقيق حقوق الانسان، وتغذية روح الديمقراطية والحوار. للإطلاع الأكثر أنظر:
http://hawlati.info/Ar/AboutUs.aspx

٣٤. أنظر: http://lvinpress.com/Arabic.aspx

٣٥. أنظر الى موقع الراديو على النيت: http://radionawa.com/ar/arabic.aspx

٣٦. أنظر: http://standardkurd.org/English.aspx

٣٧. أنظر: http://www.kurdistanpost.com/about.asp

٣٨. أنظر: http://www.kurdistannet.info/net/index.php

وصل الرد في مناطق الى إطلاق النار على المتظاهرين بصورة مباشرة و بذخيرة حية(٣٩).
و إلى جانب ذلك جرى في ٥/٥/ ٢٠٠٧ اعلان حركة (هەتاكەی) «أي إلى متى» التي تشكلت من اتحاد منظمات المجتمع المدني و من شخصيات قانونية و أكاديمية و سياسية و ثقافية و إعلامية كحركة مدنية تسعى من خلال الضغط السلمي على السلطة السياسية لترسيخ الدعائم الحقيقية للديمقراطية، و حفظ و صيانة حقوق و كرامة المواطنين، و محاربة الفساد، و توفير الخدمات الأساسية للمواطنين(٤٠).
و قد أعدت الحركة مشروعين لتفعيل المجلس الوطني و للإنتخابات المبكرة في الإقليم. و شرعت بتجميع الجماعات المعترضة في الأقضية المختلفة من محافظة السليمانية تحت مظلتها و قامت بعملية توعية المواطنين على حقوقهم و كيفية الدفاع عنها بصورة سلمية. و على الرغم من قصر عمر الحركة إلّا أنها تمكنت من الضغط على الحكومة للقيام ببعض الإصلاحات في مجال الخدمات و محاربة الفساد فضلاً عن تشجيع الأحزاب السياسية للقيام بواجبها و تشكيل معارضة سياسية جادة و قوية. و يمكن القول بأن تأسيس هذه الحركة كان أحد المدخلات الرئيسية في تحرك الأحزاب الأربعة (التي سنتحدث عنها لاحقاً)، و ان بعض كوادر الحركة أصبحوا فيما بعد النواة المتقدمة في المعارضة السياسية في المرحلة اللاحقة (أي حركة التغيير(٤١)). مما يمكن اعتبار حركة هەتاکەی «إلى متى» إحدى لبنات المعارضة السياسية التي تشكلت فيما بعد في الاقليم. و لكن جملة من الأسباب أدت الى تفكك الحركة، ذكر منها الدكتور لطيف مصطفى ما يأتي: «تحمُل العبئ الاكبر لبعض المؤسسين و خاصة منسق الحركة يوسف محمد صادق، الانشغال بأمور ثانونية على حساب العمل المعارض، المحاربة غير المباشرة من الحزبين الرئيسين في الاقليم، ضعف التمويل المادي»(٤٢).

---

٣٩ . أنظر: ياسين صالح، ص ص ٣٣٤ – ٣٣٦.

٤٠ . أنظر: رحمن غريب، الاعلان عن تأسيس حركة مدنية جديدة في السليمانية، على موقع الحزب الشيوعي العراقي:
http://tareekalshaab.blogspot.com/2007_05_06_archive.html

و كذلك أنظر: الاعلان عن تأسيس حركة "الى متى" في كردستان، على موقع:
http://www.wna-news.com/inanews/news.php?item.2053.10

و من أبرز مؤسسي الحركة (د. لطيف مصطفى، يوسف محمد صادق، سرور علي جعفر، شورش أمين، آرام جمال، آلا كمال، و آخرون)، نقلاَ عن: د. لطيف مصطفى، مقابلة شخصية، السليمانية، ٥/ ٨/ ٢٠١٠.

٤١. فمثلاً إثنان من أعضاء الهيئة القيادية لحركة (هەتاكەی) و هما د. لطيف مصطفى و يوسف محمد صادق هما كانا ضمن قائمة التغيير لانتخابات مجلس النواب العراقي عام ٢٠١٠. علماً أن د. لطيف مصطفى هو كان رئيس القائمة في محافظة السليمانية و حاز على أعلى الأصوات في إقليم كردستان و المرتبة السادسة على مستوى العراق كله بـ(٩٣١٦٩) صوتاً. أنظر: درباز محمد، تحليل نتائج إنتخابات مجلس النواب العراقي ٧/ ٣/ ٢٠١٠ (باللغة الكردية)، (السليمانية: غرفة الأبحاث السياسية في حركة التغيير، ٢٠١١)، ص ٤٠.

٤٢ . د. لطيف مصطفى، مقابلة شخصية.

المبحث الثاني: المعارضة من داخل الحكومة

الحراك الآخر في هذه المرحلة نحو تشكيل معارضة سياسية حقيقية في الإقليم كان المعارضة الداخلية أو النقد الذاتي من داخل الإتحاد الوطني الكردستاني. رغم أن بدايات هذا الحراك يعود الى السنة الأولى من الإنتفاضة حتى قبل ظهور المؤسسات السياسية لإقليم كردستان(٤٣)، اذ اشار الى ذلك السيد نوشروان مصطفى بقوله: «في بداية تشكيل اول حكومة كردية اقترحت على المكتب السياسي في حزب الاتحاد الوطني ان نتفق مع حزب البارتي، و ان يكون احد الحزبين في الحكم والاخر في المعارضة لكن الرفاق لم يوافقوا لسببين أساسيين هما أن المجتمع الكردي مجتمع مسلح و الأحزاب أيضا، و كانوا يخشون عودة الاقتتال، والثاني الوضع الاقتصادي الصعب، ومن يصبح في المعارضة يتعرض للضمور»(٤٤).

هذا من جانب، و من جانب اخر طرح السيد نوشيروان مصطفى فكرة أخرى على الحزب، و هي ان يتولى الحكومة رجال تكنوقراط و ليس قادة المكتب السياسي لاعتقاده بأنهم رجال حرب عصابات و ليسوا رجال الدولة، و نكون في المجلس الوطني لمراقبة الحكومة واسقاطها متى فشلت في مهامها، لكن هذه الفكرة لم تلق ترحيباً أيضاً من الحزب.(٤٥)

ولم يتوقف الامر عند هذا المستوى، اذ أرسل عدد من أعضاء المكتب السياسي للإتحاد رسالة الى السيد جلال الطالباني السكرتير العام للاتحاد نهاية عام ٢٠٠٥ طالبوا فيها باجراء اصلاحات جذرية داخل الحزب و الحد من صلاحيات السكرتير العام و تفعيل المكتب السياسي و اجراء انتخابات فرعية داخل الحزب، و إجراء إصلاحات شاملة داخل الحكومة و تفعيلها و تأمين الخدمات الأساسية للمواطنين.

و في هذا الصدد اشار نوشيروان مصطفى بان «سكرتير الحزب كان يمتلك كل الصلاحيات فهو القائد العام لقوات البيشمركة و مسؤول جهاز الإعلام و المخابرات، و لا أحد يعرف شيئاً حتى المكتب السياسي سواء عن مالية الحزب أم حجم رأسمال الحزب أو كيفية إدارة تلك الأموال، فضلا عن جهاز الآسايش (أي جهاز الأمن)، وهو رئيس جمهورية العراق، فكيف يمكن ان يشرف على كل ذلك، ولم يكن مستعدا للتنازل عن أي من هذه الصلاحيات»(٤٦).

و في نهاية السنة ذاتها إستقال نوشيروان مصطفى امين نائب السكرتير العام للإتحاد من جميع مناصبه داخل الإتحاد(٤٧). وشكل مؤسسة إعلامية باسم شركة وشه «الكلمة» في اذار

٤٣. أنظر: نوشيروان مصطفى، بين مام جلال و أنا، ص ٤ – ٦.

٤٤. نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

٤٥. المصدر نفسه.

٤٦. المصدر نفسه.

٤٧. أنظر: آوينة، «(نوشيروان مصطفى من جماعة منتقدة الى المعارضة)» (باللغة الكردية)، جريدة آونة، العدد ١٤١، يوم الإثنين ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٨.

و كذلك: خفايا استقالة نوشيروان مصطفى، على موقع:

٢٠٠٧(٤٨) تحتوي على موقع الكتروني و جريدة و راديو و قناة فضائية و مطبعة ، و منذ ذلك الحين كرس السيد نوشيروان مصطفى جهوده لإحداث تغيير في النظام السياسي كله في الإقليم عن طريق إنشاء معارضة سياسية فاعلة. وفسر نوشروان مصطفى خروجه من الاتحاد بقوله:«كنتُ أعتقد أن إصلاح الحكومة يتوقف على إصلاح الحزب، ولكن فيمابعد يَئِست من ذلك و خرجت و بقي رفاقي الآخرون»(٤٩).

و شارك بقائمة مستقلة هو و زملاؤه في انتخابات ٢٥/ تموز/ ٢٠٠٩ و حازت القائمة على المركز الثاني و حصل على ٢٥ مقعداً في برلمان اقليم كردستان – العراق.

إذن؛ من خلال ماتقدم يمكن القول بأنه على الرغم من عدم وجود معارضة سياسية فاعلة في الإقليم في هذه المرحلة سواء كان داخل البرلمان أم خارجه، لكن الاقليم شهد مخاضاً فكرياً و إجتماعياً و تحركا سياسيا و شعبيا و مدنيا و إعلاميا هيأ الأجواء لبروز معارضة سياسية حقيقية في المرحلة اللاحقة.

الفصل الثالث: بروز دور المعارضة- الدورة الثالثة لبرلمان إقليم كردستان

شهدت هذه المرحلة تطورا مهماً في المعارضة السياسية في إقليم كردستان العراق، اذ تمخض عنها بروز إحزاب سياسية معارضة رسمية، و تطورت العلاقة و التنسيق فيما بينها والتي يمكن ايجازها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الأحزاب المعارِضة في الإقليم

يمثل المعارضة السياسية في الإقليم الآن تياران: أحدهما علماني تمثله حركة التغيير، و الآخر إسلامي تمثله الإتحاد الإسلامي، و الجماعة الإسلامية.

أولاً: حركة التغيير (طؤران))٥٠(

يعد السيد نوشيروان مصطفى أمين (نائب سكرتير العام للإتحاد سابقاً و رئيس حركة التغيير حالياً) الذي خرج و رفاقه من الإتحاد الوطني الكردستاني، المحرك الرئيس للحركة الجديدة، لما له من تاريخ و ارث نضالي و سياسي و ثقافي كبير.(٥١) و هو الذي قاد حركة النقد الذاتي،

---

٤٨. أنظر:
http://www.iraqcenter.net/vb/28938.html

Wsha Corporation, Our Corporation:
http://www.wusha.net/Content.aspx?LinkID=1

٤٩. نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

٥٠ . للإطلاع على بيانات الحركة و أدبياتها السياسية راجع الرابط التالي:
http://gorran.net/Ar/Content.aspx?LinkID=47&Action=4

٥١ . فمعروف عنه (أي نوشيروان مصطفى) بأنه من المؤسسين الأوائل للإتحاد و من مؤسسي قوات البيشمركة و مهندس

التي كانت تسمى بجناح الإصلاح داخل الإتحاد. و عندما وصل الإصلاح داخل الحزب الى طريق مسدود، فضّل نوشيروان و بعض من قيادات و أعضاء الإتحاد الإستقالة من مناصبهم و تأسيس حركة جديدة تحت مسمى حركة التغيير (كوران).

نشر نوشيروان مصطفى عام ٢٠٠٩ سلسلة من المقالات تحت عنوان (نحن و هم: ما هي أوجه خلافاتنا؟)(٥٢). يمكن إعتبار هذه السلسلة تنظيراً لمبررات تأسيس حركة التغيير. فنوشيروان مصطفى يقول: «نحن نريد عدم تدخل الحزب في شؤون المؤسسات الحكومية و الجامعات و المحاكم و منظمات المجتمع المدني. و لكن هم يريدون إحكام سيطرة و تدخل الحزب في الشؤون اليومية للمواطنين. نحن نريد توفير العدالة في توزيع الثروة و الرواتب و الأراضي و العمل في الإقليم. هم يريدون استغلال ثروة البلاد و العمل لصالح مصالحهم الخاصة و إستخدامها كأداة لإذلال المواطنين. نحن نريد الشفافية في الشؤون المالية و الإقتصادية و التجارية و السياسية للحكومة، و لكن هم يريدون إبقاء هذه القضايا في الخفاء و الظلام.»(٥٣) و في مكان آخر يضيف: «نحن نريد الإصلاح الجذري، و الإصلاح الجذري عندنا يعني عملية تغيير حكومة الحزب الواحد الشمولية للإتحاد في السليمانية و حكومة الحزب الواحد الشمولية للبارتي في دهوك و أربيل و إبدالهما بحكومة مؤسساتية وطنية كردستانية.»(٥٤)

و لكن ما كان يعرف بـ(جناح الإصلاح) داخل الإتحاد ليس الرافد الوحيد لحركة التغيير، فلا يمكن نسيان الحراك المدني و الثقافي و السياسي و الإجتماعي للإقليم في المراحل السابقة من العملية السياسية في الإقليم التي أيضاً كان له و لا يزال دور كبير في بلورة تيار البديل لما كان موجوداً في الإقليم من أزمات و مشاكل سياسية و اجتماعية و إقتصادية و ثقافية.

وجرت انتخابات برلمان و رئاسة الإقليم في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٩. تنافست (١٥) قائمة كردية على (١٠٠) مقعد في البرلمان، و تنافست (٩) قوائم من التركمان و الكلدان و الآشوريين على (١١) مقعداً للمكونات غير الكردية٥٥. و كذلك تنافس خمسة أشخاص (أحمد محمد رسول نبي

الإنتفاضة كردستان العراق في آذار ١٩٩١. فضلاً عن ذلك له العديد من الكتب حول تاريخ كردستان و حركته التحررية باللغة الكردية، مثل (الكرد و العجم، إمارة بابان بين طاحونة الروم و العجم، من ضفاف الدانوب إلى وادي ناوزنك، الأصابع يكسرون البعض، و ..الخ).

٥٢. أنظر نص السلسلة في:

نوشيروان مصطفى، نحن و هم: ما هي أوجه خلافاتنا؟ (باللغة الكردية)، في موقع:
http://sbeiy.com/ku/article_detail.aspx?ArticleID=778&AuthorID=36

٥٣. راجع نفس المصدر.

٥٤ . أنظر: نوشيروان مصطفى، نحن نعرف ماذا نريد! (باللغة الكردية)، على موقع:
http://www.sbeiy.com/ku/article_detail.aspx?ArticleID=4645&AuthorID=36

٥٥. حسب التعديل الرابع لقانون إنتخاب برلمان كردستان خصص (١١) مقعداً للمكونات الدينية و القومية الأخرى في الإقليم بالصورة التالية: (٥) مقاعد لمرشحي الكلدان و السريان و الآشوريين، (٥) مقاعد للتركمان، و مقعد واحد للأرمن.

«سەفین حاجي شێخ محمد»، مسعود برزاني، حسين گەرمیانی، هەلۆ ابراهيم احمد. د. كمال ميراودەلى) على منصب رئيس الإقليم. في البداية يجب القول بأنه شابت عملية الدعاية الإنتخابية و يوم الإقـتراع الكثير من المخالفات و التزوير. مثل فصل أو النقل القسري للمواطنين بصورة ممنهجة جراء ولائاتهم السياسية(٥٦)، فتم فصل العديد من موظفي الدولة)٥٧(، و إقالة آخرين من مناصبهم من بينهم عمداء و رؤساء أقسام في التعليم العالي(٥٨)، و تهديد العديد من كوادر القوائم المختلفة(٥٩). إضافة الى ذلك جرت عملية تزوير واسعة النطاق في يوم الإفتراع خاصة في محافظتي اربيل و دهوك(٦٠)، مما لا شك فيه

٥٦. يتضح ذلك من تصريحات بعض قادة الإتحاد. ففي هذا الصدد يقول ملا بختيار (القيادي البارز في الإتحاد) في مقابلة مع جريدة (ئاوينة): «أي منصب سواء كان كبيراً أو صغيراً من مدير ناحية من شرطي الى الأمن و الپێشمەرگە الى المناصب الكبيرة، مادام انهم رشحوا الاتحاد لهذه المناصب، من حق الإتحاد تغييرهم و إنزال العقاب بهم و سحب الثقة عنهم.» للإطلاع على نص المقابلة أنظر:

آوينة، ملا بختيار: الإتحاد و البارتي يأخذون من الحكومة ما لايقل عن ثلاثين مليون دولار (باللغة الكردية)، على موقع:
http://awene.com/Direje.aspx?Babet=Babet&Cor=Chawpekewtin&jimare=715

٥٧. فمثلاً أنظر: فلاح نجم، بخلاف قانون الإنتخابات الإتحاد مستمر في فصل الموظفين الحكوميين (باللغة الكردية)، على موقع:

http://sbeiy.com/ku/newsdetail.aspx?id=17525&cat=1

٥٨. أنظر مثلاَ: سبةي، فصل مدرسَين بسبب قائمة التغيير (باللغة الكردية)، على موقع:
http://awene.com/Direje.aspx?Babet=Hewal&Jimare=3810

و كذلك أنظر: دلير عبدالخالق، عميد كلية الدراسات الإنسانية في جامعة الكويه يقيل من منصبه (باللغة الكردية)، في موقع:

http://sbeiy.com/ku/newsdetail.aspx?id=17397&cat=1

٥٩. مثلاً أنظر: سبةي، في شكوى للرأي العام رئيس قائمة حركة إصلاح كردستان: منذ مدة يتم الضغط على الأشخاص الذين يقومون بمساعدتنا (باللغة الكردية)، في موقع:

sbeiy.com/ku/newsdetail.aspx?id=17459&cat=1

و أنظر: هلويست عثمان و برهم لطيف، "لقاء مع د. عبدالمصور برزاني» (باللغة الكردية)، مجلة ريكا، العدد ١٣، (٢٠ من حزيران ٢٠٠٩)، ص ١٧- ١٩.

٦٠. هناك شبه اجماع في تقارير شبكات المراقبة للإنتخابات بحدوث التزوير على نطاق واسع في هذه الإنتخابات، سنشير هنا الى بعض من هذه التقارير التي أوردت مقاطع منها الصحف المحلية و العالمية.

I. The Economist print edition, The times they are a-Changing: on site:
http://www.economist.com/world/mideast-africa/displaystory.cfm?story_id=14140770

و كذلك: آوينة، معهد حقوق الإنسان: حدثت عمليات تزوير واسعة (باللغة الكردية)، في موقع:
http://awene.com/Direje.aspx?Babet=Hewal&Jimare=4517

و أيضاً: التقرير النهائي لمنظمة تموز عن مراقبة انتخابات رئيس وبرلمان إقليم كردستان العراق، على موقع:
http://www.tammuz.net/news/arabic/03-09-009a.pdf

و كذلك: هاولآتي، ممثل ثلاثة منظمات دولية: تمت إختراقات كثيرة من جانب الحزب الحاكم (باللغة الكردية)، على موقع:
http://hawlati.info/NewsDetailN.aspx?id=10224&LinkID=63

انها أدت الى تزوير ارادة الناخبين و تشويه نتائج الإنتخابات و عدم ظهور النتائج الحقيقية لأصوات الناخبين.

و يضيف السيد نوشيروان مصطفى الى ذلك أسباباً أخرى لعدم ظهور النتائج الحقيقية للإنتخابات، منها:

هناك مناطق عشائرية يسيطر عليها البارتي (مثل سوران، جومان، مركه سور، بارزان، عقره).

المنافسة لم تكن مع البارتي و الاتحاد و حسب و إنما كانت هناك أحزاب اخرى، حتى غير عراقية، صوت أعضاؤها لصالح الحزبين الحاكمين/ مثل الاحزاب الكردية الايرانية و حزب العمال الكردستاني التركي (٦١).

على الرغم من كل ذلك استطاعت قائمة كوران (التغيير) الحصول على ٤٤٥,٠٢٤ صوتاً، أي ٢٣,٧٢٪ من أصوات الناخبين، في مقابل ١,٠٧٦,٣٧٠ صوتاً للقائمة الكردستانية (أي تحالف البارتي و الإتحاد)، أي ٥٧,٣٧٪ من أصوات الناخبين(٦٢). و بذلك حازت قائمة التغيير على (٢٥) مقعداً من مقاعد البرلمان و قائمة الخدمات و الإصلاح على (١٣) مقعداً، في مقابل (٥٩) مقعداً للكردستانية.

وعلى الرغم من هذه النتائج الايجابية نسبياً التي حققتها حركة التغيير، فقد عزا مؤسس الحركة هذه النتائج الى المنافسة غير المتكافئة بين الطرفين بقوله: «دخلنا في منافسة مع أحزاب ليس في وزننا، فالاحزاب المنافسة فيها رئيس الجمهورية ورئيس الاقليم و رئيس وزراء الإقليم ونائب رئيس برلمان العراق والعديد من الوزراء في بغداد والاقليم، فضلاً عن سيطرتهم على الاجهزة الاعلامية والامنية، واستغلالهم الموارد المالية العامة لكسب المعركة، اما نحن فلم يكن لدينا وزير واحد»(٦٣).

و اذا نظرنا بتمعن في نتائج الإنتخابات هذه، و قارناها مع نتائج انتخابات المجلس الوطني للإقليم سنة ٢٠٠٥، نرى بأن الفارق الواضح الكبير هو صعود قوة لم تكن مشاركة في الحياة

و كذلك أنظر الى رسالة من قنصل فرنسا الى صلاح الدين بهاءالدين رئيس قائمة الإصلاح و الخدمات سابقاً على موقع:
http://www.kurdiu.org/fileup3/3278french.pdf

يذكر انه تم تسرب (ما يقال بأنها) نشرة داخلية للبارتي يعترف فيها بقيام بعض كوادره بالتزوير، مما أثر سلبياً على سمعة البارتي. للتفاصيل حول هذه النشرة، أنظر:

هاولاتي، البارتي يعترف بقيامه التزوير في إنتخابات ٢٥/ ٧ (باللغة الكردية)، على موقع:
http://hawlati.info/NewsDetailN.aspx?id=12191&LinkID=63

٦١. نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

٦٢. راجع نتائج التفصيلية الإنتخابات لبرلمان و رئيس الإقليم في موقع المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق:
http://www.ihec.iq/Arabic/Parliamentary_elections_for_the_Kurdistan_region.aspx

٦٣ . نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

السياسية بصورة مستقلة من قبل و هي حركة التغيير، و حصولها على حوالي ربع أصوات الناخبين. و في المقابل خسرت القوى الرئيسة الأخرى بعض مقاعدها في الدورة السابقة(٦٤). وهذه القوة الجديدة رفضت الدخول في حكومة و فضلت البقاء في المعارضة البرلمانية (بخمسة و عشرين مقعداً) مع كل من الإتحاد الإسلامي (بستة مقاعد) و الجماعة الإسلامية (بأربعة مقاعد) و قائمة الرافدين الآشورية (بمقعدين)(٦٥).

و فسر السيد نوشيروان مصطفى زعيم قائمة التغيير عدم اشتراك حركته في الحكومة بقوله: «إننا نقدم البديل في كيفية إدارة الحكومة، و مكافحة الفساد المالي والاداري والسياسي والاخلاقي، و إرساء دعائم العدالة الاجتماعية، و تحقيق الشفافية في ميزانية الاقليم في العلاقات السياسية، والحد من التدخل الحزبي في الادارة اليومية لدوائر الحكومة، وفي السوق، و الجامعة و المحاكم و المساجد، و تحويل قوات البيشمركة والاسايش (قوات الامن المحلية) من قوات حزبية الى مؤسسات حكومية محايدة في الانتخابات والنزاعات الحزبية و تكريسها لحماية الشعب، وجرى تشكيل حكومة الاقليم الحالية بنفس المقاييس القديمة، وهي تَحمِل سلبيات الماضي، ولذلك لم نشترك فيها»(٦٦).

و شاركت حركة التغيير بنفس الخطاب السياسي في إنتخابات مجلس النواب العراقي في آذار ٢٠١٠، و استطاعت أن تحافظ نسبياً على جماهيرها و أصواتها في نطاق الإقليم(٦٧) رغم الضغوط الكبيرة التي مورست ضدها كما ذكر أعلآه. و لكن في المناطق الآخرى من العراق و خاصة المناطق المتنازع عليها في محافظات الموصل و كركوك و صلاح لدين و ديالى لم تستطع

---

٦٤. في الدورة الثانية لبرلمان الإقليم حاز البارتي و الإتحاد الوطني مجتمعا على ٦٨ مقعداً، أما في الدورة الثانية حصل على ٥٩ مقعداً أي خسرا ٩ مقاعد برلمانية. في الوقت نفسه فأن للإتحاد الإسلامي ألذي كان ينظر اليه بمثابة القوة الثالثة في الإقليم كان لديه ٩ مقاعد في الدورة الثانية، و لكن في هذه الدورة (أي الثالثة) حاز على ٦ مقاعد أي خسر ثلث مقاعده عن السابق. للتفصيل حول نتائج انتخابات الدورة الثانية لبرلمان الإقليم أنظر الى: نتائج إنتخابات الدورة الثانية ٢٠٠٥، مصدر سبق ذكره، و قارنها مع نتائج انتخابات الدورة الثالثة لبرلمان الإقليم التي سبق أن أشرنا اليها.

٦٥. أنظر الى انتقادات هذه القائمة لسير الإنتخابات ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٩:

سبةى، ينادم كنا يتهم الحكومة بالخروقات (باللغة الكردية)، على موقع:

http://sbeiy.com/ku/newsdetail.aspx?id=19023&cat=1

٦٦. شيرزاد شيخاني، لقاء مع نوشيروان مصطفى، رئيس المعارضة السياسية في كردستان العراق، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٨٦، السبت ١٤ صفر ١٤٣١ هـ ٣٠ يناير ٢٠١٠ م. يمكن قرائة النص الكامل للقاء في موقع:

http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11386&article=555070&search=%D9%86%D9%88%D8%B4%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86&state=true

٦٧. حصلت حركة التغيير في هذه الإنتخابات على ٤٢٥٧٩٣ صوتاً في محافظات الإقليم الثلاث، أي ما يقارب ٢٢٪ من أصوات الناخبين. و بذلك هذه النتيجة قريبة من أصوات هذه الحركة في إنتخابات برلمان كردستان ٢٠٠٩ إذ حصلت على ٢٣,٧٢٪ من أصوات الناخبين. أنظر: درباز محمد، ص ٤٢.

الحركة أن تحوز على ثقة الناخبين خاصة الكرد منهم و لم تفلح الحركة أن تفوز بأي مقعد في هذه المناطق. و يمكن إرجاع ذلك إلى عدم تبني حركة التغيير أي خطاب قومي متطرف و غير حقيقي في هذه المناطق(٦٨)، إذ حصد البارتي و الإتحاد غالبية أصوات الكرد في هذه المناطق بالتركيز على الوتر القومي في حملتهم الإنتخابية. و حقيق بالذكر أن السيناريو نفسها تكررت في المناطق العربية و المناطق المتنازع عليها، إذ منيت الأحزاب و القوائم ذات الخطاب غير القومي مثل الحزب الإسلامي العراقي و المجلس الأعلى الإسلامي بهزيمة كبيرة مقابل القوائم ذات التوجهات القومية و السياسية المتطرفة مثل قائمة الحوار الوطني و قائمة الحدباء.

ثانياً: التيار الاسلامي

لم تكن الاحزاب الاسلامية وليدة لأحداث والتطورات الأخيرة في اقليم كردستان العراق وانما تعود جذور هذه الاحزاب الى حقب سابقة الى النصف الثاني من القرن العشرين عندما وصلت تنظيمات حركة الإخوان المسلمين الى أماكن متعددة في كردستان العراق. و جرت عليها انشقاقات عدة، أبرزها تأسيس الحركة الإسلامية في كردستان العراق عام ١٩٨٧ (بعد توحد بيت آل عبدالعزيز بزعامة الشيخ عثمان عبدالعزيز و جناح الشيخ علي بابير و الرابطة الإسلامية بزعامة الشيخ محمد البرزنجي) في ايران، و التي شاركت في محاربة النظام العراقي السابق. و كذلك دخلت هذه الحركة و أجنحة إسلامية أخرى في صراعات مسلحة مع الاحزاب العلمانية لاسيما الاتحاد الوطني، الامر الذي أضعفها كثيرا فضلاً عن رفض تيار منها التعاون مع الولايات المتحدة في إحتلالها للعراق مما عرضها الى ضربات عسكرية مؤلمة.

فهذه التطورات و غيرها ساهمت في تعدد انقسامات التيار الإسلامي، و أخيراً إستقرت في تسعينيات القرن الماضي الى ثلاث حركات رئيسة:

الاتحاد الاسلامي الكردستاني بزعامة صلاح الدين محمد بهاء الدين.

الجماعة الاسلامية بزعامة علي بابير.

الحركة الاسلامية بزعامة بيت آل عبدالعزيز.(٦٩)

٦٨. تبنت الحركة منذ تأسيسها في برنامجها السياسي على خطاب معتدل فيما يتعلق بعلاقة الإقليم مع العراق، و يرتكز هذا البرنامج على دعم الحركة إلى إعادة بناء عراق ديمقراطي برلماني تعددي و إتحادي، و نبذ التطرف و الإرهاب و التعصب و التمييز الديني و المذهبي و القومي و العرقي و السياسي. كذلك تبنت الحركة إتباع مبدأ الشراكة و الحوار و التفاهم لحل القضايا العالقة مابين الإقليم و بغداد. أنظر البرنامج السياسي لحركة التغيير. و إنعكست هذه المبادئ الرئيسية في البنامج الإنتخابية لحركة التغيير لإنتخابات الدورة الثانية لمجلس النواب العراقي. أنظر: البرنامج السياسي لقائمة التغيير لإنتخابات مجلس النواب العراقي (باللغة الكردية)، على موقع سبتى القريب من حركة التغيير:
http://sbeiy.com/ku/SEB_Raprsy.aspx?SubjectID=90

٦٩ . لايمكن إحتساب الحركة الاسلامية من أحزاب المعارضة لانها إشتركت في الحكومة التي تشكلت في الاقليم بعد

شكل (الاتحاد الاسلامي و الجماعة الاسلامية) مع أحزاب علمانية أخرى (حزب الإشتراكي الديمقراطي و حزب الكادحين) في شهر آذار ٢٠٠٨، جبهة من داخل الحكومة عملت على الإنتقاد الذاتي للحكومة و النظام السياسي في كردستان بصورة عامة عن طريق إعداد مشروع للإصلاح و تقديمه الى الهيئة العليا للأحزاب السياسية(٧٠). و قد نشرت هذه الأحزاب في ١٠/ ١/ ٢٠٠٩ تقريراً آخر عن الأوضاع الداخلية في الإقليم و المشاكل و الأزمات الموجودة و سبل حلها حسب تصورها(٧١). وقد شاركت الأحزاب الأربعة في انتخابات الدورة الثالثة لبرلمان كردستان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٩ بقائمة الإصلاح و الخدمات و حصلت على ٢٤٠,٨٤٢ صوت، أي ١٢,٨٤٪ من أصوات النخابين و بذلك حصلت على(١٣) مقعداً في برلمان الإقليم(٧٢). و لكن بسبب إشتراك حزبي الاشتراكي الديمقراطي و الكادحين في الحكومة بعد تلك الإنتخابات حلت القائمة(٧٣). ولم يبق في المعارضة سوى حزبي الاتحاد الاسلامي والجماعة الإسلامية(٧٤).

و بذلك يمكن القول بأن أحزاب المعارضة أضحت تقتصر بعد إشتراك الحزبين العلمانيين في قائمة الخدمات والاصلاح في السلطة على الاحزاب الاتية:

حركة التغيير (كوران) بـ(٢٥) مقعداً.

إنتخابات ٢٠٠٩ و حصلت على حقيبة وزارة الاوقاف.

٧٠. ياسين صالح، ص ٣٤١.

٧١. أنظر التقرير في موقع:
http://komalaorg.org/Direje_K.aspx?Cor=Witar&Jimare=40

٧٢. أنظر اعلان النتائج النهائية لانتخابات اقليم كردستان العراق على موقع:
http://www.ihec.iq/Arabic/news_election_of_kurdistan.aspx

٧٣. لتفاصيل أكثر حول الخلافات داخل هذه القائمة أنظر:
دلير عبدالله، «الجماعة الإسلامية تسبب في إنهيار قائمة الأحزاب الأربعة» (باللغة الكردية)، مجلة ريكا، العدد ١٣، «٢٠ من حزيران ٢٠٠٩»، ص ١٠- ١١.
و كذلك أنظر: ياسين طه، انقسامات وخسائر في صفوف المعارضة الكردية، في موقع:
http://www.niqash.org/content.php?contentTypeID=75&id=2544=1

٧٤. شارك هذين الحزبين بقوائم منفردة في إنتخابات مجلس النواب العراقي عام ٢٠١٠، و حصلا على ٣٥٩٢١٨ صوت، أي قرابة ١٨٪ من أصوات الناخبين في الإقليم، و بذلك فازا بستة مقاعد (٤ للإتحاد الإسلامي و ٢ للجماعة الإسلامية) من مجموع مقاعد مجلس النواب العراقي. و تدل هذه النتائج على صعود كبير لأصوات هذين الحزبين الإسلاميين، حيث كانت عدد أصواتهم في إنتخابات برلمان الإقليم (٢٤٠٧٣٨) صوتاً، أي ما يعادل ١٢,٨٤٪ من مجموع الأصوات. أنظر: درباز محمد، ص ٤٢.
و يرجع هذا الصعود الى ترجيح هذين الحزبين خيار المعارضة في الإقليم بعد إنتخابات الإقليم علم ٢٠٠٩ ، و كذلك دخول الحزبين بقوائم منفردة بعيداً عن الأحزاب العلمانية و إستخدام الشعارات و الرموز الدينية و ترشيح علماء الدين في الإنتخابات مما أدّى إلى أن يصوت لهما الكثير من الإسلاميين الذين صوتوا في الإنتخابات الماضية (إنتخابات برلمان الإقليم ٢٠٠٩) لصالح الحركة الإسلامية التي خسر الكثير من أصواتها في الإنخابات الأخيرة لمجلس النواب العراقي ٢٠١٠ بسبب تحالفها مع البارتي و الإتحاد و أحزاب علمانية أخرى، و بذلك لم تفز بأي مقعد في المجلس النواب العراقي.

الاتحاد الاسلامي بـ(٦) مقاعد.
الجماعة الاسلامية بـ(٤) مقاعد.
و بذلك شكلت المعارضة السياسية في الإقليم حوالي ثلث مقاعد برلمان الإقليم. و إستطاعت القوى المعارضة الثلاثة تطوير علاقاتها و التنسيق فيما بينها و بين كتلها النيابية في برلمان الإقليم و مجلس النواب العراقي، خاصة بعد أحداث ١٧ شباط ٢٠١١.
من خلال ذلك يمكن إجمال أهم الأسباب لنشوء تيار معارض داخل الإقليم بالآتي:
عدم وجود العدالة الإجتماعية، فالمواطن الكردي العادي كان يرى بأنه بالكاد يستطيع توفير لقمة العيش و مستلزمات حياة عادية لعائلته و لكن في المقابل برزت في الإقليم طبقة ثرية جداً من قياديي الحزبين الرئيسيين (أنذاك) و المقربين منهم يعيشون أعلى درجات الحياة المرفهة. فتدخل الحزبين و قياداتهم و شركاتهم التجارية في المرافق الحياة الإقتصادية و التجارية و إحتكار أهم مجالاتها، أدى الى بروز اختلالات طبقية كبيرة في الإقليم. و قد ولدت هذه الفروقات الإجتماعية الى نشوء تيار معارض و مسانَد من جانب عامة المواطنين. فضلاً عن تردي جانب الخدمات (كمياه الشرب النظيفة و المجاري و الكهرباء و الصحة و الطرق و كل المرافق الخدمية الأخرى) أدى الى بروز سخط جماهيري واسع ضد السلطة عبَر عن نفسه في دعم المعارضة و المشاركة فيها.
من جانب آخر ساهمت بعض القضايا العالقة بين الحكومة الاتحادية وحكومة الاقليم في بروز المعارضة، فعدم تحقق تطور ملموس في القضايا العالقة في السنوات الماضية (أي الدورة الأولى لمجلس النواب العراقي وما تلاها) خاصة عدم تطبيق مادة (١٤٠) من الدستور العراقي، كان له دور كبير في بروز حركة المعارضة. فلو كان بمقدور السلطة السياسية في الإقليم تطبيق هذه المادة مع الحكومة الإتحادية لكان بمقدورها التبرير لإخفاقاتها على الصعيد الداخلي. و لكن بالعكس تماماً ليس فقط لم تحل المشاكل العالقة هذه بل إزدادت و تعددت الملفات المختلف عليها بين الطرفين، كملف النفط و الغاز و الميزانية و البَشمەركه و ممثليات الإقليم في الخارج وغيرها.
تجدر الاشارة الى ان فراغ الساحة السياسية في الاقليم من وجود تيار معارض قوي في المرحلة السابقة و عدم بروز تيار معارض قوي في المراحل السابقة يقدم مشروعاً بديلاً، كان أيضاً له دور كبير في نشوء حركة التغيير و بروزها كقيادة للمعارضة في الإقليم. فمن جانب لم ينسحب أي من البارتي و الإتحاد من الحكومة في المراحل الماضية حتى يشكل واحد منهم الحكومة و يقوم الطرف الآخر بدور المعارضة، و من جانب آخر لم تستطع الأحزاب الأخرى و خاصة الإسلامية (بسبب ظروف موضوعية و ذاتية) القيام بالدور نفسه. فكان هناك فراغ كبير في الساحة السياسية في الإقليم بسبب وجود مستلزمات ظهور المعارضة على الصعيد الجماهيري و عدم وجود البديل. فاستطاعت حركة التغيير أن تملأ هذا الفراغ، خصوصاً ان

قياداتها كانت معروفة داخل الحركة التحررية الكردية منذ حوالي ثلاثين سنة و كان لها دور كبير في تأسيس الإقليم و معروفة لدى الجماهير.

كل هذه العوامل أدت الى نشوء حركة معارضة فاعلة في اقليم كردستان – العراق

المبحث الثاني: المعارضة السياسية بعد أحداث ١٧ شباط ٢٠١١

تفاعلت جملة من الأحداث و الوقائع في الإونة الأخيرة أدت الى مظاهرات حاشدة في الإقليم منذ ١٧ شباط، منها:

الضغط المستمر على الإعلام الحر و الإعلاميين وصل الى حد إغتيال الصحفيين (مثل إختطاف الصحفي الشاب سردشت عثمان أمام كلية الآداب بجامعة الصلاح الدين في أربيل و قتله في ٥/ ٥/ ٢٠١٠ مما أدّى الى تحرك جماهيري كبير في أنحاء متعددة في الإقليم(٧٥)) و ضربهم و سجنهم و تغريمهم بملايين الدينارات(٧٦).

كذلك عدم التعامل الجدي مع الفساد المستشري في المفاصل الأساسية لحكومة الإقليم.

إستخدام رئيس الإقليم نفوذه لحرمان حركة التغيير من المشاركة في الحكومة العراقية بحسب إستحقاقها الإنتخابي و القومي. و قد شُكلت هذه الحكومة الإئتلافية بصورة المحاصصة الحزبية و الطائفية و القومية و عن طريق نظام النقاط المستند الى عدد مقاعد كل كيان سياسي في مجلس النواب العراقي.

توجه الحزبين الحاكمين لإستغلال أغلبيتهم البرلمانية لإستصدار قوانين مهمة تمس النظام السياسي و الحريات العامة في الإقليم بالكيفية التي تؤدي الى إستمرارية بقائهما في السلطة مثل قانون مجلس أمن الإقليم الذي يربط المؤسسات الأمنية و التشكيلات الإستخبارية برئيس الإقليم ضمن إطار مجلس أمن الإقليم برئاسته و بصلاحيات واسعة تمكنه من التدخل و مراقبة المؤسسات الحكومية و الأشخاص و المواطنين مما يمهد الى تحول الإقليم الى دولة بوليسية. و من بين القوانين الأخرى التي أصدرتها الأغلبية البرلمانية في الآونة الأخيرة هو قانون تنظيم المظاهرات في الإقليم الذي يربط ممارسة حق المواطنين و الأحزاب و المنظمات للتظاهر بإجازة السلطات في الإقليم. و إستطاعت السلطة السياسية في الإقليم منع و قمع المظاهرات السلمية للمواطنين في الآونة الأخيرة. و كذلك حاول الحزبان الحاكمان تشكيل

---

٧٥ . للإطلاع الأكثر حول ملابسات إغتيال سردشت عثمان راجع:
:SAM DAGHER, Abducted Kurdish Writer Is Found Dead in Iraq, in site www.nytimes.com/2010/05/07/world/middleeast/07erbil.html?scp=4&sq=iraq&st=cse

٧٦ . للإطلاع الأكثر حول الإعتداءات على الصحفيين في الإقليم، راجع تقرير لمنظمة العفو الدولية بعنوان إعتداءات على الصحفيين في كردستان العراق:
www.amnesty.org/ar/appeals-for-action/investigate-attacks-journalists-kurdistan-region-iraq

هيئة الإنتخابات بالمحاصصة الحزبية و بصورة يمكنهما من السيطرة عليها.
الثورات الشعبية التي حدثت في بداية هذه السنة في كل تونس و مصر و اليمن و سوريا و ليبيا شجع المواطنين و المعارضة السياسية في الإقليم أيضاً للمطالبة بإصلاحات جذرية في الإقليم، لاسيما أن المواطنين في الإقليم حاولوا إرسال رسالة تحذيرية من أجل الإصلاح و التغيير للحزبين الحاكمين في إنتخابات برلمان الإقليم عن طريق التصويت الكثيف لقائمة التغيير، و كذلك عبر المظاهرات و التجمعات الحاشدة للتنديد بإغتيال الصحفي سردشت عثمان و تمرير قانون تنظيم المظاهرة.
و في خضم كل ذلك أصدرت حركة التغيير في ٢٩/ ١/ ٢٠١١ بياناً تضمن سبع فقرات ، قدمت من خلالها مشروعها المتعلق بالإصلاحات الجذرية الى القوى السياسية الكردستانية ، وكانت غاية الحركة من إصدار ذلك البيان -حسب الحركة- هي (إخراج كردستان من الازمة السياسية التي تعاني منها منذ سنوات عدة، في وقت تجتاح فيه منطقة " الشرق الاوسط " برمتها ، موجة تغيير ديمقراطي شاملة)(٧٧). ولكن جوبه بيان الحركة بشدة من جانب الحزبين الحاكمين وصل الى حد محاصرة مقرات حركة التغيير من جانب القوات المسلحة التابعة للبارتي و

٧٧. و تضمن البيان أيضاً: إننا في حركة التغيير سبق ان ابلغنا مرارا وتكرارا كلا الحزبين الحاكمين بخطورة تطور هذه الاوضاع ، سواء عبر المخاطبات التحريرية او الشفهية او عبر كتلتينا النيابيتين في كردستان وبغداد ، إلا اننا و في كل مرة لمسنا مزيدا من التقاعس واللامبالاة .

لذا فان الوقت قد حان الآن لكي تعلن حركتنا صراحة ، وبعلمكم هذه المطالب وتضعها امام المتنفذين ومجمل القوى السياسية في كردستان ، باعتبارها حلا حقيقيا لأنهاء هذا النظام المتحزب ، وتدشين بداية جديدة لسلطة تحظى بمباركتكم ، وتغدو محط اعتزاز الجميع :

١- منع قيادتي الحزبين (الديقمراطي والاتحاد الوطني) من اي تدخل في شؤون الحكومة والدوائر الرسمية والبرلمان والقضاء والامن (الآسايش) والبيشمركة .

٢- منع اجهزة الآسايش والاستخبارات (الزانياري والباراستن) والبيشمركة من اي تدخل في الشؤون السياسية للشعب والانشطة الجماهيرية ، واستبدال مدراء تلك الاجهزة بشخصيات مستقلة ومهنية .

٣- حل حكومة الحزبين (الاتحاد والديمقراطي) المتحزبة الحالية وتشكيل حكومة انتقالية تكنوقراطية ومستقلة .

٤- حل البرلمان الحالي

٥- تهيئة الارضية لأنتخابات تشريعية في كردستان تكون نزيهة و خالية من التزوير خلال مدة اقصاها ثلاثة اشهر .

٦- اعادة الاملاك والممتلكات الحكومية والمدنية المحتلة من قبل الاحزاب والمسؤولين الى اصحابها .

٧- سحب مسودة دستور الاقليم وسائر القوانين المتعلقة بنظام السلطة في البلاد واحالتها الى البرلمان القادم .

اننا في الوقت الذي نعلن فيه هذه المطالب الجماهيرية، نطالب سائر القوى السياسية الكردستانية بابداء الدعم والمساندة لها ، كما ونطالب اصحاب السلطة في كردستان الى الارتقاء الى مستوى مسؤولياتهم التاريخية من اجل تنفيذها. أنظر الى نص البيان باللغة الكردية في موقع:

http://sbeiy.com/ku/newsDetail.aspx?id=33467&cat=11

الإتحاد.

و بعد ١٩ يوم من نشر البيان المذكور أعلاه أي في ١٧/ ٢/ ٢٠١١ بدأت مظاهرات شعبية في مدن عدة في الإقليم إستمرت في بعض المناطق لاسيما في مدينة السليمانية لمدة شهرين(٧٨). و لكن تم قمع هذه المظاهرات بدايةً في مدينة أربيل من جانب قوات البارتي و بعد ذلك قمعت قوات الإتحاد أيضاً المظاهرات الحاشدة في محافظة السليمانية.

و قد أدت هذه الأحداث الى إستحكام صفوف المعارضة السياسية في الإقليم و تضافر جهودها من إجل الضغط على الحزبين الحاكمين للقبول بإجراء إصلاحات جذرية في الإقليم. و نتيجة لذلك تم إنشاء لجنة تنسيقية عليا للقوى المعارضة و كذلك إتفقت هذه الأطراف على مشروع الإصلاح السياسي في الإقليم المؤلف من (٢٢) بنداً أعلن في ٣/ ٣/ ٢٠١١ (٧٩).

إن تدقيقاً بسيطاً في مضمون البيان المشترك من أحزاب المعارضة، لايختلف كثيرا عن مضمون البيان الذي اصدرته حركة التغيير والذي تعرضت بسببه الى انتقادات كثيرة، منها البيان الذي وقعته قوى البرلمان، وهنا يسجل ملاحظة الارباك وعدم الوضوح في مواقف بعض الاحزاب السياسية في إقليم كردستان العراق، لاسيما الاحزاب الاسلامية المعارضة (الاتحاد الاسلامي – و الجماعة الاسلامية) ففي الوقت الذي توقع مع الاحزاب الحكومية ترجع وتوقع بيان بالمضمون نفسه مع حركة التغيير .وأمر كهذا يعطي إنطباعاً سيئاً عن تلك الاحزاب ويعرض شعبيتها للتدهور، علما ان هذه الاحزاب تعد أحزاباً اسلامية اي انها احزاب تركن في مواقفها الى مبادى ثابتة، و يفترض أن تتبنى المواقف بعد تدقيق وتمحيص وتستند الى ثوابت الشريعة الاسلامية، فضلا عن انها لم تصدر اي بيان أو توضيح لهذا التغيير في مواقفها السياسية، وهنا تثار اشكالية التوفيق بين المبدئية العقيدية والبركماتية السياسية لدى هذه

٧٨. لتفاصيل أكثر حول هذه المظاهرات ومعاملة السلطة السياسية معها أنظر:

علاء يوسف، أحداث السليمانية تفجر خلافا بين الأكراد، على موقع:

http://aljazeera.net/NR/exeres/F2D1E206-757B-40FE-9C8B-76499F63F905.htm

الجزيرة نت، ارتفاع قتلى احتجاجات السليمانية، على موقع:

http://aljazeera.net/NR/exeres/E73164D5-7887-42B2-990E-F921425E6875.htm

:Namo Abdulla, Military presence halts protests in Iraq's Kurdistan, in Site

http://www.reuters.com/article/2011/04/29/us-iraq-protests-kurdish-idUSTRE73S2MW20110429

جمعية الدفاع عن حرية الصحافة، أكثر من ٧٠ انتهاكاً في كردستان خلال اقل من اسبوع، ٢٥-٤-٢٠١١، على موقع:

www.sdpfiq.com

٧٩ . للإطلاع على مشروع المعارضة السياسية في الإقليم حول الإصلاح راجع: الموقع الرسمي للإتحاد الإسلامي الكردستاني، مضامين مشروع المعارضة المشترك للاصلاحات السياسية والادارية في اقليم كوردستان، على موقع:

http://www.kurdiu.org/ar/hawal/index.php?pageid=64801

الاحزاب السياسية.

و إستمرت أحزاب المعارضة في التاكيد على مضامين هذا البيان في اجتماعاتهم المختلفة ، وهو ما أشار اليه الإجتماع الذي عقد في ٥/ ٤/ ٢٠١١، حيث دعا قادة المعارضة الى(٨٠):

ضرورة حل الحكومة الحالية وتشكيل حكومة إنتقالية على اساس «التوافق».

ان تكون المهمة الاساسية للحكومة الانتقالية ما يأتي:

انجاز اصلاحات جذرية وشاملة ومن ضمنها البنود (١- ٢٠) الواردة في المشروع المشترك لقوى المعارضة.

تمهيد الارضية لإجراء انتخابات حرة ونزيهة ، في ظل حيادية الحكومة والمؤسسات الرسمية، ومنع كل اشكال التزوير والتدخلات غير القانونية، و بالشكل الذي يضمن فرصا متكافئة لجميع القوى المشاركة في الانتخابات.

و على الرغم من الجهود السابقة لقوى المعارضة، فضلاً عن جهودها التفاوضية مع أحزاب السلطة بيد انها لم تتمكن من تحقيق أهدافها أو جزء منها، اذ آلت الحكومة في حسم الامور عن طريق نشر القوات المسلحة في الشوارع والاماكن العامة ومنع تجمع اي شكل من اشكال الاحتجاجات الشعبية، فضلا عن الضغوطات المادية التي مارستها على احزاب المعارضة من خلال قطع المنح المالية عن هذه الاحزاب، وهكذا هدأت الاوضاع من دون تقدم يذكر على الصعيد السياسي. و لكن المظاهرات و الضغط المستمر من جانب المعارضة أدى إلى إضطرار الحكومة على القيام ببعض الإصلاحات في مجال تعيين الموظفين، و تحسين الخدمات كالكهرباء و الماء و الطرق.

الفصل الرابع: إنجازات ومعوقات المعارضة السياسية في إقليم كردستان ومستقبلها.

سلف القول ان انتخابات إقليم كردستان عام ٢٠٠٩ تعد البداية الحقيقية لنشوء معارضة سياسية منظمة وفاعلة، إذ بدأت تعمل للقيام بدورها الفاعل لكن ذلك لايعني ان هذه المعارضة اخذت وضعها القانوني والسياسي الصحيح، وبغية فهم الدور الحقيقي للمعارضة لابد من البحث في النقاط الاتية:

المبحث الأول: إنجازات المعارضة السياسية في إقليم كردستان

المبحث الثاني: معوقات المعارضة السياسية في إقليم كردستان

المبحث الثالث: مستقبل المعارضة السياسية في إقليم كردستان

المبحث الاول: إنجازات المعارضة السياسية

٨٠. أنظر الى البلاغ الختامي لإجتماع قادة المعارضة على موقع:
http://sbeiy.com/ku/newsDetail.aspx?id=35400&cat=1

أرادت أحزاب السلطة تعطيل دور برلمان الإقليم لحين إجراء انتخابات مجلس النواب العراقي في شهر آذار ٢٠١٠، حتى لا تمنح الفرصة لإبراز دور المعارضة في البرلمان و في الحياة السياسية، حيث أدخل البرلمان في عطلة شتوية دون أن ينجز أي قانون(٨١)، و لكن مع ذلك استطاعت المعارضة تقديم (١٣) مشروع قرار و قانون إضافة الى اعادة تفعيل (١٠) قوانين أخرى إقترحت في الدورة الثانية للبرلمان و لكن لم تتم البت فيها(٨٢). و كل هذه المشاريع كانت من بين الوعود التي قطعتها قوائم المعارضة خاصة حركة التغيير للناخبين قبيل انتخابات برلمان الإقليم في تموز ٢٠٠٩.

فضلاً عن ذلك يقوم أعضاء البرلمان المكون من قائمة التغيير والاحزاب الاسلامية بجولات ميدانية الى مدن كردستان العراق و الى كافة مؤسسات الحكومية بغية الإطلاع على مشاكل و هموم الناس و الرقابة و متابعة عمل الدوائر و المؤسسات الحكومية(٨٣). و في الإتجاه نفسه تعمل قائمة التغيير في برلمان الإقليم في مجال مساءلة الوزراء(٨٤) بطرقها المختلفة مما يؤدي كل ذلك الى تنشيط الدور الرقابي للبرلمان.

هذه من جهة و من جهة أخرى فإن الأحزاب الحاكمة بإستطاعتها الحصول على الأكثرية في منح الثقة للحكومة أو أي تصويت آخر داخل البرلمان الكردستاني، و لكنها سوف لن تكون حرة كما كانت عليه قبل بروز هذه المعارضة. و هو جانب إيجابي في مجمل الوضع في كُردستان العراق، كما ستجد نفسها مضطرة إن أرادت البقاء في الحكم أن تمارس سياسات جديدة(٨٥). و بدأت تظهر بوادر تأثير المعارضة على سير أداء الحكومة. فمثلاً لأول مرة في تاريخ الإقليم أعلنت مشروع ميزانية الإقليم لسنة ٢٠١٠

---

٨١. شيرزاد شيخاني، لقاء مع نوشيروان مصطفى.

٨٢. للإطلاع على كافة هذه المشاريع، راجع:

http://gorran.org/Content.aspx?LinkID=45&Action=1

٨٣. فمثلاً أنظر: جميع من برلمانيي كتلة التغيير يقومون بزيارة ناحية باليسان و القرى التابعة لها، على موقع الرسمي لحركة التغيير:

http://gorran.org/Detail.aspx?id=693&LinkID=3

أو أنظر: برلمانيي التغيير يزورون فرع السليمانية لإتحاد ذوي الإحتياجات الخاصة في كردستان، على موقع الرسمي لحركة التغيير:

http://gorran.org/Detail.aspx?id=638&LinkID=3

٨٤. فمثلاً أنظر: عن طريق رئاسة البرلمان كتلة التغيير تطالب التوضيح من قبل آشتي هورامي «وزير الموارد الطبيعية في الإقليم»، على موقع:

http://gorran.org/Detail.aspx?id=570&LinkID=3

٨٥. أ. د. كاظم حبيب، مسيرة الأحزاب السياسية ونتائج انتخابات الإقليم الأخيرة.. الحلقة الثالثة والأخيرة المعارضة السياسية الاحتجاجية في كُردستان العراق، على موقع:

http://www.akhbaar.org/wesima_articles/articles-20091115-80011.html

و ٢٠١١ على الرأي العام(٨٦)، و من بين أهم مميزات مشروع ميزانية الإقليم لهاتين السنتين عن سابقاتها هو تحديد ميزانية الأحزاب و ربطها بصدور قانون من برلمان الإقليم. حيث جرى تحديد (٩٠) مليار دينار لكل الأحزاب، فلم يكن يعرف الرأي العام في الماضي أي شيئ حول ميزانية الأحزاب و خاصة ميزانية البارتي و الإتحاد إلّا بعدما أثارتها المعارضة العام الماضي(٨٧) حيث عُلم بأن كل من البارتي و الإتحاد يأخذون شهرياً (٣٥) مليون دولار من ميزانية الإقليم مما يعني (٨٤٠) مليون دولار للحزبين سنوياً أي بحدود ١١٪ من كل ميزانية الإقليم لسنة ٢٠٠٩(٨٨). أما حسب قانون ميزانية عام ٢٠١٠ فيتم تخصيص (٢) مليون دولار شهريا لكل من البارتي و الإتحاد و مليوني دولار لكافة الأحزاب و المنظمات و الكيانات الأخرى أي ما يعادل (٧٦) مليار دولار سنوياً لكل الأحـزاب(٨٩)، مما يعني تقليل ميزانية الأحزاب الى أقل من عُشر ما كان يأخذه البارتي و الاتحاد في السنوات الماضية و إرجاع (٧٦٤) مليون دولار لميزانية الإقليم و الذي يمكن ان يصرف للمرافق الخدمية و الإستثمارية للإقليم. كذلك هنالك زيـارات ميدانية للجان المختلفة لبرلمان كردستان لمراقبة سير أداء الحكومة و دوائرها المختلفة و المرافق العامة و كذلك مناقشة مشروع ميزانية الإقليم بصورة تفصيلية(٩٠).

إذن مع قصر مدة وصول المعارضة السياسية لبرلمان الإقليم و رغم نية السلطة لعرقلة أعمالها و نشاطاتها في البرلمان و خارجها، إلّا أن قائمة التغيير كأكبر كتلة معارضة داخل برلمان كردستان قد خلقت تقاليد برلمانية جديدة، فيما يتعلق بالمعارضة الإيجابية تحت قبة البرلمان، و الاختلاط اليومي بالشرائح الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع(٩١) و مراقبة الحكومة، ليس هذا فحسب بل فرضت تلك التقاليد على قائمة السلطة أيضاً.

---

٨٦. أنظر: مشروع الميزانية في موقع برلمان الإقليم:
http://www.kurdistan-parliament.org/files/articles/280110061636.pdf

٨٧. أعلن عمر سيد علي العضو المستقيل من المكتب السياسي للإتحاد و احد الاعضاء البارزين في حركة التغيير لأول مرة هذه الميزانية للحزبين. أنظر:

هاولآتي، يقوم الإتحاد بأخذ أكثر من ٣٠ مليون دولار من ميزانية السليمانية للحزب (باللغة الكردية)، على موقع:
http://hawlati.info/NewsDetailN.aspx?id=7374&LinkID=68

٨٨. أنظر: سبتى، يقوم البارتي و الإتحاد بأخذ نسبة ١١٪ من ميزانية الإقليم للسنة (باللغة الكردية)، على موقع:
http://sbeiy.com/ku/newsdetail.aspx?id=17631&cat=1

و بعد ذلك إعترف الملا بختيار عضو المكتب السياسي و المتحدث الرسمي باسم الإتحاد بهذا الإدعاء للمعارضة. أنظر: آوينة، ملا بختيار: ...

٨٩. أنظر: آوينة، لم تصرف الحكومة المنحة المالية لشهرين للبارتي و الإتحاد (باللغة الكردية)، على موقع:
http://awene.com/Direje.aspx?Babet=Hewal&Jimare=5973

٩٠. أنظر: برلمان كردستان، اللجان المختلفة لبرلمان الإقليم عاكفة في هذه الأيام لدراسة مشروع الميزانية و الفحص عن كل زواياه، أنظر:
http://www.kurdistan-parliament.org/default.aspx

٩١. شيرزاد شيخاني، لقاء مع نوشيروان مصطفى.

كما عملت أحزاب المعارضة على قيادة حركة الاحتجاجات الشعبية في الاقليم لاسيما في مدينة السليمانية، التي بدأت في ١٧ شباط ٢٠١١ والتي كانت تطالب باجراء اصلاحات سياسية في الاقليم، وهذا ما اشار اليه ابوبكر على القيادي في الاتحاد الاسلامي بقوله: «ان المظاهرات السياسية حق لكل مواطن، ومن حقهم المطالبة بالاصلاحات، وشاركنا في هذه الفعاليات، ولكن لم نشترك في اعمال العنف لاننا لانؤمن بالعنف او الاعتداء على اي مؤسسة ونؤكد على سلمية المظاهرات»(٩٢)

من خلال ما تقدم يمكن ان نخلص الى القول ان الاحزاب السياسية المعارضة في اقليم كردستان العراق، وعلى الرغم من كل الظروف التي تمر بها انها استطاعت ان تحقق انجازات عدة على مختلف المستويات، فضلا عن انها نجحت الى حد ما ان تعبر عن ممارسة حقيقية لدور معارض في الاقليم، و بدأت السلطة السياسية تحسب حساب لهذه المعارضة.

من جانب آخر فان احزاب المعارضة السياسية في الاقليم أضحت اكثر نضجا وتطورا في عملها السياسي، اذ تمكنت من توحيد صفوفها على الرغم من اختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية التي تتوزع بين احزاب دينية واخرى علمانية، واستطاعت ان توحد مطالبها لمواجهة احزاب السلطة السياسية.

المبحث الثاني: معوقات المعارضة السياسية في اقليم كردستان - العراق

أولاً : معوقات السلطة السياسية

منذ أن قررت حركة التغيير المشاركة في انتخابات برلمان الإقليم بقائمة مستقلة بدأت السلطة السياسية بحملة ممنهجة للضغط على كوادرها عن طريق قطع رواتبهم و نقلهم القسري من وظائفهم و مكان سكناهم حتى وصل عدد من قطع رواتبهم من الموظفين الحكوميين الى أكثر من (٢٠٠٠) شخص(٩٣). و بعد الإنتخابات و حتى قبل صدور نتائجها الرسمية بدأت الحملات الغوغائية من جانب أنصار السلطة على مقرات القوائم المعارضة(٩٤). و لكن أخذت التهديدات ضد المعارضة بعد ذلك منحى آخر بإحراق مكاتب اعضاء البرلمان من قائمة التغيير و قتل و مهاجمة بيوت عناصرها و إختطاف كوادرها و إحراق مقارها(٩٥). هذه الردود الأفعال اللاديمقراطية (على أقل التقدير) من جانب السلطة و أنصارها و افلات مرتكبي الأعمال الإجرامية الأخيرة من العدالة يمكن أن يؤدي الى جو مشحون و مشوب بالحذر.

٩٢. أبوبكر كارواني، مقابلة شخصية، السليمانية، ٢٠/ ٨/ ٢٠١٠.

٩٣. شيرزاد شيخاني، لقاء مع نوشيروان مصطفى.

٩٤. أنظر: كورديو، مهاجمة ونهب عدة مكاتب لقائمة التغيير في أحداث الليلة الماضية، على موقع:
http://www.kurdiu.org/ar/hawal/index.php?pageid=8091

٩٥. أنظر: AFP، المعارضة في كردستان العراق تتحدث عن "انتهاكات" بحق اعضائها، في موقع:
http://www.google.com/hostednews/afp/article/ALeqM5h1spHvJf7n_SVojslg7EfpnmCAyw

على الرغم من حصول قائمة التغيير على حوالي ربع مقاعد البرلمان، و لكن لم تخصص لها حتى الآن منحة عادلة و حسب الضوابط العادلة و بصورة دائمة من جانب الحكومة أسوة بالحزبين الحاكمين. مع أنه أعدت اللجان المختلفة لبرلمان الإقليم مشروع قانون لمنح الأحزاب و الكيانات السياسية، لكن عراقيل الأغلبية الحاكمة حالت دون صدور هذا القانون. فمن المحتمل أن يشكل العجز المالي تحدياً كبيراً أمام المعارضة على المدى القريب(٩٦).

ادت الحملات الإنتخاباتية في شهر تموز ٢٠٠٩ و نتائجها و كذلك إنتخابات مجلس النواب العراقي عام ٢٠١٠ الى تنفيس الإحتقان الموجود لدى الرأي العام و خاصة في محافظة السليمانية ضد السلطة، مما قد يؤدي الى عدم حماس الناخب للمشاركة في الإنتخابات القادمة و التصويت لصالح قوائم المعارضة.

ان عدم ترجمة تصويت الناخب لصالح المعارضة الى أفعال ملموسة للمواطن يمكن أن يقلل من اندفاعه للتصويت مرة أخرى لصالحها. فمع قصر مدة التجربة الجديدة في الإقليم المتمثلة في بروز معارضة قوية، الّا انه من الممكن أن يستعجل المواطن العادي لجني ثمار تصويته بسرعة و تحسين أحواله المعيشية و الخدمية نحو الأفضل.

ثانيا: معوقات إقتصادية

تعاني أحزاب المعارضة بصورة عامة من أزمات مالية في دعم احزابها وكوادرها وحتى القيام بنشاطاتها ومسؤوليتها امام جماهيرها وذلك بسبب سيطرة الاحزاب الحاكمة على ميزانية واموال الاقليم مما يجعل عملها في غاية الصعوبة، وقد اشار الى ذلك السيد نوشيروان مصطفى «ان ميزانية الحركة تعتمد على تبرعات الخيِّرين فقط، و ليس لنا ايراداً آخر، لهذا فان نشاطنا محدود وليس لدينا مصاريف كثيرة»(٩٧).

---

٩٦. أعطى الرئيس العراقي و السكرتير العام للإتحاد جلال الطالباني بعد استقالة نوشيروان مصطفى من مناصبه داخل الإتحاد مبلغ (١٠) ملايين دولار و بناية حكومية و تل زرجتة المملوكة لشركة نوكان المقربة من الإتحاد لبناء مؤسسة إعلامية. وحسب نوشيروان مصطفى هذه المعونات كانت الأولى و الآخيرة لهم، مما ساعدهم ليس فقط لبناء مؤسستهم الإعلامية (التي تتكون اليوم من قناة فضائية و راديو و موقع الكتروني و مطبعة) بل في تشكيل حركة سياسية معارضة في الإقليم.

أنظر: نوشيروان مصطفى، إيضاح من نوشيروان مصطفى (باللغة الكردية)، على موقع:
http://sbeiy.com/ku/article_detail.aspx?ArticleID=548&AuthorID=36

أنظر موقع شركة وشة الإعلامية القريبة من حركة التغيير:
/http://www.wusha.net

٩٧. نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية. جدير بالملاحظة أنه بعد هذه المقابلة مع السيد نوشيروان مصطفى تم تخصيص منحة مالية قدرها ٥٠٠٠٠٠ دولار شهرياً من جانب الحكومة للحركة، و لكن هذه المنحة خاضعة لقرار الحزبين الحاكمين، إذ يتم قطعها عندما يتصاعد مواقف حركة التغيير و المعارضة ككل. علماً بأن حصة الإتحاد و البارتي الآن من ميزانية الإقليم هي ٥٠٠٠٠٠٠ دولار شهرياً عدى رواتب كوادرهم الحزبية و الإعلامية و مصاريف قنواتهم الإعلامية مع أن حجم كتلهم البرلمانية قريبة من حجم كتلة التغيير.

ثالثا: معوقات داخلية

تعاني احزاب المعارضة في إقليم كردستان العراق من أزمة داخلية بين صفوفها تتمثل بأزمة عدم الثقة المتبادلة وخشية كل طرف من ان يستولي الطرف الاخر على قيادة حركة المعارضة ويهمش الآخر، فضلا عن خشية من تعاون البعض مع السلطة ضد احزاب المعارضة، وقد اوضح ذلك القيادي في الاتحاد الاسلامي (ابوبكر على) بأن «حركة التغيير ترى في نفسها المعارضة الحقيقية وتهمش الآخرين، فضلاً عن ان مواقفهم غير ثابتة ومتغيرة»(٩٨)

رابعا: معوقات اخرى

تتعلق بموقف الجماهير الشعبية داخل اقليم كردستان العراق، إذ يخشى البعض من تغيير موقفه لصالح المعارضة ان يحرم من الامتيازات التي يتمتع بها مع احزاب السلطة او حتى الخشية من النقل الوظيفي، اذ اشار السيد نوشيروان مصطفى «انه تم نقل اكثر من ٥٠٠ موظف في القوات المسلحة والمناصب الوظيفية الاخرى بسبب انظمامهم الى حركة التغيير» (٩٩).

و عدا الخشية على مصدر الرزق، هنالك عدم قناعة لدى البعض بأن المعارضة غير قادرة على ان تفعل اكثر مما تفعله الحكومة الآن مما يشكل مشكلة أخرى للمعارضة، ويرى البعض ان لا فرق بين الحكومة والمعارضة لاسيما وان القيادات في المعارضة هي القيادات نفسها التي كانت في السلطة ولم تفعل شيئاً.

من خلال ما تقدم يمكن القول بان هناك معوقات كثيرة تقف امام فاعلية وعمل احزاب المعارضة السياسية قسم منها يتعلق باحزاب المعارضة نفسها، وأزمة عدم الثقة الموجودة بينها، وخشية احداها من الاخرى، ومعوقات اخرى تتعلق بمسعى الحكومة لاضعاف المعارضة والتقليل من شأنها بوسائل عدة بعضها مشروع، و الآخر دون ذلك، الامر الذي يجعل من المعارضة امام امتحان صعب فلا هي قادرة على ان تقوم بواجبات ومهام المعارضة الحقيقية ولا هي قادرة على ان تكون البديل عن السلطة، لذا فإنها ستبقى معارضة لها تاثير على الساحة السياسية في الاقليم لكنها لم ترتق الى مستوى البديل الحالي للسلطة السياسية في الاقليم في الوقت الحاضر على أقل تقدير.

المبحث الثالث: الآفاق المستقبلية للمعارضة السياسية في الإقليم

مع أنه من المبكر جداً الحديث عن استشراف مستقبل هذه المعارضة بعد سنتين من نجاحها النسبي في انتخابات برلمان الإقليم، الّا إننا نحاول هنا الإشارة الى مجموعة من المتغيرات الداعمة لحراك المعارضة السياسية و خاصة حركة التغيير في العملية

٩٨. أبوبكر كارواني، مقابلة شخصية.

٩٩. نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

السياسية في الإقليم .

كان السلوك الإنتخابي للناخب الكردي خاصة في محافظة السليمانية في انتخابات تموز ٢٠٠٩ ايذاناً بكسر جدار الخوف و الرهب الذي كان مخيماً على الأجواء السياسية في الإقليم بسبب تراكمات الإقتتال الداخلي و الصراعات الداخلية و الاعمال الإرهابية من جانب الجماعات الإرهابية (من امثال أنصار الإسلام) و رد السلطة عليها. حيث على الرغم من مشاركة السلطة السياسية بكل ثقلها المادي و المعنوى و العسكري من أعلى السلطات المتمثلة بالرئيس العراقي و رئيس الإقليم و وزراء الكرد في حكومة الإقليم و الحكومة الإتحادية الى دوائر الدولة و قوات البيَشمةرطة ..الخ في الحملات الإنتخابية و على الرغم من كافة المخالفات التي حدثت (و تكلمنا عنها سابقاً)، الّا ان الأكثرية المطلقة للناخبين في محافظة السليمانية صوتت ضد مرشحي قائمة السلطة لبرلمان و رئاسة الإقليم(١٠٠).

من جانب آخر إقرار منح الأحزاب و الكيانات السياسية حسب القانون و بصورة عادلة قد يؤدي الى فتح أبواب أوسع أمام نشاطات المعارضة، خصوصاً و ان المعارضة (و بالأخص حركة التغيير) لم تحمل نفسها حتى الآن أعباء مصاريف بناء تنظيم حزبي على طراز الأحزاب الشرقية الستالينية التي تطلب فتح مقرات و مكاتب حتى في القرى و الزقاق و أحياء المدن، مما يمكنها من صرف ميزانيتها على مشاريع يمكنها من كسب ود و صوت الشارع الكردي في المستقبل المنظور.

إضافة إلى كل ذلك ان حركة التغيير كأكبر جناح للمعارضة في الإقليم هي حركة غير ايديولوجية و واقعية تتركز أفكارها و برامجها على المصالح العليا لمواطني الإقليم. و هذه الميزة أدت الى استقبالها من قطاعات واسعة من المواطنين بأفكار مختلفة بالإشتراك في قوائمها و التصويت لها و مساندتها مما قد يؤدي في حال استمرار هذا التوجه العام في قيادة الحركة الى نجاحات أكبر في المستقبل، و ليس من المستبعد في هذه الحالة و مع مرور بعض الوقت تكرار تجربة حزب العدالة و التنمية التركية في كردستان العراق.

ان بِدء ظهور نتائج وجود معارضة قوية في الإقليم في المستقبل القريب سوف يؤدي الى تعاظم ثقة الناخب بها و مساندتها في المستقبل. فضغط المعارضة على السلطة لمكافحة الفساد و انتهاج الشفافية في الميزانية و القضايا المالية و الإقتصادية و التجارية الأخرى،

١٠٠. على الرغم من قلة مراكز استطلاع الرأي و افتقار بعضها للمهنية العالية الّا نشير هنا الى استطلاع أجرتها پەيمانگەى دهۆك بۆ ثرسة سياسييةكان (معهد دهؤك للمسائل السياسية) في دهوك. فبحسب هذا الإستطلاع الذي أجراه المعهد في شهر كانون الأول ٢٠٠٩ ان (٧٠٪) من مواطني دهوك راضون من أداء المعارضة في الإقليم. أنظر: سبتى، «محافظة» دهوك: حوالي ٧٠٪ من مواطني مدينة دهوك راضين من أداء المعارضة داخل البرلمان (باللغة الكردية)، على موقع:
http://sbeiy.com/ku/newsdetail.aspx?id=22683&cat=1

و توفير الخدمات الأساسية للمواطنين، سوف يؤدي الى تقوية ثقة الناخب بالمعارضة و تفهمه من دورها المهم و البَنّاء لتحقيق مصالحه و آماله و همومه(١٠١). و في نفس الوقت نجاح المعارضة في المهام الملقاة على عاتقها سيرجع بايجابيات كبيرة على العملية الديمقراطية و الحياة السياسية في الإقليم.

و أثناء المفاوضات الأخيرة بين الحزبين الحاكمين و الأحزاب المعارضة الثلاثة، قدمت المعارضة مشروعاً للإصلاح السياسيي في الإقليم. و يتضمن المشروع ستة ملفات خاصة بإصلاح النظام السياسي في الإقليم، و القوات المسلحة و الأمنية، و السلطة القضائية، و مكافحة الفساد، و وزارة التربية، و تشكيل حكومة إنتقالية قادرة على إجراء هذه الإصلاحات. فإذا تم تبني هذا المشروع من الحكومة المقبلة المزمع تشكيلها مطلع العام القادم، فإنه يمكن أن يؤدي إلى مأسسة الحياة السياسية في الإقليم مما يمهد السبيل أمام التداول السلمي للسلطة و ترسيخ مبادئ الديمقراطية.

و لايمكن تجاهل دور الثورات التي حدثت في الدول العربية و التي أثبتت فشل النظم السياسية المستندة على حكم الحزب الواحد و حكم العائلة. و مما لاشك فيه بأن أحداث المنطقة سيؤثر بصورة مباشرة على الإقليم أيضاً، و يشكل عاملاً ضاغطاً على الحزبين الحاكمين للقيام بإصلاحات جذرية. و بخلاف ذلك لا يُستبعد لجوء المواطنين و قوى المعارضة إلى الشارع مرة أخرى و بصورة أقوى لتغيير الواقع السياسي التقليدي المنتمي إلى الماضي.

و هناك امل كبير لدى أحزاب والمعارضة لاسيما حركة التغيير بانها ستتمكن من قيادة الشارع في اقليم كردستان العراق و إستلام السلطة من الاحزاب الحاكمة اليوم وانتقال هذه الاحزاب الى المعارضة، وهو ما عبر عنه القيادي نوشيروان مصطفى بقوله: «ان المعارضة ستستلم السلطة وتذهب أحزاب السلطة الى المعارضة»(١٠٢)

الخاتمة

من خلال ما تقدم يمكننا القول:

ان هنالك جملة من المتغيرات أدت الى تأخر بروز المعارضة السياسية في الإقليم خاصة

١٠١. فحسب إستطلاع أجري من جانب منظمة بوينت في الإقليم يرى أكثر ٦٩٪ ممن أستطلع آرائهم في شهر تشرين الثاني ٢٠١٠ بأن حركة التغيير إستطاعت أن تكون الصوت الحقيقي لشعب كردستان. أنظر: منظمة بوينت، المعارضة بين بريق الشعارات وتحقيق الأنجازات، December-٢٠١٠، على موقع:
http://www.pointnumber.com/ara/Default.aspx?page=survey&id=65

١٠٢ . نوشيروان مصطفى، مقابلة شخصية.

في تسعينيات القرن الماضي، منها: ميل جل الأحزاب السياسية الكردية في الوصول الى السلطة، حالة عدم الثقة المتبادلة بين هذه الأحزاب، عدم وجود تجربة سابقة في الحكم و تجربة في الحياة الديمقراطية عموما، و طبيعة المرحلة التي مرت بها تجربة الحكم في كردستان، التي كانت من المؤمل أن تكون مرحلة بناء و تأسيس يشارك فيها الجميع. و لكن مجموعة من العوامل الأخرى التي تبلورت منذ سنوات قليلة أدت الى بروز المعارضة المدنية و الإعتراضات الشعبية و في النهاية الى ولادة معارضة سياسية قوية داخل برلمان كوستان، منها: تغيير النظام السياسي العراقي، استياء الناس من الأوضاع الخدمية الرديئة، استقالة عدد كبير من المسؤولين الحزبيين في الإتحاد. كل ذلك شكل إرهاصات حقيقية لتبلور فكرة المعارضة، التي قادها في بداية الامر ثلة من المثقفين المستقلين، و الإعلام الأهلي الحر، و كذلك الحركات المدنية و الإعتراضات الشعبية فضلاً عن كتلة الاصلاح داخل الاتحاد.

و على الرغم من قصر مدة بروز المعارضة السياسية في الإقليم، الّا انها استطاعت فرض قيم و سلوك برلماني جديد على الجميع و ارجاع اموال كبيرة للشعب. واذا ما استمرت المعارضة السياسية في الإقليم بنفس الجماهيرية السابقة و حافظت على تنوعها و عدم تبنيها ايدولوجية واحدة، فمن المؤمل أن يكون لها مستقبلاً أفضل في الاقليم، تساهم من خلاله في ترسيخ قيم وقواعد المعارضة السلمية والبنائة التي ترسخ قواعد الديمقراطية الصحيحة.

المصادر و المراجع

أولاً: الكتب

آراس عبدالرحمن مصطفى، إنتفاضة آذار ١٩٩١ في جنوب كردستان (باللغة الكردية)، (السليمانية: مؤسسة حمدي للنشر، ٢٠٠٩).

جراس ثار. في ستانسفيلد، كردستان العراق التطورات السياسية و نمو الديموقراطية (باللغة الكردية)، ترجمة: د. ياسين سردشتي، (السليمانية: مطبعة سيما، ٢٠١٠).

د. عبدالحسين شعبان، السيادة و مبدأ التدخل الانساني، (أربيل: مطبعة جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٠).

غسان العزي، سياسة القوة / مستقبل النظام الدولي و القوى العظمى، (بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية و البحوث و الثوثيقه، ٢٠٠٠).

المجلس الوطني لكردستان العراق، مجموعة القوانين و القرارات الصادرة عن المجلس الوطني لكردستان العراق، المجلد الثاني، ط١، ١٩٩٧.
نوشيروان مصطفى ، بين مام جلال و أنا آذار ١٩٩٩ – شباط ٢٠٠١ (باللغة الكردية)، (السليمانية: مطبعة رنج، ٢٠٠٩).
نوشيروان مصطفى أمين، مذكراتي في مجلس الحكم (باللغة الكردية)، (السليمانية: مركز جمال علي بابير للطباعة و النشر)، سنة الطبع بلا.
ياسين صالح، المعارضة السياسية (باللغة الكردية)، (السليمانية: مطبعة رنج، ٢٠٠٩).
يوسف جوران، ظهور تنظيم القاعدة في كردستان العراق (باللغة الكردية)، (السليمانية: مكتب الفكر و التوعية للإتحاد الوطني الكردستاني، ٢٠٠٩).

ثانياً: المجلات

دلير عبدالله، «الجماعة الإسلامية تؤدي إلى إنهيار قائمة الأحزاب الأربعة»، مجلة ريكا، العدد ١٣، (٢٠ من حزيران ٢٠٠٩، ص ص ١٠ – ١١.
زوبير رسول، «المعارضة السياسية في إقليم كردستان»، مجلة روشنجري، العدد ٢٧، (شتاء ٢٠١٠). ص ص ٥٣ – ٩٢.
لفين، "تفاصيل أحداث ٣١ آب»، مجلة لفين، العدد ٧٤، (١ من أيلول ٢٠٠٨)، ص ٣١ – ٣٥.
هلويست عثمان و برهم لطيف، «لقاء مع د. عبدالمصور البرزاني»، مجلة ريكا، العدد ١٣، (٢٠ من حزيران ٢٠٠٩، ص ص ١٧ – ١٩.

المهيمنات الأسلوبية في «القمر البعيد من حريتي» للشاعر لقمان محمود



بقلم: أثير محسن الهاشمي

مدخل :

-مفهوم المهيمنة :-

يمكن تعريف المهيمنة بأنها : بروز أحد الأنساق وتحكمه بالعناصر الأدبية الأخـرى(١) وقد حددها جاكوبسن بقوله :- ((يمكن تحديد المهيمنة بوصفها المكوّن المحوري في أي عمل فني : هي تتحكّم وتحّـدد وتحـوّل العناصر الأخرى ، وهي التي تتكفل بالتحام البنية)) (٢) باعتبارها عنصرا بؤريا للأثـر الأدبي (٣) يلاحظ من خلال هذا المفهوم بان (العنصر المهيمن) يقابل الوظيفة الشعرية عند جاكوبسن من جهة ، وهي تذكرنا بقوة العنصر المهيمن في الشكل العضوي في العمل الشعري عند كولرج من جهة أخرى ، فالموحـد عند كولرج هو الخيال الثانوي ، فهو الذي يصهر الدافع

بالذات والمادة بالروح (٤) لذلك يمكننا ان نعد المهيمنة بأنها الجزء المهم ، أو المحرك الأساس في ارتباطها مع الأسلوب ، الذي يتمحور مع وجهات النظر التي حددها الباحثون في ثلاثة :-
الأولى : تركز على المنشئ أو مبدع النص الأدبي .
الثانية : على المتلقي .
الثالثة : على النص الدبي نفسه .(٥)
وبهذا يمكن أن نقرن الأسلوبية بالمهيمنة ، بوصفها آلية من شأنها – منهجة - الأفكار ، سواء من ناحية الشكل أو المضمون .

المبحث الأول :-

المهيمنات الأسلوبية : دراسة موضوعية

أولا :- هيمنة الذات

تعتبر الذات الركيزة الرئيسة في أي عمل ٍ أدبي ؛ لما يجسده الأديب من موهبة ، بالإضافة إلى ثقافته وتجربته الأدبية ، وبذلك تهيمن الذات باعتبارها الهاجس المعلن والخفي للبوح بما يعبر به الشاعر ، وما يبحث عنه المتلقي .
تهيمن الذات في « القمر البعيد من حريتي » ، باعتبارها مرتكزا أساسيا للخطاب الشعري ، إذ يعمد الشاعر لقمان محمود إلى إبراز تلك (الأنا) بشكلها الفاعل ، وبوظيفتها البطولية ، فصورة الذات بطلا ، إحدى مميزات الشعراء الذين يسعون إلى تحقيق غاية عامة ، كما فعلت نازك الملائكة مثلا ، إذ نجد قصائدها تتميز بالأنا التي ترغب بمدينة فاضلة ، أو كما عبّر البياتي بخلق مكان بطولي ، يسعى الشاعر إليه عن طريق صورة الذات البطلة .
ان هيمنة الذات في نصوص لقمان محمود ، ما هي إلا دلالة جليّة على الثقة بالنفس ، أو محاولة لخلق جوّ يرتقي والحَس بالمسؤولية باتجاه الآخر :

هيأتُ لكل جرحٍ شفتين من فمي
عودي ، قبْل أن يتسرّب حنيني أكثر
جمّعتُ لك النجوم
نجمةً .. نجمةْ (ص١١)

إن إمكانية الشاعر وثقته بنفسه تتيح له التحكم وآلية الهيمنة الواضحة على أساس اللعب بالكلمات شكلا ومضمونا ، وبذلك تصبح الذات أداة فاعلة بالسيطرة على مكونات الخطاب ، لا العكس :

أتابعُ حياتي
أنا النهرُ الجريحُ
في الأراضي الميتةْ
لي رسالة الماء
أينما ذهبتُ
لي أثري (ص٢١)

إن ما يصبو عليه الشاعر قيم عليا ، هي جزء من منظومة حياتية ، محاولة منه لبث أسس الحياة ، و (النهر / الماء) مفردتان لغاية واحدة ، تنبثق على أساس ثابت وموجود ، وتنطلق من جوانب دينية ، بحسب قوله تعالى (وجعلنا من الماء كلّ شيء حي) .
إذ ان قابلية الإيصال أو محاولة الاستمرار بالتثقيف على أسس سماوية ، ما هي إلا ثوابت إنسانية ، وهذا ما سعى إليه الشاعر لقمان محمود عبر ذات واعية ، ومهيمنة :

لكي تظهر نجمة على الأقل
سأمارس الليل
لكي أحيا كما أريد (ص٧٩)

إن لغة الشاعر من جانب موضوعي يمكن عدّها

بـؤرة لرغبة في تحقيق علو خفي ، وآخر معلن تحت حنوٍّ الـذات ، عبر حداثة شعرية تـؤكّـد لمعطيات وجـوديـة ، وحــالات أخـرى افتراضية ، يكون الآخر حاضرا في دائرة الوصف :

سأحرّر الوقت

من رتابة الساعاتْ (ص٨٩)

يعمد الشاعر إلى محاولة (الفعل) ؛ أيْ ، فعل شيء ما ، يعيد تحرير الأشياء ، أو محاولة لتغيير نظم معنية في حياتنا ، كالوقت مثالا ، واندفاعه إلى تحريره ، باعتبار الوقت أسيرا بيد قالب غير متغير ، أو جاهز كـ (الساعات) بنظر الشاعر ، ما هي إلا رغبة لإعادة وتنظيم مسارات لم يحددها الزمن ربما ، أو هي محاولة لإنشاء أطر جديدة تخرج عن محدودية الزمن والوقت ، وتحرره من وجع التكرار وكآبة الإعادة ، ونسق الموت:

وأنا أنا

ميّتٌ ملّ وحدته

وبدأ يرفع فوق قبره

راية استسلامه الأخيرة (ص١٠٠)

إن تأكيد الذات على هيمنة تخضع لحالة الشاعر النفسية ، تحسب له أكثر مما هي عليه ؛ وذلك



لأن الذات تبدأ بالإعلان عن حالات الشاعر النفسية ، وما يمرّ به من مؤثرات وهواجس ، يمكن عدّها مرآة بيد المتلقي ليكتشف شخصية الشاعر المعلنة والخفية .

ثانيا :- اللون

اللون لغة واصطلاحا :

حدّ ابن منظر اللون لغة بقوله :- ((هيئة كالسوادِ والحُمْرة ، ولوَّنـتـُه فتلوّن ، ولوْن كلِّ شيء : ما فصل بينه وبين غيره ، والجمع ألْوان ، وقد تلوّن ولوّن ولوّنه))(٦) نلحظ أن اللون لغة ، يقترب من استعماله كمصطلح متداول .

أما في الاصطلاح ، فلم نقف على تعريف محدد ، ولكن يمكن اعتبار : جوهر اللون بوصفه مقتربا جماليا خالصا ، يتأسس من خلال (خبرة سايكولوجية قائمة على أساس فسلجي) تؤثر عمليا تأثيرا مهما في توجيه شكل الخطاب ، وتعزز المشهد الشعري بقيم جمالية جديدة ، تزيد من مستويات فاعليته الفنية والتعبيرية (٧)

يعتبر اللون من الدلالات المهمة التي تجسدت في الشعر منذ القدم ، وحتى يومنا هذا ، إذ ان ما تبعثه هذه الدلالة من صور وإيحاءات ورموز تضفي بالنص إلى تفاعلية مع محتوياته الأخـرى ، وهناك علاقة قائمة بين الشعر والفنون الأخرى ومنها الرسم ، وهذه العلاقة متأتية من اللون نفسه ، ويمكن أن نلخص هذه العلاقة بقول سيمونيدز ، إذ يقول : ((ان الرسم شعر صامت ، وان الشعر رسم ناطق)) (٨) وقد أهتم الشعراء بهذه الدلالة منذ القدم ، سواء أكان هذا الاستعمال بشكل شعوري أو غير شعوري ، ومن ابرز من كرس هذه الصورة ، هو الشاعر عمر ابن أبي ربيعة ، وابن المعتز ، وآخرون ، أما ابرز من كرس هذه الصورة من المحدثين فهو الشاعر بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وعبد الوهاب البياتي ، وحسب الشيخ جعفر ، وآخرون ، وبطبيعة الحال أن كل شاعر تناول هذه الصورة بشيء مختلف عن الآخر ، فلكل شاعر ظروفه وأجوائه الخاصة التي أثرت على بناء القصيدة بشكلها ومضمونها .

اللون التقليدي :-

تتنوع هيمنة اللون في نصوص الشاعر لقمان محمود ، بين ألوان تقليدية ، وأخرى مجازية ، لكلّ لون رمز معيّن يدل عليه ، وإيحاء يعبر عنه :

لكنّ الهواء مرّ أخيرا

مرّ كسؤالٍ أزرق

إلى حيث البحر (ص٧)

يـقرن الشاعر اللون الأزرق إلى السؤال ، وبذلك يجرد البحر المكتسب لونه من السماء الزرقاء ، إذ ان للسؤال ماهيته كما للّون دلالته ، وبذلك فان تشبيه السؤال باللون الأزرق ، ممكن ان يدل على معان ودلالات ، ربما أبرزها تلك الصورة التي نتصورها من خلال نـزول السماء نحو البحر ، وبالتالي تضفي صورة للجمال .

إن دلالات اللون قد يشير في بعض الأحيان إلى تصورات مقصودة من قبل الشاعر ، لذلك ان عكس اللون عبر تجليات الصورة الشعرية يولد معان جديدة ، من شأنها الارتقاء ومستوى الأداء الشعري :

غسلتُ الحربَ

بسلام أسود (ص ١١)

ان ما يميز نصوص الشاعر لقمان محمود ، هيمنة الصور البلاغية ، بالإضافة إلى المفارقات الشعرية ، إذ إننا دائما ما نجد قـرن بعض الكلمات بأخرى مغايرة ، مما يولد المفارقة ، كما قرنه مفردة (السلام) باللون (الأسود) ، فما هو معروف ان السلام ، يدل إلى المحبة والبياض والطمأنينة والفرح ، لكن الشاعر قرن ذلك باللون الأسود ، وبذلك حاول ان يغير ما هو مألوف إلى تجليات أخرى :

منذ البداية
الليل امرأة بسيقان سوداء
النهار امرأة بسيقان بيضاء (ص ٣٧)

يصف الشاعر الليل والنهار امرأتان ، الأولى سوداء ، كون الليل يدل على صفة السواد ، وأخرى بيضاء ، لأن النهار يدل على البياض ، وفي كلا الحالتين يكون اللون صفة ثابتة او شبه ثابتة على وزن (فعلاء مؤنث أفعل) .

ما يميز هذا المقطع ، وضع تشبيه الليل والنهار بالمرأة المختلفة اللون بحسب صفات الليل او النهار ، ناهيك عن الارتقاء بالمعنى البلاغي الذي يعبر عنه تلك التشبيهات ، وذلك الوصف . في نصوص الشاعر لقمان محمود يهيمن اللون بشكل عام ، وفي بقية الصفحات نجد صورا عدة ومدلولا جمة يعبر بها الشاعر على أساس تعبيراته ودلالاته للون ، كما في الصفحات (٥٠ – ٩٦- ١٠٥- ١١٩- ١٢٢) ، إلا إننا اكتفينا بالصفحات الأولى التي ورد فيها اللون وبتعبيراته المتنوعة .

اللون المجازي :-

يهيمن اللون المجازي أيضا في مجموعة القمر البعيد من حريتي ، إذ تتنوع دلالاته ، وتختلف صوره ، وهذا ما يعطي مدلولات أوسع من ناحية الشكل والمعنى ، وتنوع يتناسب وأذواق القرّاء وثقافتهم :

قالوا استيقظ قلبك النازف
على شقائق جرحها
في سرير دم أعمى (ص ١٧)

ابرز ما يشيرٍ إليه الدم هو اللون الأحمر ، و اللون الأحمر في كثير من حالاته يتناول الجانب المؤلم ، كونه يدل على القتل او الموت ، وهنا يشير الشاعر إلى ذلك اللون باستعماله للدم الذي يصفه بالأعمى ، إشارة منه إلى عدم محدودية الجرح (قلب نازف / جرح / دم أعمى) .

ونجد الشاعر لقمان محمود كثيرا ما يستعمل مفردة الظلام أو احدى معانيها بشكل مهيمن ، وبطبيعة الحال ان دلالة الظلام او احدى معانيها يدل على اللون الأسود:

فقط السقف على غير عادته
منهكٌ في امتصاص العتمة (ص٣٦)

يستعمل الشاعر لفظة (العتمة) ، باعتبارها احدى معاني الظلام ، والذي يشير إلى اللون الأسود ، وللعتمة مدلولات أخرى ، كونها تندرج ضمن معنى الليل او اختفاء النور ، وما شابه ذلك ، وهذا ما يدل أيضا على تعبير الشاعر لتشاؤميته ، وما يمر به من عزلة مؤلمة ربما ، يقول في نص آخر :

في الخوف فقط
العتمة
تزيل النور (ص٤١)

وفي هذا النص يشير الشاعر إلى معنى آخر تدل عليه العتمة ،(التي تشير إلى اللون الأسود كما بيّنا ذلك) ،ألا وهو الخوف ، فالخوف بحسب رأي الشاعر يزيل النور ، غير انه في مكان آخر ، يجد ان العتمة مضيئة في بعض الأحيان :

تتناسل أيها اليأس
حتى تكون للنجوم الشريرة
بين الأقمار الاصطناعية
عتمة مضيئة
تدل العميان إلى الهاوية (ص٨٦)

ان العتمة المضيئة هي مفارقة يعبر بها الشاعر ، على أساس جمع نقيضين ، الأول يدل على اللون الأسود ، والأخرى تدل على اللون الأبيض ، والمفردتان بحسب تعبير الشاعر دليل العميان

إلى الهاوية .
ثمة ألفاظ عدة استعملها الشاعر تدل على لون مجازي ، أبرزها (الظلام والدخان) وهذا ما يؤكد روحية الشاعر في النقد ، وتعبير منه لشاعر متشائمة أكثر مما هي متفائلة .

ثالثا : ثنائية التشاؤم والتفاؤل :

التشاؤم والتفاؤل ثنائيتان مرتبطتان بالأدب بشكل عام ، ولدى الشاعر بشكل خاص ؛ لما تشكله هذه الثنائية من التعبير عمّا يجول داخل نفس الشاعر ، سواء بتعبير إرادي وشعوري ، أو بشكل غير شعوري أو إرادي ، وبذلك يعكس الشاعر كل تجلياته داخل قفص الشعر باعتباره المـُعبّر عن مكنوناته الداخلية .
يهيمن التشاؤم لدى الشاعر لقمان محمود أكثر من تعبيراته المتفائلة :
أتابعُ حياتي
انا النهر الجريح
في الأراضي الميتة (ص٢١)
ان ما ورد على لسان الشاعر تشاؤمية تندرج ضمن آلية الصراع النفسي الذاتي ، إذ ان الكلمات والمفردات التي يراد لها ان تستلهم الحياة ، يضعها موضع غير ايجابي (النهر / الجريح) و (الأرض / الميتة) ، وبذلك نجد ثمة قرن كلمات لها معنى العطاء والحياة ، مع مفردات لها المعنى العكس :
وأنا حتى الآن
حطّابٌ فاشلٌ :
فأسه العزلة
أشجاره الليل والنهار (ص٣٧)
يصوغ الشاعر خطابه الشعري المتكأ على الأنا عبر تشاؤمية واضحة (حطّاب / فاشل – فأسه / العزلة – أشجاره / الليل والنهار) .
ان استلهام المفردات المتداولة ومحاولة صياغتها شعريا ، تعد منهجية شعرية ناجحة ، تقترب إلى المتلقي أكثر مما تبتعد عنه شكلا ومضمونا ، لغة وأسلوبا :
أرغب في الحب
وأتمنى أن لا أحب
ارغب في الحياة
وأتمنى أن لا أعيش
ارغب في كل شيء
وأتمنى لا شيء (ص٨٣)
نجد تشاؤمية الشاعر جليّة في نصوصه الشعرية ، اذ ان لغة أكون ولا أكون ، أو أريد ولا أريد ، ربما لغة وسطية ، هي شعارات وقوالب تأتي من ثقافة ووعي مهيمن على شخصية الإنسان ، وهذه اللغة كثيرا ما استعملها الفلاسفة والعلماء الكبار ،فمنهجيتهم في الحياة تقتضي ان يموتوا من اجل ان يحيا الآخرون ، وبذلك نجد لقمان محمود عبر عن مبدأ عام ، فحواه ان يعيش ويحب ويتمنى كل شيء شريطة ان يتمتع الإنسان الآخر الأشياء ذاتها :
(أمل ذابلٌ)
توقظني الحقيقة
بيدٍ نادمة
لأرى ما يفعله نومٌ غافلٌ
عن أحلامهِ
ولأرى عن قربٍ
آمالي الذليلة اليدين
أمام حرّيتي النائمة في القيود
حيث لا شفةٌ للنسيان
ولا لسانٌ للذاكرة

بل جسدٌ مهزومٌ
يـُخفي دمعته (ص٩٦)
يبدأ التشاؤم من العنوان (آمال / ذابلة) ، العنوان بطبيعة الحال رمـزي دلالـي ، يعبر الشاعر عن آماله ورغبته بحرية كاملة ، ربما ما يبحث عنه الشاعر حريّة الإنسان ، وعدم تقييده ، لكنه يجد الهزيمة قائمة لا محال في ظل (حيث لا شفة ٌ للنسيان / ولا لسان ٌ للذاكرة / بل جسدٌ مهزومٌ / يـُخفي دمعته) .
ان ما يهيمن على الشاعر من تشاؤمية يندرج عبر ذاته المعبرة عن لغة الموت والمرض :
لقد ضاق بي الموت
فحياتي موت
وصحتي مرض
استجدي الوهم بأمله الذابل
استجدي الماء بسرابه السكران (ص ٩٩)
نلحظ (الموت ، المرض) تعبير لحالة وفكرة واحـدة ، الأولى مكملة للأخرى ، والأخـرى مندرجة ضمن تفاصيل الأولى ، وهكذا تتسع فكرة المفارقة نتيجة قرن كلمتين لفكرة ينتمي إليها الشاعر (حياتي / موت – صحتي / مرض) ، ناهيك عن مفردات (الوهم ، الأمل الذابل ، الماء بسرابه السكران) .
وتتصاعد وتيرة تلك التشاؤمية بكل الأحوال بحسب تعبير الشاعر :
وأنا أنا
ميّت ملّ وحدته
وبدأ يرفع فوق قبره
راية استسلامه الأخيرة (ص١٠٠)
ان ما يعيشه الشاعر وما يفترضه عبر افتراضية الذات المنعزلة تنتج عن رغبة أكيدة في الخلاص ، والشاعر بكل حالاته يبحث عن خلاص في وقت لا خلاص فيه .

المبحث الثاني

المهيمنات الأسلوبية : دراسة فنية :

-الاستعارة :-

نجد الصور الشعرية مهيمنة في نصوص لقمان محمود الشعرية ، وأهم تلك الصور الاستعارة :
ليرى المراثي محبوكة كالمكيدة
تحت هواء مرتبك
تحير فيه الفراغ (ص٧)
ان من خصائص النص الشعري المتميز هيمنة الاستعارة ، والتي من شأنها الارتقاء بالنص إلى مستويات عالية ، يكون المضمون فيها ذا مستوى بلاغي ، كما النص أعلاه ، إذ استعار الشاعر للهواء ، أو للفراغ ، صفة من صفات الإنسان (هواء / مرتبك – تحيّر / الفراغ) ، هذا القرن ، والاستعارة ، هي محاولة لإخضاع النص تحت ثقافة الشاعر نفسه ، وبالتالي تتيح للمعنى ان –يتشظى- لمدلولات ومعان أخرى :
حيث لا احد
سوى نافذة مريضة
تطل على نهارٍ خادع
يخفي بكسل
تجاعيد الليل (ص٣٥)
يكثّف الشاعر مدلولاته البلاغية ؛ وذلك باستعماله لصور الاستعارة ، باعتبارها سمة أساسية لارتقاء النص (نافذة / مريضة - نهار / خادع – تجاعيد / الليل) .
يحاول الشاعر ان يقرن ويستعير بعض الصفات والسمات التي ينتجها الإنسان بحسب حياته اليومية ولغته المتداولة ، لتصاغ على أشياء أخرى :
بعد قليل يستسلم خيط الفجيعة

لإبرة الموت
ليخيط التاريخ هذا الشعب
قبل ان تتفسخ الأرض (ص٦٥)

يزيد استعمال الصور الشعرية من قابلية تفتح القراءة لدى المتلقي ، على ضوء تنوع في الطرح سواء على مستوى الشكل ، أو على أساس المضمون (يستسلم خيط الفجيعة / إبرة الموت / يخيط التاريخ / تتفسخ الأرض) وبذلك تكون العملية الشعرية عبارة عن مكونات عدة تتشارك بإنتاج النص ، بدء من الشاعر ، وانتهاء بالمتلقي .

-التشبيه :-

يأتي التشبيه عند العرب بعد الاستعارة من حيث الأهمية البلاغية ، وقد هيمن التشبيه في شعر لقمان محمود بشكلٍ واضح ، كما في قوله :

لكن الهواء مرّ أخيراً
مرّ كسؤالٍ أزرقٍ (ص٧)

يكثف الشاعر من صوره الشعرية ، ومنها التشبيه ، وبالتأكيد هذه الصورة البلاغية لها التأثير البيّن في ارتقاء النص إلى مستويات بلاغية عالية :

منذ البداية
الليل امرأة بسيقانٍ سوداء
النهار امرأة بسيقانٍ بيضاء (ص٣٧)

يشبّه الشاعر الليل والنهار بالمرأة ، الأولى سوداء والأخرى بيضاء ، وفي كلا الحالتين امرأة ، وللمرأة مدلولاتها وصفاتها من نوعية الموصوف ذاته (الليل / امرأة سوداء – النهار / امرأة بيضاء).

والمرأة بحسب ما نتصوره تمثل النصف الأخر للإنسان ، ويعدّها البعض مفتاح للخلاص ، وباب للجمال ، وهذا ما أراده الشاعر من تشبيهه لليل والنهار، على العكس من الشاعر بدر شاكر السياب ، الذي شبّه الليل بتشبيه يدل على القبح ، فهو يصف الليل بالوحش والخنزير ، اذ يقول :

الليل وحشٌ تطعنانه مع النجوم
بخنجريهما وخنجر السحر
الليل خنزير الردى العنيد(٩)

وهكذا فأن الشاعر نجح في تنظيم وترتيب ومنهجية قصائده على وفق بلاغة ، وأسلوب ، ولغة عالية المستوى شكلا ومضمونا .

الهوامش :

١-ينظر : نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، مجموعة من الباحثين ، الرباط ١٩٨٢ ، ص٨٢

٢-جماليات الشعرية ، د.خليل الموسى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٨ ، ص٢٤٩

٣-ينظر : المصـدر السابق ، مجموعة من الباحثين ، ص٨١

٤-المصدر السابق ، د.موسى الخليل ، ص٢٥٠

٥-شعر هلال ناجي هلال ، محاولة لدراسة أسلوبية إحصائية ، أ.د.سمير الخليل ، مجلة كلية التربية في جامعة المستنصرية ، العدد ٤٩ ، سنة ٢٠٠٦ ، ص١

٦-لسان العرب ، ابن منظور ، ١٣\٣٩٣ ، مادة لون

٧-المتخيل الشعري - أساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث - ، د. محمد صابر عبيد ، ط١ \\ ٢٠٠٠ منشورات اتحاد كتاب العراق ، ص١٦١

٨-الصورة اللونية في شعر السياب ، د.شاكر هادي التميمي ، مجلة القادسية للعلوم التربوية ، العدد الثاني ، المجلد الثاني ، تموز ٢٠٠٢ ، ص ١٠٩

٩-ديوان الشاعر بدر شاكر السياب ، المجلد الأول ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١.

جماليات الإيقاع السردي

مقاربة في(تليباثي) لهيثم بهنام بردى

بقلم: محمد يونس صالح
كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل

في الإيقاع السردي :

يحاول هذا البحث أن يميط اللثام عن حقل مهم وخصب في بنية الرواية والقصة والقصة القصيرة والقصة القصيرة جداً والسرد على نحو عام - كل بحسب فاعلية الاشتغال الإيقاعي وموجاته فيه - بوصفه إطاراً يمنح هذه الأنواع محيطها الخاص ومساحتها المفترضة لتجول عناصرها على سياقها الخاص الذي يفرض الحركة أو السكون أو يفرض البطء أو السرعة ، فيرصد تحولات المكان عبر سير أحداثه مرّة ، ويسلط كاميراته على حركة الشخصية وأزمنتها بوساطة افتراضات الزمن أخرى ، وفاعلية اللون والظل ومفارقتهما ومتوازيات اللغة تشابهاً وتطابقاً وتراكماتها الفونيمية ونظام الجمل وتوزيعها على سطح الورقة ثالثة .

الإيقاع ... ذلك الكائن العجيب ، المتحول تحولات الذات الساردة وفاعليتها وخصوصيتها وحساسيتها في داخل العمل الإبداعي ، يتلاقح معها مرّة ، ويتغلغل في ثنايا حركتها بوعي وقدرة العداء المتمكن من ساقيه مرّة أخرى .

يسعى الإيقاع إلى استيعاب حركة أحداثها القصة واحتوائها وتنقل شخصياتها وتغير مناخها المكاني وسلطتها الزمانية أنى شاءت ومتى سنحت لها حدودها الخاصة بالتجول خارج منطقة السرد ، لتبلور من ثمّ علاقات من شأنها تقليص الهوة بينها وبين كل ما من شأنه أن يفرض أعرافاً وتقاناتاً تحتفظ بالإطار الخارجي للسرد وتنفتح بالقدر ذاته على الفنون المجاورة لما تمتع به السرديات من مائية تهدم الحواجز بين الفنون والأجناس الأدبية والأنواع الأخرى إلاّ أنها لا تهدم الحدود التي حدّها كل جنس لنفسه .

ويرمي توظيف الإيقاع في العمل القصصي لغايات فنية ونفسية وفكرية ودلالية مهمة ، ومن زاوية نظر أخرى فهو يمنح حركة الأحداث والتجول داخل إيطار المكان المفترض وخارجه ، وحدود الزمن والفضاء التشكيلي بمفهومه الواسع بعداً جديداً يمنح القصة ايحاءً متنوعاً بحسب الأثر الذي يتركه كل مرّة ، ويجسد الانطباع الأول عن كل لوحة قصصية بأفضيتها وعوالمها لأن انتظامها وتوازيها وانسجامها وتداخلها يشكل العنصر الرئيس في هذا الفن ، فيرصد العالمين الخارجي الهندسي والمعماري للقصة والخفي الداخلي النفسي ، في حين يرصد مناطق التحامهما ، في الوقت الذي يفضي اشتراكهما إلى نتائج مهمة في المقاربة الإجرائية ومد جسور الترابط الدلالي . (١)

ويؤدي الإيقاع السردي أحد وظائفه الدلالية والاتصالية ، فهو طاقة أكبر من الصوتي وتتجاوز البصري ، إلى عالم يصعب الإمساك بحدوده يشتغل بقوة وتورية في عوالم النص القصصي ، في قضاياه الكبيرة وتفاصيله الدقيقة من ثريا النص إلى عتبة الإقفال على النحو الذي يحتاج فيه إلى رفع الحاجب المتخفية خلفه تلك السلطة – السمع بصرية - الدالة لأن جماليات النص «القصصي في سبيلها إلى سردنة الفنون ذهبت إلى محاولة استثمار الطاقة الباطنية للفن المستدعي إلى ميدان السرد وتفعيله قصصياً ، ولعل فضاء الموسيقى أحد أهم الفضاءات الجمالية للفنون التي أجتهد القص الحديث في ولوجه والاستثارة بقيمه العميقة والفريدة من أجل تطوير أساليب سرده وفتحها على آفاق جمالية جديدة » (٢) .

منطقة السرد منطقة مشحونة بالإيقاع يمتد أفقياً وعمودياً –بخطوط متوازية- تسهم على نحو فعّال في منح كل قصة نهجها الخاص الذي يتطلب رصداً خاص يستند في قراءته على الحراك –السرد إيقاعي- داخل مكونات العمل القصصي كونه عنصراً مهماً « من عناصر التصميم القصصي ، والكاتب يقدمه لنا على هيئة أمواج تتحرك بنظام خاص لتؤدي إلى تأثير معين ، يشعر القارئ معه بأن القصة تسير على وفقٍ قانون مرسوم ، هو الذي يكسبها هذا الشكل الخاص الذي تجلت فيه ... وقد يبدو في بعض الأحيان خافتاً غامضاً ، وفي البعض الأخر متحفزاً متسارعاً ، ولكنه في أحسن حالاته يجمع بين صفات مختلفة في آن واحد ، فيكون حراً أو منضبطاً ، متعسراً أو منساباً ، هادراً متوثباً أو خافتاً متغيراً ، في آن واحد ، وسر الإيقاع هو التنوع في <u>الوحدة أو الوحدات</u> المتنوعة » (٣) .

١- ينظر في ذلك ، في الإيقاع الروائي ، نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية : د.احمد الزعيبي ، دار الأمل ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦، ٨. وينظر فضاء التشكيل الشعري ، إيقاع الرؤية وإيقاع الدلالة ، محمد يونس صالح ، عالم الكتب الحديث ، جدار الكتاب العالمي ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣، ٢١.

٢ - المغامرة الجمالية للنص القصصي ، سلسلة مغامرات النص الإبداعي ، د. محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، جدار الكتاب العالمي ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ ، ٥٤.

٣ - فن القصة : د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦، ٨٧-٨٨.

إن كل ما سبق له علاقة بمفهوم الإيقاع وكيفية فهما لوظيفته ومن ثم ترك البصمة الواضحة في مقاربة النصوص مقاربة إيقاعية شمولية وواضحة ، فمازال الإيقاع يواجه إشكالية في مفهومه عند المنظرين له سواء أكانوا من العرب أم من الغربيين ، فمنهم من يجده متجسداً في النصوص الأدبية على نحو عام-رينيه ويلك- ومنهم من يقصره على الشعر خاصة ، ومنهم من يوسع مجاله إلى أبعد من ذلك فيجده في الطبيعة والظواهر الصناعية مثلاً ، شأنه في ذلك شأن التشظيات الدلالية والمفهومية والاصطلاحية قديماً , وقد تعرض الإيقاع «من التضييق والتوسع للمفهوم ، ومن التعسّف بإقحام ما ليس من عناصره فيه مرّة ، وبإقصاء ما لا شكَّ في انتمائه إليه مرّة أخرى ، ما جعل المصطلح قلقاً والمفهوم سائباً ، والخلاف بين الدارسين كبيراً . وهذا الخلاف يدل على تعدد أطراف الاجتهاد ومصادره ، ويدل في بعض وجوهه ، على تقدم في العلم وتطور في التفكير ، لكنَّهُ يدل أيضاً على تفاوتٍ في تقدير الحقائق وخلطٍ في تدبر المسائل أحياناً »(٤) ، ومن ثمّ فان تعدد وجهات النظر في النظرية الإيقاعية تنتج تنوعاً في مقاربة النص – أيّ كان – إيقاعياً ، وأحسب أن الحديث هنا - أذا ما أردنا الخوض فيه - يأخذ فيها مجالاً كبيراً حدّ الملل إلاّ أنه في النهاية وبعد إزالة الزبد ، يمكن أن يعد هذا التعدد والخلط في المفهوم والإجراء حالة صحية في حقل الدراسات النقدية .

إيقاع التشكيل السردي :

لاشك في أنّ العلاقة بين التشكيلي- ولاسيما اللوني والصوري والكاميراتي الوصفي والتجسيمي - والسردي علاقة وطيدة مشحونة بأبعاد دلالية وعاطفية ووجدانية ، تنبع من كونهما مظهرين من مظاهر الحياة والنشاط الإنساني يصدران عن نفس الملكة الإدراكية ، ويتشابهان في الأسس النفسية التي يفترض وجودها في نفس القاص والتشكيلي ومن ثمَ يكتمل النضج الفني سرداً ورسماً كلّ fحسب مادته في سياق ، وانصهار أحدهما بالآخر في سياق آخر . (٥)
أفادت المنطقة السردية كثيراً من معطيات التشكيل – وعلى حد تعبير كلود عبيد - ليس في لغة الرؤية المسطحة بل انتقلت إلى الرؤيا المركبة ، ومن ثمَ فان اللغة تعمل من منطقة الصوت والدلالة على امتصاص الخواص الفيزيائية المباشرة الملتصقة بمادة اللون والصورة الطبيعية واللغة أساساً ، وتحولها إلى خصائص تخيلية ترتبط بوظائف السرد ومنح النص إيقاعاً متداخلاً يحمل علامات ثرية ناتجة عن فضاء المكان والزمن والحدث والشخصية والإطار السردي العام وصدى إيقاعه اللوني ، والاقتصار على جوهرها التشكيلي الذي يتمثل

٤ - في مفهوم الإيقاع: محمد الهادي الطرابلسي ، حوليات الجامعة التونسية ، كلية الآداب، العدد (٣٢)، تونس ،١٩٩١ ، ٧ .

٥- ينظر جمالية الصورة في جدل العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر : كلود عبيد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ ، ٩.

بإيقاع اللون وانعكاسه على شاشة الخيال وصفحة النفس وحركة الشعور(٦) .

السرد من الأجناس القولية التي تعتمد على الفنون الأخرى ، فهو حاضنة لكثير من هذه الفنون التي توظّف في البناء السردي ، إذ تشارك الإشارات الفنية القادمة من هذه الفنون إلى السرد الإشارة اللغوية في فرز المعنى الشعري وتوصيله ، بما يسهم في تعزيز التشكيل السردي واستكمال مقوّمات بنائه الفني بحسب طبيعة التجربة ورؤيتها ، واستناداً إلى هذه العلاقة يمكن النظر إلى إيقاع الصور المعروفة في القصة على أنها لوحات مرسومة بوساطة الكلمات بدلاً من الخطوط ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الصورة المرسومة بالكلمات تبتعث فينا إيقاع اللون ، في حين أنَّ اللوحة المرسومة تضعنا أمام الأشكال والألوان مباشرة (٧) . في هذا الغمار يدلو القاص هيثم بهنام بردى بدلوه ويُخضع الفضاء التشكيلي لمختبره السردي ليداخل اللوني والإيقاعي والسردي ، فيقول في قصته الموسومة بـ (تِليباثي) (٨) وهي القصة الأولى من مجموعته القصصية الموسومة بالاسم ذاته :

((بعد الغسق الذي يغطي الحديقة برمتها ويضفي على أوراق أشجارها تلك الصبغة البرتقالية الشبيهة بالموت ، يوصد الأبواب كلها ، يقفل درفات النوافذ ، يسدل ستائرها الزرقاء الداكنة ، ثم يعمد إلى إطفاء الأنوار كلها فيغرق البيت بالعتمة المهيمنة على استحياء ... فقط النافذة المطلة على الحديقة الخلفية للبيت التي تعتمر عرائش العنب بعناقيدها الناضجة المدلاة تبقى مضاءة تفرش ضوءها الساطع من خلل حوافِ الستارة)) (٩) .

تبدأ فاعلية المناخ الإيقاعي في استهلال القصة زمنياً (بعد الغسق) ، إذ يفضي عبر سير لقطاته إلى فرض مناخ يشيء بالاستقرار – إلى حدٍ ما - بوساطة الامتزاج اللون / الظل ، الذي يعمد إلى بلورة إيقاع الصمت والهدوء ومن ثم السكون في مناطق الرصد الكامراتي كلها، إذ تنطوي حساسية الإيقاع السردي على فلسفة تعمد إلى تكثيف الدلالة السكونية (الصامتة) ، مرّة والهادئة أخرى (الغسق الذي يغطي الحديقة / يضفي على أوراق أشجارها تلك الصبغة البرتقالية / الشبيهة بالموت / يوصد الأبواب / يسدل الستائر/ يعمد إلى إطفاء الأنوار / فيغرق البيت بالعتمة) .

<u>على الرغم من قدرة</u> الأفعال المضارعة وفاعليتها في سيادة الحركية السردية ولاسيما حركة

٦- ينظر ، السكون المتحرك ، دراسة في البنية والأسلوب/تجربة الشعر المعاصر في البحرين نموذجاً:علوي الهاشمي ، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الأمارات ، الطبعة الأولى،١٩٩٢، ٤١٢.

٧ – ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي : د. صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، ٢٧٠، و اللون في شعر عمر بن أبي ربيعة : د. صالح محمد حسن ، (بحث) .

٨ – تليباثي ، مجموعة قصصية : هيثم بهنام بردى ، المجموعة القصصية الفائزة بجائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية ، عام ٢٠٠٦، والصادرة عن دار ناجي نعمان عام ٢٠٠٨ ، دار الينابيع ، سوريا ، الطبعة الثانية ٢٠١٠.

٩- ٧ .

الشخصية وثبات المكان (يوصد/ يقفل / يسدل/ يعمد) التي تعود إلى الضمير الغائب (هو) خارج منطقتها الإضافية الدلالية لأنها حركة سريعة تضفي إلى فرض أمور نفسية لا حركية ، إلاّ أنها تكتسب سكونها أو هدوء حركتها بوعي ما يجعل الإيقاع البصري صامتاً مكتظاً بمشاهد ولقطات قاتمة تكبح طموح الحركة السردية وتقيد تجولها الرحب ، وهي نقطة تمثل التقاء السمعي بالبصري واشتغال كلاً منهما في منطقة الآخر على النحو الذي يقلص الهوة بينهما .
تأخذ آلة الوصف دورها اللحمي في فرض الإيقاع المستغرق في تفصل المشاهد وهي تعمد إلى تقديم لقطات تتمظهر في النص على نحو متسلسل يعمق تواصلية العتمة والسكون / الهدوء الحادين ، بمرتكزات رامزة يبدأ فعلها منذ الوهلة الأولى وهي تكثف مفردات يشيع فيها الانحياز نحو التأمل في مساحة تفصيلية خاصة .
المنطقة منذ المفتتح تمركز شديد حول الصمت إلى الحد الذي يتماهى فيه الإيقاعي والسردي ، إذ يتجه الرامز التشكيلي (الغسق) ، نحو بدء إشعاع فضاءً يسوده الحزن والخمول وهو ينطوي في الوقت على قدرة عالية في اتساع رقة هذا الإيقاع والانتهاء إلى جملة توفي بنهاية الحركة (الموت) ، ويبقى هذا الاعتراف قاراً في الجمل الأربعة اللاحقة ، ما يلبث هذا الإيقاع في الحركة الخامسة – الجملة – إلى التحرك نحو إيقاع اللون (عرائش العنب) وسيميائها المعنقدة بسلسلة عميقة من الصور المتواصلة ببنية لحمية متقاطرة ، إلاّ أن هذه الحركة تبدو خجولة في فرض إيقاعها المفارقاتي مع مناخها السابق لتبقى في حدود ضيقة تعكسها مساحتها المحدودة من خلل حوافِ الستارة .
يشتغل النص برمته على تدمير فاعلية الحراك السرد-إيقاعي وهي تسعى للوصول على ثيمة العتمة بوصفه عنصراً أساساً في إيقاع النص الصامت تارة والبطيء أخرى ، عبر جو مفعم بالكآبة والانحسار والانغلاق على الذات وتفعيل إيقاع الموت بعمده إلى قتل كل ما هو حيوي .

ويعزز ذلك تداخل لازمة الإيقاع البصري المتداخل وتفاعلها على النحو الذي تقدم به منظومة السرد مموسقة بأجزاء يمثل كلّ منها حيزاً مهماً في فضاء الصورة السردية المفتوحة والمغلقة ، فما تفرضه سيميائة الحشد المتواصل للفضاء الخارجي للحديقة والمكان المفتوح عموماً (الغسق) ، تناظرها (الستائر الزرقاء الداكنة) ، في حين يلتقي موت الحركة (الصبغة البرتقالية) ، تناظرها (إطفاء الأنوار) ، فالحديقة بوصفها فضاءً نفسياً يمركز في أيّة قراءة إيقاع الحيوية والرحابة بوصفها محفزاً عيانياً يشتغل إلى حدٍ كبير في منطقة البصر جمالياً تؤدي معطيات وملامح الإيقاع الصمتي دورها الدال فيه ، التي تبقى فعّالة بسلسلة من الإيقاعات التي تلتقي في نسيجها الباطني والظاهري وتؤسس المقولة المرهونة للنص في الزاوية الأكثر بؤساً وهي ترسم نهاية القصة .
في القصة ذاتها (تليباثي) يبقى إيقاع التأمل والوصف والصورة هو السؤال الأهم الذي يجذر

الدلالة ويفتح آفاق الإيقاع والوصف على نحو خاص :
((- لم تؤرقني وتعذبني ... كلّمني أرجوك .
يقطع الغرفة جيئة وذهاباً ، يخلع سترته ويلقيها بإهمال على الكرسي ، يشعل سيكارة يلتقطها من المنضدة ، يمج منها نفساً ثم ينفثه فيتحلق الدخان دوائر تترجم حالتها غير المتوازنة وهو في وضعه الفريد الغريب)) (١٠).
حركة الإيقاع في هذا المجتزأ الوصفي حركة تمنح نفسها الحرية في فضاء مغلق وحدود ضيقة (حدود الغرفة) ، إلا أنها حركة تتداخل في أعماق إيقاع السرد الوصفي وحساسيته المكتظة التي يمكن عدّها ومضة إيقاعية مكتظة الصور مستقلة في إطارها العام والمنفتح بالقدر ذاته على حركية الوصف والشخصية في داخل المنطقة الصورية الواحدة .
تبصر المنظومة الإيقاعية لفعل الاستفهام (لم / ...) ، عن تجلّي وخفاء يتجاوزها إلى فعل الترجي ويعكس على رمزيتها المتكررة المتقاطرة (...) ، التي تكمن في طياتها الحسرة والتألم في كفة والحيرة والتعجب في كفة أخرى ، ما يمنح الإيقاع تموجاً يمتد أفقياً (لم تؤرقني وتعذبني ... كلّمني أرجوك) ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتصاعد على النحو الذي يوسع رقعة الوصف الكامراتي وحركته الإيقاعية إلى فعل السرد (يقطع / يخلع / يلقيها/ يشعل/ يمج) ، الذي يفيد من هيمنة ثنائيات معطيات الصور الحركية (جيئة / ذهاباً - يمج / ينفثه) ، وهي حركة يسيطر عليها انشطار وتأمل بين رغبة تحيق المرجو (كلمني أرجوك) ، وقلق وتوتر غير متوازن (وهو في وضعه الفريد الغريب) ، وهو ما احتوى الإيقاع بين حركة الأفعال وانعكاس الصورة المتأملة عليه .
في قصته الموسومة بـ (الأقاصي) يتمظهر على نحو واضح التداخل الوصفي والإيقاعي في تشكيل طبقة الشيوخ السردية التي لا تتوقف في حدود معينة بل تنفتح على الماحول الإيقاعي برحابة تؤكد حضوره العضوي في اللعبة السردية :
((- انه مجنون بالتأكيد ... ولكنه مسالم.
ويأخذهم الصمت لفترة لا تسمع فيها إلاّ أنفاسهم وهي تتموسق مع حبات السبح الكهرب المتهاطلة مع الخط الضيق المتشاكل ببين الإبهام والسبابة وأناملهم الحبلية تمسد عثانينهم المدببة وعيونهم اللائطة تحت الحواجب الكثة المشعرة ، تتأسف على هذه الفتوة وهي تتسربل بالجنون)) (١١).
تخضع الطبقة الإيقاعية الثانية بعد الأولى المتوازية لشحنة عاطفية يتحلّى بها (شيوخ القرية /المحنكون / العجونون بالحياة) ، ومن ثم فان هذه الطبقة يهيمن على إيقاعها

١٠ - تليباثي : ١٠ .
١١ - تليباثي : ٥٥

الوصف الدقيق لحالتي الزمنية والمكانية ، فهو يجسد انشغالهم الخصوصي والنوعي في داخل دائرة صمتية يتناظر فيه إيقاع الجسد (الإبهام / السّبابة / أناملهم) ، مع إيقاع (أنفاسهم) ، الذي يضفي إلى حركة صوتية وإيقاع ملموس (تتموسق) ، (١٢) يؤكد التفاعل البصري –الصوتي وإلفات العين القرائية / السماعية نحو تلاقح شديد الكثافة والتمركز حول إيقاع الجسد – الوجه الآخر للشخصيّة- وتفعيل انعطاف إيقاعي مهم يلتقي فيه التوازي الصوتي بالصورة الوصفة .

وفي قصته الموسومة بـ (الصور الأخيرة) يبقى إيقاع الجسد فعّالاً في مساحة ضيّقة يتداخل فيه إيقاع الشخصية وإيقاع اللون إذ يقول :

((عيناه بندولان يتراقصان بإيقاع رتيب ويحتويان المدى المترامي الأزرق الصافي كعيني طفل وليد أو عيني الديك ، تحاولان أن تبحثان عن غيمة ، أيا كان لونها ، بيضاء ، رصاصية ، سوداء ، ولكن ليس ثمة غير سماء ذات ازرقاق حاد)) (١٣) .

يقدم القاص هيثم بردى أنموذجاً إيقاعياً يستند في مرجعياته على آليات الصوت والصورة ، يتمركز فعله الإيقاعي – استهلالياً- حول حركة رتيبة (عيناه / بندولان) ، توحي بإيقاعي شديد التمركز حول نفسه ينتهي عند نقطة البداية ، في الوقت نفسه تعكس الحركة الوصفية الثانية نوعاً من محاولات الاحتشاد الحركي (تحاولان / تبحثان) للخروج من رتابة الإيقاع / رتابة الحالة إلى فضاء أكثر رحابة ، إلا أن حركتها البحثية (بيضاء / سوداء / سوداء) ، عبر تدرج لوني تستقر إلى ثبات إيقاعي (ولكن ليس ثمة غير سماء ذات ازرقاق حاد) ، على النحو الذي يضاعف ويركز الحساسية الإيقاعية / دلالية وهي تأخذ مسارها نحو الوضع المأساوي و اليأس والاستسلام .

إيقاع التشابه وإيقاع التطابق :

أفاد إيقاع السرد من تقنتي التوازي والتكرار – بوصفهما أكثر تجلياً ووضوحاً من تقانات الإيقاع الأخرى - على نحو واضح , وثمَ فقد أسهم الأخيران في تكوين البنية الدلالية للأول لما لهما من وظيفتهما النفسية تؤكد حضور الألفاظ المكررة والمتوازية ودورها التي يمكن أن تعد مفتاحاً من مفاتيح القصة .

تفترق تقنيتا ((التماثل((و))التطابق ((إلى حدٍ بعد وتلتقيان إلى حدٍ ما لان "التماثل الصوتي المتحقق عبر التوازي ، هو ليس "التكرار" بمفهومه الضيق ، لان الأخير قاتم على شيء آخر غير التماثل ، هو التطابق التام بين وحداته"(١٤) ، وقد أشار إلى هذا رومان ياكبسون

١٢ - فضاء القرية ، الموروث الشعبي ولعبة التخييل السردي : د. محمد صابر عبيد ، ضمن الدراسات الملحقة بـ (تليباثي) ، ٧٢ .

١٣ - تليباثي : ٤٨.

١٤- قضايا الشعرية: رومان ياكبسون ، ترجمة ، محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨، ١٠٣.

بقوله أن - التوازي تماثل وليس تطابقا - ، وعلى ما يبدو أن علم الرياضيات قد أشار إلى هذه القضية من قبل ولكن بالعلامات إذ رمز للتوازي بعلامة (//) ولم تكن على سبيل المثال (=) ، لذا يمكننا القول أنّ العلاقة القائمة بين مكونات التوازي الثنائية فما فوق هي علاقة تشابه في حين تقوم العلاقة بين مكونات التكرار هي علاقة تطابق وتتجلى أهمية التشابه في أن «التوازي» في قدرته على خلق انسجام واضح في حين يكون الانسجام في التكرار متطابق الصوت بدلالة مختلفة أحياناً ومتطابق الصوت والدلالة أحياناً أخرى .

ونلحظ في قصة (الأقاصي) حضوراً رحباً لكثير من تقانات التوازي التي تقوم على المماثلة الدلالية في سياق والمفارقة الدلالية في سياق آخر :

((شيوخ القرية المحنكون المعجونون بالحياة كانوا يجزمون جنونه ويلهجون وهم يهجعون أبدانهم الوسنانة في فيء البيوت القديمة المعزولة والغارقة في مستنقع النسيان)) ((١٥

تشتغل عضوية الإيقاع الصوتي السردي - بوصفها طبقة إيقاعية أولى - على نحو واضح في النص , والتي تتمركز في مستهلها حول بؤرة صوتية تكمن في توزيع التوازي بصورة منتظمة ، (المحنكون / المعجونون / يجزمون / يلهجون / يهجعون) ، بوصفها ضاغطاً صوتياً يستفز القراءة ويترك أثره الإيقاعي والدلالي – الواو والنون – بوصفهما لازمة إيقاعية تفرض الانتظام في اكتمال مقومات الوصف ، على النحو الذي يؤكد لهذه الطبقة –طبقة شيوخ القرية- حضورها السيادي الذي ينبع من دلالات كل متوازية من هذه المتوازيات على الصعيدين الثقافي والاجتماعي للقروية .

في القصة ذاتها يعمق القاص بوعي ثنائيات التوازي المتضادة ما يثير إيقاعاً استثارياً وتحفيزياً متوتر ينجم عن توظيف هذه الثنائيات وتقابلاتها :

((نساء القرية المتزوجات ، اليافعات منهن والعجائز ، في غدوهن ورواحهن إلى شاطئ النهر كن يقذفن من وراء سواعدهن المحزّمة بالأساور والمتشابكة مع الجرار الفارغة والمليئة بالماء ، نظراتهن الشفوقة على فتى القرية الغريب)) (١٦).

يعمد أركام التوازي الذي يقوم على النواة وضدها إلى معاودة الإيقاع الذي يقوم على فكرة تكوين شعورين متنافرين يحفز عملية القراءة ويدهشها ، و يتحرك الإيقاع البصري للاشتراك في ثراء هذا الشكل الإيقاعي الرئيس – التوازي المفارقاتي – على النحو الذي يشغله إيقاع الصمت متمثلاً بالفاصلة (،) ، الفاصل بوقفته بين كل متناقضين ، وهي في سبيلها إلى تقوية وظيفة الإيقاع الدلالية لاسيما وهو تقدم إيقاعاً يقوم على دوران الفكرة في محيط محدد – الواقع القروي والمدونة اليومية للواقع الاجتماعي – برصدها لحركة

١٥ – تليباثي : ٥٥.

١٦ – تليباثي : ٥٥.

طبقة مهمة من طبقات التشكيل السردي ، طبقة نساء القرية بتكثيف الصفات والحركات والتيار الضدي لهذه الصفات والحركات (اليافعات منهن والعجائز / في غدوهن ورواحهن إلى شاطئ النهر / الجرار الفارغة والمليئة بالماء) ، إذ يتحرك المناخ السردي نحو المناخ اللغوي والدلالي والإيقاعي ويمثله على نحو ممتاز مستثمراً دلالاتـه في تغير إيقاع السرد تغيراً ملحوظاً يتحرك مع الشخصية التي تتمثل بـ (نظراتهن الشفوقة على فتى القرية الغريب) ، وأثرها الإيقاعي .

في قصة (الصورة الأخيرة) ، يشتغل القاص على انتخاب مفردات تدور حول الماء ومشتقاتها ودوالها ، تمنح القصة مرتكزات تكرارية – سواء على مستوى الإيقاع أو الدلالة - يمكنها أن تشكل حركة تتأرجح في تنوعها الإيقاعي خاص ، (ماء / الماء / ارتواء / امتلأت / الفارغة / سطح الماء / أنغمر في الماء / الارتواء من الماء / الدموع / الغيث / القطر / السيل / الطوفان / تمطر ... الخ) .

يهيمن الماء ومرجعياته على النص بقوة وتورية وبساطة في فضاء الإنسانية ومن ثمّ تكون مهمة الماء صعبة فهو مكاناً سرديا ظاهراً ومولهماً وتزيناً لمظاهرهم ، وهو صورة أخرى أعمق وأوعى من الظاهر هو سلسلة عميقة من الصور العنقودية العقدية على النحو الذي تؤكد حميميته وانعكاسه المراوي بطاقاته وصيغه وأساليبه وتجلياته كلها في هذا المناخ ، إذ يرتبط الماء ارتباطاً وثيقاً بفلسفة الحياة والخصب والنماء والخير .

ليس الماء - في أول تصور عنه - شكلاً مكانياً يمكن تأطيره بأطر جغرافية خاصة ، وإنما هو تحوّل وتفاعل مختبري وإعادة تكوين تتسع معانيه إذ يمنح الأشكال الحاوية خيالاً باذخ التشكيل والتدليل ، في حين يصعب الإمساك بسيميائيته العامة في الكون السردي فمنه مادة السفر والاغتراب والمواعيد المؤجلة والموطن والاستقرار والأسرار ، يضم الثقافات والأديان ويجسد العلاقة بين الإنسان وبيئته تجسيداً نصيّاً ، يستوعب القاص هيثم بردى هذه الدلالات بصيغتها المتقاطرة الماضوية / الحاضرة ، التي تزيد من فاعلية التأثير مجسداً شعرية الظمأ بإيقاعات متنوعة ، قريبة من إحساسه ومن تلك الإيقاعات ، الإيقاع اللفظي الذي يولد إيقاعاً دلالياً في النفس من خلال تكرار الحركة المائية لمفردات النص وتراكيبه ، فتولّدُ من ذلك إيقاعاً متميزاً بوساطة الوتر الذي يقوم على إيراد المعنى المائي المتقاطر والمتكرر ضمنياً مرّة وتكراره بالشكل الصريح مرّة أخرى . (١٧)

---

١٧ - منازل الغرق ، من فضاء الماء إلى بلاغة العنقدة : محمد يونس صالح ، (بحث) ضمن كتاب ، تجلّيات القصيدة ، من فضاء التجربة إلى مِعمار النص ، قراءات في شعر محمد مردان ، إعداد وتقديم ومشاركة ، د.خليل شكري هيّاس ٥ .

مكتبة البحث

الكتب :

تليباثي ، مجموعة قصصية : هيثم بهنام بردى ، المجموعة القصصية الفائزة بجائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية ، عام ٢٠٠٦، والصادرة عن دار ناجي نعمان عام ٢٠٠٨ ، دار الينابيع ، سوريا ، الطبعة الثانية ٢٠١٠.

جمالية الصورة في جدل العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر : كلود عبيد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ .

السكون المتحرك ، دراسة في البنية والأسلوب/تجربة الشعر المعاصر في البحرين نموذجاً:علوي الهاشمي ، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الأمارات ، الطبعة الأولى،١٩٩٢.

فضاء التشكيل الشعري ، إيقاع الرؤية وإيقاع الدلالة ، محمد يونس صالح ، عالم الكتب الحديث ، جدار الكتاب العالمي ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣.

فن القصة : د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦.

في الإيقاع الروائي ، نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية : د.احمد الزعبي ، دار الأمل ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦.

قضايا الشعرية: رومان ياكبسون ، ترجمة ، محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨، ١٠٣.

المغامرة الجمالية للنص القصصي ، سلسلة مغامرات النص الإبداعي ، د. محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، جدار الكتاب العالمي ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ .

نظرية البنائية في النقد الأدبي : د. صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ .

البحوث :

فضاء القرية ، الموروث الشعبي ولعبة التخييل السردي : د. محمد صابر عبيد ، (بحث) ضمن الدراسات الملحقة بـ (تليباثي) .

في مفهوم الإيقاع: محمد الهادي الطرابلسي ،(بحث) حوليات الجامعة التونسية ، كلية الآداب، العدد (٣٢)، تونس ١٩٩١، .

منازل الغرق ، من فضاء الماء إلى بلاغة العنقدة : محمد يونس صالح ، (بحث) ضمن كتاب ، تجلّيات القصيدة ، من فضاء التجربة إلى مِعمار النص ، قراءات في شعر محمد مردان ، إعداد وتقديم ومشاركة ، د.خليل شكري هيّاس .

عتبة التصدير دالاً قرائياً في (ثغرها على منديل)



د.خليل شكري هياس – جامعة الموصل
كلية التربية/ الحمدانية

تُعد العتبات النصية حقلاً معرفياً هاماً سعت الدراسات النقدية الحديثة إلى مظهرة دورها في استبطان كوامن النص، لقد بدأ هذا الحقل يؤسس لعالم نصي كلي تتفاعل في داخله بنيات النص عبر شبكة من التعالقات تهدف إلى فهم شامل للنص، يفتح النص لها كل بواباته لخلق شعرية منفتحة، تؤمن بأن الظاهرة الأدبية ليست النص حسب، بل العملية الإبداعية المصاحبة للنص – أيضاً – كون النص بنية دلالية تُنتَج ضمن بنية نصية مُنتَجة( )، وتؤمن بدور القارئ في كونه الشريك الفعلي لمؤلف النص، ومستوى حضور الأول في النص لا يقل عن مستوى حضور الثاني، ومن ثم فإن النص يتكون من مجموع رؤى المؤلف والقارئ معاً( ).

لقد اصبحت العتبات النصية ضرورة قرائية تُشخص وتنمط لأنواع من العلاقات النصية داخل النص، وترسم في النهاية استراتيجية جديدة من القراءة، تتجاوز قوانين النوع أو الجنس التي كانت تُكبِّل النص – في الغالب – برؤية قرائية أحادية يقوم بتفصيلها القارئ على وفق مقاسات محددة سلفاً، في حين أن القراءة على وفق الاستراتيجيات القرائية الجديدة تتحرك في فضاء مفتوح وشامل، يدفع القارئ إلى قراءة عبر نصية من جهة، وقراءة تعالقية تشابكية مع ما يحيط بالنص ذاته من أسيجة من جهة أخرى.

ونقصد بالعتبات تلك المرفقات المحيطة بالنص التي تعد مفاتيح إجرائية أساسية، يستعين بها المتلقي لاستكشاف الاستراتيجية التي يمكن أن يسير عليها النص بغية استطلاقه وتأويله، فهي عناصر ضرورية في تشكيل الدلالة وتفكيك الدوال الرمزية، وأيضاح الخارج قصد اضاءة الداخل( ).

على هذا النحو تقوم العتبات النصية ببناء خارطة طريق القراءة، لتقود القارئ نحو فهم أوسع للنص، وبموجبها يتحول الفضاء النصي إلى محفل قرائي تعاقدي بين العتبات النصية والنص ذاته، وبين النص والقارئ من جهة أخرى، إذ تكشف كل عتبة نصية عن شكل من أشكال كينونة النص، والعتبات هنا تقوم بمهامين هما:

١.بناء جسد النص، ويقوم بهذا المهام مؤلف النص عندما يضع لبنات النص لبنة تلو أخرى.

٢.توجيه النص قرائياً، وذلك من خلال تضافر جهود كل العتبات في رسم استراتيجية قرائية تأخذ بيد القارئ نحو داخل النص().

وتعد عتبة التصدير – موضوع الدراسة – ذات قيمة تداولية هامة، تتجاوز قانون التركيب أو التوليف العفوي، أو اللامسؤول من قبل المؤلف، أو جهة النشر، إلى رؤية شعرية تشعرنها، وتجعل منها موشوراً قرائياً لا يمكن تجاوزه، إذ تخلق هذه العتبة أفقاً قرائياً مثيراً يحمل في طياته فضولاً يدفع بالقارئ إلى البحث أو الكشف عن ماهية التعالق بين عتبة التصدير والنص من جهة، وبين صاحب التصدير (المؤلف الحقيقي أو المفترض) للنص المقتبس، وبين مؤلف النص الذي يضمن نصه عتبة التصدير من جهة أخرى، ويكتسب التصدير أهمية أخرى من حيث كونه «الجملة الأولى لمحكي ما، هي دائماً مدخل لفضاء لساني جديد»( )، يسهم بما فيه من سمات لسانية في ترتيب اشتغاله الوظيفي القائم على أنه الجسر الذي ينقلنا من حالة الصمت والسكون إلى حالة الحراك القرائي والتأويلي، إنّه «بناء ادراكي أولي تتشكل معه أحاسيس وأفق انتظار منسجم أو معدل عن الأفق الذي خلقه العنوان أو اسم المؤلف الحقيقي»( )، إذ إن ما يتضمنه النص المستشهد به تشي بحساسية فكرية أو فنية

متقصدة يحاول معه صاحب الاستشهاد دعم توجهه في النص، قصد تقريب المسار بين النص وقارئه، كما يخلق نوعاً من التصادي بين أكثر من نص، ليحصل المؤلف في النهاية على تخصيب نصه وتعميقه وجعله في سياق تداولي أرحب وأكثر اغراءً في القراءة مستفيداً طبعاً من مكانة صاحب التصدير، والقيمة المعرفية والثقافية التي يتمتع بها هو ونصوصه المعرفية، إذ يشترط في عتبة التصدير أن يكون النص المستشهد به لاسم ثقافي أو معرفي مهم له باعه الطويل في هذا الجانب أو ذاك.

ومن مميزات التصدير أيضاً هو خَلقُه لوجه من أوجه التناص الذي يتمظهر من خلال تعالق النص مع عتبته التصديرية، أي بين نص مستدعى أو محاكى يعرف بالنص اللاحق (عتبة التصدير)، وبين نص أصلي محاكي، وهذا النوع من المحاكاة يدخل في متعالٍ من التعاليات النصية عند جينيت تعرف بـ (الهندسة التناصية)، والتي هي أكثر الأنماط تجريداً أو تضميناً حسب سعيد يقطين( )، إذ هي أشبه بعلاقة تضمين يربط كل نص بالنماذج المختلفة من الخطاب الذي ينتمي اليها.

والتصدير من منظور جيرار جينيت هو نص استشهادي توجيهي يقع خارج النص المركزي أو على هامشه بعد العنوان والمقدمة إن وجد _لاسيما في النصوص النقدية_ وقبل النص مباشرة( )، وهو «نص مُصغّر، له معطياته الخاصة وتشكلاته الجمالية المرتبطة بسياق هذا التوظيف أو ذاك»( )، وعلى نحو يضيء أو يومئ إلى جوهر النص، ويوجه فعل القراء إلى استبطان النص وفضح نواياه المعلنة أو المبيتة، لتغدو يداً ثانية يتم تشغيلها كمخاطب حجة، أو شهادة روح تطفو على جسد المتن وتغلفه( ).

وتقوم العملية التواصلية والتداولية للتصدير عند جينيت على مرتكزات ثلاثة هي: التصدير: وهو العنصر الأول في العملية التواصلية، ويتمثل بالكاتب المقتبس عنه / منه هذا التصدير؛ والمصدِّر الذي هو المحرِك الأساس والمهم في التصدير، وهو من يضع التصدير حيز الاستشهاد في نصه، أي المصدِّر القانوني له ؛ والمصدَّر له وهو القارئ المفترض الذي يتخيله المصدر (الكاتب) بأنه سينغرط في فعل القراءة ( )، هذا فضلاً عن الرسالة

(نص التصدير)، والنظرة الفاحصة لهذه العملية تكشف عن دور محوري للمصدِّر الذي يضع التصدير حيز التنفيذ، والمضفي عليه قيمة دلالية وجمالية مضافة إلى قيمته الدلالية والجمالية في نصه الأصلي المقتبس منه، ويمكن توضيح هذا الدور المحوري من خلال مخطط العملية التواصلية والتداولية للتصدير:

المركز

التصدير ــــــ مؤلف الاقتباس	النص المقتبس ــــ الرسالة	المصدِّر مؤلف النص	ــــ العتبة التصديرية ــــ الاقتباس	المصدر له القارئ

وللتصدير كما لكل عتبة قرائية وظائف حددها جينيت بأربع وظائف هي( ):

١.وظيفة التعليق على العنوان: وهي وظيفة تختص بتوظيف العنوان ولا تعمل على توجيه القراءة نحو متن النص.

٢.وظيفة التعليق على متن النص: من أجل تسليط الضوء على بعض المفاصل أو فضح بعض دلالاته وذلك من خلال التعالق الموجود بين التصدير والنص.

٣.وظيفة الكفالة / الضمان غير المباشر: ويأتي الكاتب بهذا التصدير من أجل شهرة صاحب الاقتباس لتنزلق شهرته إلى عمله.

٤.وظيفة الحضور والغياب للتصدير: وهي من أكثر الوظائف انحرافاً على دلالة التصدير لارتباطها بالحضور البسيط للتصدير كيفما اتفق، وهنا يحذر جينيت من مغبة الاستعمال التزييني للتصدير دون أن ينخرط وضعه في فعل ثقافي وحضاري.

يشتغل القاص تحسين كرمياني في مجموعة (ثغرها على منديل) اشتغالاً كبيراً على عتبة التصدير التي تأتي بمثابة اللازمة الاستراتيجية في بناء كل قصص المجموعة دون استثناء، وهي في جلها تشكل مفتاحاً قرائياً لا يقل أهمية عن العتبات الأخرى التي تسيج النص، إذ يضمنها القاص لتكون مؤشرات قرائية يتجسد صداها في متن النصوص، وعلى نحو ينم عن وعي بنائي وجمالي ينأى بهذه العتبة على أن تكون محصورة بوظيفتها التزيينية أو الشهروية، لتغدو في النهاية مفصلاً بنائياً هاماً.

في قصة (الأوراق لا تأتي في خريف الرغبات) تأتي عتبة التصدير لتؤدي وظيفة تجسيرية بين عتبة العنوان ومتن القصة:

«سواء كانت الرياح عاصفة أو لطيفة / وقفت دوماً / يحدوها الأمل / هناك فقط / يستقر بصرها / لا يبدو ثمة سحر في مكان آخر». ( )(توماس هاردي)

تجسد مقولة توماس هاردي فضاءً دلالياً ترقبياً، محوره ونقطة الارتكاز فيه هي دلالة الأمل التي تعمل هنا بشحنة تفاعلية تُسيِّر معها ثنائية الخير والشر (الرياح العاصفة / اللطيفة) الوجهة التي ترتئيها «الذات القابعة في المقولة لتكون دوماً في صف التفاؤل، ولتقف إلى جانب الذات وهي ترتقب وتنتظر إلى الـ(هناك) حيث مصدر الأمل ومنبع السحر بمعناه الجمالي الباعث على الفرح والسرور.

أما الوظيفة التجسيرية لعتبة التصدير فتأتي من خلال ربط العنوان ذي الدلالة السالبة، والمتمثلة بامتناع الأوراق من الوصول في ظل رغبات خريفية سائرة نحو الذبول؛ بالمتن الذي يعمل في ظل ثنائية الحاضر التعيس، والماضي السعيد، إذ تتعالق عتبة التصدير مع العنوان تعالقاً ضدياً يخلق معه ثنائية اليأس / الأمل، يؤطر اليأس فضاء العنوان بينما يؤطر الأمل فضاء التصدير، أما النص فيتعالق مع التصدير في كونه يجسد دوال التصدير المتمثلة بثنائية (الرياح العاصفة / الرياح اللطيفة) المستخرين في خدمة الدال المركزي الأمل، المشكل لفضاء الصدير، إذ تمثل الرياح العاصفة الزمن الحاضر بكل ما يحمله من خيبات ويأس، وتمثل الرياح اللطيفة زمن الماضي بكل أفراحه ومسراته: «فيما مضى، كانت تحلق بمجرد عيون ترصدها، أو لسان يفلت ترنيمة آهة على مصاغيها، وصفوها بالمتعالية، وقالوا المشؤومة ..!! لم تضغ لقالٍ وقيلٍ، متمسكة ظلت بتاج شموخها تزداد صلابة وعناداً، تهرب من واقعيتها، عوالم وحدها من قاطنتها قبل أن تهبط من علياء الغرور إلى أرصفة المتشردين، إلى منزويات عشاق فقراء تمشي بين دروب ليال تفضي إلى موائد تجمع حولها حالمات يبدخن جواهر الدنيا من أجل قبلة من شفتي حبيب!!»( ).

إن قراءة المتن بمعية التصدير تكشف عن تعالق تناصي، تتجاوز معه عتبة التصدير وضيفتها الرئيسة في رسم خارطة الطريق أمام القارئ، إلى أن تغدو نصاً طرسياً يدخل مع متن القصة في علاقة اشتقاقية محاكاتية، تخضع لمنطق الطرس الجينتي في مسعى من الذات القاصة إلى منح النص بعداً دلالياً اعمق، يجعل من دلالة الأمل مطلباً تسعى الذات القابعة في النص / الشخصية المركزية إلى تحققه على طوال مسار النص.

أما قراءة المتن بمعية العنوان، فتكشف عن صراع ذاتي يتلبس الشخصية المركزية في القصة وهي تعاني من حاضر عاصف مقفر، لا تتحقق فيه الأمنيات الملتفة سيميائياً بعباءة «الأوراق»، والسبب في ذلك كون الرغبات – كما قلنا – تعيش زمنها الخريفي بكل ما تحمله مفردة الخريف من دلالات التساقط واليباس والموت المعنوي، لذلك تحاول هذه الشخصية أن تستنجد بماضيها في شحن ذاتها بطاقة الأمل.

أما عتبة التصدير في قصة (سراب أو ترنيمة لغزالة القلب)، فتشتغل على نحو مغاير عن عتبة التصدير في القصة السابقة، عندما تعمل في منطقة قرائية مغايرة للعنوان، الذي يعمل على خلق فضاء أولي مناف لما هو واقعي أو حقيقي من خلال مفردة السراب، التي تسوق القارئ إلى رؤية ضبابية غير واضحة المعالم، في حين أن التصدير يشتغل برؤية استباقية تنبؤية تتحقق في نهاية القصة.

«وبعد صبر طويل، أحتفت بنا الطرق التي

سنمضي عليها.» «( )(جيمس جوليس).
إذ يعمل الفاعل التصديري هنا بلغة سردية إيحائية تختزل أحداث المتن القصصي في جملة واحدة (وبعد صبرٍ طويل)، ثم تأتي الفارزة لتلعب دوراً مهماً في ربط المتن القصصي المختزل بالجملة التنبؤية التي تشير إلى بنية الاقفال في النص القائمة على حدث التلاقي بين الحبيبين بعد ضياع.
ساد الغرماء الذهول وارتضى بعضهم الهزيمة، صارت (سراب) حقيقة، ونبت الحب ثانية وعادت الشجرة من جديد لتورق وتغوي العصافير، كنا معاً، هي تلتهمني بنظراتها البريئة وأنا أحاول ازاحة سجف الخوف من حولي.
-لمَ فعلتِ كل هذا يا (سراب)؟؟
-تَحديت الغرماء بك، توهموا أنك غير جدير بفتنتي.
-كدت أن أضيع يا (سراب)
-عاشقي لا يموت
-لا تفعليها ثانية يا (سراب)
-انتهت معركتنا
-قولي ربحناها
فاضت من بين شفتيها ابتسامة، رفعت عينيها وندت منها تنهيدة طويلة.
-ياللهول، لكم هي سماؤنا بديعة بلا حوش..؟؟» ( ).
ولعل من أهم سمات التعالق الموجودة بين جملة الاستباق التنبؤي في عتبة التصدير، والمقطع قيد الرصد والتحليل، هي أن الاثنين يشتغلان بطاقة تطلعية عالية، الجملة الاستباقية تتطلع إلى تحقق حدث التلاقي، ومن ثم دحض فكرة الضبابية التي جاءت بها عتبة العنوان للوصول إلى كسر أفق التلقي مباشرة بعد العنوان، أما المقطع قيد التحليل فيتطلع إلى حياة أجمل خالية من الحروب واسلحة الدمار الفتاكة التي كانت تحاول سرقة السعادة من الحبيبين( )، تلخصها الجملة الختامية على لسان الحبيبة (يا للهول، كم هي سماؤنا بديعة بلا وحوش..؟؟).
وينطوي الحوار الذي يشكل النصف الثاني من المقطع على استراتيجية حوارية تكتسب شعريتها من خلال السير بالسرد إلى نهاية الخط الدرامي الذي يصل إلى الذروة في التطلع إلى حياة ارحب - كما أشرنا - ، وقد تسلح الحوار بطاقة سردية عالية مزدانة برومانسية التدفق الانساني المنبعثة من المحاورة العاطفية بين الحبيبين، وبحس سيميائي عالٍ يولد فضاء ملؤه التفاؤل والأمل ليحدثَ بذلك مفارقة سيميائية مع العنوان ذي الدلالة التشاؤمية والضبابية.
وتأتي عتبة التصدير في قصة (أنا كاتب تلك القصة) بأسلوب مماثل لسابقتها في قصة (سراب) من حيث تعالقها مع المتن على حساب العنوان، إذ تعمل هذه العتبة على خلق فضاء اجتماعي يئن تحت وطأة الكد والحزن إلى الحد الذي يجعل صاحب التصدير يطلق تساؤله الوجودي الذي طالما تغنى به الوجوديون:
«علام نكدح وحدنا / نكدح ونكدح أول

الآخرين، ونئن للأبد / يقذفنا حزن لحزن.. «( )(تنيسون).

إن المؤلف في هذا المقطع يحيك متنه حياكة سوداوية على نحو يتناسب تجربته الذاتية كونه شاعراً رومانسياً غير متصالح مع واقعه الحياتي المرير، لذلك نراه يفتح أفق النص على تساؤل يحمل في طياته الكثير من اللوم والحسرة، وتختصر بلغة تحمل الكثير من الجلد والاصطبار سنينها الملغومة بالدلالة المأساوية، توحي بها صيغة الاستفهام الحاملة لجوابها معها، وتكشف عنها الصورة الترميزية الحسية الموحية باللاجدوى السيزيفي (نئن للأبد ، ويدفعنا حزن لحزن)، إمعاناً من المؤلف في تجسيد قوة السلب والعدمية في النص.

بهذه الروحية السوداوية يدخل القاص قارئه إلى نصه، وكأنه يهيؤه إلى سوداوية أخرى كفكاوية بامتياز تنتهي بانتحار وموت أكثر من شخصية في القصة، وكما كانت القصة تقوم في سردها على البناء الدائري يصطدم القارئ ومنذ الوهلة الأولى بمشهد دموي مرعب يؤكد عمق التعالق بين عتبة التصدير ومتن النص:

«قال ضابط التحري للطبيب النفساني:

-لم نجد تفسيراً آخر ..

-أزمته تتطلب جهوداً استثنائية

-سنتركه ونراقبه من كثب

في نفس المجلة بعد مرور سنة !!؟

دوي طلق ناري في البيت الذي صار قضية البلدة، وتم العثور على المجنون غاطساً في بركة دمه، وكانت المفاجأة في غرفة النوم. جسد الممرضة زوجته الثانية يتدلى من المروحة السقفية..!!»( ).

جاء المقطع قيد التحليل ليؤدي وظيفة العتبة الاستهلالية، كونها سلطت الضوء على الحدث الجوهر في المتن الذي منه يبدأ القص وإليه ينتهي، إذ منه ينطلق السارد الموضوعي بعد أن يصدم القارئ بهذا المشهد السوداوي إلى الحياة القلقة والمتأزمة التي كانت تعاني منها الشخصية المركزية في القصة والتي أوصلت الشخصية إلى هذا المصير المأساوي، ولنا أن نقف في هذا المقطع عند نقطة جوهرية تشكل بؤرة الحدث في المتن وهي جنون الشخصية، هذا الجنون الذي يتضح ملامحه أكثر مع توغلنا في متن النص:

«أنا رجل يائس، هكذا تشير صحيفتي، بؤسي يورثني الشكوك، بؤسي في تركيبة مشاعري وتقليعة طباعي، أقف أمام المرآة، أريد أن أعرف الفوارق بيني وبين الناس، لا أجد غرابة ولا تطرفاً في ملامحي، هيئتي كهيئتهم، يقول طبيبي أنت تحاور نفسك في الطرقات، حاولت أن أتأكد من ذلك، كل من أجعله يراقبني يدهشني بما يرى، يقولون إنني مغرمٌ بالعزلة ومحاورة الحيوانات السائبة، أو أمشي في الليل في كل مكان معتم وخانق، وكل صغيرة وكبيرة مدونة في علف علاجي، يقولون إنني ضعت لمرات... مرة كما يقولون وجدوني فوق مقبرة أتوسد ثلاثة قبور متلاصقة، أنوح

نوح اليتامى، الثاكلات، وكنت حسب زعم ناقل الخبر أهذي هذاء المنكوبين.»( ).

تنحو الذات الساردة في هذا المقطع منحى سردياً مغايراً عن المقطع السابق عندما تترك المجال للشخصية المركزية بالحديث عن نفسها، كون المسرود في هذا المقطع شديد الخصوصية والالتصاق بالذات المسرودة، تاركة لها المجال لتطرح قضيتها المصيرية المتمثلة بصراعها الانساني من أجل إثبات الوجود، وأزمتها النفسية الخانقة التي تجعلها بين كماشتي الوعي/ واللاوعي، الحضور / الغياب، الحياة / الموت، وهي – أي الذات المسرودة – في كل ذلك تعكس نفسية متأزمة وقلقة، لا ترى أي أمل في نهاية النفق، الأمر الذي يجعل منها سائرة إلى منطقة الغياب في سياق تصاعدي يصعد بالأزمة إلى الذروة، وهي في ذلك تواصل حوارها الذاتي المستجيب للبناء السردي التصاعدي من جهة، والموصل إلى الحدث الذروة المتمثل بانتحار هذه الشخصية في النهاية من جهة أخرى.

في قصة (يوم اغتالوا الجسر) تعود عتبة التصدير، إلى وظيفتها التجسيرية بين العنوان والمتن، إذ تكشف القراءة الجوالة بين هذه الأركان الثلاثة عن ثيمة مركزية تربط بينها تتمثل بثيمة الموت التي نراها امامنا منذ عتبة العنوان (يوم اغتالوا الجسر)، وكذلك تبدو شاخصة في التصدير على نحو يوشي للقارئ أن المتن سيحوم في هذا الفضاء:

«أنت ستمشين تحت الشمس أما أنا فسأوارى تحت التراب «( ) (رامبو لشقيقته لحظة احتضاره).

تتخذ العلاقة بين التصدير والعنوان من جهة، والتصدير والمتن من جهة أخرى صيغة المعادل الموضوعي، إذ يتساوى كل من العنوان والتصدير في تركيزهما الثيمي على ثيمة الموت الحاضر بقوة في العتبتين ليشكلان في مجموعهما مفتتحاً قرائياً مهما يرسم للقارئ أفق توقع أولي بتسلح به القارئ وهو يلج إلى متن النص، ويتساوى التصدير مع المتن في التفاعل المنتج بينهما، وذلك عبر تجلي التصدير في المتن على أكثر من صعيد دلالي، ولعل أولى أوجه هذه التجلي، أن التصدير يشترك مع المتن في تركيزه على شخصيتين مركزيتين تشكلان فضاء النص في التصدير والمتن، هما: رامبو وشقيقته في التصدير والشخصية المركزية وحبيبتها لمى في النص:

«لمى أخشى عليك من التعب، قدماك بلوريتان، حرام أن تمشيا على شوارع وأرصفة ستدكها ذات يوم أحذية الغزاة ومركبات الأغراب».

-دعنا دعنا نوزع حبنا على كل شبر من شوارع «بغداد» دعنا نكحل هذا الزمن الرديء بشيء من غرامنا.

-عراقية ورب الكعبة، عيناك (رافدانيتين) يالك من نخلة شاهقة بوجه الأعاصير»( ).

إن القراءة التعالقية بين هذا المقطع والتصدير تحمل في طياتها ملامحاً سيرياً

صريحاً في التصدير، وملامحاً ايحائياً لا تبتعد كثيراً عما هو سيري حميم، كما تكشف عن قيادة سردية مماثلة بطلها رامبو في التصدير، والشخصية المركزية التي تأخذ على عاتقها قيادة دفة السرد من أول القصة إلى آخره في النص، أما أوجه التمايز بينهما فتكمن في طبيعة التصدير الاختزالية والتكثيفية القائمة على التلميح والايحاء، ومن ثم قول كل شيء دفعة واحدة، في حين أن المتن يتمتع بمزايا اتساعية تمكنه من التفصيل في الطرح لذلك نرى أن المقطع قيد الاستشهاد جاء بمثابة تهيئة أخرى للقارئ قبل الوصول إلى بؤرة الحدث أو القول في النص.

أما التجلي الاخر لعتبة التصدير في المتن فيتمثل بالثيمة المركزية المتجوهرة في الموت الذي يعمل في الأثنين على خطف روح إنسانية محبة للحياة ومتفاعلة مع محيطها، مع فارق جمالي شعري يخلق نوعاً من المفارقة وكسر أفق التوقع يتمثل في موت رامبو صاحب نص التصدير، وبقاء شقيقتها لتودعه إلى مثواه الأخير، على النقيض تماماً مع متن القصة الذي يؤثر فيه المؤلف بقاء الشخصية المركزية على الرغم من كونه يعيش في بركان من نار الحرب، وقتل حبيبته الساكنة بعيداً من بركان الحرب:

«ماتت لمى قبل أن أموت، كانت تخشى علي ولم اكن أخشى عليها، كانت في (بغداد) المسورة بحصن الطيبة والعلم، وأنا المربوط وسط قنابل تمطر وقنابل تنبثق من الأرض، كل ما حولي موت وكل ما حولها برد وسلام... كانت لمى خلف خط الموت بعدد لا متناه من الكيلومترات، وكانت تواصل غزلها المريح كما اتفقنا، هي تدوس رصيف الجسر وأنا أنحت عيني في الأفق، هي تغذي شجرة اللقاء وأنا أدون تحركات الشر القادم.. فوق الجسر باغتها نور عنيف، وجدت نفسها تطير، أفواج من الناس ترافقها، ربما تخيلت انها في لحظة زفاف، كل شيء يحلق من حولها بمرح، كل شيء يتشظى إلى ملايين من الومضات، وكان الجسر يتناثر ويتلاشى»( ).

تشكل قيمة الموت في هذا المقطع شعرية خاصة تنبثق منها جدلية الموت / الحياة التي تعمل هنا على خلق مفارقة جمالية تكسر أفق التوقع عندما تعلن هذه الجدلية عم موت الحبيبة / لمى التي تعيش (في بغداد المسورة بحصن الطيبة والعلم) , وبقاء الحبيب / الشخصية المركزية على الرغم من عيشه (وسط قنابل تمطر وقنابل تنبثق من الأرض) فكل (ما حولها برد وسلام) وكل ما (حوله موت) , ويبقى كسر أفق التوقع فعالاً أيضاً على صعيد التعالق مع التصدير , من خلال موت الأنثى / الحبيبة في المتن القصصي , وبقاؤها على قيدالحياة في التصدير كما اشرنا إلى ذلك قبل المقطع المستشهد .

هذه المفارقة الجمالية خلقت فضاء سردياً مفعماً بالعاطفة استطاعت من خلاله الذات

القاصة التعبير عن خيوط التجربة العراقية مع الحرب بلغة مفعمة بالإحساس العالي والعاطفة الشجية , بوصفها ذاتاً عراقية ظلت تعاني من ملاحقة الموت له طوال سنين وحقب , كذلك تجد الذات القاصة تغوص في عمق المأساة لتسرد تفاصيل هذا الموت لتلون بذلك فضاء السرد بحزن عميق مجبول بهول الموقف .

وتتخذ الذات القاصة من التناص أسلوباً في توظيف التعالق بين قصة (ثغرها على منديل) وبين عتبتها التصديرية, وعلى وفق رؤية نفسية متشبثة بالحياة, تنفتح على كون حكائي يجسد في الاثنين لحظة من لحظات السعادة الإنسانية التي تقف عندها الذات الحكائية في التصدير والمتن, لتخلدها وتسكن فيها :

« ليأتِ الليل ولتدقّ الساعة / وتمضي النهارات وأبقى أنا / تمر النهارات وتمر الأسابيع / لا زمن ماضٍ / ولا الحب يعود .. »( ) (أبو لينير) .

أن القراءة التفكيكية للدوال المشكلة لفضاء النص, تكشف عن تحرك هذه الدول في دلالات زمنية تعمل على تجسيد حركة زمنية آنية تقف فيها الذات المؤلفة للنص في هذه اللحظة الآنية (وأبقى أنا) لتتطلع إلى زمن آتٍ/ مستقبل (ليأتي الليل، ولتدقّ الساعة, وتمضي النهارات), ولكنها في الوقت نفسه, لا تنسى ماضيها السعيد زمن الحب، لتطلق في النهاية حلمها وأمنياتها في عودة ذلك الزمن المحمل بالحب (لا زمن ماض , ولا الحب يعود), وأمام ثنائية المستقبل الذي لا يتصور الذات أنه سيأتي بشيءٍ جديد, وماضٍ عبق وسعيد, تقف الذات أمام لحظة نفسيةٍ تجرد الزمن الحاضر والمستقبل من فاعليتها الحركية ليتساوى الزمنين في سكونهما من جراء توقف حركة الزمن عند الحاضر الذي لا يتحول إلى الماضي في إشارة من الذات المؤلفة إلى ماضيها الذي تتمناه الذات عله يعود بالحب الذي كان.

على وفق هذه الرؤية تؤسس الذات القاصة متنها القصصي في (ثغرها على نديل)، وعلى نحو تكشف عن تناص كبير بين النصين، ولعل أفضل ما يجسد هذا التعالق التناصي بين متن القصة والتصدير ما جاء في بنية الخاتمة التي امتازت بوظيفتها التلخيصية للقصة وبأسلوب اختزالي وتكثيفي عاليين :

« تمر الأيام – الأشهر – السنوات – لا جديد , يستعيد التقويم دورته, يبدأ تقليب أوراقه من جديد ... تواصل الشمس شروقها وغروبها .. الفصول تتعاقب .. عليه أن يواصل الانتظار, ما دام الأمل يعدوه, ما دام يتسلح بثغر عذب ناطق, ثغر يذكره بمساء مسراته .. مساء بعيد .. مساء سعيد .. مساء جديد .. مساء يذكره بفتاة هبطت من كوكب منسي, وقفت أمامه, ودون شعور منه, طوقت رقبته, ورسمت على خدهِ اليمين فجوة الأمل .. » (٢٤)

تنسج الذات المؤلفة عتبة الخاتمة – كما قلنا

سابقاً – بطاقة اختزالية عالية , يتكثف فيها الإحساس العالي بحالة الشخصية المركزية الراهنة في السرد التي آلت إلى وضع نفسي مسكون بهاجس الحب الذي زارها (أي الشخصية المركزية) يوماً, ومضى إلى سبيل حاله, وكل ذلك من خلال حراك سردي عالي الإيقاع يحتشد بصور حسية تعمل فيه تقانات القص بأعلى كفاءتها لتبني مشهداً سردياً ختامياً تتحول بحد ذاته إلى قصة قصيرة جداً تتوافر على كل عناصر السرد من زمن ومكان وحدث وشخصية .

أما القراءة التعالقية لهذا المقطع مع التصدير فتكشف عن تعالق في سكون الشخصية المركزية في ماضٍ لا تريد نسيانه وتتمنى أن تعيش فيه ولا تبرحه, في مقابل زمن حاضر ومستقبل لا تحس به الشخصية لأنه خالٍ من حضور الحبيبة فيه .

الهوامش والاحالات:

١-ينظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ٦٢.

٢-جيرار مينيت، نحو شعرية منفتحة، كريستين مونتاليتي، ترجمة: غسان السيد و د. وائل بركات: ١٣٨.

٣- من البنيوية إلى الشعرية، رولان بارت وجيرار جينيت، ترجمة: غسان السيد: ٧٣.

٤- السيموطيقيا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣، لسنة ١٩٩٧، ١٠٠.

٥- ينظر: في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د. خالد حسين حسين: ٣٦.

٦- نقلاً عن: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي: ٩٢.

٧- م.ن: ٩٢.

٨- انفتاح النص الروائي: ٩٧.

٩- نقلاً عن: عتبات الكتابة في الرواية العربية، د. عبدالملك اشهبون: ١٧٥-١٧٦.

١٠- م.ن: ١٧٦.

١١- عتبات الكتابة، عبدالنبي ذاكر، منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي، ١١٥، ١٩٩٨: ١٣٩.

١٢- نقلاً عن: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد العقر بلعابد: ١٠٩-١١٠.

١٣- نقلاً عن: م.ن: ١١١-١١٢.

١٤- بينما نحن: بينما هم وثغرها على منديل، تحسين كرمياني: ١٥٢.

١٥- م.ن: ١٥٦-١٥٧.

١٦- م.ن: ١٧١.

١٧- م.ن: ١٧٧-١٧٨.

١٨- م. ن: ١٧٩(١٨)

١٩- م.ن: ١٧٩-١٨٠.

٢٠- م.ن: ١٨٥.

٢١- م.ن: ٢٠٧.

٢٢- م.ن: ٢٠٨.

٢٣- م.ن: ٢١٤-٢١٥.

٢٤- م. ن: ٢١٦

٢٥- م. ن: ٢٧٧

الأدب الكردي.. من الحلم إلى الحرية

أدباء السليمانية أنموذجاً



بقلم: لقمان محمود

سيبقى الشعر ضرورياً، طالما الخلود للكلمة لا للسلاح، ستبقى القصائد ضرورية، طالما الكلمة هي أمل المستقبل. أسوق هذا المثال كتنويه بهذا الوجه الجميل ، الذي ما زال الأكثر بروزاً في الخارطة الأدبية الكوردية، و أكثره عمقاً في التعبير عن إرادة الجمال الواثقة من لمساتها الإنسانية و العاطفية.

فالشعر - و بجميع المعاني- سيبقى المتحدث غير « الحكومي» عن الحب، الحلم، الذكريات، الأمل، الإنتظار، الشوق، و عن أشياء أخرى يوّحد رغبته في الحرية.

إنه الأشد إستيعابا لكل الإحتمالات التي يقاس به الشاعر قوة الأمل، و الإنعطاف بها بإتجاهاتها المختلفة، كرغبة حقيقية في مواصلة الحلم البشري، القادر على صناعة الإطمئنان.

و في ظل هذه « الصناعة» إزداد عدد الشعراء في كردستان، حيث بإمكاننا - في كل يوم- إضافة جدول جديد إلى هذا

النهر الشعري.

في هذا الملف الخاص بالادب الكردي في مدينة السليمانية، سأبدأ بالشعر لأنتهي فيه، فالشعر في هذه العاصمة الثقافية لكردستان يأخذ أكثر من منحى وأكثر من اتجاه.

إذ إن من أهم سمات هذه المدينة الشعرية انها تكشف عن هموم الإنسان الكردي و معاناته و طموحاته و أحلامه، وفقا للروح المبدعة، و حداثتها الرؤيوية للحياة و الواقع و الكائنات من حولها.

ترويض الحلم:

يبحث الشاعر الكردي بإستمرارعما يحقق له قولاً فنياً يعكس وعي اللاشعور المناسب مع السياق العاطفي المشحون بالإيحاء الرمزي الشفيف، كتشكيك في عمق الكلام المباشر، للوصول إلى عناصر ذات صلة وثيقة بنفسية الإنسان من خلال « الحلم » الذي يعيد اطراف الحقيقة – الوهم إلى مصدر واحد من حيث الماهية و الإحساس.

على ضوء هذه المقولة التي غايتها إضفاء صفة غير مألوفة للشعراء، سنجاري ما تبقى من الأمل في الجانب الآخر من « الخيال» لإعادة تركيب هذا الحلم، وفق معادلات الشعور بالقلق، و البحث عن جدلية الوجود و الحياة، و مدى قدرتها على تحرير النفس من لا إستقراريتها مع إرتفاع نسبة الحنين في نسخته الحسية الممتدة من المحدود إلى اللامحدود.

و بما أن الشعر، من أكثر الفنون إستعصاءً على الترويض، فإن الشاعر في المقابل، يظل يبحث عن كل المعاني المطلقة و المفاهيم الكونية المنسجمة مع طموح حريته، و ما تصبو إليه من حالات الخيال و القوة و الحلم.

الشعر في نسخته الكردية:

كانت دائرة القصيدة الكردية - في وقت ما- منحسرة في رقعة إعلامية ضيقة، رغم مكانتها و خصوصيتها المميزتين في إيقاظ الوعي الوطني و القومي داخل كردستان و خارجها.

فقد إمتازت هذه القصيدة بالكثافة و الغضب و التحدي، لأنها كانت مضطرة للبقاء صامدة كمشروع وجودي و روحي و جماعي، مقابل تنازل بسيط عن بعض جوانب الشعر و إمكانياته المتعددة.

و لا شك أن المعاناة الإنسانية القاسية، التي ضغطت كثيراً على المكان الكردي، و على الطبيعة الكردية، و على اللغة الكردية، هي التي أنضجت في أعماق الشاعر الكردي هذا الخطاب المختلف، ليقّوي موقعه، و

يدعم حجمه في مجابهة الظلم و القتل و التهجير المنظم و الممنهج.

فبعد إنتفاظة ١٩٩١ الباسلة ، أخذ الشعر الكردي طريقاً جديداً إلى الحاضر المطمئن، و أخذ المبدع الكردي طريقاً آخر يسمو فيه الإنسان بالثقافة التي تتشابك فيها الوعي الإنساني و الوجداني بآفاق إنسانية أخرى، تهدف إلى توجيه الوعي نحو المفاهيم الإنسانية الشاملة، بحيث تندمج فيها الحريات بعضها في البعض.

منطلقا من هذه الأحاسيس العاطفية النابعة من الذات في صفائها و حميميتها، و المستجابة لقيمة الكتابة بما هي رسم للحياة في خطوطها المضيئة و شهواتها المستورة في عمق المعاني المشغولة بالبحث عن مرآة قادرة على عكس صورتها الحسية لإبراز الوظائف النفسية للذاكرة الجديدة:

نستطيع القول أن الشاعر الكردي قد إقترب بحساسية عالية نحو المفردات القريبة من الوعي العاطفي العائد إلى المخزون الذاتي المتمثل في مواصلة الهاجس الشعري الذي يمنح المبدع الحقيقي إمكانات تفجير طاقاته الباطنية المتراوحة بين القيمة الروحية و الجمالية، و ما يتمسك بها من قرابة وراثية للنشاط الإنساني الخاضع للمرأة التي ما زالت بإمكانها تحريك رياح الشعر في أعماق الشعراء.

من هنا، يمكننا القول أن القصيدة الكردية الجديدة قد كشفت عن فعالية عاطفية، تحول فيها الشعر إلى معطى إنساني و جمالي في آنٍ معاً، بأساليب و تقانات الكتابة الشعرية الجديدة، التي تقتضي شعراً مغايراً و معانداً و خارجاً من بيت الطاعة.

و طالما الشعر- هكذا- بفضائه الرحب، يدور في فلكه الحبيبة ، فإن الشاعر لم يستطيع أن يزعزع من قلبه حماسة المعنى، محاولا الغوص إلى الدلالات الخفية و المشاعر العميقة التي تتبطن في هذا الحب، للوصول إلى العامل الأساسي للطمأنينة، و الذي يبدو فيه الشاعر أكثر شفافية على المستوى التقريري الذي احتضن حالته المستقرة.

الشعر- الألم:

أجمل ما في الشعر هو الألم، وأجمل ما في كردستان هو الأمل. انها استعارة رمزية عن الشعر الكردي الذي يمطر نرجساً على أرض الإنسانية الرحبة، التي تصل الإنسان بالانسان من خلال «القصائد» أيضاً. فكتابة الشعر عمل انساني عظيم،

لقهر الظلم والعدم، وهي جزء من هذا التراكم الهائل من البشع التاريخي، التي مرت بها الذاكرة الكردية، والمجتمع الكردي معاُ. انها الرؤية التي يكشف فيها الوجود الكردي عن نفسه.

حيث تنهض قصيدة (شيركو بيكس ،رفيق صابر،قوباد جلي زادة، لطيف هلمت ، دلشاد عبدالله .. إلخ) على قيم الحداثة و التجريب، كنوع من التحدي لإثبات التميز و الخصوصية، حتى باتت تشكل علامة فارقة في مسيرة الشعر الكردي الحديث.

و عليه فإن الحداثة الشعرية قد اخذت منحىً واسعا في تجربة هذه الاسماء ، القائمة على كسر الصورة النمطية للشعر و للإنسان و للأشياء، و تقديم رؤيا جديدة للشعر.

ووفقا لذلك فكل شاعر من هؤلاء الشعراء يملك مشروعه الشخصي عبر أدوات جديدة منزاحة عن المنجز الشعري الكردي، كي يبقى الشعر مشروعا فردياً.

ينتصر الشعر عندما يعود سالماً:

للمرأة الشاعرة نصيب أقل قياسا الى الكم الهائل من الشعراء، ورغم هذا القليل فهناك شاعرات أصبحن جديرات بهذا اللقب أمثال: روز حلبجة ، أرخوان، دلشا يوسف، لازو، كزال احمد، كزال ابراهيم خضر، شيرين كاف.. إلخ.

ينتصر الشعر ، عندما يعود سالماً من قلقه المكشوف، بعمق اللحظة الإنسانية المتشبثة بمعاني الحب و الحياة. فالشعر، وبجميع الأحاسيس تعاطفٌ مع التأثيث الوجداني، المستند على الفكرة المتوجهة من الأعماق.

بهذا المعنى، فإن الحب سيبقى جميلاً حتى في ملامسته المفقودة، و سيبقى الحياة جميلة حتى في قبحها.

أمام هذا الإحساس، تظهر «المرأة» بجميع معانيها، فتارةً بمعناها الوجودي (الحياة). وتارة بمعناها الأخلاقي (الحقيقة). وتارة أخرى بمعناها الشمولي (الوجود). من خلال إلتحام هذه المعاني معاً، تبدو المرأة و كأنها مشكلة لأعمق تجارب العاطفة الإنسانية، بوصفها إضطراب جمالي يؤدي إلى حراك المياه الراكدة في التلاحم المصيري.

لذلك، يبقى حب المرأة دائماً خالد، و خاصةً مع الشعراء، في صراعهم القلق مع الحياة، كرغبة ملحة في الانتصار على واقع «الحب»، و تحويله إلى أثر «إبداعي».

نجد شيء من هذا القبيل، في تجربة الشعراء (بيكس، دلاور قرداغي، هيوا قادر[٢])، والتي تشكل منعطفاً هاماً في التأسيس لهذه «الرغبة» ببعديها الفني

والانساني، من خلال العلاقة السرية بين الحب والشعر. و كأنها مزيج من اللحظة الانسانية الدائمة و المشتركة، بين نداء وجع الأعماق وبين ألم القصيدة:

بمحاذاة هذا الألم المنفلت، يركز الشاعر على المرأة، بوصفها ماضياً - حاضراً مباشراً في القصيدة، والتي تؤدي إلى حراك شديد العمق في أكثر من إتجاه.

هذه المناوبة بين «الألم» و «الأمل» تعطي القصيدة حساسية تعبيرية مغايرة، تمتزج فيها الانفعالات والذكريات، بما يتوافق و ينسجم مع أشواق الشاعر الروحية. و هو هدف شعري، نجحت القصيدة في تحقيقه على نحو خاص.

على هذا الأساس فالشعر - هنا - انعكاس للمصير، و بناء حالة بين الاستقرار و اللااستقرار بين طرف قاهر وطرف مقهور.

و هنا نشير إلى ما قاله كافكا عن الشعراء، كتوضيح لهذه الفكرة:

يمدّ الشعراء أيديهم نحو البشر، بيد أن هؤلاء لا يرون هذه الأيدي الصديقة، إذ لا يشاهدون إلا القبضات المتشنجة التي تصوب نحو الأعين و القلوب.

الإعتراف بهذه الحقيقة يصعّد من معاناة الشاعر، ويرفعه إلى مشروع شهيد، سواء أمات في المعتقلات، أو مات من الحب.

من خلال هذا السياق، يضيق العالم بالشاعر، طالما هناك من يبتر الأمل بيد وحشية. وهذا ما يجعل زمن الشاعر دائماً معقد، لدرجة أنه حتى في زمنه الحاضر، يفتقد زمنه الحقيقي. و كلمة السر لهذا الالتباس هي الابداع الحقيقي.

من أعماق هذا التفكير اللاواعي، والتي تؤثر بشكل من الاشكال على الشعور الحقيقي، تأتي صرخة اليأس (من الشاعر - الشاعرة) كتأكيد على أن الحياة في هذا الشرق المقهور و المكبوت هي حياة مؤجلة، وذلك قياساً إلى ضعف عنصر الخير، و قوة عنصر الشر.

و رغم ذلك، استطاعت قصيدة شيركو بيكس ودلشاد عبدالله و رفيق صابر طيب جبار ودلشا يوسف و روز حلبجة ودلسوز حمه أن تفرز جمالية نوعية خاصة بها، كرغبة في الحب و السلام مع حاضره و ماضيه.

التجربة شعراً:

هناك شعراء أسسو إحتفاليتهم على التجربة الحياتية بكل معاناتها و إنكساراتها و أفراحها و نجاحاتها، برؤية جديدة للذات و للوطن و للغة، من خلال إحالتها إلى واقع إبداعي جديد.

حيث تظهر هذه الإحتفالية، في إستثمار التواصل بين الواقع و التاريخ بتماثل

مقرون بطبقات المعنى الإنساني العميق. و يتجلى ذلك داخل خطاب الذات المبدعة و خارج حساسيته المباشرة، عبر أدوات شعرية إحترافية واضحة.

حيث هناك شعر، يربط تاريخ الكرد ببعضه من خلال رهانه على العتمة التي جرحتها إضاءة المآسي، منتصرا بذلك لفكرة نيتشه: «الفن عموماً، هو وحده القادر على فهم ضخامة هذا الخراب الأبدي». و لعلّنا نستوحي كل ذلك و بشكل أفضل في الشعراء شيركو بيكس ورفيق صابر.

الشعر في تجربة الشاعر الكبير والمتفرد شيركو بيكس هو صوت الإنسان العميق و المكبوت، وسط تاريخ طويل من الفواجع و الآلام و المآسي. إنه صوت الشاعر المنحاز للحياة و الحقيقة.

فالشعر عند هذا الشاعر يحاكي الرعب الوجودي، عبر ذاكرة جمعية قادرة على التعرف على الحقائق. و مما لا شك فيه، أن الإبداع فعل وجودي، يمارس نوعاً من التطهير حسب أرسطو.

و ما يميز تجربة هذا الشاعر العظيم هو ذلك التفاعل الملموس مع التاريخ من خلال خلق الصور الذهنية للفكرة، و الإبتعاد عن الأفكار المتداولة، بغية إنتاج أفكار مغايرة وفق لحظتها الراهنة، لخلق درجة من التوتر التاريخي.

و قريبا من هذه المدينة – السليمانية (عاصمة الثقافة الكردية) سنبتعد قليلا عن الشعر لنرى الوجه الآخر من الابداع، سواء كان هذا الابداع قصة، رواية، دراسة، بحث، مسرح، تمثيل، ترجمة.. إلخ.

الولادة الجديدة:

العلاقة بين الشعوب والثقافات تحتاج إلى جهد ومثابرة وعمل دؤوب، فليس هناك من علاقة ولدت مصادفة، وحتى وإن ولدت كذلك فلا تكتب لها الحياة إذا لم تولَ الرعاية والعناية الكافيتين.

إذ أن الأدب الكردي تميّز في فترة ما قبل انتفاضة آذار عام ١٩٩١ بشتى أنواع التعبير الأدبي والتوق إلى الحرية والخلاص من الاستبداد، وبهذا يشترك الادب الكردي مع الآداب الاخرى في سبر أعماق الواقع واستقراء آفاق المستقبل.

خلال الأعوام الثلاثين الماضية شكلت أشعار الشاعر الكردي الكبير(شيركو بيكس) النهر الرئيسي في هذا التيار، وتميزت أشعاره بالغنى الموضوعي بعيداً عن الشعارات، حيث اتخذ نهجاً يختلف عن الشعر التقليدي الموزون في الشكل والبناء واللغة والنظرة للامور.

أما النثر الكردي، فقد حقق على أيدي عدد من كتاب القصة نضجاً كبيراً. وقد

حمل فن القصة القصيرة الجذاب على عاتقه مسؤولية اجتماعية أكبر نوعا ما من تلك التي اضطلع بها الشعر ً.

القصة الكردية:

كثيرون هم كتاب القصة القصيرة الكردية، نذكر منهم رؤوف بيكرد، محرم محمد امين، حسين عارف، شيرزاد حسن،مصطفى صالح، شيرين. ك، وغيرهم.

وهنا أحبّ أن أركز أكثر على بعض الاسماء الشابة أمثال: كاروان علي، هيمن برزنجي، آكو كريم معروف، محمود نجم الدين، صبا احمد، توانا امين، سحر رساني، كولاله عثمان.. إلخ.

الرواية الكردية:

ثمة نزوعٌ ملحوظٌ نحو كتابة الرواية.. فالعديد من الشعراء وكتّاب القصة، وجدوا في الرواية الملاذ الأفضل لأفكارهم، والملعب الأكثر فساحة للغتهم، ما دفعهم للانتماء إلى الموجة الجديدة في الرواية الكردية، والتي ظهرت منذ نحو عقد من الزمن، واحتلت عبر الأعمال التي أنتجتها، مكاناً مرموقاً في المشهد الروائي الكردي.. نذكر منهم: ابراهيم احمد (رائد الرواية الكردية) ، شيرزاد حسن، بختيار علي، محمد موكري، وحسين عارف.

من رموز الأدب الكردي في الشعر والقصة والترجمة:

شيركو بيكس:



الشاعر شيركوبيكس هو أحد أكبر قامات الشعر في دنيا الكرد، وهو حالة أدبية وابداعية فذة لا مثيل لها ويصعب تكرارها، ولا مهرب من الاعتراف به في عصرنا الحديث، كظاهرة شعرية من الطراز الرفيع النادر، فهو صاحب ميراث كبير من الاعمال الابداعية التي تعتبر جزءا اصيلا من الادب الانساني العالمي. إنه من اكثر التجارب الشعرية ترجمة و فرادة وتميزا في تاريخ الشعر الكردي المعاصر.

ولد الشاعر في مدينة السليمانية ، كردستان العراق في عام ١٩٤٠، وهو ابن الشاعر الكردي الوطني المعروف فائق بيكس.

في عام ١٩٧٠ أصدر الشاعر مع نخبة من الشعراء والقصاصين الكرد اول بيان ادبي تجديدي كوردي والمعروف باسم «بيان روانكه – المرصد» حيث دعوا فيه الى الحداثة الشعرية والأدبية والإبداع بلغة جديدة مبدعة. وقد شكلت هذه الحركة الأدبية إتجاهين رئيسين في الثقافة الكردية. أولهما الولوج في ذاكرة تلك الثقافة ومفرداتها الحيوية المتجسدة في الرموز الشعبية والتراث والجمالية التي تخلقها عضوية العلاقة بين الواقع والنص. وثانيهما، تأسيس رؤية مفتوحة للنص واللغة وإنقاذهما.

من أعماله الإبداعية والتي تتجاوز ال(٣٥) مجموعة شعرية، نذكر منها: شعاع القصائد(١٩٦٨)، هودج البكاء (١٩٦٩)، باللهيب أرتوي (١٩٧٣)، الشفق (١٩٧٦)، الهجرة (١٩٨٤)، مرايا صغيرة (١٩٨٦)، الصقر (١٩٨٧)، مضيق الفراشات (١٩٩١)، مقبرة الفوانيس، فتاة هي وطني (٢٠١١)..إلخ.

ترجمت منتخبات من قصائده الى عدّة لغات عالمية منها السويدية، الانكليزية ،الفرنسية ، الالمانية ، الرومانية، البولونية، الإيطالية، التركية، والعربية وغيرها من اللغات.

وتحققت للشاعر شهرة عالمية قلما تحققت لغيره، وحصل على جوائز عالمية عديدة من بينها جائزة «توخولسكي» السويدية عام ١٩٨٧، وجائزة «بيره ميرد»، و جائزة «العنقاء الذهبية» العراقية.

ومما يسترعي الإنتباه في شعره، أن هاجسه خلق الأشياء الجميلة من خلال أناقة اللغة ورشاقة المفردات، وبذلك أحدث ثورة واعية في الشعر الكردي المعاصر، مما جعله يحتل مكاناً ومكانة متميزين في قلب الشارع الكردي.

رؤوف بيكرد:



تمثل تجربة القاص رؤوف بيكرد علامة مميزة في تجربة القص الكردي بشكل

عام، لما لها من محاولات دائبة التأصيل لكتابة قصصية يكاد يكون لها ملامحها الخاصة بها. فالمشهد الثقافي في كردستان العراق ليس جزيرة معزولة عن غيره من المشاهد الثقافية في كردستان ككل، بل هو جزء من تلك المشاهد التي تشكل مجتمعة المشهد الثقافي الكردي، وتقدم يوما بعد آخر قرائن دالة على خصوبة هذا المشهد وتطوره ومواكبته لتحولات الواقع ومثيراته، وكفاءته في استيعاب الانجازات الجمالية المعاصرة له.

رؤوف بيكرد ، قاص حمل على كاهله أسئلة جيل أدبي مضطلع بمهام أدبية ثقيلة في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، من خلال مجموعة متميزة من الأعمال الإبداعية المؤسسة والرفيعة، في مجال القصة القصيرة، أمثال: «المعبر » عام ١٩٧٧، «المرتع» عام ١٩٨١، «الرقص» عام١٩٩٨، «يد الله» عام ٢٠٠٤، و«الطيران فوق الارض المحرمة» عام٢٠١٠، حيث حاول في هذه الأعمال الاقتراب من الممنوع وكشف المسكوت عنه على المستويين الاجتماعي والسياسي ، عبر نزعة فانتازية ولغة تتحرر من وظائفها ودلالاتها السردية المباشرة، لتبني نسقها الخاص عبر انزياحات شاعرية تضفي أحيانا على الحقائق الداخلية، قوة ارتباط الأفكار بدوافعها.

جمع رؤوف بيكرد (المولود في كركوك ١٩٤٢/يعيش منذ طفولته في السليمانية) في «الصمت وأشياء أخرى : مقالات أدبية» بين نظرة الصحفي والأديب والمفكر، من خلال معرفة عميقة بواقع المجتمع الكردي، الذي تناوله بالنقد وبالسخرية الأدبية اللاذعة والجريئة.

كما تميزت القصة القصيرة عند رؤوف بيكرد بالواقعية أيضا، وخاصة في مجموعته «نحو الجبل»، حيث أخذ يصور الحياة اليومية ولا سيما لقوات الفصائل الثورية (البيشمركه) ، كما أنه انخرط مع هذه الفصائل للدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الكردي.

ولعل في الظروف التي كان يعيشها الشعب الكردي حينها، وضغط الظلم، والحرمان من أبسط حقوقه الإنسانية، ما يفسر اتجاه بيكرد نحو هذا النوع من الأبطال في قصصه، ومن الأسلوب الذي اتخذه للتعبير عنهم.

لقد أراد لعمله هذا، أن يكون عملاً فنياً، ينبثق من الواقع الكردي ،ويدل عليه، مع الاحتفاظ بخصوصيته الفنية، التي تتيح له حرية بناء الحدث القصصي، والتحرك ضمن أبعاده.

آزاد البرزنجي:



آزاد البرزنجي واحد من أبرز الأسماء الأدبية في كردستان العراق، التي احتلت موقعاً خاصاً في عالم الترجمة على الساحة الثقافية الكردستانية، فقد أثرى المكتبة الكردية بأكثر من ٤٢ كتاباً في شتى فروع الأدب والمعرفة أبرزها: مع العقل الغربي، حول العقل الحديث، حلم موطن الرجال الصغار، الثورة أم الاصلاح، وحكايات الماضي والحاضر.

إنه من أهم مـــترجمي الأدب الانكليزي والفارسي ، والأرجح أنه أهمهم على الإطلاق. فمن الانكليزية ترجم رواية «ألف شمس مشرقة» لخالد حسيني، ورواية «أرض ورماد» لعتيق رحيمي. ومن الفارسية ترجم رواية «عيونها» لبزرك علوي، و «العاشق وحيد دائماً» للشاعر سهراب سبهري، و» امرأة في عتبة فصل قارس» عن الشاعرة فروخ فرخزاد.

ترجم البرزنجي أغلب أعمال الكاتب الفرنسي ماكسينس فيرمين، والمتمثلة في روايات «الثلج» و «الكمان الأسود» و «العسل». كما ترجم للكاتب الايطالي آليساندرو باريكو عدة روايات منها (الحرير) و (أسطورة ١٩٠٠) و (بدون دماء).

لا بدّ من القول إن الكاتب و المترجم الكردي آزاد البرزنجي قد أضاف الكثير للذائقة الكردية، و للمكتبة الكردية، من خلال اختياراته الممتازة للكتب الصادرة باللغة العربية والانكليزية والفرنسية والفارسية، لدرجة أنه بمجرد صدور ترجمة جديدة لكتاب ما، سواء أكان رواية أو مجموعة قصصية أو كتاب فكري، فإنها تكون هدفاً من قبل القراء المتلهفين لقراءة كتاب جديد مترجم من قبله. فآزاد البرزنجي، مؤلف أو تكاد مهاراته أن تصنع منه مؤلفاً بالمعنى المجازي للكلمة.

(با خه بيام باشِ بناسين = لنعرف الخيّام جيّداً)



جلال زنكَابادي ، ترجمة : حمه كريم عارف

إعداد : (ج . ن) *

(مسرد)

عن (مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر/ أربيل) صدر حديثاً كتاب (با خه بيام باش بناسين = لنعرف الخيّام جيّداً (To know Khayyam better = لجلال زنكَابادي بترجمة الأديب الموسوعي : حمه كريم عارف ، إلى اللغة الكرديّة ، وهو يقع في (٢٦٢ ص / قطع متوسّط) علماً أن المكتبة الكرديّة فقيرة جدّاً لم تحظ من قبل بأكثر من ثلاثة كتب : (خيّام الهجاري) لصلاح الدين آشتي ، (الكرد والجهل بالخيّام !) لخسرو جاف و (رباعيّات الخيّام ، ترجمة : عوني ، تحقيق ودراسة : جلال زنكَابادي)

على الـ (ص ٦) : تطالعنا (صوّة) وهي ترجمة البيتين الآتيين عن العربيّة إلى الكرديّة :

« قيــلَ إنّ الإلـــهَ ذو ولــــدٍ   قيـلَ إنّ الرّسـولَ قـدْ كهنـا

مـانـجى اللهُ والـرّسـول معـاً   منْ لسانِ الورى ، فكيفَ أنا؟! »

يليها على الـ (ص ٧) : إهداء الكتاب إلى الأدباء والمثقفين : (د. محمّد نوري عارف / خسرو جاف / محمّد سعيد جاف / نوزت دهوكي)

ثمّ تتسلسل محتويات الكتاب على الوجه الآتي :

على الـ (صص ٩-١١) مدخل : يشكر فيه المؤلفُ المترجمَ القدير الأستاذ حمه كريم عـارف ، الـذي تصدّى لترجمة هـذا الكتاب البحثي الصعب ، وهو أصلاً قسم من كتاب (ديوان عمر الخيّام) الصادر في ٢٠١٠ عن دار الجمل ، ترجمه الأستاذ حمه كريم إلى الكرديّة ، ثمّ راجع المؤلف الترجمة ونقحها وزيّدها ؛ بحيث تضاعف حجمها مائة بالمائة ، إضافة إلى ترجمة الأشعار كافة إلى الكرديّة من قبله ، ومن ثمّ راجع الأستاذ حمه كريم الكتاب المترجم كله مراجعة تمشيطيّة وتصويبيّة دقيقة .

وأكّد زنكَابادي على ابتكاره ما يعادل بضعة حروف عربيّة غير موجودة في الألفباء الكردي : (ث ، ذ ، ض ، ظ ، ط) بوضع علامة السبعة (٧) فوق الحرفين : س ، ز ؛ ليصيرا : ث و ذ/ وتحت الحرفين : ت و ز ؛ ليصيرا : ط و ض و ظ ؛ لضبط تلفظ أسماء الأعلام وغيرها بالعربيّة على وجه الخصوص .

ثمّ أشار إلى رداءة غالبيّة الفونتات الكرديّة ، وافتقارها جمعاء إلى الحرف الكامل (ف ذي الثلاث نقط = V) والذي بات مبتور الذنب (فـ) ! وأشار إلى ان أفضل الفونتات الكرديّة تفتقر إلى الفارزة (؛) الضروريّة بين عبارتين أو جملتين تربطهما علاقة السبب بالنتيجة . وأشار أيضاً إلى التزامه المعهود بتثبيت تواريخ (ولادة ووفـاة) الأعـلام الـواردة أسماؤهم في الكتاب. وزعم زنكَابادي ان مضمون الكتاب ليس من نمط « بضاعتنا رُدّت إلينا» حتى في إيران ؛ ففيه الكثير من الجديد، ومن ثمّ دعا المختصّين إلى تصويب أيّ خطأ وارد في الكتاب شاكراً إيّاهم سلفاً، مؤكّداً على ان التصويب يهمّه جدّاً ، لا التقريظ ؛ لأن الأخطاء تظلّ تتناسل...

على الـ (صص ١٣- ٧٢) : (الخيّام شاعر العلماء وعالم الشعراء) : يتناول فيه المؤلّف سيرة عمر الخيّام (؟ ١٠٢١- ؟ ١١٢٣ م) إنساناً ، عالماً ، فيلسوفاً وأديباً وشهرته قديماً وحديثاً ، في إيران والعالم ، ويبيّن منزلة الخيّام الشعريّة : « لمْ يحظ أيّ شاعر شرقي ، لاسيّما من شعراء الرباعيّات الإيرانيين المشاهير أمثال : بابا طاهر الهمداني (؟١٠٠٠- ؟ ١٠٧٥) ، مسعود سعد سلمان (١٠٤٦-١١٢١)، مهستي كَنجوي (١٠٨٩- ١١٥٩)، خاقاني شيرواني (١١٢٠- ١١٩٨) ، فريدالدين العطار (١١٤٢- ؟ ١٢٢٩) ، كمال الدين اسماعيل (ت : ١٢٣٧) ، بابا افضل الكاشاني (؟ ١١٨٦- ؟ ١٢٦٧) ، جلال الدين الرومي (١٢٠٧- ١٢٧٣) ، جمال الدين سلمان ساوجي (١٣٠٠- ١٣٧٦) وسحابي أسـترابـادي (ت : ؟ ١٦٠١) لا بـل لمْ يحظوا أجمعين بما حظي به عمر الخيّام من اهتمام وعناية المترجمين والباحثين في أرجاء المعمورة

منذ قرن ونصف ؛ حتى كاد أن يختطف الأضواء كلّها من عمالقة أوربا الأفذاذ أمثال : دانتي (١٢٦٥- ١٣٢١) ، سرفانتس (١٥٤٧- ١٦١٦) ، شيكسبير (١٥٦٤- ١٦١٦) ، گويته (١٧٤٩-١٨٣٢) والمتنبّيء الشهير(الطبيب والشاعر) نوستر آداموس (١٥٠٣- ١٥٦٦) !» ويعلّل ما سلف بـ «.. بفضل منظومة فيتزجيرالد ؛ راحت رباعيات الخيّام تترجم إلى العشرات من لغات العالم الحيّة ، والتي ناهزت الخمسين من اللغات الأوربية ، مروراً باللغات الشرقيّة حتى لغة الإسبرانتو! بل و طبعت بخط بريل الخاص بالعميان ، ناهيكم عن تعدّدية الترجمة في كلّ لغة ؛ بحيث تجاوزت الأعداد الخيالية لنسخها المطبوعة جميع الكتب الرائجة باستثناء الإنجيل ! » فقد ورد في مقدمة طبعة (بنكوين) لرباعيات الخيام : « .. وتعد ترجمة فيتزجيرالد لعمر الخيام أشهر الترجمات الادبية الى الانجليزية طراً. ولمْ تضاهها في ذلك حتى أشهر الترجمات شعبية مثل ترجمة (هومير) لشابمان أو ترجمة (اوفيد) لفولدنك. فقد تغلغلت في النسيج العام للغة الانجليزية وصارت تشكل جزء لا يتجزأ من رصيد العبارات والأقوال الإنكليزية المأثورة التي تجري مجرى الامثال ، حتى ان طبعة معجم أكسفورد لسنة ١٩٥٣ تضمّنت تسعاً وخمسين رباعية كاملة من جملة (١٨٨ اقتباسا مأثوراً) أي ان الرباعيات بلغت نسبة الثلثين من جملة الأمثال التي ضمّها هذا السفر، وهي نسبة تفوق ما ورد عن الكتاب المقدس وشكسبير» !

لقد حاز الخيّام على شهرة خارقة عجيبة بالمقارنة مع شعراء الشرق العظماء ، رغم انّه حسب رأي احمد حامد الصرّاف « لمْ يكن ألمعْ عبقريّة من أبي العلاء ، والمتنبّي ، وابن الرومي ، وأبي نؤاس ، وحافظ ، وسعدي ، والخاقاني ، والنظامي...ولكنّ الخيّام أسعد منهم حظاً ؛ إذ أُتيح له من أشاد بأدبه ، والدّنيا حظوظ وقِسَم » وكان الحريّ بالصرّاف أن يضيف أسماء: الفردوسي وناصر خسرو ومولانا جلال الدين . أمّا رأيه فليس صائباً، ولو ربعه ، على علاّته ؛ إذ لم يكن الحظ سبباً جوهريّاً في الإجتياح الخيّامي عالميّاً ، وإنّما كان سبباً عارضاً ، رغم ضرورته ؛ لأنّ الخيّام بمجمل أعماله علم إيراني/ إسلامي / شرقي عظيم ، بل في مصاف أعظم السالفيّ الذكر، إنْ لمْ يبز أكثرهم بمجمل آثاره ، وحتى في الشعر حصراً ، فإنّه رغم صغر حجم ديوانه ؛ لايقلّ شأناً عن بعضهم ، مثله مثل : لاوتسي (القرن ٥ أو٦ ق.م) في الشعروالفكر الصينيين ، خورخيه مانريكي (؟ ١٤٤٠- ١٤٧٩) في الشعر الإسباني و رامبو (١٨٥٤-١٨٩١) في الشعر الفرنسي.. هذا من حيث شأنه الأدبي ، أمّا من حيث شأنه الفكري ، فثمّة سبب أرأس وجوهري يتعلّق بالبيئة الأوربية (على كلّ الصّعد) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،على وجه التحديد ، وهي البيئة التي واءمت مضامين رباعيّات الخيّام وتشرّبتها أيّما تشرّب ؛ إذ كانت أوربّا تشهد قرنذاك مدّاً ثوريّاً حداثويّاً ممثلاً بتقهقر إمبراطوريّاتها سياسيّاً ، وتصاعد النزعة العلمانيّة وانحسار السلطة الدينيّة ، حيث عصفت رياح الثورات : السياسيّة ، الأدبيّة ، الفنّيّة ، العلميّة ، الإقتصاديّة والفكريّة ، ولنا المثل السّاطع

بانتشار طروحات : ماركس ودارون ، فرويد وروّاد الفلسفة الوجوديّة...»

ثمّ يؤكّد زنكَابادي على فضل الخيّام المتميّز : « وهنا يكمن أيضاً فضل الخيّام الذي قد يتجاوز فضل شعراء إيران المذكورين، في ترويج اللغة الفارسيّة عالميّاً ؛ برباعيّاته الخفيفة ترجمةً والقيّمة مضموناً ، لاسيّما في التراجم الحاوية على المتن الفارسي ، بحيث راح يجتذب أبناء الشعوب الأخرى إلى نشدان الأدب الإيراني والإطلاع عليه ودراسته بصفته أكبر البوّابات إلى الحضارة الإيرانية ؛ ممّا أفضى ذلك وسيظلّ يفضى إلى التآلف والتعاطف والصداقة مع الإيرانيين ، وهذا يعني في آخر المطاف إعلاء اسم وطنه إيران ؛ وإلاّ لماذا حظي بتمثال رابض في جامعة فلورنسا في إيطاليا ، وآخر في بوخارست عاصمة رومانيا، وآخر في إسبانيا ، مثلاً ؟ ولماذا يزور الكثيرون من الأجانب - لاسيما من الإنتلجنسيا- ضريحه في نيسابور سنوياً ؟ وووو.......؟

فحقّاً ويقيناً قد قارب الخيّام بديوانه الصغير جداً (ألف بيت من الشعر في أكبر مجموعة مختارة) بين إنتلجنسيات وثقافات أمم العالم وشعوبها قاطبة ، بازّاً حتى الكتب المقدّسة ! ولايدانيه في هذا المضمار غير بضعة أدباء عالميين آخرين كدانتي وشكسبير وسرفانتس...ولاغرو في كلّ ذلك ؛ فإنّ غياث الدين أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيّام النّيسابوري (عالم الشعراء وشاعر العلماء) بحق وحقيقة ، إذْ كان عالماً ، فيلسوفاً ، فلكيّاً ، طبيباً ، كاتباً وشاعراً »

ثمّ يطرح زنكَابادي الآراء المختلفة بشأن أصل الخيّام ولقبه ويفنّد حجج القائلين بأصله العربي أو الكُردي مبرهناً أن لقب (الخيّام) لايدلّ على عشيرة أو قبيلة عربيّة ، ولا حتى على قرية أو قصبة أو مدينة عربيّة ، وإنّما هو لقب (حِرَفي) إذ « كان والده وربّما جدّه صانع خيم شهير(خيّام / خيّامي) فانسحب اللقب على عمر، وربّما استحبذه بنفسه ؛ لاعتزازه بمنبته االكادح »

ويضيف باحثنا : « ومثلما تضاربت الآراء في الأصل القومي للخيّام ، فقد تضاربت أيضاً في تاريخيّ ميلاده ووفاته ، وحتى مسقط رأسه ، إذ قيل ولد في قرية شمشاد ببلخ ، أو في قرية بسنك التابعة لأسترآباد ، ومع ذلك يترجّح الإجماع على ولادته ووفاته في مدينة نيسابور، التي كانت في العهود الإسلاميّة الأولى أحد المراكز الثقافيّة الكبرى ، وقيل أنّها احتضنت أكثر من أربعة آلاف أديب وعالم وحكيم ترعرعوا ونشطوا فيها ، علماً أنّ بعض الشعراء ذمّوها ومنهم : أبوالحسن الأسترآبادي و معن الشيباني ! »

ثمّ يستنتج الباحث زنكَابادي تتلمذ الخيّام في نيسابورعلى أيدي الإمام موفق النيسابوري (؟!) وإمام الحرمين الجويني (ت: ١٠٨٥م) وأبي الحسن الانباري (؟!) حيث اغترف المزيد من علوم عصره ، ثم قصد سمرقند؛ لإستكمال دراسة الجبر. ولما ذاع صيته في الفلك والتنجيم والرياضيات ؛ علا نجمه ؛ إذ « كان الخاقان شمس الملوك في بخارى يعظمه غاية التعظيم ، ويجلسه معه على سريره » كما جاء في (نزهة الأرواح وروضة الأفراح ...) للشهرزوري ، ومن ثم استدعاه جلال الدين

ملكشاه (ت: ١٠٩٢) في عام (١٠٧٤) وكلّفه - مع بضعة علماء آخرين- بتعديل التقويم الإيراني في (١٠٧٩) وبناء مرصد فلكي في أصفهان. وكان جلال الدين ملكشاه « ينزله منزلة الندماء ....» حسب قول الشهرزوري . كما ورد ذكر الخيّام بإجلال في بضعة مراجع أخرى معتبرة ، منها : (خريدة القصر) ، (مرصاد العباد) ، (تاريخ جهانكَشاي) ، (تاريخ كَزيده) ، (نزهة المجالس) و (مؤنس الأحرار) . . .وهناك بضع شهادات معتبرة لكبار رجالات زمانه تشيد بعلوّ مقامه وعظمة شأنه في علوم وآداب عصره ؛ فقد أشار أبوالقاسم الزمخشري (ت : ١١٤٣م) إلى مناقشاته معه ووصفه البيهقي (١١٠٦- ١١٧٠م) بأحد أكبر قرّاء القرآن وأجود بني زمانه ، ويُذكَر أنّ الإمام أبا حامد الغزالي قد أخذ دروساً عنه ، أو ناقشه في علم الكلام. وكان الخيّام يُذكَر بإجلال قلّ نظيره : (الإمام) ، (حجّة الحق واليقين) ، (غياث الدين) ، (نصيرالدين) ، (ملك الحكماء) ، (فيلسوف العالم) ، (الشيخ الأجّل) ، (سيّد المحققين) ، (الأديب الأريب الخطير) ، (الفلكيّ الكبير) و(الدستور= مقام يضاهي الوزير) ولقد ذكره الشاعران الكبيران الخاقاني والعطّار بتبجيل ، فقد ذكره الخاقاني في مرثيّة لعمّه (كافي الدين عمر عثمان) حيث عدّد مناقبه ، وبالأخصّ حكمته وعدله :

« ..لذا خاطبه العقل يا عمر عثمان إنّك لعمر الخيّام و عمر الخطّاب»

ولمقام الخيّام المرموق والمؤثر ؛ فقد استنجد به الشاعر الصوفي الشهير السّنائي (ت : ١١٣٠م) ملتمساً عونه ؛ لتخليصه من ورطة سبّبها له خادمه أو أحد تلاميذه .

ويرجّح زنكَابادي صحّة قصّة الزمالة الدراسيّة للخيّام مع الوزير نظام الملك (الحسن الطوسي) (١٠١٨- ١٠٩٢) والحسن الصباح (ت : ١١٢٤) زعيم الفرقة الإسماعيليّة (الباطنيّة) وحاكم قلعة ألَموت (وكر العقاب) على يد الإمام موفق الدين النيسابوري في مدرسة خراسان حينذاك. كما يرجّح زنكَابادي تتلمذ الخيّام أيضاً على يد الشيخ الرئيس ابن سينا و تراسله مع الشيخ أبي سعيد أبي الخير، متفقاً مع القائلين بأن عُمْر عُمَر الخيّام قد ناهز قرناً و يعلّل رأيه : « .. ذلك ليس بمستحيل ؛ فهنالك أدباء وعلماء ومفكّرون كثيرون كانوا معمّرين في العصور الماضية. والأرجح في نظري صواب رأي الأخيرين ؛ لكثرة المصادر والدلائل والقرائن (...) وقد أشار بعض المؤرّخين إلى ولادة الخيّام في مطلع العقد الثاني من القرن الخامس الهجري (الربع الأول من القرن١١م) وفعلاً ثبت المستشرق الجيكي يان ريبكا تولّد الخيّام في حدود سنة (١٠٢١م) وباحثون آخرون ، وهو الأقرب إلى الصواب في نظري ؛ لقول الخيّام نفسه بكونه من تلاميذ الشيخ ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) ويؤكّد محتوى بعض رسائله الفلسفيّة ذلك ، وقد كان أبونصر محمد بن عبدالرحيم النسوي قاضي قضاة فارس (وهو من تلاميذ ابن سينا) صديقاً حميماً للخيّام ، وهذه المعلومة موثقة ، وكذلك الإشارة إلى علاقة مراسلة ومشاعرة بين الخيّام والشيخ أبي سعيد أبي الخير(٩٦٧- ١٠٤٩) ناهيكم عن تواريخ ولادات ووفيات العديدين من مجايليه ومعاصريه

وعلاقات بعضهم معه ، وإلاّ كيف أنيطت به رئاسة لجنة اصلاح التقويم الجلالي ومرصد أصفهان من بين كبار علماء زمانه ؟! وهل من المعقول والصّواب أن نستخطيء ونستزور جميع الشواهد والقرائن والدلائل الواردة في أغلب المصادر وأقدمها وأرصنها جمعاء، والتي تعزّز هذا الرأي ؛ لمجرّد نفي احتمال عيش الخيّام قرابة ١٠٠ سنة ، في حين أشار بعض المؤرّخين أنّه قد عمَّرَ (١٢٠ سنة) ! ولايّستَبعَد ذلك ؛ فقد كان الخيّام عالماً وطبيباً يعرف كيف يُداري صحّته ، ولايستهلك جسده في الموبقات المؤذية ، وهو الذي كان يؤكّد دوماً على اغتنام العمر المعطى المحدود مهما طال أمده ، ناهيكم عن الشهادات المؤيّدة لحسن سلوكه والصادرة عن جميع مجايليه ومعاصريه ، بما فيهم مناوئوه ! »

و يسرد زنكَابادي بأقصى شموليّة وتركيز سيرة الخيّام الفكريّة والعلميّة والوضع التاريخي لعصره وبيئته الإجتما-ثقافيّة ومجايليه ومعاصريه من الأدباء والمفكرين والعلماء : « لقد كان عصر الخيام يغلي سياسيّاً ؛ بوقائعه وأحداثه الجسيمة : سقوط الدولة البويهيّة (٩٣٢ - ١٠٥٥) ، قيام الدولة السّلجوقيّة (١٠٣٧- ١١٥٧) ، إندلاع الحروب الصّليبيّة (١٠٩٦- ١٢٩١) ، وانبعاث الإسماعيليّة = النزارية (١٠٩٠- ١٢٥٦) بصفتها حركة إيرانيّة ثوريّة في إهاب ديني ، مناضلة ضد حكم الخلافة العباسيّة (العربيّة) وحكم السلاجقة الأتـراك الأغيار؛ لتحقيق استقلال إيـران . ولأنّ الحركة الإسماعيليّة ، شأنها شأن (الخرّميّة) و(السربداريّة)... كانت قد نشطت لتقويض سلطتيّ السّلاجقة والعباسيين المتحالفين بصفتهم من (السّنّة) ؛ فقد نعتت ووصمت من قبل أبواق دعاية العباسيين والسّلاجقة ومؤرخيهم بالكفر والإلحـاد والإباحـيّـة والمـؤازرة للقرامطة والعميلة للخلافة الفاطمية (٩٠٩ - ١١٧١) في مصر، بل وحيكت حـول الإسماعيليين أساطير وحكايات خرافيّة ؛ بحيث اشتهروا حتى في أوساط الأوربيين باسم (الحشاشين) و(القتلة) ! في حين كان أكثر رجال الدّين منافقين ووعاظ سلاطين في تأييد المستبدّين وقمع المفكّرين الأحـرار، وكـان المتفيقهون منهم يمارسون « الفضيلة علناً والرذيلة سرّاً» ويلوّحون في الوقت نفسه بسيف التكفير ضد الأدباء والمفكّرين الأحرار ، بل لايتوانون في التآمر حتى على أقرانهم النّابغين اللامعين ؛ بحيث كان يخشاهم ويحترس من سطوتهم حتى أمثال الإمـام ابوحامد الغزالي ، الذي شخّص ظاهرة تكاثر الفقهاء المحتالين للإنتفاع الأنانيّ بعلم الفقه ؛ ممّا جعله يبدي دهشته في تفضيل الفقه على علم الطب ، ويعلّله بقوله « انّ الطب ليس يتيسّر الوصول به إلى تولّي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلّد القضاء والحكومة والتقدّم به على الأقران والتسلّط به على الأعداء » ! وكان هنالك أيضاً المتزاهدون المـراؤون ، والمزيد من الضحلين والطفيليين بين المتصوّفة. ويُذكَر أنّـه لم يسلم من غائلة الدسائس والمكائد والمؤامرات والتكفير حتى الأعلام العظماء أمثال : الشيخ ابن سينا، الشيخ عبدالله الأنصاري والإمـام الشهرستاني ، بل أنّ متفيقهاً من فقهاء الظلام ومـن وعـاظ السّلاطين رفـض دفـن جثمان

الفردوسي العظيم في مقبرة طوس ؛ بتهمة كونه قرمطيّاً ومناصراً للفاطميين في مصر، ومناهضاً للخلافة العبّاسيّة ! وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة أنّ خلفاء بني العبّاس في عهد الأفول كانوا يستمرئون وجود (الشيعة) من الديالمة ، وسلاطين السّلاجقة ، الذين كانوا يسترضونهم بمجرّد ذكر أسمائهم في الخطب على المنابر، ونقشها على النقود المعدنيّة ، ويحسبون ذلك اعترافاً كبيراً بخلافتهم الصّورية ! أمّا صراعهم مع الفاطميين واسماعيليّ إيران فقد كان صراعاً من أجل البقاء. ويعدّ الخيّام (الإسماعيليين) في إحدى رسائله الفلسفيّة من الباحثين عن الحقيقة الحكميّة ، ولكن يشكّ البعض في نسبة الرسالة المعنيّة إلى الخيّام ، ولايستبعد البعض الآخر نسبتها إليه وأنا منهم ؛ مادام متأثراً بطروحات (إخوان الصفا) الفكريّة (وهي إسماعيليّة) بالإضافة إلى كونه تلميذاً لابن سينا الفيلسوف الذي كان من الإسماعيليّة الباطنيّة أو متأثراً بآرائهم وأفكارهم »

أمّا الوضع الثقافي على حدّ استقصائه « فقد كان مزدهراً نوعمّا ، وهذا هو ديدن الثقافة في صيرورتها ؛ فهي تزدهر أنّى تحتدم الصراعات بين الأضداد ، وتخبو وتتكاسل في غياب الصراعات المحتدمة. وقد نشأ عصرذاك وبرز أكثر من مائة وثمانين شاعراً ، منشئاً ، لغويّاً ، مؤرّخاً ، جغرافيّاً ، مؤلّفاً في السياسة والإدارة والطبّ ، وكاتب سِيَر شتّى . وتجدر الإشارة أيضاً إلى المدارس (النظاميّة) في أصفهان ، نيسابور، بلخ وبغداد ، والتي أسّسها وأنشأها الوزير السّلجوقي المتنوّر نظام الملك ، وخصص لها ميزانيّة سنويّة بلغت (٦٠٠٠٠٠ ألف دينار) »

وطبعاً « كـأيّ رجـل عظيم ذي شخصيّة كاريزمية ؛ حيكت عن الخيّام العديد من الحكايات الأسطوريّة ، من قبل محبّيه ومبغضيه ؛ فقد أحاطه الأوّلون بهالة القداسة المطلقة ، وساطه الآخرون بسياط اللعنة ، وقلّما وجدَ منْ انتصف للحقيقة الموضوعيّة...» بل بلغ الغبن الذي أصاب الخيّام حدّ نكرانه شاعراً ، حتى من قبل بعض الباحثين من أبناء جلدته الإيرانيين ، ناهيكم عن بعض الأجانب ! « أجل ؛ فقد ذهب البعض إلى التشكيك في كون عمر الخيّام العالم والحكيم شاعر الرباعيّات المنسوبة إليه ، مثلما الحال في التشكيك ونكران العظيمين هوميروس وشيكسبير! لمجرّد وجود بضعة شعراء آخرين خامليّ الأثر والذكر بلقب (الخيّام) نفسه ، ومنهم : عبدالله خيّام مازندراني (ت : ٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) ، ابوصالح خيّام بخاري (ت : ٣٦١هـ = ٩٧١ م) ، خلف بن محمد بن اسماعيل خيّام (ت : في القرن الخامس الهجري = ١١م) ، مذهب الدين محمد بن علي الخيّامي (ت : ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤م) وعلاءالدين علي بن محمد بن احمد بن خلف خيّام خراساني (ت : قبل القرن الثامن الهجري = ١٤م) وطبعاً يحتمل تنسيب بعض رباعيّاتهم إلى الخيّام ، والعكس قد يكون أصوب ؛ لتشابه اللقب ، إلاّ أن ثمة العديد من المصادر المعتبرة ذكرت خيّامنا المقصود مع العشرات من رباعيّاته وبضع قطع شعرية باللغتين العربية والفارسية ، في حين أنّ سميّي الخيّام في لقبه لم يكونوا بمستوى ثقافته الموسوعيّة

، وكانت أشعارهم عاديّة ، والرباعيّات فيها قليلة و دون مستوى رباعيّات الخيّام الأصيلة مبنىً ومعنىً ، بل لمْ أجد أيّ إشارة إلى تنسيب إحدى رباعيّات الخيّام الأصيلة أو الدخيلة إلى أحدهم ، رغم بحثي الدؤوب ، وإنّما إلى شعراء آخرين كبار ومعروفين ؛ والعلّة هي أنّ أفضل هؤلاء الخيّاميين لقباً لايرقى إلى مصاف شاعر من الطبقة الرابعة في الأدب الإيراني «

ومن ثمّ يستنتج مؤلفنا زنكَابادي : « إن جميع المصادر إضافةً إلى آثار الخيّام نفسه ؛ تبيّن كونه نابغة ذا موهبة عظيمة وعقل نيّر وثقافة موسوعية مذهلة ، وهنالك العديد من الحكايات الطريفة عن تجلّيات عبقريته وتنبؤاته الباراسايكولوجيّة مثل : « سيكون قبري في موضع تنتشر الأزهار عليه كل ربيع» وغيرها كثير يتعذّر سردها في هذه الفسحة الضيّقة. وممّا قال معاصرو الخيّام عنه ؛ نستشف ما يجلو ويحدد سمات شخصيته وأدبه وفكره ، وهو ينفي نفياً قاطعاً مايزعمه بعض شرّاح رباعيّاته ، بأنه كان رمزياً صوفياً ، فقد كان فيلسوفاً وجودياً (مؤمناً) سبق الفلاسفة الوجوديين الأوربيين أمثال : كيركغارد (١٨١٣-١٨٥٥)، أونامونو(١٨٦٤- ١٩٣٦) وغبريال مارسيل (١٨٨٩- ١٩٧٣) بطروحاته ، ببضعة قرون ! بحيث تساءل المؤرّخ الفرنسي المعروف أرنست رينان (١٨٣٣-١٨٩٢): « أليس يُعد حادثةً غريبةً ظهورُ شاعر في إيران في القرن الحادي عشر للميلاد ، يكون نظيراً لغوته وهنريش هاينه ؟! « لعلّ الجواب الشّافي لتساؤله لدى الأستاذ أديب التقي ، الذي قدَّم لترجمة النجفي « إن جميع ما تحوم حوله معاني الخيّام في شعره تنحصر في هذا المصراع العربي : « إغنموا الفرصةَ بين العدمين « أي أنه أبيكوريّ المذهب إلى حدّ بعيد (استناداً إلى المزيد من الرباعيّات الدخيلة طبعاً !) ويبدو أن مذهبه هذا قد سحر الأوربيين ، لاسيما الكثير من الشعراء ، ومنهم لوركا الذي إستقصى خوسيه ميغييل تأثّره المبكّر برباعيّاته ؛ «لأن الموقف الوجودي لعمر الخيّام ، بكل بساطته وعمقه ، ينافي تماماً التقاليد المسيحيّة المُطالِبة بالتخلّي عن اللّذات الجسديّة ؛ بوصفها أقبح الخطايا ، والإستسلام للإعتراف ، وانتظار مجيء حياة ثانية بعد الممات...» في حين يبدو الخيّام في رباعيّاته ، حسب استقراء واستنتاج الدكتور محمّد غنيمي هلال « داعية إلى انتهاز الملذات ، ولكن وراء خواطره المحمومة أسى المفكّر، ولوعة الأسيان ، ورهف الوعي المعوّق تجاه أسرار الحياة؛ إلى مايسودها من طابع السّخط والضيق بالمنافقين والوصوليين والإنتهازيين وأدعياء الدين « كما « يبدو الخيّام في بعض رباعيّاته ذا عقيدة في الروح ، مع حيرته في أسرار الكون ، وشكوكه في النشأة الأخرى « وهكذا فإنّ رباعيّاته تدور في فلك التفكير في قصر العمر وحتمية العدم والحيرة الميتافيزيقيّة ، بل وفي بعض رباعيّاته « يضيق الخيّام ذرعاً بقصور إدراك العقلاء عن الأسرار، كما يضيق بمعاصريه من أدعياء الدين ؛ وهذا من مظاهر البعد الإجتماعي في رباعيّاته « كما يقول الأستاذ هلال ؛ فلاعجب إذنْ إنْ « ترسّبت أفكار وآراء الخيّام في اللاوعي الجمعي للغربيين « على حد تعبير قهرمان سليماني (الملحق الثقافي الإيراني في تاجيكستان) عند

الإحتفاء بيوم الخيّام في عام ٢٠٠٥ ولنا في جملة للشاعر السوري بندر عبدالحميد عن الخيّام أجمع وأبهى تعريف : « شاعر أيقظ الحياة على الأرض» برباعيّاته المنطوية على «حكمة ودعوة إلى ممارسة الحياة بفرح وشجاعة وأناقة واطمئنان ؛ ولهذا أقبل على قراءتها حتى أولئك الذين لاتربطهم بالقراءة أيّة علاقة » وهنا تتجلّى مصداقيّة قول الشاعر وليم بتلر ييتس : « إنّما نبدأ ممارسة الحياة ؛ حين نتصوّرها في صورة مأساة » وهنا أيضاً ندرك مآل تشاؤم الخيّام بالمقارنة مع مآل تشاؤم صنوه المعرّي ، وهذا الرأي يؤكّده الدكتور محمّد غنيمي هلال : « مثل هذه الخواطر في الزمن وصروفه ، والفناء ودوران الدهر ؛ يقرّب مابين الخيّام وأبي العلاء في الخواطر الفلسفيّة ، وإنْ كان كلّ منهما قد انتهى إلى نتيجة مناقضة لنتيجة الآخر، برغم اتفاقهما في المقدّمات إلى كلتا النتيجتين، وبرغم ضيق كلّ منهما بالوجود وناسه. ولايبعد أن يكون بينهما تلاق تاريخي »

ومن ثمّ يقول زنكَابادي : « ولئن لم يكن عمر الخيّام معروفاً في إيران قديماً كشاعر إلاّ على نطاق ضيّق ؛ فقد « ظهر إلى الوجود خيّامان : أحدهما في الغرب كشاعر، والآخر في الشرق كعالم رياضيّات وفلك وفيلسوف. والغرب غرب ، والشرق شرق « بتعبير العالم الفيزيائي والرياضيّ (ف. سميلجا) ولكن سرعان ما التقى الغرب والشرق في ظلّ أجنحة رباعيّاته الآسرة ! » ويضيف « لقد كانت شهرة الخيام قديماً ترجع إلى كونه عالماً ذا مؤلفات علمية و فلسفية مهمة ومؤثرة ؛ بحيث وصفه إبن خلدون (١٣٣٣- ١٣٧٨م) بـ (أعظم عالم رياضي في الشرق) بل سبق برسالته عن الجبر والمقابلة حتى الفيلسوف ديكارت (١٥٩٠- ١٦٥٠) ! أمّا كونه شاعراً من طراز خاص وخارق التأثير، فلم يكتشفه العالم إلاّ بعد وفاته بسبعة قرون ونيف ! ولكنّ الخيّام الذي أحرز هذه الشهرة الهائلة بعد رحيله الأبدي بقرون طويلة ، يبدو كما لو انه لم يكن يحسب نفسه شاعراً محترفاً ، وإنّما كان ينظم مايهلّ عليه تسليةً لذاته ، ونشداناً للراحة من عناء العمل وشجون الحياة ، خصوصاً وأنه كان عالماً جادّاً (نظريّاً وتطبيقياً) ولربّما كان تعتيمه الذاتي على شعره ، وعزوفه عن إبراز نفسه شاعراً ؛ إحترازاً من المتفيقهين المتعصّبين ، و من الإضطرار إلى الإنزلاق في حمأة الإمتداح والنباح على غرار أغلب الشعراء ، في أكناف البلاطات والسلاطين والأمراء ، باستثناء أغلب الشعراء المتصوفة والثوريين مثل الشاعر والداعية الإسماعيلي الكبير ناصر خسرو(١٠٠٤- ؟ ١٠٨٨) الذي « لمْ يلوّثْ فمه بالمدح » والقائل : « حينما تريد أنْ تنظّم اختلال النظام الكونيّ ؛ يجب أنْ تقلب النظام الدّنيويّ..»...ورغم الإنزواء الشعريّ المقصود للخيّام ؛ فقد خلد في رباعيّاته الأصيلة التي لايتجاوز عددها المائتين على أقصى الإحتمالات ، كأحد أعظم الثوّار ضد الإغترابات الوجوديّة والسياسيّة والإجتماعيّة للكائن البشري ، بل وضد القهر الكوني من قبل ومن بعد « ولا غرو في ذلك ؛ فالخيّام نموذج لـ (المثقف الكوني) حسب تعريف المفكّر حسن العلوي (١٩٣٣- ١٩٩٨) ، في معرض توصيفه للشاعر المفكّر أبي العلاء المعرّي : «

المثقف الكوني يعتزل الناس ولا ينقطع عنهم . وعزلته تتمظهرمن زاوية الأشكال الحياديّة ، او السّلبيّة ، التي يقف فيها المثقف خارج خط الأحداث الإجتماعيّة والسياسيّة . وفي معتزله يواصل المثقف الكوني اهتمامه بالناس ؛ فيبحث عن حلول لمشكلاتهم تتوازى أحياناً مع اهتمامه بالوجود المجرّد» و «...يحمل في عزلته صورة المجتمع ، وينشغل عنه بإيجاد أفكار تساهم في تطويره أو تقويم انحرافاته «

ثمّ يسترسل زنكَابادي في تبيان تأثير الخيّام عالميّاً قائلاً : «ولاغرو في كلّ ما أسلفناه ؛ فقد أحدث الخيّام تأثيره الكبير في الثقافة العالمية ، لاسيما في حركة التجديد الشعري بأوربا ، بل وشمل أيضاً تأثيره الشرق الذي إنتبه إلى عبقريته الشعرية والفلسفية بعد الإكتشاف الأوربــي لهما ! فقد أثّــر- مثلاً- في الشاعر والكاتب المسرحي والمفكّر البلجيكي موريس مترلنك (١٨٦٢- ١٩٤٩) ، الشاعر الإنكَلوأمريكي ت.س. إليوت (١٨٨٨- ١٩٦٥) ، الشاعر البرتغالي فرناندو بيسووا (١٨٨٨- ١٩٣٥) ، الشاعر والفنان الإسباني لوركا (١٨٩٨- ١٩٣٦) ، الشاعر العراقي عبدالوهّاب البياتي (١٩٢٦- ١٩٩٩) وشعراء عــرب وعــراقــيــين آخــريــن أمــثــال : جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦) ، إيليّا أبي ماضي (١٨٨٩-١٩٥٧)، عـرار (مصطفى الـتـل)(١٨٩٧-١٩٤٧) ، الياس أبوشبكه (١٩٠٣-١٩٤٧) ، مهدي الشماسي (١٩٢٠- ١٩٧٩) وحسين مردان (١٩٢٧-١٩٧٢)..... بالإضافة إلى شعراء إيرانيين قدامى ومعاصرين...منهم : العطّارالنيشابوري ، السنائي الغزنوي ، الخاقاني الشيرواني ، سراج الدين قمري آملي (ت : ١٢٢٧) ، بابا أفضل الكاشاني ، مولانا جلال الدين الرومي ، سعدي الشيرازي (؟ ١٢١٣- ١٢٩٢) ، نظام الدين الأصفهاني (ت : قبل١٢٨١م) ، حافظ الشيرازي (؟ ١٣١٧- ؟ ١٣٩٧) ، عبيد زاكاني (١٣٠٠- ١٣٧١) ، إبن يمين (١٣٦٧- ؟ ١٤٥٠) ، جمال الدين سلمان ساوجي ، سحابي أسترآبادي وحسين قدس نخعي (١٨٩٤- ١٩٧٠) الملقب بـ (خيّام القرن العشرين) بكلّ جدارة واستحقاق...

ومع ذلك يتجلّى التأثير الجماهيري لشعر الخيّام في الغرب أكثر ممّا هو في الشرق ؛ بصفته جامعاً بين (روح الشرق وماديّة الغرب) وطبعاً يحبّذ الغرب صورة الخيّام الثائر على التعاليم الدينيّة أو حتى الملحد ، بينما يميل الشرق إلى حسبانه مؤمناً وفيلسوفاً إسلاميّاً. ومن كبار مثقفي الغرب الذين أشادوا بفلسفة الخيّام المفكّر الحر، هو أرنست رينان ، وبذلك فقد ناقض بنفسه رأيه الخاطيء في الفلسفة الإسلاميّة ، التي وصفها بأنّها « الفلسفة اليونانيّة نفسها ، وهي مكتوبة بالخطّ العربي « ! وهناك الكثير من الأدباء والفنانين والمفكرين والعلماء الغربيين من المعجبين بالخيّام شاعراً وعالماً وفيلسوفاً ومنهم : الشاعر الكبير إزرا باوند (١٨٨٥- ١٩٧٢) حدّ تسمية أحد أبنائه بـ (عمر) « و « هناك المزيد من الدراسات والمراجع عن الخيّام وأدبه وعلمه ، في شتّى اللغات ، بل « يستحيل تقريباً إعداد كشّافٍ وافٍ بكلّ الترجمات والكتابات عن الخيّام ، في القرن الأخير « على حدّ قول الخيّاملوجي الفرنسي بيير باسكال ؛ فقد صدر ونشر عن الخيّام ورباعيّاته وآثاره العلميّة والفكريّة أكثر من (٣ آلاف كتاب

ومبحث) حتى سنة ١٩٦٠، ولقد تضاعف هذا العدد مرّتين حتماً إبّان الخمسين سنة الماضية» و « لقد إنبرى أيضاً فنانون تشكيليّون عديدون (ايرانيّون وأجانب) مازجين بين الرسم والشعر؛ ليجسّدوا مشاهد من رباعياته رسماً ، مزيّنين المزيد من طبعات رباعيّات الخيّام ، ومن أبرز المبدعين في هذا المضمار : كمال الدين بهزاد (١٤٦٠- ١٥٣٥) ، أليهو فيدر، كَلبرت جيمس ، سركيس خاجادوريان (الفنان والباحث الإركيولوجي الأرمني) ، أكبر تجويدي ، الآذربايجاني قربان اجلي ، محمّد تجويدي ، جبار بك، حسين بهزاد (١٨٩٤-١٩٦٨) محمود فرشجيان (١٩٣٠-) ....» و « يشير الباحث فرزانه إلى فضل رباعيّات الخيّام في إحياء فن الرسم وبالأخص فن المنمنمات،الذي ازدهر خلال القرون(١٦ ،١٧و١٨م) ثمّ وهن في أواخر القرن (١٨م) وكاد أن يأفل ، لكنّه انبعث من جديد مع انبعاث رباعيّات الخيّام ، لاسيّما مع طبعاتها في أواخر القرن (١٩م) وكذا الحال مع فن الخط ، ليس في إيران وحدها، بل في الهند وغيرها...» و « وينبغي ألاّ يغيب عن بالنا العديد من الموسيقيين الذين استوحوا مؤلّفات موسيقيّة من رباعيّات الخيّام ، وكذلك الكثير من المغنين والمغنيات ، الذين/ اللواتي شدوا/ شدون ، ويشدون/ يشدَوْنَ بها بالفارسية واللغات الأخرى، الشرقية على الأخص، ولنا المثل في الفنان ناظم الغزالي والفنانة العظيمة أم كلثوم . وكذلك المذيعون من ملقيّ الرباعيّات إلقاءاً فنّيّاً في الراديو والتلفزيون والأشرطة والسيديّات...» و « لقد غزا الخيّام أيضاً عالم السينما ، وهنا تجدر الإشارة إلى فيلم (عمر الخيّام) الذي أخرجه ألبرت لويس عام ١٩٤١ في هوليوود ، مع أنه لم يفلح في استحضار صورة حقيقية جليّة لشخصية الخيّام الكبيرة. وكذلك فيلم (التراث الأسطوري لعمر الخيّام) الذي إشترك فيه فنانون من ثمانية بلدان ، ولعب فيه الفنان الإسباني برونو لاسترا دور الحكيم النيسابوري ، وجرى تصويره في مدن سمرقند وبخارى..»

ويتطرّق المؤلّف زنكَابادي إلى أعمال الخيّام ويثبت عناوينها ويشير إلى الموجود والمفقود منها ، ويردّ على القائلين ببخل الخيّام الثقافي : « وصف البيهقي ومؤرخون آخرون الخيّام بالبخل في التأليف والتدريس، لكن مؤاخذنهم غير صائبة؛ لأنّها تتجاهل نوعيّة تآليفه وتنوّع مضاميرها ؛ إذ ليست العبرة بعدد المؤلّفات وحجومها، وإنّما بجدّتها وإضافاتها الإبداعيّة ، فربّ مقال مكثف مركّز ومضغوط يعادل أو يتجاوز في جدواه كتاباً . ولنا في الفتوحات الجديدة لرسائل الخيّام العلميّة نفسها أسوة جليّة ، حيث حقق بها الخيّام ريادات كبيرة في الرياضيّات والفيزياء والفلك تجاوزت عصره ببضعة قرون؛ فما حققه العالم لباجفسكي (١٧٩٢- ١٨٥٦) في طرح وإقرار الهندسة غيرالإقليديسيّة ، و التي استثمرها العالم انشتين (١٨٧٩- ١٩٥٥) في نظريته (النسبيّة) الشهيرة ، كان الخيّام قد توصّل إليه في رسالته عن الهندسة ، التي ألّفها عام (١٠٧٧م) فضلاً عمّا عُرفَ بعد قرون بمثلّث باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢) وجملتيّ نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧) بل أنّ الخيّام شكّك في ثبات الأرض وكونها محوراً للكواكب الأخرى ؛ إذ بيّن لتلاميذه بإحدى

التجارب مستخدماً شمعة (تمثّل الشمس) التي تدور حولها الأرض والكواكب الأخرى ، التي مثلها بأشياء أخرى. وبذلك طرح مبكّراً رأياً مخالفاً لجميع علماء عصره ! هذا بالإضافة إلى حلّ معادلات الدرجة الثالثة وإصلاح التقويم الإيراني «

على الـ (صص ٧٣- ٧٨) : يتطرّق زنكَابادي إلى ظهور ومنشأ (فن الرباعي) وماهيّته وجذوره الضاربة في الشعر الإيراني قبل الإسلام ، عبر استخلاص استقصاءات الباحثين المعنيين ومنهم : سيروس شميسا ، محمد نورالدين عبدالمنعم و إسعاد عبدالهادي قنديل.. ويستنتج أن الرباعي فن شعري إيراني أصيل ، وليس هو بصيني ولا بعربي ، وإنما ذو وشائج مع (الفهلويات = الدوبيت) التي تضرب جذورها في (الآفيستا) ويؤكّد على ان رودكي سمرقندي (ت : ٩٤٠ م) مرسّخ هذا الفن ، وليس مدشّنه الأوّل ، كما هو شائع ؛ فقد سبقه شعراء آخرون : صايغ بلخي (؟!) ، شقيق بلخي (ت : ٧٩٠ م) ، بايزيد بسطامي (ت : ٨٧٤) ، شهيد بلخي (ت : ٩٣٦) ويشير إلى أبرز شعراء الفهلويات والرباعيّات من القدامى والمحدثين ، وعلّة اختيار الخيّام لقالب الرباعي ، وتفرّده المضموني خارج دائرة أغراض الشعر التقليديّة...وقد شخّص زنكَابادي مسيرة الشعر الإيراني : « عموماً تتمرحل نشأة وصيرورة الشعر الإيراني وبصورة أساسيّة بـ (الملحمة) في عصر الفردوسي ، و(الرباعيّات) في عصر الخيّام ، و(المثنوي) في عصر مولانا جلال الدين ، و(الغزليّة) في عصر حافظ الشيرازي ، مع التداخلات الملحوظة والمضمرة في جميع هذه العصور»

على الـ (صص ٧٩-٩١) الخيّام في اللغة العربيّة : يعتقد الباحث جلال زنكَابادي أن ّ الشاعر نظام الدين الأصفهاني (ت: قبل١٢٨١م) هو أوّل من ترجم إلى اللغة العربيّة إحدى رباعيّات الخيّام المثيرة للجدل الفلسفي، وهي البادئة بالشطرة :

« دارنده جو تركيب جنين خوب آراست»

- « الصّانعُ إذ أحسـن في التركـيبِ لم يُخرِجْ نظـمَـه عن الترتـيـب

إنْ سـاءَ ؛ فمنْ أحـقّ بالتـثريـبِ أو أحسنَ ؛ ما الحكمةُ في التخريبِ؟

ثمّ ردّ عليها بأربع رباعيّات باللغة العربيّة ، منها :

ما لـلخيّـامِ لـجَّ في التأنيـبِ للخيمةِ قوّضـوا لدى التطنـيـب

لابدّ لـذي الخِيـام أنْ يقلـعَها مـهما حـفـر الجيـوشُ للتشـريب

وقد يكون الشيخ البهائي (بهاءالدين محمد العاملي ، صاحب الكشكول) (١٥٤٦- ١٦٢٢م) وهو من المتأثرين بالخيّام، قد يكون التالي ، إذ ترجم رباعيّة الخيّام البادئة بالشطرة:

«كَاويست در آسمان و نامش بروين ....»

« وثورين حـاطا بهذا الورى فثور الثريّا وثـور الثـرى

ومـن تحت هـذا و مـن فـوق ذا حميرٌ مسرّحـةٌ في قـرى!»

أمّا الآن (حسب استقصاء الباحث زنكَابادي - فثمة مئات المقالات والدراسات المؤلّفة والمترجمة ، التي تتناول الخيّام ورباعياته، بالإضافة إلى (أكثر من ٧٠ ترجمة كاملة

وجزئية للرباعيات الخيّاميّة) أشهر ترجماتها المنظومة إثنتان ، وهما للشاعرين : احمد رامي (١٨٩٢- ١٩٧٨) واحمد الصافي النجفي لكن أفضل الترجمات المنظومة (حسب اطّلاعي ومقارناتي مع المتن الفارسي) ثلاث وهي للشعراء العراقيين : احمد الصافي النجفي (١٨٩٧-١٩٧٧) ، عبدالحق فاضل (١٩١١- ١٩٩٢) و صالح الجعفري (١٩٠٨- ١٩٧٩) فترجمة رامي تسمو بشعريّة وغنائيّة باذختين ، لكنها تفتقرجدّاً إلى الأمانة والدقة في استحضار المحتوى ، أمّا ترجمة الصّافي النجفي فتضاهي بجودتها أفضل الترجمات الشرقية والغربية ؛ بحيث علّق عليها العلاّمة الإيراني (صدر الأفاضل) مخاطباً النجفي (بمبالغة فاضحةً !) : « أكاد أعتقد أن الخيّام نظم رباعيّاته بالعربية والفارسية معاً، وقد فُقِدَ العربي منهما، فعثرت عليه وانتحلته لنفسك ! » بل وقال بهار ملك الشعراء :- « إن بعض التعريب مع كونه مطابقاً للأصل جدّاً ، فهو يفوقه من حيث البلاغة والأسلوب (....) » في حين أنّ ترجمة الجعفري تضاهي ترجمة النجفي، بل تبزّه في الدقة في مواضع كثيرة ، ناهيكم عن ترجمة أكبر عدد من الرباعيّات المنسوبة إلى الخيّام (٤٣٥) بضمنها (٦٠ رباعيّة أصيلة) في حين ترجم رامي عدداً قليلاً من الرباعيّات الأصيلة ، ضمن مجموعته الـ (١٦٨) بل حتى النجفي لم يترجم سوى القليل من الرباعيّات ضمن مجموعته الـ (٣٥٢) ! وتجدر الإشارة هنا إلى الترجمة المنظومة للشاعر محمد صالح القرق (٢٠٠ رباعيّة ، أقل من ربعهاأصيل !) وهي ترجمة مترهّلة ومحشوة حشواً؛ بحيث استحالت كلّ رباعيّة فارسيّة (ثمانيّةً ممطوطة) تضاعف فيها عدد المفردات ، وبهتت وضاعت مضامينها الخيّاميّة ! وكان المفروض بهذا الشاعر والمترجم القدير، المنعكف منذ عقود على دراسة رباعيّات الخيّام ومايتعلّق بها في اللغات: العربيّة ، الفارسيّة ، الأورديّة والإنكليزيّة ، أن يتجاوز أغلب سلبيّات الترجمات المنظومة واللامنظومة السّابقة »

ثمّ أكّد زنكَابادي : « لايخلو حتى أكثر من نصف رباعيّات الترجمات المنظومة الجيّدة من هنّات وزلاّت في فهم معاني متون العديد منها، ومن الحذف والحشو والتحوير حد الإبتعاد كثيراً عن أصولها الفارسية ، بل والفصام أحياناً! كما لو انها رباعيّات منظومة تحت تأثير الخيّام ! ولذا فهي مضلّلة لاتجدي في دراسة أفكار الخيّام والحكم على فلسفته ، كما لاتجدي للترجمة عنها (كوسيطة) إلى لغات أخرى ، ولو تُرجِمَت إلى الفارسيّة (دون تنويه) ؛ لما تعرّف الإيرانيّون على (٢٥٪) منها بصفتها رباعيّات خيّاميّة !

حقاً ما أشبه أغلب الترجمات المنظومة بسرير بروكروست ؛ مادام المترجم الملتزم بالقريض يحدوه همّ انجاز « كلام موزون مقفّى يفيد معنى» في لغته المستقبلة ، أمّا مدى دقة نقله لمعنى المتن الأصلي ، فهو ثانوي في عرفه ! وطالما يضطرّ المترجم ؛ من أجل عيون الوزن والقافية إلى استخدام مفردات موحشة وحتى مقرفة مثل : (قرقف) و(صرخد) ، (خندرس) ، (عقار) ، (ترياق) و (جريال) بدلاً عن : خمر، راح ، شمول ، صهباء ، حميّا و مدام..كما فعل الصافي النجفي وعبدالحق

فاضل .. »

ويسترسل زنكَابادي في توضيح مقصده أكثر : « فمن الجليّ أنّ الشعر المنظوم يشتمل على ثلاثة عناصر أصليّة (المبنى والمعنى والموسيقى المتواشجة مع المبنى) والتي تتعذّر ترجمتها (أي العناصر الثلاثة) معاً إلى اللغة المستقبلة في كلتا الترجمتين المنظومة واللامنظومة؛ ولذا على المترجم أن يكون (من قبل ومن بعد) وفيّاً في نقل المحتوى(المعنى/ المضمون) بدقّة ، وإلاّ لن تتحقّق ترجمة مرضيّة (دقيقة قريبة جدّاً من المتن ، إن لمْ تكن مطابقة حرفيّاً) مادامت اللغات ذات خصوصيّات بنيويّة وثقافيّة مختلفة. وهذا يعني أنّ على المترجم (حتّى لو كان شاعراً في إحدى اللغتين المرسلة والمستقبلة ، لا بل حتى في كلتيهما) ألاّ يتعسّف في فرض الوزن والقافية على الشعر المترجم، بل يتركه حرّاً ، لربّما تتحقّق ترجمات منظومة أو مسجوعة في حالات استثنائيّة بصورة تلقائيّة وعفويّة ، تبزّ الترجمات المتعسّفة التي تطغى عليها سمات لغة الأراجيز التعليمية الجافة ، والتي يشوبها التكلّف والتصنّع والتحذلق. ولنا أسطع دليل في الترجمات المنظومة للأساتذة : حسين مجيب المصري، علي منصور والعديد من مترجمي رباعيّات الخيّام نظماً...»

وبعدها يذكر الباحث زنكَابادي بضع ترجمات جيّدة غير منظومة عن الفارسيّة (وهي تُدعى بالمنثورة إجحافاً) ومنها ترجمات : احمد حامد الصرّاف (٢٠٠ رباعيّة) و الدكتور محمد نورالدين عبدالمنعم (١٧٨رباعيّة) والدكتور محمد غنيمي هلال (٢٣ رباعية) »

أمّا أفضل الترجمات المنظومة عن الإنكَليزيّة ، في رأيه ، فهي ترجمة وديع البستاني ، وأفضل الترجمات اللامنظومة عن الإنكَليزيّة هي ترجمة الدكتور بدر توفيق »

ومن ثمّ يتطرّق زنكَابادي إلى فتوى بخصوص الخيّام : «..لقد استوقفتني على صفحات (www.alkashf.net) فتوى تكفيريّة غرائبيّة للشيخ محمد صالح المنجد، والذي يكفّر فيها الخيّام مع الشيخ ابن سينا(ضمناً) ؛ إستناداً إلى بضع رباعيّات دخيلة حصراً، بل بترجمة لايعوّل عليها في هكذا مقام حسّاس ، غافلاً عن أو متجاهلاً تآليف الخيّام الأخرى ! وفي كلّ الأحوال يجب أن نأخذ في الحسبان بإنّ للشعر، حسب رأي إليوت ، مهمّته الخاصّة ، وهي « ليست فكريّة ، وإنّما عاطفيّة » أي» ليس الشعر بديلاً عن الفلسفة ، أو اللاهوت ، أو الدين « حتى نتصدّى له بالفتاوى ، وقصدي ليس الشعر أصلاً مضماراً لإطلاق الفتاوى بحقه...ولو كان الشيخ المنجد قد اطّلع (في الأقل) على كتاب الدكتور الحفني ؛ لما أطلق فتواه (المبنيّة على جهل مدقع) من عقالها !»

ويضيف زنكَابادي : «...هذه الفتوى وأمثالها تضرّ أكبر الضرر بجوهر مبادىء الإسلام الحنيف، وتشوّه صورته الحقيقيّة النّاصعة ، ناهيكم عن التفريط بعالم وفيلسوف وأديب إسلامي عظيم كالخيّام مفترى عليه قديماً وحديثاً »

على الـ (صص ٩٣- ١٥٧) جدل لاينتهي : لئن توخّى الباحث والمترجم جلال زنكَابادي غربلة الرباعيّات المنسوبة إلى الخيّام لفرز الأصيلة منها عن الدخيلة (المنحولة والمدسوسة)

ثمّ ترجمتها من جديد إلى اللغتين العربيّة والكرديّة ، ومن ثمّ إعادة بناء ديوان الخيّام الأصيل ؛ فقد بذل جهوداً مشهودة في البحث والتحقيق في مسعاه الرامي إلى هدفه المقصود عبر سائر أبواب الكتاب ، لاسيّما في حواشي الرباعيّات والقطع الشعريّة وهذا الباب وأكّد قائلاً في استهلاله : « يقيناً يمكننا الآن إثر شبه التحقيق السّالف حول رباعيّات الخيّام ، التي تُعَدّ أصيلة بإجماع أغلب الخيّاملوجيين المتبحرّين ؛ يمكننا أن ندرك جسامة الإفتراء على الخيّام ؛ مادامت حتى رباعيّاته الأصيلة الـواردة في أقـدم المظان الرصينة ، القريبة إلى عصره ، قد اختلفت رواياتها، وطالتها التحويرات، ونسب بعضها إلى هذا الشاعر أو ذاك ، بل أنّ هناك رباعيّات نسبت إلى شاعرين وأكثر ! فكيف الحال مع الرباعيّات التي وردت في مظان لاحقة ، حيث اختلط الحابل بالنّابل في غابة مكتظة بأكثر من ألف رباعيّة دخيلة (منحولة ومدسوسة) ؟ ! وإذا بنا حيارى أمام لغز غامض هو الخيّام بسبب كلّ هذه الرباعيّات ، ولكن الباحثين والمحققين والنقاد لمْ يقفوا مكتوفيّ الأيـدي، وراحـوا يبحثون ويحققون ويعلّلون ؛ فالأستاذ الدكتور محمد جعفر ياحقي يقول : « يلف الغموض سِيَر وأشعار الكثير من الشعراء والمفكّرين ، ولكن لأنّ الخيّام كان معروفا أكثر كعالم في الرياضيّات وغيرها ، وربّما لم يبتغ أن يعرف كشاعر ؛ فقد تضاعف الغموض الـذي يلف سيرته وشعره. كان الخيّام يقرض أشعاره لنفسه ، ولمْ يتردد طوال حياته على محافل الشعراء ؛ ولذا لمْ تنتشر أشعاره إلاّ بعد مماته بعشرات السنين » ليس هذا التعليل بكافٍ ؛ إذْ يجب أن نضيف بأن المضمون الفلسفي لرباعيات الخيام و تعصّب الفقهاء حالا دون معرفة الخيام في زمانه كشاعر إلاّ من قبل أصدقائه الخلّص المقربين، ولذا انتشرت رباعياته بعد وفاته تدريجياً. وثمّة غموض آخر يتعلّق بالرباعيّات نفسها ، يقول عنه الباحث المعروف بهاءالدين خرمشاهي : « للنصوص الفنّيّة الراقية جانبان وأكثر من المعنى الحرفي ، وهذا بمثابة قاعدة كبيرة ، فمن هذه المعاني ما هو حرفي وينجلي بالتفسير، ومنها ما هو عميق ؛ يستوجب التأويل لاستكناهه ، وليست رباعيّات الخيّام مستثناة عن هذه القاعدة »

ومن هنا فقد دار و لمّا يزل جدل كثير وطويل حول سيرة الخيّام ومؤلفاته ، لاسيما رباعياته ومضامينها، والتي تضاربت الأقوال في تحديد عددها تضارباً كبيراً، بل حتى في ضبط صيغ أكثر الرباعيّات الأصيلة ونسبتها إلى الخيّام ، كما يتجلّى في تحشية ترجمتنا ؛ استناداً إلى ما توصّل إليه بضعة محققين متبحّرين إيرانيين ؛ مادام « أهل مكّة أدرى بشعابها » ومن أبرزهم : صادق هدايت (١٩٠٣- ١٩٥١) ، محمد علي فروغي (١٨٧٨ - ١٩٤٣) ، قاسم غني (١٨٩٨- ١٩٥٢) ، علي دشتي (١٨٩٦- ١٩٨٢) ، جلال الدين همائي (١٨٩٩- ١٩٨٠) ، محسن فرزانه و رحيم رضا زاده ملك (١٩٤٠- ٢٠١٠) وآخـرون ورد ذكرهم في حواشي ترجمتي وتضاعيف هذا الكتاب ، والذين توصّلوا إلى كون ديوان الخيّام الأصيل/ الحقيقي على حدّ القطع واليقين لايتعدّى الـ (٧٠ رباعية وبضع مقطوعات شعرية بالعربية والفارسية)

ويمكن في أقصى الأحـوال إضافة نحو ضعفيّ عدد الرباعيّات الأصيلة على سبيل الإحتمال ، لا اليقين ، في حين نسّبت إلى الخيّام أكثر من ألف رباعيّة منحولة ، حتى بلغ عددها قرابة (١٣٠٠ رباعية !) بل صرّح الباحث والمحقق الإيراني الدكتور محمد جعفر ياحقي أخيراً أنّ عدد الرباعيّات المنسوبة إلى عمر الخيّام يبلغ أكثر من عشرة آلاف رباعيّة ! وأضاف : « ولكنّنا لانستطيع أن ننسب إليه جزماً حتى عشرها » بل « ليس ثمّة مَنْ يجرؤ على القسَم بمقدّساته أنّ هذه الرباعيّة أو تلك هي لعمر الخيّام يقيناً !» ويؤكّد المستشرق آربري (١٩٠٥-١٩٦٩) هذا الرأي بتعبير آخر ؛ ألا وهو تعذر اليقين القاطع بتنسيب أيّ رباعيّة إلى الخيّام ، رغم انّه يعتقد أنّ الخيّام قد خلّف مالايقلّ عن (٧٥٠ رباعيّة). وقال المستشرق نيكلسون (١٨٦٨- ١٩٤٥) ما فحواه : لو عاد الخيّام نفسه إلى الحياة ؛ لاحتار وعجز عن فرز رباعيّاته الأصيلة عن الركام الهائل للرباعيّات الدخيلة !» ويمضي الباحث زنكَابادي في استقصاءاته وتبيان تعليله لظاهرة التنسيب بالغلط والدسّ قائلاً : «هناك المزيد من الرباعيّات المنحولة (الدخيلة والمدسوسة) وهي أكثر من ألف رباعيّة منسوبة إلى عمر الخيّام بحسن النيّة وسوء الطويّة كليهما، حيث نظم الكثير من الشعراء والمتشاعرون والشعارير، من شتى المشارب ولشتّى الدواعي » وكانوا ربّما من أهل الفلسفة ، أو من اللاأدريين ، أو الشكّاك ، أو الملحدين ، وبعضهم ربّما كانوا من المُجّان وأرادوا التغنّي بالخمر والهوى ، أو قد يكونون من المتصوّفة الذين أعجبتهم الرباعيّات الخمريّة ، وأوّلوها تأويلات تعجبهم ؛ فنسجوا على منوالها ، أو ربّما كانوا من الزّهّاد؛ فألّفوا على طريقة الخيّام رباعيّات تزدري الدّنيا وتحطّ من شأنها. وكلّ ذلك قد إختلط برباعيّات الخيّام نفسه ؛ حتى لاندري ما له وما ليس له ، وأُدرجت ضمن رباعيّاته كلّ رباعيّة شاردة لم يُعرَف لها صاحب ، أو كان صاحبها مغموراً واعتبرت مجهولة النسب ؛ فأُلحِقت بالخيّام ، وتلك جريمة النسّاخ ، الذين لمْ يفوّتوا شيئاً ممّا يمكن أن يُنسب إليه ، وحرّفوا بعضها...» على حدّ تشخيص الباحث الجليل عبدالمنعم الحفني . وبالطبع أنّ أكثر الرباعيّات المنحولة مبتذل وتافه ، وبالأخص أغلب الرباعيّات (الكفريّة) و (الإباحيّة) ، ناهيكم عن تدوينها وإسنادها من قبل جامعين ونسّاخ أغلبهم جاهل لايفقه شيئاً من فن الشعر، أو سيّيء الطويّة ؛ حتى بات الفرز بين الأصيل والدخيل شبه مستحيل . وتأكيداً لما سلف ؛ أعتقد أنّ ظاهرة التأليف والإسناد إلى الخيّام قد تفاقمت كردّ فعل مباشر حيناً وغيرمباشر حيناً آخر، في عهد الشاهات الصفويين ، الذين فرضوا التشيّع رسميّاً على جميع الإيرانيين ، ولمْ يتوانوا عن القتل الطائفيّ ، بمؤازرة فقهاء الشيعة (الوافدين من جبل عامل بلبنان والبحرين... وذراريهم) والذين صعد نجمهم وأضحوا في مصاف الإكليروس الأرستقراطي الإيـرانـي المتنفذ في السّلطتين الدينيّة والدنيويّة ، وبالضرورة رافق تنامي سطوة الفقهاء والمتفيقهين المركّزين على العلوم النقليّة والمرجّحين لها على العلوم العقليّة ، رافقه نبذ ، بل وقمع عنيف أحياناً للأدباء

والفلاسفة والصوفيين ؛ ممّا أدى إلى هجرة مئات الأدمغة الإيرانيّة الكبيرة إلى الهند وغيرها. ومن المفارقات التاريخيّة أن الثقافة باللغة الفارسيّة والفنون الإيرانيّة قد ازدهرت في العهد التيموري بالهند ، بينما تقهقرت وتحجّرت وانحطّت في إيران على مدى بضعة قرون ، حتى نهضتها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولقد وصف أحد شهود ذلك العصر وهو عبدالواحد الكَيلاني أولئك الفقهاء والمتفيقهين المتملّقين للحكّام بـ « أنّ أكثرهم لصوص وكذابون لايهدفون إلاّ إلى الشهرة والمنفعة الماديّة » ومن المعروف « أنّ جدالاتهم وغوصهم في سفاسف الأمور الفقهيّة ؛ إنّما كان تغطية على عدم اكتراثهم برسالة الإسلام الأساسيّة » على حدّ قول كولن تيرنر. وهذا ممّا يعلّل أيضاً تناسل وتكاثر الرباعيّات المنحولة (الكفريّة والخمريّة والإباحيّة المبتذلة بالأخص)عهدذاك ، والمنسوبة افتراءً وظلماً إلى الخيّام «

ويستطرد زنكَابادي : « مع كلّ ما سلف ؛ فقد تصدّى للمهمّة الصعبة محققون وباحثون غيارى كثيرون ، وتمكنوا خلال أكثر من قرن من الدراسة والبحث أن يتوصّلوا إلى حلّ تقريبي غيرحاسم لهذه المعضلة العويصة.

وبالإضافة إلى التعليل السّالف لهذه المعضلة التي ماتزال قائمة لحدّ الآن ؛ يجب ألاّ يغيب عن البال أنّ جميع مخطوطات رباعيّات الخيّام الأصليّة وأغلب المصادر المخطوطة من تذكرات وسفائن وكشاكيل شعريّة (قد أصبحت في خبر كان) عند تعرّض إيران ، وخاصّة نيسابور للغزو والإحراق على أيدي المغول والتتر...

وتناقلت الألسنة رباعيّات الخيّام حتى دخلها التحوير والتبديل..وتعاقب عليها النُسّاخ ؛ فغيّروا الكثير من معالمها..ودسّوا فيها من شعر غيره ، وأثبتوا له من القول ما بريء منه لسانه ، كما أشار الشاعر والمترجم احمد رامي. وهكذا ضاع الكثير من رباعيات الخيّام ، ولم تسلم البقيّة من سوء نوايا النسّاخ وعبثهم وجشعهم ، كما أسلفنا ؛ فقد أضاف بعضهم إليها الكثيرعلى هواهم ، وحذفوا مالايروق لمزاجهم وعقائدهم ، ناهيكم عن تكثيرعدد الصفحات ؛ ليدرّ عليهم المزيد من النقود والخلع من لدن الملوك والأمراء والسلاطين... أمّا الشعراء والمتشاعرون والشعارير الجبناء ؛ فكان أغلبهم لايتوانى في تنسيب رباعياته الكفريّة والإباحيّة ، التي يخشى من عواقبها إلى الخيّام ، شأنهم في ذلك شأن بعض اللؤماء والخبثاء ، الذين راحوا يلفقون على لسان الخيّام ما يشوّه صورته الفكرية الحقيقية ، وبهذا الخصوص يستوقفنا صادق هدايت بتعليقه الذّكي : « لو عاش إمرؤٌ قرناً ، وما انفكَّ يغيّر آراءه ومعتقدانه مرّتين يومياً ؛ لما استطاع أن يعبّر عن كلّ هذه الآراء المتباينة » وعليه لاعجب إن صرّح الباحث الإيراني محمد علي اسلامي ندوشن : « أعتقد جازماً أن رباعيات الخيّام الأصيلة لايتجاوز عددها ست عشرة رباعية » ! وإنّما العجب العجاب أيضاً في آراء بعض الباحثين الإيرانيين والأجانب الذين ينكرون كون عمر الخيّام العالم شاعراً، ومنهم المستشرق الألماني هانس شيدر(١٨٩٦-١٩٥٧) والذي صرّح في مؤتمر الإستشراق في بون (سنة ١٩٣٤) بكلّ يقين : « إنّ الحكيم

والعالم الرياضي عمر الخيّام لمْ ينظمْ أيّ شعر يُذكَر، وإن هذه الرباعيّات المنسوبة إليه، هي صورة من الشعر الباطني، الذي راج في عهد سيطرة المغول ، وشاع فيه الفساد في عهد حكم السّلاجقة؛ ولذا آن الأوان لحذف اسمه من تاريخ الأدب الإيراني « ! وهنا نتساءل مع صادق هدايت تساؤلاً فحواه : - حسناً ، لو ننفي تنسيب هذه الرباعيّات (وأقصد الأصيلة منها، والتي بلغت لحدّ الآن أكثر من ٧٠) إلى عمر الخيّام ؛ فإلى من ترى ننسبها ؟ ! فـ « لابدّ من وجود خيّام آخر معاصر له، وربّما أعلى منه مقاماً علميّاً ؛ فمن هو؟ ولماذا لايعرفه أحد ؟ ! « ولي أن أضيف بهذا الخصوص : - إذا لمْ يكن الخيّام العالم والفيلسوف شاعراً ، بل شاعراً كبيراً خلّف فعلاً (١٥٠- ٢٠٠ رباعيّة) على الأقل ؛ فهل كان يؤثر كلّ هذا التأثير الملحوظ في العديد من الشعراء الكبار وغيرهم اللاحقين ، وبعضهم يذكره بالإسم ، ناهيكم عن ذكره شاعراً مع نماذج من رباعيّاته وقطعاته الشعريّة في عدد من المصادر القديمة المعتبرة ؟ !

لقد أرّقت معضلة اختلاط الرباعيّات الأصيلة والدخيلة كبار الخيّاملوجيين في إيران والعالم أجمع « وإنّا لنجد أنفسنا أمام صعوبة شديدة في فرز واختيار الأصيل من هذه الرباعيّات ، ونبذ الدخيل وهو أكثر من ألف رباعيّة ؛ لأن الرباعيّات تتفق في الأسلوب والصياغة والعروض . ويزيد هذه الصعوبة أن كل رباعية قائمة بذاتها..وأنها لايجمعها تسلسل فكرة أو إضطراد تصوير ، وأن المعاني المودعة فيها كثيرة التكرار..وأن الفرق طفيف بين اللغة الفارسية في عهد الخيّام وبينها بعد موته. ولسنا نعرف الكثير عن حياة الخيّام أو نجد شيئاً من آثاره الأدبية الأخرى ؛ لنستدلّ به على فهم شخصيته أو نستعين به على ما غمض من الرباعيّات « كما أكّد احمد رامي . ومع ذلك لم يستكينوا ، وإنما حاولوا ببحوثهم ودراساتهم المستفيضة أن يغربلوا الركام الهائل من الرباعيات المنسوبة الى الخيّام ؛ بغية فرز وحصر الرباعيات الخيّامية الأصيلة – الحقيقية ، ومن أبرزهم : الروسي فالنتين زوكوفسكي ، الدانماركي آرثر كريستنسن (١٢١ رباعيّة) ، الألماني فردريش روزن (٣٢٩ رباعيّة) والعديد من البحّاثة الإيرانيين ، ولعلّ رائدهم الأبرز في هذا المضمار هو الأديب الألمعي صادق هدايت في دراسته المستفيضة عن شعر الخيّام وفلسفته وتحقيق رباعيّاته واختيار (١٤٣رباعيّة) في كتابه المنشور عام ١٩٢٤ برغم ما يؤاخذ عليه ؛ لتصويره الخيّام نهلستيّاً وملحداً وابيكوريّاً. ومن بعده أفلح الباحثان المتبحرّان فروغي و غني في هذا المسعى (١٧٨رباعيّة) ثمّ تلاهما آخرون (يرد ذكر أهمّهم على صفحات هذا الكتاب هنا وهناك...) ومنهم : علي دشتي (٧٤ رباعيّة) ، جلال الدين همائي ، محمد مهدي فولادوند (١٥٥ رباعيّة) ، محسن فرزانه (٥٤ رباعيّة) ، واحمد شاملو الذي اختار (١٢٥رباعيّة) للخيّام بصفتها أصيلة ، وألقاها أيضاً بصوته إلقاءاً فنيّاً ، وهو مسجّل على الأشرطة ، وأخيراً وليس آخراً رحيم رضازاده ملك (٥٧ رباعيّة) وطبعاً من المتعذّر في هذه الفسحة عرض كامل استقصاءاتهم وطرائقهم البحثية

واستنتاجاتهم المتعلّقة برباعيّات الخيّام الأصيلة والدخيلة والمدسوسة باستفاضة تفصيليّة ؛ وإنّما ارتـأيـت تقديم موجز مضغوط لـ (في البحث عن رباعيّات الخيّام) للمحقق والباحث الكبير علي دشتي (؟ ١٨٩٦-١٩٨١م) من مباحث كتابه القيّم (دمى با خيام = وقت مع الخيام) إستناداً إلى متن المبحث بالفارسيّة وترجمته العربيّة الجيّدة والمحشّاة من قبل الباحث القدير الأستـاذ الدكتور يوسف حسين بكار، الذي قيّم كتاب دشتي بصفته « أفضل المؤلفات العلمية التي عرضت للخيام ورباعياته ؛ لأن صاحبه عني ، بمنهج علمي دقيق ، عناية قصوى بالبحث الجاد عن السمات الحقيقية لعمر الخيام ومحاولة الكشف عن رباعيّاته الأصلية وتحديدها ؛ لكثرة ما قيل في الخيام ، وما أضيف اليه من ترهات وأساطير، ونسب اليه من رباعيات غطت على الرباعيات الأصلية، التي يظن أنها قليلة جداً، وحجبتها حتى أضحى (فرزها) واستخراجها من بين هـذا الـركـام الهائل من الرباعيات المنسوبة مشكلة من المشكلات وأمـراً عسيراً يحتاج إلى الكثير من الأدلة التاريخية والقرائن العلمية والموازنات الأدبية ، وإلى سبر أغوار روح عصر الشاعر سبراً دقيقاً »

وبالضرورة لمْ أكتف بالمبحث المذكور، بل استعنت بكلّ معلومة مهمّة ظفرت بها هنا وهناك بهذا الخصوص ؛ لتطعيمه واستكمال استقصاءاتي الواردة هنا وفي تحشية ترجماتي للرباعيّات والقطع الشعريّة الأصيلة للخيّام. ولابدّ من الإشـارة إلى قصوري المتمثل بعدم حصر أكثر أقوال العلاّمة دشتي بين قوسيّ التنصيص «..........» وحصر بعضها دون ذكر اسمه ؛ وعذري هو اختصاري لبعضها وصياغة أبعاضها الأخرى بأسلوبي مع إضافة المعلومات التي ظفرت بها هنا وهناك، وترجمة الشواهد الشعريّة مـن جـديـد، وعسى أن يشفع لي الإعتراف بأنّ أكثر المعلومات المتعلّقة بأبحاث: زوكوفسكي ، كريستنسن، الدكتور روزن وبيير باسكال.. مستقاة من مبحثه المذكور، ومن بعض الهوامش والإشـارات القيّمة للباحث الجليل الدكتور يوسف بكّار»

ثمّ يعرض الباحث زنكَابادي ويناقش ويقيّم بشموليّة وتكثيف صنيع وإنجـازات بضعة خيّاملوجيين بارزين من الأجانب والإيرانيين بهذا الخصوص ومنهم: ادوارد فيتزجيرالد (١٨٠٩- ١٨٨٣) ، المستشرق الروسي فالنتين زوكوفسكي (١٨٥٨- ١٩١٨)، جلال الدين همائي ، المستشرق الدانماركي آرثر كريستنسن (١٨٧٥-١٩٤٥)، المستشرق الألماني فردريش روزن (١٨٥٦-١٩٣٥)، المترجم والباحث الفرنسي بيير باسكال ، الباحث محمد علي فروغي ، الدكتور قاسم غني ، علي دشتي ، الباحث محسن فرزانه ، رحيم رضازاده ملك والشاعر والباحث سيّد علي مير افضلي (تولّد ١٩٦٩) .

على الـ (صـص ١٥٩- ٢١٠) سمـات شعريّة الرباعيّات والترجمة والتأثير: يعلّل الباحث زنكَابادي تعويل الخيّام على اختيار قالب الرباعي ؛ لكونه عالماً مستغرقاً في شؤون العلوم النظريّة وتطبيقاتها العمليّة ، ثمّ يتطرّق إلى خطاب الخيّام الشعري وكيف انه في غاية الصراحة والفصاحة ،إلاّ ماندر، بل إن تمحيص رباعيّات الخيّام الأصيلة ومقطوعاته

الشعريّة العربيّة والفارسيّة يُجَلّي ويثبت أن الخيّام ليس أبانؤاس ولا عمر بن أبي ربيعة ، بل ولا حتى المعرّي . أجلْ ، ليس الخيّام بشاعر غـزل ونشيب ولا غـرام ولا إباحة ، ولامجـون ولاعـربـدة ولاداعـيـة للامبالاة وإدمـان الخمر والمـخـدّرات ، وحتى تشاؤمه ليس بمطلق . ولقد ثبت لحد الآن بطلان نسبة مئات الرباعيّات الخمريّة والكفريّة والإباحيّة إليه. ويشير إلى أبرز سمة لرياعيّلت الخيّام ، ألا وهي (الإستعارة) ، لاتخلو كثرة من رباعيّاته منها بصفتها « تقنية لغوية تعني المقابلة بين شيئين مختلفين بالمقارنة بينهما » كما يرى مارتن نك ، وهي تختلف عن تقنية التشبيه الذي يستلزم أدوات التشبيه : (ك ، مثل ، كأنّ ...) حيث تنشأ المقارنة بصورة مباشرة . وتعدّ الإستعارة الركيزة التي يقوم عليها الشعر الجيّد ، ويحتوي شعر الخيّام على استعارات مألوفة شائعة ، وهي منبثقة من منظور الخيّام الفلسفي إلى الأشياء ، ألا وهو منظور الأنسنة ؛ فـ « ليس ثمّة شيء في نظره مجرّد شيء ، وإنّما هو في قلبه إنسان استحال في صورة شيء. وهنا تكمن طبيعة فن الإستعارة في شعره « على حدّ تشخيص مارتن نك ، ولنا أوضح مثال في (الكوز) الذي يحيا في العديد من الرباعيّات كبدن إنسان مصغـّر(بكلّ أعضائه) فضلاً عن أحاسيسه وأفكاره ونطقه !

وبطبيعة الحـال تنبثق أغلبيّة عناصر تشبيهات الخيّام واستعاراته وكناياته الشعريّة من ثقافته العلميّة (الهندسيّة والفيزيائيّة والكيميائيّة والفلكيّة...) والمثيولوجيّة والدينيّة ؛ فمثلاً : يستعير (الـدائـرة) رمزاً للحياة ، ويوظف عناصر الطبيعة الفيزيقيّة والنجوم والكواكب وغيرها ؛ لتجسيد أحاسيسه وأفكاره... وهنا لابدّ من الإشارة إلى نقطة لمْ ينتبه إليها أغلب مترجمي رباعيّات الخيّام ، ألا وهي استخدام الخيّام لمفردات تنمّ عن الطابع الإيراني، بل عن إيرانيّته (نزوعه الوطني) رغم تشبّعه بالثقافة العربيّة / الإسلاميّة ، وهي المفردات التي تجسّد خصوصيّة تضاريس رباعيّاته ، و تستوجب مراعاة الدقة عند الترجمة ؛ وإلاّ فإنّ شعره يفقد خصوصيّته الخيّاميّة / الإيرانيّة ، بل ينمسخ ! ومن تلك المفردات : (إيزد ، يزدان) في الزردشتيّة ، فهما لاتتطابقان مع مفردتيّ (خُـدا) الفارسيّة و(الله) العربيّة ، وإنّما مع مفردتيَ (إله) و (رب) و كذا الحال مع مفردة (جَنْك = harp - آلة موسيقيّة وتريّة شبيهة بالقيثارة البابليّة ، وهي تعزف باليد) فهي ليست بـ (صنـج) ولا(ربـاب) كما ترجمها أغلب المترجمين ! ومفردة (نـوروز) اليوم الأوّل من كلّ سنة جديدة ، والعيد القومي للإيرانيين ، في حين ترجمها الكثيرون بمفردة عامّة (الربيع) وهي فاقدة لأيّ خصوصيّة ، وكذلك مفردة (فلك) التي غالباً ماترجموها بـ (السّماء) وكذلك (الكوز الكاشي/ الكاشاني) وحتى أسماء الأعلام : (جمشيد ، بهرام ، برويز، كيقباد ، فريدون و كيخسرو...) وأسماء المدن : (بلخ، بغداد و طوس) حتّى مفردة (بـام) التي تجمع بين معنيين (السطح) و (الصبح) فكلّها ذات أبعاد ودلالات خاصّة تضرب جذورها في التاريخ الأسـطـوري وغـيرالأسـطـوري لإيـران ، وفي الميثولوجيا الإيرانيّة...وباستبدالها أو حذفها

تفقد الرباعيّات خصوصيّتها المضمونيّة الأصيلة.

ولكون أكثر المترجمين الذين ترجموا رباعيّات الخيّام نظماً (قريضيّاً) جهلة بحقيقة بنية الرباعي المتلاحمة مع محتواها ؛ فقد دمّروا بنى الكثير من الرباعيّات قالبين عاليها سافلها وبالعكس ؛ ممّا أدّى إلى تشويهها حتى مضمونيّاً ! ولئن وجب التوضيح ؛ سأوجز تحليل الدكتور لطف الله يار محمّدي الذي تناول منظومة فيتزجيرالد بهذا الخصوص تناولاً تطبيقيّاً ، وتوصّل إلى القول بفهم فيتزجيرالد لبنية الرباعي ، بغض النظر عن نسبة هذه الرباعيّة أو تلك للخيّام أو غير الخيّام.

تتكوّن بنية الرباعي مبنىً ومحتوىً (كقاعدة) من ثلاثة عناصر هي : (التوصيف ، التوصية والتعليل) ففي التوصيف : يصف الشاعر عادة مشهداً طبيعيّاً أو واقعة أو حالة حياتيّة ما. وفي التوصية : يوصي الشاعرُ المتلقّي (المخاطب) بالقيام بفعل ما ، أو اتخاذ موقف ما ، باستخدام (فعل أمر) على الأغلب. وفي التعليل : يعلّل الشاعر توصيته ببرهان أو دليل ما. وإليكم الرباعيّة الآتية على سبيل المثال ، علماً بأنّا سنورد (التوصيف) داخل القوسين المقرونين﴿ ﴾ و(التوصية داخل القوسين الحادّين( ) و(التعليل) بين الخطّين المائلين المتوازيين/ / :

- ﴿وقت سحراست﴾ (خيز اى مايهء ناز
نرمك نرمك باده خور و جنك نواز)
/ كاينها كه به جايند نپايند كسى
وآنها كه شدند كس نمى آيد باز/

- ﴿ها قدْ لاحَ السحرُ﴾ (فانهضْ يـاذا الدّلالْ
واعـزف على الجنكَ واشرب الهويـنى)
/فلـــنْ يدومَ بقـــاءُ امريءٍ ممّنْ هـهنا
ولــنْ يعـــودَ أيٍّ راحـلٍ ؛ فهـذا محـالْ/

ولئن لاتخلو أيّ قاعدة من استثناء ؛ فهناك رباعيّات يختلف تسلسل عناصرها ، أو تفتقد عنصراً ما ، أو يتداخل فيها عنصران ، أو يغلب عليها عنصر (التوصيف) أو تتضمّن عنصراً مضمراً ، ولاتسع هذه الفسحة أكثر من مثال يوضحّ عنصريّ التوصية والتعليل المضمرين تحت هيمنة عنصر التوصيف « ثمّ أكّد على « انّ الخيّام قد عزف في رباعيّاته عن أغراض الشعر التقليديّة : المديح ، الهجاء ، الغزل ، الرثاء...وعن القضايا الآنيّة وصغائر الأمور، التي كانت شاغلة لأكثرالشعراء ، كما انّه لمْ ينظم القصائد الطوال ، وإنّما انشغل بتصعيد معاناة الإنسان الوجوديّة في حيرته المؤبّدة ، وطرح أسئلته وتساؤلاته الكونيّة الجوهريّة والمصيريّة ، في قالب الرباعي ، وهي الأسئلة التي طرحتها آداب البشريّة وفنونها منذ ملحمة كلكامش الخالدة ، ببساطة لاتصنّع فيها ولاتزويق ولامحسّنات بديعيّة ، وفي غاية الإيجاز والإحكام والبلاغة. والملفت للإنتباه أنّ (أفعال الأمر ذات اللهجة غيرالفوقيّة) هي الطاغيّة على (عنصر التوصية) ومجمل الأفعال الواردة في رباعيّاته ، وبعضها يُعَدّ من فئة (الإلتفات = يُخاطب الآخر، ويعني نفسه) وهي توصيات نابعة من عمق ورحابة الحكمة المجرّبة للخيّام وثقته الوطيدة باختياره الموقف المناهض بفلسفته (الشاكّة) و(الهيدونيّة) لجحيم الواقع الذي

يسوده المـوت بأسبابه ومشتقاته المتوافرة ، بالعكس من وصايا المتفيقهين المنافقين ، الذين كانوا يخدعون معذبي الأرض بأضاليل وأغاليط تحثهم على تسويف طموحاتهم الدنيويّة المشروعة وانتظار النعيم الأخروي. ولئن كان الخيّام العالم والفيلسوف يدرك بعمق وشمول حقائق الحياة والموت ؛ فإنه كان يدعو في خطابه الشعري الإنسان أن يحيا بإباء دون استعطاف أحد. ورغم طغيان الفلسفة والحكمة على رباعيّات الخيّام تتسم برواء عجيب! »

وأكّد أيضاً على « ان ّ الخيّام لمْ يحاكِ بلغته الشعريّة لغة أيّ شاعـر مـن قبله ، وقد استخدم لغة بسيطة وسلسة ومـركّـزة ؛ للتعبير عن أحاسيسه وأفكاره . ولقد حاكاه لاحقاً شعراء كثيرون ، لكنّهم لمْ يفلحوا في تحقيق ماحققه الخيّام من بساطة آسرة في تبيان الأحاسيس والأفكار الإنسانيّة الجوهريّة ، فضلاً عن قدرته الفذّة ، التي قلّما تجارى ، في اختيار الألفاظ المناسبة جرساً ، للتعبير عن أحاسيسه وأفكاره بانسيابيّة لاتكلّف فيها ، ناهيكم عن بساطة تشبيهاته واستعاراته. ومن هنا ندرك علّة خلود هذه الرباعيّات ؛ فهي تكمن في انّ الخيّام لمْ يتغيَّ التشاعر بنظمها ، وإنّما كان يتغيّا توصيل محتواها الفكري العميق والرحيب والجريء ، بخطاب فصيح وبليغ جدّاً ، يتحاشى استخدام اللغة المعقدة ، العسيرة الفهم ، والتي يسودها التصنّع والتكلّف والتبهرج . ومن السمات الأخرى لشعريّة رباعيّاته طغيان الحـسّ المرهف والذوق اللطيف في استحضار وتجسيد مشاهد الطبيعة الخلاّبة بشتّى عناصرها : الشمس ،القمر، الغيم ، المطر ، الجدول ، الماء ، الريح ، النسيم ، التراب ، الغبار ، النّار، السّماء ، النجم ، الليل ، السَّحَر ، النهار، الخضراء ، الطير ، الورود وشذاها ، والألوان...وكذلك الطبيعة المصنّعة وغيرها : القصر، القبر، الطلل ، الخان ، اللبنات ، البستان ، الحان ، الدّن ، الكوز ، الأبريق ، الكأس ، الشراب ، الجنك وأنغامه... فأفلح الخيّام بمعجمه الشعري الصغير ودونما حذلقة واستطرادات مملّة ، في رسم مشاهد خلاّبة وآسرة زاخرة بحبّ الحياة ، مع التذكير بقصرها وبالموت المترصّد والمحتّم في أيّ لحظة ؛ من أجل إدراك آلاء الحياة والتمتّع بكلّ لحظة فيها ؛ وهنا تتجلّى أيضاً سمة المتانة والرصانة والجدّ ، إذْ ليس في الرباعيّات هزل ولامـزاح ولاهجو ولامديح...وإنّما فيض من الحكمة والعبرة ؛ حيث تدور الرباعيّات في مدارالتذكير بالموت المحتم وقِصَر الحياة مهما تطلْ وعـوادي الزمن ونفاق البشر ولؤمهم وعسف القدر والعيش بإباء ومحبّة وانتشاء بلاخوف ولا وجل من الموت المقدور العاجل أو الآجل... أيّ الإصرار على أن يحيا الإنسان رغم أنف الموت المتربّص وجور السّلاطين ووعاظهم المتفيقهين المنافقين المستحوذين على كلّ نّعم الحياة ، التي ينعتونها بـ (الجيفة والفانية) ، بينما يدعون عباد الله البؤساء والتعساء إلى الزهد والصبر في انتظار آلاء الحياة الأخرى الخالدة...كما لو أنّ الباري قد خلق البشر لمجرّد التعذّب والتألّم في الحياة وانتظار نعم الحياة الأخرى الآجلة ! »

هذا مايتعلّق برباعيّات الخيّام الفارسيّة ،

أمّا مايتعلّق بأشعاره العربيّة التي لم يشكّك أحد بنسبتها إليه ، وهي بضع قطع لمْ يبحث أحد في شأنها - على حدّ اطّلاعي - سوى الدكتور عبدالمنعم الحفني ، الذي يرى - وأنا بين بين من رأيه حسب قول زنكَابادي - « يبدو الخيّام في كتاباته العربيّة مختلفاً عنه في كتاباته الفارسيّة ، والتزامه في العربيّة تقابله طلاقة وترسّل. وروح الكتابات العربيّة في عمومها روح ساميّة ، تختلف عن الروح الآريّة ، التي عليها الكتابات الفارسيّة ، والأخيرة فيها الإيغال في الشكّ ، والميل إلى التفلسف ، والإجتراء بطرح الأسئلة التي تنبيء عن التمرّد ، وليست في الكتابات العربيّة ، حيث يغلب عليها الإيمان . وذات الخيّام في الكتابات العربيّة ذات جماعيّة ، وفي الكتابات الفارسيّة ذات فرديّة..» لاأدري كيف انزلق باحثنا الجليل النّبيه إلى الدرك العنصري بطرح مايظنّه مقارنة موضوعيّة بين (الروح السّامية !) و(الروح الآرية !) ويشطر(ذات الخيّام) إلى (ذاتين !)، في حين نستنكر شبيه هذا الطرح من قبل المفكر الفرنسي أرنست رينان ، الذي يستخف بالعرب والمسلمين ؛ بتركيزه على التضادّ بين الآريين والسّاميين.. ولاشكّ في انّ النازيّة والفاشيّة الأوربيتين قد كرّستا مثل هذه الطروحات العرقيّة لأبشع المجازر بحق البشريّة. ثمّ « انّ الشاعر العظيم حين يكتب عن نفسه ؛ فإنّما يكتب عن زمنه » كما أصاب إليوت في تشخيصه »

وعن تأثر الخيّام شعريّاً وفكريّاً بسابقيه يستعير قول الأستاذ ياحقّي : « لاشكّ في تأثر الخيّام بسابقيه ؛ فالشعر الفارسي تاريخيّاً حلقات متصلة ببعضها البعض ، ومن هنا فإن الخيّام متأثر حتماً بسابقيه، بالفردوسي بالأخص ، فشعره امتداد لشعر الفردوسي في كسوة أخرى ولغة أخرى ، وكذا الحال مع رودكي سمرقندي. فهؤلاء الشعراء الثلاثة وآخرون من مشربهم الفكري نفسه ، يُعَدّون مروّجيّ ثقافة خاصّة راجت طوال عصور...»

ويضيف زنكَابادي : « ليس هذا فحسب ، بل انّ فكر الخيّام يضرب بجذوره في أغوار الميثولوجيا والديانات والفلسفات القديمة (الإيرانيّة ، الرافدينيّة ، الهنديّة ، المصريّة ، اليونانيّة والعربيّة) ، بدءً من ملحمة كَلكَامش والبابيروس المصري (ألحان عازف العود) ومروراً بفلسفة (لكياتا) و(جارواك) الهنديّة ، والفلسفة اليونانيّة (ديمقريطس ، أبيكور، شيشرون وأفلوطين..) حتى الديانات بكتبها المقدّسة: لاسيّما الآفيستا، التوراة والإنجيل والقرآن الكريم و(رسائل إخوان الصفا) الإسماعيليّة ، وعلم الكلام وفلسفة ابن سينا وشاهنامه الفردوسي وأشعار بابا طاهر اللري وأبي العلاء المعرّي وابن الشبلي البغدادي. وهنا ينبغي التأكيد على وجود قرابة متينة ملحوظة بين الفلسفة المشائيّة والصّوفيّة ، وكذلك بين الصّوفيّة والإسماعيليّة. ولقد كان ابن سينا الأستاذ الأبرز للخيّام جامعاً بين الإتجاهات الثلاثة. وبهذا أقصد التأكيد على تأثّر الخيّام فكريّاً بسابقيه ، وليس في حيثيّات الفنّ الشعري. ومن هنا فقد ترك تأثيراً (فكريّاً) مماثلاً على الكثيرين من اللاحقين ، ليس على ناظميّ الرباعيّات فحسب ، بل على ناظميّ المثنويّات والقصائد والغزليّات... ويعمّم الدكتور يا حقي تأثير الخيّام قائلاً : « ..لقد كفّ الخيّام عنْ أنْ يكون شخصاً فرداً في شعره باسم عمر بن ابراهيم الخيّام النيسابوري ،

وإنّما يمكن حسبانه تيّاراً فكريّاً مابرح يعارض الحركة الفكريّة السّلطويّة على مدى القرون الماضية ، بتفكير حرّ ومنظور منفتح راق في تناول القضايا المهمّة ؛ وعليه طالما نظم أولئك المتشابهون في أفكارهم معه أفكارهم في قالب الرباعيّ الموجز، ثمّ نسبوا رباعيّاتهم إلى الخيّام ، أو نسبها الآخرون إليه. ولذا فإنّا نعتقد بالتيّار الخيّاميّ ، وليس بشخص اسمه الخيّام! « وحسبما يرى ياحقّى ، هنالك الكثير من الشعراء نظموا تحت تأثير فكر الخيّام النافذ والمؤثر جدّاً رباعيّات بالمحتوى نفسه ، وباتت أسماؤهم في طيّ النسيان ، ونسبت رباعيّاتهم إلى الخيّام « و من هنا « تُنسب إلى الخيّام أكثر من ١٠ آلاف رباعيّة ! ولكنّنا لانستطيع جزماً أن ننسب إليه عشرها»

أمّا الباحث الإيراني المتبحّر خرمشاهي فهو يتجاوز تعميم (التيّار الخيّامي) ويشخص تأثير الخيّام في نموذجين بارزين : « قال شبلي نعماني في كتاب (شعر العجم) في مبحث حافظ ، أن فلسفة حافظ كانت امتداداً لفلسفة الخيّام وأسلوبه» وذلك يعني أن حافظ كان « شارحاً للخيّام ، ووارثـاً للخيّام وأفضل من اقتفى أفكاره ، مع التفاوت ؛ إذ أن أشعار حافظ أكثر استحكاماً من أشعار الخيّام» ويمكن التأكّد من ذلك في التمعّن في مطالع العديد من غزليّات حافظ ، حيث التحسّر على مضيّ العمر، والخوف من عاقبة زوال الجمال وموت الإنسان ، والدعوة إلى اغتنام فرصة العمر المتاحة ، واللجوء إلى الشراب لتناسي الحقائق المريرة ، ناهيكم عن استذكار العظمة الغابرة الأسطورية والحقيقية لإيران ومن رموزها عهود الملوك : جمشيد و قباد . لقد كان الخيّام مؤمناً كبيراً بالله ، لكنّ إيمان حافظ كان أكثر استحكاماً بالحقيقة والطريقة والشريعة بالمقارنة مع الخيّام. كانت روح الخيّام يائسة ، لكنّها موحِّدة ، ومؤمنة بوجود الله. لقد كان الخيّام يخشى تكفير علماء (فقهاء ومشرّعي) عصره ، وحكّام زمانه أيضاً المؤازرين لوعاظهم ، أنْ يُلحِقوا به الأذى ؛ ولذلك كان يتحدّث بأسلوب ذي وجهين له ظاهر و باطن. ومن الشعراء الآخرين ، الذين تأثروا بالخيّام كثيراً ، العارف والشاعر الكبير فريدالدين العطّار النيسابوري ، الذي يتجلّى تأثره في (مختار نامه) « إذنْ ؛ فقد أثر الخيّام برباعيّاته على شعراء كثيرين ؛ بحيث نظموا آلاف الأبيات على منواله ! «

وعندها يورد زنكَابادي أبياتاً للشعراء : العطّار، الخاقاني ، مجدالدين بغدادي ، مجدالدين همكَر، فخرالدين عراقي ، سعدي الشيرازي ، سيفي هروي ، اثيرالدين اوماني ، نجيب جرفاذقاني ، إمام هروي ، خواجوي كرماني ، عبيد زاكاني ، حافظ الشيرازي ، عبدالرحمن جامي ، امير عليشير نوائي ، هلالي جغتائي ، اهلي شيرازي ، الشيخ بهاءالدين العاملي ، طالب آملي ، فرّخي يزدي ، حسين قدسي نخعي ، نيما يوشيج ، فريدون مشيري ، لايق شيرعلي ، إيرج زبردست مـع الإشــارة إلى تـأثـر شـعـراء آخـريـن مثل ظهيرالدين الأصفهاني ومولانا جلال الدين ، ومن نماذج التأثر المبدع بالخيّام أورد زنكَابادي قول الشاعر صائب التبريزي (١٦٠٧؟- ؟ ١٦٧٥) :

« از بيابان عدم تا سر بازار وجود به تلاش كفنى آمده عريانى جند»

« من بيداء العدم إلى ناصيّة سوق الوجود قـد قـدم عراةٌ كثيرون ليظفـروا بأكفـان !»

ومن ثمّ أورد رأي الشاعر نخعي (وهو أبرز

شعراء الرباعيّات المتأثرين بالخيّام في القرن العشرين) في أستاذه الخيّام : « كنت ومازلت معتقداً أنّ أفضل مكسب لشيمة المسرّة هو تأمّل تلك الحقيقة الثابتة التي لاتتغيّر ، والتي قيلت في هذه الأشعار ، كمثل الحقيقة الجليّة لوجودنا على هذه الأرض ، ولكن لأمدٍ قصير ، وحقيقة مضيّ الزمن الذي لايعود مرّة أخرى ؛ إذنْ لماذا التأوّه والتحسّر والأنانيّة والغرور؟! فامرحْ وتمتّعْ ، واعملْ ليبتهج وينسعد كلّ الناس. هذه هي فلسفة عمر الخيّام ، منذ أكثر من ألف عام ، وقد تبيّن صوابها فعلاً »

« وهكذا فقد كان الخيام (حسب استقراء واستنتاج الباحث والمترجم زنكَابادي) بمجمل كيانه عقلاً جبّاراً لايني يفكّر ويشكّك ويستقصي الحق والحقيقة ، كما كان قلباً مرهفاً جدّاً انطوى على أنبل المشاعرالإنسانيّة، ونفساً حسّاسة أبيّة نأت عن الخنوع والأنانيّة والنفاق والحسد والبغض والطمع ... وهي من أرذل الصفات التي ندد الخيام بها في أكثر رسائله ورباعيّاته »

على الـ (صص ٢١١- ٢٢٤) : قوميس كردي – كردي (٢٥٩ مفردة) لإعانة أبناء اللهجات الكرديّة الرئيسة (الخمس) على التواصل ، ويليها (١٢ تعريفا وتوضيحا)

على الـ (صص ٢٢٥- ٢٣٩) : كشاف بأسماء (٣١٨ علماً) مع تواريخ الولادة والوفاة

على الـ (صص ٢٤١- ٢٥٣) : مصادر ومراجع البحث البلغ عددها (٢٣٨) = ٧٩ بالفارسيّة/ ٤٢ بالعربيّة/ ٩ بالكرديّة / ١ بالتركيّة الآذريّة / ٧ بالإنكَليزيّة والإسبانيّة والبرتغاليّة ، مع عشرات المقالات والدراسات باللغات : العربيّة ، الفارسيّة ، التركيّة ، الإنكَليزيّة والأوردية على صفحات (الإنسكلوبيديا الحرّة)

وعلى الـ (صص ٢٥٥- ٢٥٧) سيرة المؤلّف جلال زنكَابادي ، تليها سيرة المترجم حمه كريم عارف (تولّد ١٩٥١ كركوك) على الـ (صص ٢٥٩- ٢٦٢)

هذا هو الكتاب الرابع المنشور لجلال زنكَابادي ضمن مشروعه الخيّاملوجي المناهز الـ (١٥ كتاباً باللغتين العربيّة والكرديّة) مكرّساً لقراءة التراث الخيّامي قراءة جديدة على صُعد التحقيق والبحث والترجمة...

وختاماً ينبغي الإشادة بدور (مؤسسة موكرياني) لنشرها هذا الكتاب في حلّة قشيبة بـ (٧٥٠ نسخة) ليسدّ إحدى الثغرات الكبيرة في المكتبة الكرديّة .

---

* بغية تقديم عصارة هذا الكتاب إلى القرّاء الكرام ؛ أضطررت أن أعدّ هذا المسرد بنفسي (بصفة قارىء حيادي) ؛ مادام الأدباء والإعلاميّون والمعنيون في الأجهزة والمؤسسات الثقافيّة يستكثرون عليّ وعلى أمثالي من الأدباء الجادّين المنتجين ولو أخباراً وتقارير صغيرة عن كتبنا المهداة إليهم بالعشرات ، بل بالمئات من نسخ كتبنا العديدة...وتكمن العلّة في كون أكثر الأدباء والإعلاميين لايرتقون إلى مستوى القرّاء الجادين في ستينات وسبعينات القرن الماضي ، أمّا الباقون فبعضهم يكتب حسب آلية المقايضة : « أكتب عني ؛ أكتب عنك » أو الصداقة والمحاباة... والبعض المتبقي يلجمه الحسد عن الكتابة ، ويظل القلائل الذين يمثلون الإستثناء في هذه القاعدة ، بل الحالة المرضيّة المتفاقمة . (ج. ز)

٧ قصائد

جلال زنكَابادي
تقديم : رفعت سلاّم

جلال زنكَابادي
شاعر التمرّد الكُردستاني

I

حينما وصلتني كراسة أشعاره تحمل إهداءه الحميم لي ، مع الروائي الصديق صنع الله إبراهيم ، القادم توّاً من كردستان العراق ، لم يخطر ببالي أنني- بعد ثلاثة شهور- سأكون هناك ، أفتش في الوجوه عنه إلى أن أعثر عليه. لكني - من الوهلة الأولى للقراءة - أدركت أنه ينتمي إلى الشعراء الأكراد الذين يكتبون بالعربية مباشرةً ، وأن جـذوره الثقافية العميقة تضرب في أنحـاء الـتراث العربي ، الشعري والفلسفي والديني والصوفي ، لتتخطاه إلى الـتراثات المحيطة ، الفارسية والتركية والإنسانية عامة.

القاعة مكتظة بالوجوه التي تحضر افتتاح معرض الفنون التشكيلية بمسرح (أربيل) ، عاصمة إقليم كردستان العراق. وبعد الافتتاح ، الأمسية الشعرية (قلتُ لنفسي : لابد أنه سيكون موجوداً من أجل الأمسية)...صحفيون وتليفزيون وكـتـاب وجمـهـور ومسئولون وضيوف عرب أتوا من عواصمهم وعواصم الغرب الأوربـي . ولغتان تسودان القاعة : العربية والكردية التي لاأعـرف منها كلمةً واحـدة ؛ فكيف يمكن العثور على وجـهٍ لم تلتق به أبدًا ، اعتمادًا على ملامح غائمة في الذاكرة من رسم له لا تدري مدى دقته ؟

سألتُ أحد الصحفيين الأكراد عنه ، فأحالني إلى شاعر كـردي أنيق ، أشـار لي إلى شخص آخر غير أنيق . وجه عادي ذو نظارة طبية ، يرتدي ملابس عادية لاتكترث بالمناسبة الرسمية (مهرجان مئويّة الجواهري في ٢٠٠١) وكبار مسئولي (الدولة) الوليدة . لملمت من

الذاكرة - بسرعة - ملامح الوجه الغائم ، وتعرّفت عليه قبل أن أمد له يدي ، وأُعرّفه بنفسي . أدار لي أذنه الأخرى ليلتقط الحديث ؛ فتذكرت معلومة فقدانه السمع من أذنه اليمنَى أثناء احتراب ميليشيات الأحزاب الكرديّة ، علماً أن العسكر العراقي أيضاً قد فجّر داره في عمليّات الأنفال !

وجه في الخمسين من العمر ، يكشف عن طيبة إنسانية جليّة . سألته - وسط الصخب - إنْ كان سيلقي شعره في الأمسية المشتركة بين الضيوف العرب والأكراد؛ فقال إن الأمسية ستخصص أساساً للضيوف ، وربما يشارك فيها بعض الشعراء الأكراد الآخرون - لا هو- إن سمح الوقت.

تواصلت الأحاديث المتقاطعة المتقطعة بيننا ، في اللقاءات العابرة فيما بين فقرات البرنامج المشحون . فهمت أنه ليس من المقربين إلى السلطات الثقافية (شأن المبدعين الحقيقيين دائمًا) وأنه يقيم في إحدى ضواحي المدينة / العاصمة ، وأن النشر متاح إن توفرت الأموال (التي ترفض أن تتوفر لديه) !

صوت هادئ ينبئ عن سكينة روحية تناقض قصائده ، بلا نبرة احتجاج أو سخط (تلك التي تسود دائمًا أصوات الشعراء) ؛ كأنه قام بتصفية حساباته السابقة واللاحقة مع العالم ومع نفسه ، وبلغ نقطة الهدنة الأخيرة.

II

عندما تلقيت كراسة أشعاره الأولى ، تبيّن لي أنها مجمعةٌ من المجلات التي نشرت بها ، مع الحد الأدنى الضروري من الإخراج الفني الذي يسمح بتصويرها (في نسخ محدودة) كعمل مستقل.

في قراءتي الأولى تبينت روح التمرد العارمة التي تسود أشعاره ، وتكاد تطيح حتى بتقاليد الشعر، لدى من لا يعرفون بثراء هذه التقاليد وتعدديتها ، وإمكانياتها المفتوحة على المصراعين .

بدت لي الأشعار تجربة شعرية (عربية) أصيلة وفارقة ، تواصل وتضرب بسهم في معركة التجديد الشعري الناشبة منذ السبعينيات العربية في كافة الأقطار، بلا معيار أو نموذج سوى مبدأ (التجديد) المستند إلى استيعاب عميق للتقاليد الشعرية والثقافية ، لا العربية فحسب ، بل خارج العربية أيضاً. فكيف لم أسمع به من قبل ، وخاصةً أنني كنت على اتصال ومعرفة وثيقة بطليعة شعراء السبعينيات في العراق ، منذ ذهبت إليها للمرة الأولى عام ١٩٨٥؟!

حالة شعرية فريدة ، وباذخة ، لا تحصر أفقها في التقاليد الشعرية العربية المكرَّسة ، المسورة بالقوانين وقوائم الممنوعات ، بل تحرر نفسها وتحررنا معها باكتشافها إمكانية الحرية الإبداعية ، بل ضرورتها ؛ لا من أجل القصيدة فحسب ، بل من أجل تحرير الخيال والوعي الإنسانيين . لا بل هي قصيدة مضادة ، ضد القصيدة ذات القوانين والمواصفات ، سابقة التجهيز، التي تنتمي إلى إعادة الإنتاج ، لا الإبداع . أجلْ قصيدة مضادة للقصيدة والأفكار السائدة ، تخترع شعريتها اختراعًا بلا مرجعية أو نموذج سابق أو حالي ، بالاستناد

إلى حصاد الشعرية العربية والعالمية في أفقها المفتوح : رامبو والسهروردي والحلاج ونيرودا وأدونيس وحكماء الصين القدامى وشعراء فارس العشاق المتصوفون وامرؤ القيس والخوارج والشعراء الصعاليك والمخطوطات البائدة وصرخات الألم والمساءلة الجارحة والأسئلة العصيّة بلا إجابة ، لكنها - في نفس الوقت - ليست تلك القصيدة العمومية المعلقة في فضاء المطلق الشعري ، بلا جغرافيا وتاريخ ؛ إنّها قصيدة شاعر القرن العشرين ، الذي شهد مجازر هتلر وستالين وطغاة لم تعرفهم الكوابيس الإنسانية من قبل ، فيما شهد أيضًا - بالمقابل - وجوهاً نبيةً عرفت كيف ترتقي بأنبل ما في الإنسانية من عطاء وطاقة.

على مستوى آخر، هي قصيدة عربية / عراقية / كردية في آن ، لا بفعل اللغة المكتوبة بها فحسب (واللغة ليست محض أبجدية) ؛ بل - أكثر- بفعل الوعي والتجربة الشعريتين . وعي مركّب بالجغرافيا والتاريخ الخصوصيين للشاعر وجماعته ، غير المفصولة عن محيطها العراقي الأوَّلي ، وعن محيطها العربي العام ، بثقافته وأصوله المعرفية وتراثه الحميم ، وأسرار بلاغته وشعريته الطليعية ، الحداثية. تحمل بعض توجهات الشعر الطليعي في سبعينيات العراق (خزعل الماجدي ، زاهر الجيزاني وكمال سبتي) في تحرير القصيدة من المواضعات المفروضة الخارجية ، واكتشاف تعدد المستويات العميقة في الذات الإنسانية ، باختلاطها وتراوحها بين الوعي واللاوعي ، بين الفانتازيا والواقع والحلم والكابوس ، وباقتحام تلك المناطق المجهولة التي لم يطأها قلم شاعر، واكتشاف بنية شعرية مفتوحة على المصراعين لكل النزوات واستدعاءات اللاوعي والذاكرة والرموز والأصوات والخزعبلات الجارحة الغامضة.

لكنها - من ناحية أخرى- تحمل ، على مستوى الوعي ، ميراث الألم الكردي ، كخيط دم سرّي يمتد بامتداد الوجود الآني . ألم سري لا تكاد تبوح به القصائد أحياناً ، لتصرخ به أحياناً أخرى تلك الصرخة التي تغطى فضاء الكون والزمن . ولا مباشرة أو دعائية ، ولا اختصار لآلام العالم في الذات الوطنية ، ولا نزوع إلى التعويض النفسي بالمبالغة الوطنية العنصرية في مقابل الآخرين (العرب والعالم) مثلما يفعل بعض كبار الشعراء الفلسطينيين (محمود درويش ، مثلاً)

هو الألم الإنساني الذي لا يتباهى بذاته أو يستعرضها ، ولا يبحث عن ثمن له لدى الآخرين ، ولا يستخدمه وسيلة مقايضة أو ابتزاز. ألم صارخ بالرغبة في الخلاص والانعتاق ، يضع نفسه ضمن آلام العالم - لا فوقها - في مواجهة الطغاة والبرابرة.

إنها قصيدة قلقة مقلقة ، لا تستكين لركود العالم ، ولا تترك للروح فرصةً - أو شبه فرصة - للاسترخاء الذهني والخيالي ، بل تشعل الحرائق في الروح ، وتعيد طرح الأسئلة الشائكة الجارحة التي أزاحها العجز عن الإجابة إلى النسيان ، دون كلل ، بلا أوهام رومانتيكية ، ولا رطانة إنشائية كاسدة ، ولا نبوّة منتحَلة كاذبة . قصيدة تعيد للقصيدة اعتبارها ، باعتبارها قلق الروح والمساءلة.

يا
«دولةَ السّنبلة»
حنانيك

.......(و) : ﴿حسب ما قبلها﴾ لي (٢٠)
خريفاً + ألف سقر =
(؟!) - ألف فردوس +
أنياب / براثن الصّلبان المعقوفة ×
الشهود ﴿ تحت الجذر تكعيب ﴾ ببغاوات +
قرود + (.......) = شعارير+ مواخير+
شِيَع ﴿ سهم صوب اليسار ﴾
آهِ لو لمْ أعشْ قرناً
آخر؛ لما
شهدت « الفردوس الموجود المفقود مائة مرّة »
بكلّ مراياه الضريرة
للمنايا عاصمة شظايا طيفكِ يا
دولة السّنبـ...ـثمّ
بكلّ أحزابه / القفافيز (لمنْ ؟!)/مواسمه +
أقبية التعذيب / دهاليز أحلامي - الخيول/ و
أقواس القزح (مناديل
لسمائي) الباكية
قروناً
قروناً
قروناً
بعويلها: (لمنْ
كلّ هذه المطايا + البغايا ؟!) لعلّ
هذي القصيدة كأرض كَاليلو
تدور

تتلألأ ؛ مهما

ظلّت الزنازين صدى

للحريّة/هاجَ ماجَ لمّا

فاضتْ صرخاتي/ قهقهتْ

أشعاري رجّت الجذور المنخورة

كاللهيب/ حتى شهدتُ

زنابق الأرواح فراديس معتقلة –

كواكب (؟!) + مناطيد

في غمامةِ شررٍ تنتشلُ

طحالب هواجس أيّامي كالجلجلة =

أليس الويلُ > لي؟!/ أوَلَمْ

يفـ {مستـ (يتبدّدْ) قـ بـ لـ ي} تْ مرتطماً

بحضيض هاديس ؟

(و) : ﴿ حسب ما تحتها ﴾ يظلّ قابيل ×

هابيل = تاريخي المضرّج بالإحتراب <لايفنى> حيثما

تحتضرُ حشرجاتُ شعبي الجموح < تحمله

بغالُ (أمراء يحتربون / يفتدون الأغيار

بالفتاوى) فأين

ترسو روحي/ تتقاذفها شيعٌ +

دولٌ (تتعفن منْ قبل ومنْ بعد) ﴿ سهم ذو

رأسين (حيّة أم رأسين) يميناً / يساراً ﴾ أحصنةُ

طروادة/ بغال كردستان

حسناً (و): ﴿حسب ما بعدها﴾ {سهمان متعاكسان}

أ هي أحصنة ط ..... أمْ أوكار(........)؟ إنْ لمْ

تكنْ أضغاث ملاحم مهيضة الأجنحة في

مراياي المختبئة

جهراً (أفتديها / تفتديني) في كردستان ؟ فكيف لا

تفرّ جمجمة وطني ﴿الديجورُ وطني ما أرحبه !﴾

إلى المنافي / و لا

يتدحرجُ عمري + تلسعني عقارب الزمكان ؛ أينما
يحوم الرّدى (ليس كمثله كنزٌ لايفنى) هنالك
تظلّ دروبٌ < لامرئيّة لاتُحصى > في
دربي الغابر السحيق وأنا
أعبرُ جسور اللاشيء أشدّ عماءاً منْ أيّ أعمى
فألف ألف ويحٍ و تبّ
لأسرارٍ جننت بها / بها تنوء أشعاري دوّامة
لهيولى عشقي أنا المجذوب كلّما
أهتفْ : - المجد لجنون دمي > لرعوده لبروقه <
يصهلُ في
وجوه الغزاة والخونة + ينقضّ على طواويسهم +
نفاياتهم المشعّة
عبر العصـ ـ ـ ـ ـــ ـ ـور؛ مهما
صحّرت عرّافاتهم سماواتي / احتضنتني « لياليّ
شـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـكولٌ........» أوَلمْ
أوصِ أشعاري : (كفنيني) حتى
يبعثني «بيتُ الغربة» +
« بيت الدود» ؟
ثمّ حتى تدوس سنابككِ المليحة كلّ شعارير الفهاررة ×
أنياب < ديدان التاريخ (-) المستقبل ، طالما
راحتْ تقضمُ ظلّي/ اللهيب.....
إيـ ـ ـ ـ ـ ـــ ـه أ يخونني بحرُ جنوني (وقدْ
بحت غير) مرّة:- لنْ
أنعتقَ إلاّ في جحيمك – فردوسي ؛ مهما
تناسلتْ
تنيزكتْ
إفترست دوّامات التوابيت مستقبلي / قيامتي
و أنا { الألف سهم مائل ذو رأسين} أعومُ في
عبـــــاب دمي المسـ ـ ـ ـ ـفو

ك طوال العصور ، فليت شعري
أعود القهقرى إذ « النورُ حجاب» إلى
مستقبلي/ الشرارة الأبهى × دولة السنبلة و
يظلّ عمري
ينحني
كمثل علامة استفهام على
كلّ جلجلة و
تظلّ
روحي تكتمُ لهيبها الزاهي في
كلّ وردة نور
....

رق ا ب ة رق ا ب ة رق ا ب ة جيب
ليل و خذ عتابــــــــة..
.......وأظلّ أكفن الندّابين + الحفارين + المشيّعين
ثمّ أدفنُ قبري.

أواخر ك١/١٩٧١ داقوق

ت

× هاديس : ملك العالم السفلي (عالم الموتى) ابن كرونوس وريا ، وشقيق كبير الآلهة زيوس.. ومعنى اسمه (خفي) ؛ لأن خوذته كانت تخفيه ، وقد سمّي (هيدز = مانح الثروة) كناية عمّا في باطن الأرض من كنوز .

× «دولة السنبلة» و« النور حجاب» عبارتان لشيخنا الجليل ابن عربي.

× « أيّها الفردوس الموجود..» عبارة لاراكَون .

× القصيدة مدينة بشكلانيّتها إلى حدّ بعيد للشاعر الأمريكي الفذ
كمنكَز E.E Cummings (١٨٩٤-١٩٦٢)
وكتاب (الدادائيّة) للأستاذ علي الشوك.

قد لاتنتهي.......

إلى ولدي أورفيوس (تولّد ١٩٧٧)

إلى غرفةٍ منْ وئام
تتسلّلُ شعيعةُ نور
يعجزُ طفلٌ يحبو
أنْ يقتنصها؛
فيبكي...

★

فتلتقطهُ أمّهُ
فتنحّي أنامله اللهفى
إذ يهمُّ بقطفِ صورته من عينيها ؛
فينشج مرّةً أخرى
- هاك ؛ ربَّ سلوى...

★

فيأخذه أبوه إلى الفناء
يريه المظلّة الزرقاء
فيبتسم مناغياً
سربَ حمام يومضُ برهةً...
وإذا بطيورٍ من حديد
تنقضُّ بغتّةً على روحِ الصّفو؛
فكيف لا
ينتحبُ أورفيوس
أ
عـ
و
ا

مـ
اً ؟!

★

هكذا إذاً
تندلعُ حربٌ ما
فـ تـ تـ بـ عـ ثـ رُ
أسرابُ الأطفالِ ؛ إذ الأمّهاتُ
يـ تـ بـ عـ ثـ رِ ن ؛ إذا الآباءُ
يـ
تـ
بـ
عـ
ثـ
ر
و
ن
و تـ تـ بـ عـ ثـ رُ... ا...لأحـ لا....مُ
كمثل القتلى ،
المفقودين ،
الأسرى
و المعوّقين اللامرئيين ،
في أشلاء خارطةٍ ...

★

فانهضْ
يا تعيس هوذا فجرُ ملكوتِ الموتِ
وانتحرْ
لعلّ دمك كمثل خريفك المبكّر
يلملمُ طفلك ، أمّه

وقصائدك الممزّقة ؛
أيّان يضيء مستقبل - أحلامك – المبعثر
دياجيرَ هذي الدستوبيا
عسى أن يصحو الآخرون
ذات قرن
على عويل قصيدتك الثكلى
لمّا يطفح (نوروز) بنور الوئام

خريف ١٩٧٨ بعقوبة

× قصيدة إستباقيّة إستشرفت الحرب العراقيّة الإيرانيّة وما بعدها ؛
عبر إدراك واستيعاب النزعة العسكريتاريّة للحزب العفلقي
× نوروز : اليوم الجديد = اليوم الأوّل في السنة الكرديّة (والإيرانيّة)
وهو عيد قومي للكرد يصادف (٢١ مارس)

صدّامصور

أمام البوّابات القميئة
في كلّ زمكان
حتى الـ (WC) الوطني
يربضُ تمثالهُ المنبجسُ
من سبات السيركات البليدة
يهدّدُ السّابلةَ في كلّ لحظةٍ بالزّهورِ/ الحرابِ
ويقهقهُ سرّاً على ضراطه التاريخي الذي
يتناسلُ مكرماتٍ لأسلافِ وأحفادِ الشعوبِ...

⋆

لطالما
يعتلي (حصانَ طرواده)

متنكّباً شجرةَ عائلته المزَوّقة
ثمّ يخوضُ كطاهٍ عبقريّ
وغى المطابخ ، المواخير والزنازين
حيث توثّنَ وورّط شعوباً بولائم الجحيم
ليظلّ متطاوساً كبطش المسالخ وقهقهات الجلاّدين
لربّما – لضرورة التصوير-
تغرورقُ عويناتهُ بدمعات اصطناعيّة
بينما يتحلّقهُ حشدٌ
من شعارير حقول الدواجن و حظائر العجول
يلعقون أدبارَ بعضهم البعض
على فتات أخاوينه
مكبّلين بالملاعق
وأشداقهم ملطّخة بدماء هذه القصيدة وأخواتها الملّخات
وهم يمتدحون فارس العصر الذهبيّ في الدياجير الخلاّبة
حتى يستحيلوا ديداناً متشبّثة بظلّه النتن
في بحبوحة خوذٍ متغطرسةٍ
ومارشاتٍ مسنونةٍ وجماجم بوّاقة
★

لكنما
هيهات
سيظلّ كلّ تمثالٍ متوثـن
يرتعد أمام عصف قصيدةٍ
لربّما لمْ يشطحها بعدُ شاعرٌ منفيّ حتى في جلده !
وقدْ لايصفق أحدٌ لمطلعها:
- في البدء خلق الله.......
وفي اليوم السّابع استراح
فإذا بصدّامصور ينقضّ على الخليقة
في اليوم الثامن
ويهدر دم الشاعر الطافح بالصواعق

" الذي سيمحو إسمي ..."
ليحمّر بلألائه شفاه كلّ تاريخ عاهر
فما أروع طيش شاعر
يحطّ على تمثاله الرابض في سويداء كتاكيته الشعارير
ويطلق قصائده ديكةً توقظ فجر وطن دفين
مهما تظل خفافيش المتاحف تجتر المشاهد الفاجرة
أمام بوّابات / اشداق تماسيح

*

إيه.......
أمام البوّابات القميئة
في كلّ زمكان
منْ ذا يجرؤ
أن يشهدَ محنةَ كل قصيدةٍ جسورة
وألف قصيدةٍ مفجوعة
حيث لا ملاذ لحنجرةٍ في غابةٍ من الأبواقِ
واق
واق
واق
يا
عراق ؟

ديسمبر ١٩٨٥ بغداد

× " الذي يقبض على تمثالي ، الذي سيهشّمه ، الذي سيتلف الكلمات المحفورة عليه والذي سيمحو إسمي ؛ فلْتقع عليه لعنة نابيريشا..." ورد هذا على قاعدة تمثال بلارأس لـ (نابير أسو) أكبر ملك سوسا (القرن ٢٤ ق.م)

× صدّامصور: على وزن (تيرانصور = سحلية طاغية) باللغة اللاتينية ، وهو نوع قديم من الدناصير

شـــــبقٌ لايُـضـــــاهى *

هللويا..
بساطيل
هللويا
خوذ
هللويا
دبّابات
هللويا
شفلات
هللويا
جحوش
حيث اليبابُ البدويُّ يحيقُ بمستقبلي
فكيف لاتسمعُ روحي
« أنا لو أسكتُّ هؤلاء فالحجارةُ تصرخُ « (١) خخخخخخخ : لا
فراشة ، لا
خرير ، لا
ثغاء ، لا
شذى ، لا
هديل ، لا
ذرى ، لا
شبّابة.......
إنّما الذئابُ تعوي في هذه القصيدة القفراء
محظورةٌ هي حتى الآفاقُ السّوداء
فسحقاً لي ؛
أما تكفيني
غطرسةُ الأوغاد/ تثمل عروقهم بنجيع كويكباتي المنسوفة
في مواخير العواصم الهوج ؟!
أما يكفيني
أنشد الرياح أضرحةً لكويكبات بلا شواهد ؟!
أما يكفيني

أنبّش بمرارة تضاريس تاريخي الأعور/ عظام مستقبلي الأحول ، في عهر البلاغة المغناجة ؟
أوَما يكفيني نهش شتات (أما يكفيني) لأستظهر مستقبلي المُخان منذ قرون وقرون ؟!
أوّاهِ
وا أضلاعي الكسيرة
وا لغتي الأسيرة
وا كويكباتي الحسيرة
ينهشها ثالوث الأمَة البدويّة !
فما جدوى كلّ هذي السّموات المستباحة
حيث يغتصب الشبقُ المعقوف خارطتي المغدورة ؟!
يا للهول
ها هي أسرابُ الجراد والزهريّ والآيدز تزدردُ حتى سمائي الآتية !
وليس لي إلاّ
أنْ أنسف لغتي الكظيمةَ
وأعول هاذياً :
« إيلي إيلي لما شبقتني ؟» (٢)
عسى أن تنطقَ السماءُ الخِرسانة العمياء
فتشهدُ أهوال الشبق العفلقيّ
وتتزلزلُ الأرضُ
وتنشقّ الحجبُ
وينتفضُ القدّيسون :
هللويا..هللويا ..هللويا (٣)

ليلة ٢٥ نيسان ١٩٨٧

---

* كتبتها في قرية فتوي التي حاصرها جيش الفاشست والجحوش الكرد ، إذ دشنوا نسفها في صباح ٢٦ نيسان ١٩٨٧ وبلغ الدور داري ودار أخي برهان في ٢٨ نيسان بالتزامن مع بحبوحة الإحتفالات بميلاد (القائد الضرورة ابن صبحة ملص)، لاسيّما في أربيل ، حيث علت أهازيج الشعارير وهلاهل الماجدات الدلوعات والآخرين...والذين أصبحوا بعد انتفاضة ١٩٩١ مناضلين تاريخيين من الطراز الأوّل بين ليلة وضحاها ها ها ها ها ها ها ها !!!!!!!

(١) من كلام يسوع (ع)

(٢) عبارة باللغة العبريّة شهيرة للمسيح (ع) عند صلبه = إلهي ..إلهي..لماذا تركتني ؟!

(٣) الفقرة الأخيرة مستوحاة من واقعة صلب المسيح (ع)

عشق رغم العفلقوت *

يا لعشقكِ
لاتدحره أيَّة عاصفة
فهو يصعق قلبَ روحي
فكيف أكبح ألفَ لوعة
تملّحُ جروحي ؟!

★

يا لعشقي
فلهيبُ أوجِ حسنك
يروحنُ جَسدي ؛
فكيف لايسمو حضيضُ شعري ؟!

★

يا لقلبي
منْ قاربٍ تعصفُ الرياحُ به ،
وتتناكدهُ الأمواجُ
كلّما لاحقَ قلبَكِ الماشي على الماءِ
متضرّعاً :
- إحضنيني يا قِبلتي

★

يا ويلَ شعري
كيف ينسى نسيانك لي
بعدما ذقنا ألذ الأسرارِ
وزغردتْ عيناك بالهناء؟!

★

فوا عجبي من عينيك
أ هما
غزالتان وديعتان
أم نمران ماكران
يملّخانِ أحلامي
ببراثن الجفاءِ ؟!

١٩٩٠

---

* عفلقوت : مشتقة من (عفلق)

مرثيّة لكاشف ألغام

يا راقداً
في لغمستان
سبحان باريك الجليل
أيها القربان البريء !
ما أرحمك
ما أنجس عشّاق الألغام !
نَمْ قريرَ العينِ
نمْ هانيءَ الوجدان
نمْ يا شهيداً من أجل الإنسان !
نمْ يا أخلدَ من أيّ دكتاتور رجيم
عارٌ على كلّ ذي روح عمياء
يسبّ باسمك النبيل :
- " كلب ابن الكـ..." وليس : - " يا عفلق ابن عفلق "

١٩٩٣ أربيل

هكذا أبيدك / أبيد نفسي...

....

فلْتغضبي ماشاء لك الغضبُ

ولْتسلّطي عليَّ

ماشئت منْ

أعاصير ،

زلازل ،

براكين ،

فيضانات ،

جفاف

وأوبئة ...

ولْتستمطري النيرانَ ، الملحَ ، الغبار

وكراتِ البَرَد الضخمة

على رأسي

مادمتُ جشعاً

لا أكترث بأحفاد أحفادي

ولا بعظام أجدادي

أتمادى في غيّي ،

أحرقُ غاباتك المعمّرة ،

أدمّرُ الأعشاش والجحور والأوكار ،

أملّحُ بكارةَ الأوزون ،

أسملُ ينابيعك ،

أصحّرُ سهوبك ،

أغتالُ غزلانك ، حمائمك وفراشاتك...

فلْتصفعني السونامي و.......

والعواصف الرمليّة

فها هي جبال الجليد تذوب ،

تفيض الطوافين ،

تنغمر السهوب ،

تجن الزلازل والبراكين ،

تجف البحيرات ،

تنتحر الأقراش والدلافين

تتناسل الصحارى

حتى تنتفخ الجيوبُ الأنانيّة

وتلمع في سمائي أكاسيسُ

تخطفُ رماحاً ودروعاً ليل نهار

وشعارير زرائب سلاطين

يهوّسون في مهرجانات السّيركات

أجلْ ها أنذا الهمجيّ المغرور

بين سنتليونات الكائنات

أدمّرك / أدمّر داري

أنكّل بك / أتصحّر

أبيدك بلا هوادة / أبيدُ نفسي

يا أمّي الحنون منذ ملايين السنين

فرحماك لا تذرفي حتى دميعةً على رمسي

٢٠١٢

لعبة التماثيل



شعر: إبراهيم اليوسف

«القائد»

يترك وراءه:
نياشينَه الخلَّبية
رائحةَ لعابه على كرسيّ الرِّئاسة
ألبومَ صوره مع القادة الكذّابين
في العالم
خطاباته الجوفاء
ورائحةَ اسمه الكريه
مدائحَ الشعراء التَّافهين فيه
ملامحِ وجهه في التماثيل الكثيرة
في كلِ جِهة...
كي يخذلَها
واحدة تُلو أخرى
وهو يلوذُ
بالهزيمة
والفرار..!

«سقوط»

المهلةُ المحدَّدة

انتهت

ولا أحدَ من المليون تمثال

رشَّح نفسه

في انتخاب التماثيل

الأخير...!

«مصرع التمثال»

كلُّ نبوءات الناس

باتت تتحقق

أرضُ الوطن

باتت تضيق بتماثيل السفاح

بعد أن تحطمت

أو أزيلت لتلوذ بالمستودعات المحروسة

ودون أن تنجو

من أطنان

البصقات....

« أمكنة لائقة»

أمكنةٌ كثيرةٌ

تمتدُّ بين «حوران» و»الجزيرة»

في انتظار

تماثيل كثيرة

بأسماء أبطال هائلين

يصنعون صباح البلاد....!

«زوال»

ثمَّة تمثال ضخم
للطاغية ذاته
على مدخل المدينة
بات يتضاءل
يوماً وراء يوم
إلى أن لم يبق منه
أخيراً
أيُّ
ظلّ....

«عامودا»

تلك المدينة الصَّغيرة جداً
والأخيرة في خريطة الوطن
شبابها الشجعان
أسقطوا في يوم ١٢-٣-٢٠٠٤
أول تمثال للطاغية
في تاريخ
قبل أن يرسلوه في»سيارة القمامة«
هدية إلى دارالبلدية...
إنهم شباب عامودا
تلك المدينة الأصغرفي الوطن
تلك المدينة الأكبرفي الوطن
تلك المدينة الأخيرة في الخريطة
تلك المدينة الأولى في الخريطة....!

الرحيل

الشهيد نوزاد* طيَّ محبتنا الأبديّة



شعر: حكيم الداوودي

غادرنا الطريقُ
ولم يغدرْ بنا
وكلُّ طريق
أصلُ أحابيله
موصولٌ بالمُنجز
ينحرفُ
حيناً
عن مساره
....
وثمةَ بؤرٌ قزحيةٌ
مأوى الفراشات والأمنيات
ملاذُ البراءة
والبسمات
....
لكنّ عصائبَ الموت
كتموا
رئةَ المسافات
....
يا أنتَ

أيّها المُتجحفلُ بالجهل
لمّ تقبرُ الألقَ الرضيع
الفرحَ النضير
هبةَ الله
المُسخّرة للخير؟
....
لمَ تُسوّقُ الردى للربيع ؟
الربيعُ يتمشى
في دروب الرحمة
يحملُ لأسرته
حطباً، قمحاً . وعداً،
للشتاء القادم
لكنّه.....
تعثّرَ
بموت صاعق
أطفأ المزنَ
والوشل
أيقظَ
الحزن والأمل
....
هم المتشظون
بين الشناءة والبداوة
يجزّون
وريدَ الغناء والكركرة
....
هم الغزاةُ
والعراةُ
والموجُ
والسفينة
هم الخوفُ
والمُفاجأة
فبأيّ حقٍّ
تُلغمُ ممرّات خُطانا
بحقد آيب

من تجاعيد الأزمنة البائدة
بعمىً يُوصدُ
مجاري البصيرة؟
....
البرقُ صديقٌ
يوقظ الخير
من سباته
وبروقهم
ادواتُ فناء
رجومُ لعنات
باطلٌ
اريدَ به باطلاً
لكنّ ما يتسلحون به
لا يُطفيءُ
ضوء الشمس
ولا يوقفُ خطا
الربيع
ولا غمغمة الفرح
....
هو اشعل فتيلة
ومضى رماداً منسيّاً
لا جذرَ ولا أصلَ
......
همُ مَنْ طالهم
الغدرُ الجبانُ
سيظلون
حمامات بيضاً
على جلباب
الزمن وذاكرته

*أخي ورفيق عمري الذي أستشهد في حسينية سيد الشهداء يوم ٢٣-١ ٢٠١٣ أثناء حضورة مجلس عزاء مع جمع من المثقفين والمحامين ووجهاء مدينة طوز. عندما فجّر إنتحاري نفسه بحزام ناسف وسط المعزين داخل الحسينية .

سراب النجوم

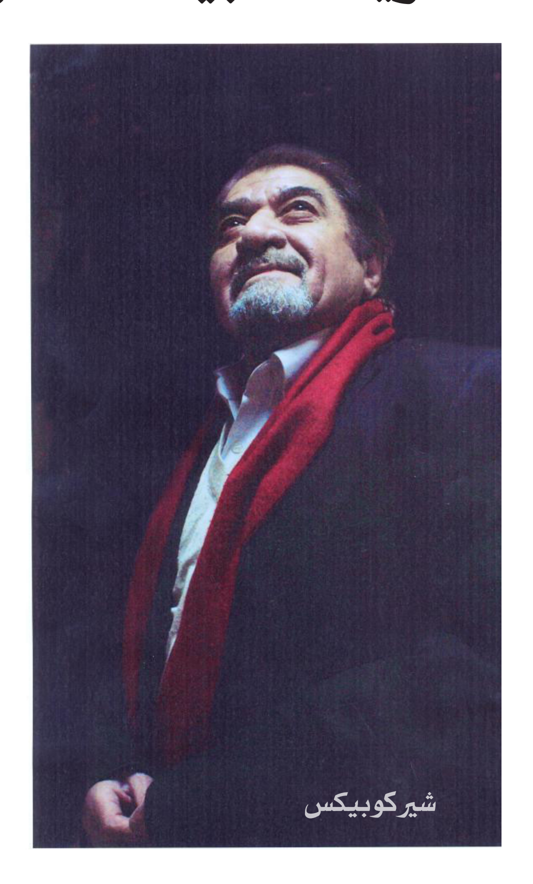
شعر: خورشيد شوزي



سراب النجوم
شعر: خورشيد شوزي
نهر مدادي يجري..
بلا جدول
يحمِّل الريح أفكاري
يجول بين أعاصير الحياة
كالنسر يحضن السماء
في عينيه زخات نور
في صدره غَدَقٌ من نار
يقبع تحت الشمس دونما شجن
يقاسي المحن
صوته كلهاث الغضبى
يمزج حصاد الشمس بالغيوم
يهزُّ صُمّ أسواري
*****
أرافقه فوق مدارج الشهب

في نظراتنا نار
في همساتنا رعد
معاً نمضي...
معاً صلاتنا ينساب عبر مسارب الحقب:
إلهي... خذ ما تشاء من الأيام
دعنا نعيش اللحظة كما نهوى
معاً نقطف ثمارها
بسلاح كامن اللهب
بأشهى ما تضم حدائق الهوى
*****
هناك خلف أفق الدموع
تنسال ابتسامات الأسى
تنفجر الحروف
لتلتهب بسمة النشوى
وتطير بأشرعة تضاحكها المدى
على أنغامها تتراقص أرجوحة القلب
كغانية ارتشفت خمر المعصية
من ينابيع آلهة مشوهة
تندلف من قبة بلهاء في السماء
تنثر ألحان العذاب
محملة ببركات الانتحار
*****
أصلّي... أصليّ
حتى يختلط الشروق مع الغسق
أكتم الشهقة في أنفاسي
لتنتحر زفرة صفراء بأحشائي
ويزغرد الدم في شِراييني
عَصائبه الحُمْر تدكُّ أسواري
تغتالِ حرّاسه
تزيل الحواجز المستحيلة
لتطير خلف الشمس الأرجوانية
هائمة في سراب النجوم

شيركوبيكس..
شعرية الطبيعة...شعرية الذات الرائية



علي حسن الفواز

حينما نقرأ نصا ترجميا لشاعر كوردي تأخذنا القراءة الاولى الى ما نفكر فيه، حيث النص الذي يكتبه شاعر نعرفه، وليس الى نص لانعرفهبوصفه مترجما من لغة اخرى، بكل ماتعنيهالترجمة من خضوع لموجهات المنشأ الجديد للنص، اي ان هذا النص سيكون عابرا رمزيا لحاجز لغوي، صوتي، ولايقاعاتمتخيلة سحبت منها الكثير من التفجرات الداخلية.
الاحساس بالنصيظل احساسا داخليا، احساسا ينتمي، يعترف بالمجاورة اللسانية الاستعمالية، والمجـاورة المتخيلة، وليس بالمباعدة التي تفترض انقراءة النص المترجمعملية استلاب اولي.هذه القراءة تدفع باتجاه التماهي مع احساس مخادع، احساس استيهامي يقوم على استدعاء الايهاملفكرة الكشف، وعلى عزل العديد من وحـدات النص العميقة لصالح توصيف افتراضي لفاعلية تلك القراءة..

اختيار شاعر بمستوى شيركوبيكسيعدّ محاولة لاختبار فاعلية الـقـراءة المجـاورة، القراءة التي تستحضر شفرات نفسيةلاستقراء محمولاتالنص المفكر به، النص المجاور للتخيل القرائي، وليس النص الترجمي الخالص، والتي تعني افتراضا تخليص هذه القراءة من اي موجّه خارجي يمكن ان يقوم على مخادعة اي توصيف، خاصة توصيف النص مترجما، اي النصالمحكوم بقواعد القـراءة الثانية/ قراءة مابعد الترجمة..
اخضاع نص شيركوبيكسالى فضاء القراءة المجــاورة، يعنى تجـاوز عـقـدة الـترجمة بوصفها مباعدة، واعـطـاء الـقـراءة الاولى- قراءة الترجمة- سلطة موجهة(بكسر الجيم) لافتراض ان نصه الشعري جزء من المفكر به وجوديا وشعريا ونفسيا، وهذا المفكر به هو مايستدعيالتعاطي مع التلذذ بالصور والرؤى التي تبثها البنيات الشعرية، لانها بنيات راسبة في اللاوعي، وان صورها وافكارها تبدو وكانهاتبديات شعرية تنكسر فيها فداحة الاغـــتراب، وبطريقة تـفـترض ان شعرية بيكسمسكونة بالتوصلات والرؤى التي تنمو فيها فاعلية الاحساسبالوجود الانساني المفكر فيه ايضا..
الترجمة الشعرية تفترض اغترابا، او خيانة ما كما يقول الايطاليون، انها تضع النص امام تشظ لغوي، وبنائي يفقد فيه الكثير من ايقاعاته الداخلية، لكني اجد في شعرية بيكس احياء لشرط اللغة بوصفها تفكيرا بالوجود، اي محاولة لضبط زي الاغتراب وتعريته، اذ يضع الشاعر هذه اللغة داخل ذاتها المفكرة بوصفها ذاتا ظاهراتية، تسحب العالم الى اللغ التي تستعملها الذات المفكرة الرائية، يكتب فيها ومن خلالها نصه الشخصي، نص جسده، نص وعيه، نص ذاكرته، وبالتالي فانه يتشيأ داخـل ذاكـرة اللغة نفسها، وليس في سياق التوصيل المبتذل كما يسميه ادونيس..
شيركوبيكس واحد من شعراء الذاكرة الخاصة، اقصد ذاكرة اللغة بوصفها تمظهرا في الزمن، وتأثرا به، وتحويلا له..فهو يضع القصيدة وكأنها محاولة لاستعادة الـوجـود/ الزمن، او التحوّل من خلالهاالى استكناه فضاءات مايحيطه، بوصفها فضاءات محشوة بالرموز والتناقضات والتواشجات، وان مفارقته تكمن في محاولته لتسحير هذه المفارقة ذاتها لتكون

تعبيرا او تاويلا او تتبعا او حدسا او ترقبا للعالم وهو يتحول داخل اللغة، هذا التحول الذي نهجس بتبدياته في النص، اذ يمتلك هذا النص حدس الرؤيا، ومراوغة المعنى..

في كتابه الشعري(الكرسي) يضعنا بيكس امام لعبة التحول، والتتبع، وشراهة القراءة، القراءة بوصفها تعرّفا، او نزوعا لافتراض وجـود بنيات شعرية مـتـجاورة تتجاوز عقد المباعدة التي تقترحها الترجمة عادة. هذه البنيات توظف بالمقابل فكرة التوازي مع وجود فاعليات باعثة على اعطاء هذه الـقـراءة تبصيرا للكشق واستقداما لرؤيا جديدة متجاوزة، تنشّط العلاقة مابين الشاعر والطبيعة، حيث يتعالى التوازي بين فاعلية هذه الطبيعة وتحولاتها، وبين فاعلية الشاعر وتحولاته..

فالطبيعة هـي النسق المفتوح في شعرية بيكس، والـتـي يخضعها لحفريات شعرية متوالية، تتكشف فيها الكثير من الانساق المضمرة، ومنها نسق الكرسي بوصفه تبديا لتحولاتها العميقة، اذ يتحول الكرسي من كونه تمظهرا في الطبيعة الى نوع من التماهي الشعرياالمتعالق برؤيا الكائن الكوردي، الذي يجسّ من خلالها مأزقه الوجودي،وشراهة التحول في طبيعة قاسية وصيانية، اذ الطبيعة الـتي تخصه رغـم قسوتها، والتي يسعى عبر استعادتها كدالة ظاهراتيةالى أنسنتها عبر سلسلة من التحويلات الرمزية في الدلالة، والمجازية في اللغة، تلك التي تنعكس على صناعة صورتها الشعرية، وعلى بنيتها السردية والدرامية، اذ تتحول الجملة من بنيتها الوصفية الى جملة مركبة، جملة تتبع، اي تكون الاقرب الى الجملة الثقافية، تلك الجملة التي يقول عنها عبد الله الغذامي بانها الجملة التي تملك طاقة تعبيرية كاشفة للمضمر الثقافي والموجهة له...

حين يمعن الناظر في هذا الكرسي
يجده كغيمة مكتئبة،
في سماء رابية سيوان
مضببة الابصار
وحين يصغي الى صدره
يستشعر صوت روح،
انه صوت يتلظى كجسده،
يبدو دوما مترنحا
وكانه ارجوحة النار..

انسنة الكرسي هي جوهر التحويلالشعري من الطبيعي الى الانساني، وجوهر فكرة الكشف عن النسق المضمر، النسق الذي تتجوهر فيه نظرة الشاعر للطبيعة، بكل ماتمثله من فضاء تعويضي وانساني، ونظرته لتحولات ذاتــه، اذ هو يواجه اغترابته الداخلية، ويعيش حـالـة فـداحـة الفقد الـتي تضع الطبيعة المؤنسنةامام رهاب القوة، قوة النجار وقوة السلطة الغاشمة، وقوة المحو..

يفترض نسق الكرسي وجودا كاشفا ومتحولا ومراقبا للعالم، وللذات، مثلما يفترض تحولا في استكناه النسق المضمر للطبيعة، اذ ان هـذا الوجود المتعالق بشفرة الكرسي كما يقترح الشاعر، يستدعي فاعلية القراءة بوصفها وعيا استعاديا، وبوصفها ايضا القراءة العميقة، قراءة الحفر، قراءة التحول، حيث يكون هذا التحول تعبيرا عن وجود

صراعتتمثله القوة برهابها الخارجي، رهاب المكان، والحرب، والشخصية، والعلامة، فضلا عن تمثله لسيرورة الشاعر بوصفه رائيا، فالكرسي هو اللحظة المؤنسنة، واللحظة الموحشة في آن، وهذه الثنائيةتكشف ضمنا عن تراجيديا مايراهالكوردي من رعب التحول في الطبيعة والتحول في الـذات، اذ يسبغ التحول الـرمـزي، التحول العصابي، فكرته الاستلابية على الفكرة الاستعمالية للكرسي ولـدلالـة وجـوده، وكـذلـك على توصيف الصراع العميق بين الطبيعة وبين المدينة، المدينة النقيض الصراعي للطبيعة، والنقيض لنفي الكردي ومعيشه ومقاومته في منافي الطبيعة المتجوهرة كدلالة تعبيرية عن القوة الصيانيةالحمائيةللكوردي المطرود والمقصي عن الالفة وعن الوجود..

التحول من الطبيعة الى المدينة في السياق الشعري يمثل ابـرز اشتغالاتشيركوبيكس الانطولوجي، فهو مشغول بالانسان، وعلائقه بالمكان والوجود بشكل عام، لان الوجود يعني هنا الاسئلة، يعني التجاوز ويعني الحرية، وهو اذ يستعير فكرة الكرسي ترميزا للتحول، فانه يسعى ايضا لاستعادة الوجود في الطبيعة او في اللغة بوصفه ترميزا لانزياح المبنى الشعري من مستوياته البصرية الى مستوياته المجازية والنفسية، وهو مايستدعيبالضرورة الى وجود اليات كشف مستمرة، تسحتضر المعنى المعبر عنه بالدلالة، او المعبر عنه بلذةمايكشفه وما يلمسه، اي ان الحيز الشعري عند بيكس يتحول الى ظيفة تراسل وكشف واتصال وتشفير، وهي قريبة من اشتغالاتياكوبسن في توليده للشعرية عبر الوظيفة اللغوية، وفي سياق رسائلها التي يلتحم فيها الشعري باللسانيبالاتصالي، وبما يضع هذه الوظيفة امـام شحنات حسية وتخييلة، تشير الى الطبيعة بوصفها مـادة شعرية، وتشير الى الذات بوصفها مصدرا لرسالتها، اذ انها تضع الشعرية في سياق سيمائي يحتفي بالمحتوى الحكائي السردي، ويحتفي بالمدينة بوصفها خزان النسق المضمر للشاعر..

هذا التوازي بين الطبيعة/ الكرسي، وبين المدينة/ الشاعر يسحب فاعلية القراءة الى مستويات تتبدى فيها توصلات الشاعر مع محيطه ومع ذاتـه، اذ ان اشتغالات الشاعر بالبنية الدرامية في النص الشعري، تتمثل في اساسها الى كشف مستويات الصراع، الصراع الـذي يمور بالتفاصيل، تلك الـتي يشتبك فيها البناء السردي، مع البناء الرمزي، مع تعالقاتها بالعديد من الصور الـتي تحضر بصفتها وثائقادانة وكشف، ادانـة لبشاعة التطهير الانـسـوي، ولتجلية رؤيـة الشاعر لحمـولات شفرة الـتـحـول، وعلى المستوى البنائي لتركيب فاعلية الدراما الصراعية في المشهد الشعري وفي تنامي وحداته البصرية مع مركباته السينوغرافيةفلاثراءمسرحة الحـدث، حيث الشخصيات والزمن والمكان، وحيث الصراع الدرامي واشتغالاته المفتوحة.

شيركوبيكس يضع نص الكرسي الطويل نصا للرؤيا، اي انه نصمفتوح للتمثل الخطابي لهـذه الـرؤيـا، عبر مجموعة من التشكلات التي تنمو في الشعرية السردية باتجاه ان يكون هذا النمو فضاء لتشغيل تكوينالعلاقات

البنائية دخل النص وداخل الجملة، والتي يبرز فيها نسق الكرسي، نسق الطبيعة، ونسق المدينة، ونسق السيرورة، ونسق الموت، نسق الشخصية..

هذه الانساق تنمو داخليا كانظمة داخل النص، مثلما تنمو خارجيا عبر العلاقات البنيوية التي تقيمها بين هذه الانساق، وحيوية هذه العلاقات هو مايعطي لشعرية بيكس عمقها الانساني وعمقها الصوري، وعمقها التحولي الذي يلامسماينكشف من انساق مضمرة تتوزع على الانساق الظاهرة..

رحلت العائلة من البيت

ورحل ابنها، الفتى العاشق الحزين عن البيت حاملا كمانه فحسب.

ومنذ ذلك اليوم صرت كرسيا متشردا

كرسيا مشتت الخيال، شارد الذهن كما السراب،

وغدوت عاطلا لبضعة اسابيع، وغطى الغبار شعري.

كنت انام طوال الوقت في احدى الوايا بمخزن

الى ان طالتني فرقة(بيشرو) ذات يوم

فاشترتني ونلت عضويتها..

نسق الكرسي عبر انسنتهيتحول الى نص شاهد، ونص راء، اذ هو كتابة في التعرّف كما اشرنا، ونص مراقبة لمايجري لكينونة الكوردي في اسفاره الوجودية والعوليسية..

هذا النص يتكشف عن مستويين، الظاهر الماثل في السيرة، وفي الرحلة، والمضمر العالق بحفر ماتحت المرئي الى ماهو غائر، حيث سفر اللغة بوصفها وجودا، وبصفته تمثلا خطابيا للوجود كمايرى فوكو، حيث رمزية اللغة المتعالية في الخطاب، وحيث البحث عن الحرية والوجود التي يتمثلها الانسان بوصفه صانع الخطابات.

النص/ الكتاب بدالة عنوانه/ عتبة النص يستدعي اصل الدلالة، عبر دلالة الطبيعة، ويستدعي تمثلاتها عبر الانسان الكوردي الباحث ايضا عن وجوده وحريته، وعن سيرورته في مواجهة رعب السلطة الغاشمة، في تتبع ذاته الواعية، ذاته الحادسة، وايضا تتبع سفر الكورسي من الطبيعة البكر، الى استعادة الاب المثيولوجي/ ادم الذي يريد اصلاح الارض، استكناه كل محمولات الى التفاصيل التي تهجس بالصراعات والتحولات، ليكون الشاعر من خلاله هو صاحب المرقاب الذي يرى العالم/ الطبيعة في سيرته تحولاته وانكساراته وقوته ومتاهته الخالدة..

من هنا شاهدت

بعض فراشات الخريف الهاربة من رياح الحكومة،

وبعض قصائد بيكس

وباقة من مقامات رشول

وثلة من اخشاب سعيد دارتاش

ودخلت كلها هذا الرواق.

رايتبام عيني

كيف تحولت الفراشات الى كلمات

والمقامات الى اسواق

والقصائد الى طيور

والاخشاب الى اشجار الشمس وساريات الاعلام

في ذلك اليوم كنت طافحا بالضباب...

حوار مع (بلند الحيدري) ينشر لأول مرة في الصحافة

خاص لمجلة سردم العربي: بلند الحيدري : الشعر الحر والحارس المتعب

اللغة الكوردية سمحت بارتباطها الشديد بالأرض أن تعطى أدباً له خصوبة الأرض وبساطة المظاهر الأولى



حاوره : حسب الله يحيى

يحتل الشاعر العراقي بلند الحيدري مكانة بارزة في حركة الشعر المعاصر حيث استطاع ان يشد الشعر الى عالم الناس ويتفاعل معهم ويعاني صحو المعاناة الفنية . وفي مهرجان ابي تمام الذي اقيم عام ١٩٧٢ في الموصل كان هذا الحوار الذي ظل مفقوداً وحين تم العثور عليه ظل عصياً على النشر في زمن سابق وكان الحديث فيه عن بلند الحيدري من المحظورات!

* سألته.. كيف تقدم بلند الحيدري الشاعر والانسان الى القراء؟

- كأنسان اقوم بين الماضي والمستقبل في نقطة الحاضر المتأزم علاقتي مع نفسي غير رضية لانني اتأملها من خلال الاخرين . لا احلم لانني صيرت احلامي

هدفاً اسعى اليه في شعري ، اقوم واقعاً اخر قد لا يستطيع الكثيرون ان يوصلوا بيني وبينه . في الواقع انا اتحرك وعياً وتصميماً وارادة واضع المسافة التي بيني وبين الاشياء . اما في شعري فأنا اتناقض وانا حوار مستمر ولا اعرف من اين يبدأ هذا الصوت واين ينتهي .

* وكيف تولد القصيدة لديك ؟

- القصيدة كتصميم تقوم على عاملين رئيسين الاول منهما هو انني اسقط نفسي في جو التجربة من ابعاد مختلفة .. اشل حركة يدي حتى يفور الموضوع في كل جزء من الوعي واللاوعي به وافتح نفسي بكل ما يرد علي من حوارات في ذات الموضوع واتقبل صراع الاصوات داخله ثم اعود اليها عبر العمل .

اكتبها بكل ما يخطر على بالي من دون تشذيب وتهذيب متحدة بعشرات الابيات وفي هذه اللحظة تكون القصيدة هي الوحي ، هي التجربة عبر المعاناة من دون العمل الفني وبعد ذلك اعود اليها في المرحلة الثانية مشذباً ومهذباً الى عملية المونتاج الكاملة ..ارفع هذه الكلمة مفردة لاضع بديلاً ايجابياً عنها ، فاذا بتلك الابيات بعد ان ياخذ بكل بيت مكانه يختصر القصيدة في عشرة ابيات وربما اقل احياناً .. بغية تكثيف التجربة وابقاء تاثيرها على القارئ .

* الصدق الفني ماذا يمثل لديك ؟

- الصدق هو الاساس الرئيسي للعمل الفني ومن دون هذا الصدق يتجرد الفنان من صفته هذه ليتحول الى عامل حاذق فالتجربة الاصيلة هي الجانب المهم في الموضوع دائماً الا ان ذلك لا ينفي العمل والاداء كعنصرين لهما ذات الاولوية والاخلاص في الموضوع.. انه هو المسؤولية وارتباط الشاعر بالتجربة ، وللتجربة مجالاتها فقد تكون تجربة واقعية او تكون تجربة حقيقية جاهزة .

* قرأت لك القصيدة والقصة القصيرة والنقد الادبي والفني فأين اجدك ؟

- في الفنون التشكيلية سعيت من جانبي الى ادخال بعض القيم القائمة في فن الرسم الى مجال الشعر ، اللون بمعناه التعبيري ، تركيب الحجوم في القصيدة ، البعد الثالث عبر توزيع التجربة بين زمنين .. الخ ، وعندما كنت اكتب في هذا المجال قمت بنقد بعض المعارض الفنية ووضعت دراسات عن الرسم . كنت انمي هذه الصلة وانمي ذاكرتي العينية ، وذات التجربة مرت ببودلير فقد كان من كبار نقاد الرسم في عصر النهضة .

اما مزاولتي النقد وغير ذلك فلأنني ايضاً احمل في اعماقي ناقداً شديد التعصب بمقاييس هذا الوعي وسعيت في ان استنفده في النقد اما الشعر فقد ظل

الوسيلة الاولى للتعبير عن ذاتي .

* كيف يقرأ بلند الحيدري من قصائد ادونيس و انسي الحاج و الماغوط .. وكيف تعامل معها وهو الشاعر الذي يقرأ بفكره وحواسه ومواقفه ..؟

- ادونيس واقع في النقيض لشعره ، فانا مازلت اتلمس نفسي في القصيدة التي تثير في مخيلتي فكراً او تمسك بي عاطفة .. ادونيس لايقول الشعر بأي من هذين العطاءين . تقوم تجربته الكلمة في معناها القاموسي وتجريدها من الرسم باسقاطها في لغة ثانية وعلاقة اخرى هي علاقة خاصة جداً في محاولة قد تكون مهمة بل هي مهمة وانا احترمها بهذا المعنى ولكنني كموقف في شعري وفي محاولاتي الاخيرة ؛ لا يمكني القول انني استجيب لها .. اما الماغوط وانسي الحاج فهما مثالان لقصيدة النثر التي لن تبرر نفسها بعد وان كنا نريدها فهي اقرب من لغة الشعر الى عصرنا اذ في اماكنها ان تستوعب مظاهره ومعطياته اكثر من القصيدة الموزونة . انك تسمع منها ازيز الطائرات وصوت الهاتف وهدير المحركات ، اما في القصيدة الموزونة فلا تزال لغة الشعر تطرد كل هذه المظاهر الدالة على العصر وتلك بلا شك صفة تخلف وربما ايضاً بأنتقالنا للاجيال من الاطار المنبري الى مجال القراءة ستتحول شيئاً فشيئاً من شعر الاذن الى شعر العين الا انني لحد الان ما زلت اقرأ القصيدة باذني . الماغوط وانسي الحاج مثالان جيدان لهذه القصيدة وان تميز الاول بالجودة اكثر من الثاني فهو غني بالصور المتلاحقة التي تاخذ الواحدة بالاخرى لتدور سوية حول بؤرة معينة تشكل نقطة المادة الرئيسية .

* كيف تنظر الى تيارات اليسار واليمين في عصرنا الراهن وفي عالم الادب بالذات ؟

- في الادب كما في غيره اقع في يسار الفن الفرنسي فيما يقع بيكاسو في يمين الفن الفرنسي وبيكاسو في يمين الفن السوفيتي وبيكاسو في اقصى يمين الفن الصيني رغم يساريته وانتمائه الحزبي . بالمعنى يكتسب دلالته من تفاعله وسقوطه التاريخي المحدد بالزمن والمكان ، ويسارية او يمين اليوم تتأكد من فرح الانسان فيها موقفاً مع تجربة الاشتراكية وموقفاً ضد سحق الانسان في العالم وموقفاً من التمييز العنصري ثم ايضاً موقفاً من تبني كل تطور فكري جديد يكثف التجربة الفنية ويحد مجالها وامكانياتها .

* متى يكون هناك صحو فني حقيقي يتلمسه المتلقي ؟

- الصحو الفني ، عودة ثالثة وثانية والمادة الاولى هي اساس الشعر الا ان

التجربة الشعرية لا تقوم الا بهذا الصحو الذي يجيء مع شعورك بضرورة الصفة .. وهنا يحتاج الشاعر الى وعي شديد بذاتيه القصيدة .

* في دواوينك تقف الى جانب المرأة ، تنصرها على عكس الشعراء الذين يحولونها الى جسد ، فهل يعني ذلك تطلعا الى تحويل الشعر الى طاقة محركة لتغيير اجتماعي ؟

- بأستثنائي (خفقة الطين) ديواني الاول فانني اكسو المرأة شيئا من اللحم ، وكانت صوتاً في شعري ويأخذ هذا الصوت بعده في كونه حاملاً للحضارة ثم شأنه شأن باقي الاشياء والغريب انك تلمس الكثيرين من المتشائمين كرهاً للمرأة لانها تحمل الحياة . المرأة في شعري تفاؤل يجد نفسه في الواقع حينا وفي الاسطورة حينا وفي الحلم احياناً .

وانت يا من تحلمين
ماذا تحلمين
بالدروب الزرق
في الغابة
بالموت مع الكون الذي لا تفهمين .

اما المرأة التي اقوم معها واقعاً واكمل وجودي بها فهي جزء مني ولا تقوم الا في الجزء الذي يتمنى رفع مستواها الاجتماعي ويعمل على تغييره ، انني اوظف شعري مع قضاياها .

* كيف نصل بالشعر العربي الى العالمية ؟

- نستطيع ان نتصل بالعالم عبر القصيدة التي تؤكد في خصوصيتها واقعا معيناً وفردا معيناً وتستطيع في ذات الوقت ان تجد العصر فيها والانسان معاً، فالشكلية الكلاسيكية في القصيدة العربية كانت سبباً في حجبها عن العالم بينما قربت هذه الاطر الحديثة في الشكل قصائدنا للعالم . البياتي يترجم باضعاف ما يترجم اي شاعر آخر حتى الجواهري.. والسبب لان شكلة قصيدته التي تأخذ اطاراً قائماً في ادب العالم كله .

* احساسك بالقرب من هذه التجربة والاخلاص لها متى تكون ؟

- ليس في شعري احاسيس متفاوتة في الشدة من حالات الغربة او الاغتراب . انني اسقط في احاسيس الغربة الا انني واثق ان من يحمل هدفاً في قلبه يظل على صلة في اطار هدفه وانه لا يسقط في الغربة .

* حارسك المتعب في ديوانك .. هل يبقى متعباً ؟

- حارسي لم يهرم مطلقاً لكنه ينتظر ، انه يؤدي واجبه وكان يدرك عظم هذا الواجب وديواني يؤكد على ذلك بأفتتاحيته وقصيدته الختامية .. وهو مسؤول عن العصر في البدء وهو في هذه القصيدة الاخيرة يرفض ان ينام ولكن

يجب ان يسمح لهذا الحارس مادام عمله وواجبه ومهمته قد اداها كما يجب وانه سيظل كذلك يحس بالتعب والقلق ويخاف على نفسه والعالم ولكن متى ينام كما اعتقد وكما اريد .. هذه الارادة نابعة من شيئين رئيسين هما ان يملك الشاعر تطلعه الى الغد وان يدرك في ذات الوقت الواقع المحيط به ، واقعه عبر الانجاز وبينهما تكمن قوة مأساوية لها بطولة التطلع وتضحية الواقع وتلك هي الشهادة والشاعر بهذا المعنى شهيد يقوم في القصيدة التي تؤمن بالانسان وتؤكد دوره وتصور محنته .

* كان وجودك في تاسيس اتحاد الادباء العراقيين بعد ثورة تموز ، وعملك في مجلة – الاديب العراقي – ومساهمتك في – اماسي الاتحاد – و –لجنة الادب الكوردي – ماهو تقييمك للادب الكوردي تحديداً بوصفك كوردياً .. وهل استطاع هذا الشعران يواكب مسيرة الشعب الكوردي النضالية ، ويتطلع الى اشكال حديثة تتعامل مع الزمن والثورة ؟

- اللغة الكوردية سمحت بأرتباطها الشديد بالارض ان تعطى ادباً له خصوبة الارض وبساطة المظاهر الاولى فنبتت القصيدة بسيطة وديعة كالدرة وثارت كالبركان وغردت كالعصفور ، الا انها لم تقلق في المدينة ولم تترسب في مجاريها ولم تستنشق نتن المحال التجارية الكبيرة . لحد الان لا تزال كذلك ، ولان الحياة الكوردية لم تتغير عبر منعطفات شديدة القسوة .

* وهل استطاعت القصيدة الكوردية ان تطور نفسها ؟

- جاء هذا التطور بطيئاً ، واملي ان ارى وبعد ان عمت الثقافة هذا المجتمع الذي فرض عليه الانعزال والعدوان في فترة غير قصيرة ان يجد ادبه في اطر جديدة اكثر غناء واكثر عطاء .

* اذن ما الذي قدمته التجربة الكوردية للادب ؟

- ان هذه التجربة استطاعت ان توحد بشكل عام بين فردها البسيط ومثقفها ، فوجدنا الاتصال قائما على اشد ما يكون ، ولم يستطع هذا الشاعر مهما كانت آراؤه ان يسقط في صوت امته ، وتلك ميزة على جانب كبير من الاهمية .

* معناه ان الادب الكوردي لم يسقط في الاغتراب ، اليس كذلك ؟

- نعم لم يسقط في الاغتراب ، بينما سقط فيه بعض ادباء العربية المتمثلين في عدد من شعراء وقصاصي لبنان بشكل خاص .. لقد بقي اديبنا الكوردي ناصعا ومخلصا الا ان تجاربه الفنية مازالت قليلة وتحتاج الى ادوات اكثر حداثة والتزاما بالعصر.



الشاعرة والصحفية الكوردية دلشا يوسف: لا يسعني إلا أن أقول انني أدمر مع كل بيت يقصف في بلادي

أجرى الحوار: ابراهيم ثلج الجبوري

ولدت الشاعرة والصحفية دلشا يوسف عام (١٩٦٨) في ناحية الدرباسية التابعة لمدينة القامشلي– حازت على الشهادة الجامعية عام ١٩٨٨ .تسكن الان في جنوب كوردستان في مدينة السليمانية. كتبت الشعر منذ نعومة أظفارها باللغة الكوردية، أمتهنت الصحافة، حيث عملت سكرتيرة تحرير مجلة (ميديا) – سليماني ١٩٩٣ و مديرة للمركز الثقافي (مزوبوتاميا) السليمانية١٩٩٣ وسكرتيرة تحرير جريدة (زياني نو– الحياة الجديدة) الخاصة بالنساء باللغة الكوردية في مدينة السليمانيةعام ١٩٩٧–١٩٩٨ وسكرتيرة تحرير لمجلة(سوركل) الناطقة بإسم الكورد في بيروت باللغة العربية٢٠٠٠–٢٠٠٢ .عملت

كمراسلة لوكالة أنباء (مزوبوتاميا) في بغداد (قصر المؤتمرات)عام٢٠٠٣ نشرت مجموعة شعرية بعنوان (أجـراس اللقاء) باللغة الكوردية في بيروت من مطبوعات دار آميردا للنشرعام٢٠٠٢ ، و(شمال القلب) منشورات اتحاد الادباء الكورد في دهوك عام ٢٠٠٦، لها العديد من الاعمال الابداعية والترجمية المطبوعة والموزعة بين بيروت وكردستان العراق واستمبول..

*من هي دلشا يوسف؟؟؟

- أنا دلشا الإنسانة التي تمردت على واقعها البائس و خـرجـت عـن طـور الـعـادات و التقاليد التي كبلت المرأة الكردية، منذ ما وعيت على الحياة، و لم تستسلم لإطار العائلة الشرقية التي تربي النساء على الطاعة العمياء للقوانين الذكورية، لتبحث عن ذاتها و هويتها، مدمجة ذاتها بذات وطنها المقسم بين جهاته الأربعة، لا تركن و لا تستكين، و لا يهدأ لها بال ما دامت لا تملك جهة تدركها البوصلة.

أنـا دلشا الـشـاعـرة الـتي تكتب بنفحتها الخاصـة، بوعيها بذاتها، بقوة أنوثتها، و بمكاشفاتها عن ما تتأمله من الآخـر، معلنة على المـلأ مقاييسها و رغباتها، غير آبهة بكثرة القصائد عدديا، ساعية لإختزال مجموعات شعرية في قصائد.

*لأنك منحتيني فرصة التعرف لشخصكم الكريم في حوارنا هذا بدءاً لو اعطيتك ورقة وقلم وطلبت منك رسم خريطة لكلمات عن وطنك سوريا فماذا سيخط قلمك؟

بلدي سـوريـا يئن و يـتـأوه و يـدك بيد من حديد و نار من قبل زبانية النظام الوحشي و الجيش الذي يفترض أن يكون حماة الديار. و صرخات الأطفال و الثكالى في حمـص و حمـاة وعـامـودا و القامشلي والدرباسية و في كل أرجـاء الوطن، تهز عرش العالم، و الإنسانية خرساء، لا حول لها و لا قـوة. لا يسعني إلا أن أقـول أنني أدمر مع كل بيت يقصف في بلادي، أموت ألف مرة مع مشاهد أطفال تطاردهم الموت في شـوراع بـلادي، روحـي خـاويـة كخواء بلدات بلادي من أهاليها، و لكنني مؤمنة و قوية بقوة الدفق الثوري الذي خاضه الشعب السوري الأبي ضد النظام الطاغي، و أدعـوا من الله بـزوال المحنة عن شعبي ووطني سوريا ليعيش الجميع في ظل نظام ديمقراطي تعددي لا مركزي يخلقه الشعب بإرادته الحرة.

– متى بـدأت دلشا يوسف بالكتابة ومن الذي شجعها ؟

- بـدأت بالكتابة منذ نعومة أظـفـاري، و كـان لتشجيع عـائـلـتي و إهتمامهم بالثقافة الـدور الكبير في دفـعـي لتعلم المزيد و تعميق قدراتي و معارفي، و رغم الشوفينية المنهجة التي كانت و ماتزال تمـارس ضد الهويـة و الثقافة الكردية،

إستطعت أن أتجاوز هذه الصعوبات و أتعلم اللغة الكردية قراءة و كتابة، و هذا ما عزز ثقتي بنفسي و بإمكاناتي و بمواهبي الشخصية، لأنني كنت من بين القلة من الكرد الذين إستطاعوا إتقان اللغة الكردية و الإبداع بها، و خاصة من بين النساء.

و كذلك فإن المواقف الوطنية لعائلتي فتحت أمامي آفاق أخرى للدخول في معترك السياسة و النضال من أجل حرية الوطن و إسترجاع الحقوق المهضومة للشعب الكردي. ففي المرحلة الأولى من حياتي تأثرت كثيرا بشعراء المقاومة و الأرض و الحب و الأممية، مثل بابلو نيرودا و ناظم حكمت و شيركو بيكس و محمود درويش و بالشعراء الكرد الكلاسيكيين مثل جكرخوين و أحمد خاني و ملا أحمد الجزيري و غيرهم، و لكنني كنت أكتب الشعر الحديث و أؤمن بالحداثة الشعرية، و لهذا حاولت أن أمزج الميراث الكردي القديم بالأدب الحديث.

و بالطرد مع تطور الوعي الثقافي و الأدبي لدي، تطورت لدي المفاهيم الأدبية و الرؤى الإنسانية ، و كان لذلك أثره الكبير على نتاجي الشعري، من حيث الإرتقاء الفكري و الدلالي و التعبيري و التصويري، و كذلك من نواحي المقاييس المنطلقة من وعيي بذاتي و بهويتي كإمرأة.

أما الآن فأنا لا أكتب إلا إنطلاقا من ذاتي و لذاتي، إعتمادا على التراكم الثقافي و الحسي و الموروث الثقافي الإنساني عامة و الكردي خاصة.

*حدثينا عن ديوانك الشعري (اجراس اللقاء)؟

- مجموعتي الشعرية الأولى (أجراس اللقاء) كانت نتاج المرحلة الأولى من حياتي الشعرية، لذا لم تخلوا من الشعاراتية و الوعي القومي البدائي و التخبط بين القديم و الحديث من الميراث الشعري، حيث لم ينضج وعيي بذاتي و بإنتمائي، و لم تتوضح لدي بعد معالم فلسفة الوجود و الحياة. لذا و بعد مرور مرحلة على صدور هذه المجموعة، إستطعت أن أضع إصبعي على مواطن الضعف و الوهن في جسد قصائدي و تلافيها في مجموعتي الثانية (شمال القلب) و التي لاقت رواجا كبيرا و تم ترجمتها بالكامل من قبل أدباء و مترجمين قديرين و كتبت عنها من قبل الكثير من النقاد، و تم تلحين بعض قصائدها و غناها فنانين كرد كبار، و هذه المجموعة الآن مشروع كتاب جديد باللغة العربية.

* بعيدا عن القراءة والكتابة هل لك اختصاص معين تعملين به؟

- أعمل كناشطة سياسية و إنسانية في مجال حقوق المرأة.

المترجم سامي الحاج:
نحن بحاجة ماسة الى تعريف العالم العربي بالأمة الكوردية وقضيتها العادلة

حاوره : جمال برواري



سامي الحاج





جمال برواري

سامي الحاج.. كاتب ومترجم أغنى المكتبة الكوردية والعربية بالعديد من الاعمال التي شكلت جزءا مهما من الذاكرة الادبية العراقية وساهم في تعريف القارئ العربي بابداعات المثقفين الكورد وتميز بتمكنه العالي من اللغة الكوردية والعربية وبنفس الاتقان الذي انعكس على مستوى الاعمال التي قدمها والتي استطاعت ان تثير الكثير من الاهتمام في الوسط الادبي والثقافي العربي والكوردي وبنفس التأثير.. كانت لنا فرصة الالتقاء به لاضاءة جوانب من تجربته الابداعية والثقافية فكان هذا الحوار:

*لنبدأ بالسؤال التقليدي متى كانت البداية والخوض في هذا الميدان الصعب ميدان الترجمة ولماذا اخترت هذا الميدان ؟

-البداية كانت في النصف الثاني من عقد الثمانينيات من القرن المنصرم وقد انقطعت عن الترجمة مرغماً بسبب انشغالي في العمل الصحفي خلال عقد التسعينيات، ولكن بعد هجرتي الى السويد عدت الى ممارسة الترجمة الادبية. أعتقد أن الاديب، سواء كان شاعراً او قاصاً أو غير ذلك لا يختار مجال إبداعه وإلا لأخترت أن أكون قاصاً.

★ مؤهلات المترجم الناجح؟
ـ هناك جملة عوامل تؤثر في كفاءة المترجم ويجب توافرها فيه لكي يكون ناجحاً في عمله ومبدعاً في ترجمته، وهذه العوامل يكمل أحدها الاخر، وأبرزها تمكّن المترجم من اللغتين التي يشتغل عليهما لأن اللغة هي السلاح الرئيس للمترجم، وأن يكون المترجم مثقفاً مطلعاً بشكل جيد في المجال الذي يترجم فيه، وأن يكون محباً لعمله الى أقصى حد وصبوراً على تحدي النص، وأن يكون له خيال خصب يمكّنه من ترتيب وصياغة وتصور النص (القصة مثلا) بلغته وأجوائه الجديدة.
★ لقد ترجمت اعمالا ادبية كثيرة وقرأنا تلك التراجم وقد كنت مبدعا، اي الاعمال التي ترجمتها كنت متشوقا لها، وما هي الاعمال التي ترجمتها؟
ـ لا أترجم عملاً أدبياً إذا لم أكن متشوقاً الى ذلك وبالتالي مقتنعاً بجدوى ترجمته وصرف الجهد والوقت عليه. وأنا غير نادم على الاعمال التي ترجمتها الى حد الآن على قلّتها وهي:
رواية المحرقة للكاتب بلند محمد, والقرية لمحمد سليم سواري, والحب في زمن الألم لمحسن عبدالرحمن, ورواية مريم امرأة من زمن آخر لصبري سليفاني, وشواف... الليلة الاخيرة وهي مجموعة قصص لعدد من الكتاب الكورد اضافة الى كتاب تحت الطبع هو مجموعة قصصية تحت عنوان مذكرات ميت (تحت الطبع) للقاص اسماعيل سليمان هاجاني, فضلاً عن عدد آخر من القصص التي لم يضمها كتاب، ومشروع أعمل عليه حالياً.
★ هل تترجم حرفيا او انك تحذف وتضيف ؟
ـ الترجمة الحرفية للنصوص الادبية تشوهها وهو امر غير وارد في ترجمات كهذه ولا أعتقد أن هناك مترجماً يعمد الى الترجمة الحرفية.وبالتالي فأن مسألة الحذف والاضافة مطلوبة ولكنها سلاح ذو حدين ينبغي على المترجم الذكي أن يحسن استخدامه لكي يخرج النص الجديد عملاً ابداعياً يوازي النص الاصلي ويتفوق عليه أحياناً، بنص جديد سلس لا يشعر القارئ بتعقيدات الترجمة أثناء القراءة.
★ قرأت رواية (الحب في زمن الالم) للكاتب محسن عبدالرحمن, لقد كنت مترجما بارعا، وانا اقرأ الرواية وكأني اشاهد فلما سينمائيا من الاحداث كم استغرقت من الوقت في ترجمتها وهل اضفت وحذفت منها ؟
ـ لا أذكر بالضبط كم أستغرقت من الوقت في ترجمتها لانني أولاً لا أسجل ذلك، وثانياً لأن الترجمة بالنسبة لي ليست مهنة بل هواية أمارسها، لذلك ربما مرت أيام واسابيع لا أترجم خلالها شيئاً لأنشغالات هنا وهناك، ولكن بشكل عام يمكنني القول أنها أخذت مني ثمانية أشهر من العمل.بالنسبة الى الاضافة والحذف فقد تحدثت عن ذلك وهي مطلوبة وضرورية بل وتفرض نفسها احياناً على المترجم وخاصة في مجال الترجمة الادبية.
★ اكثر اعمالك التي ترجمتها كانت من الكوردية الى العربية لماذا ؟ ولماذا لايكون العكس؟
ـ هذا سؤال مهم وكثيراً ما سُئلت عنه. أعتقد أننا بحاجة ماسة الى تعريف العالم العربي بالأمة الكوردية وقضيتها العادلة وافضل نافذة يطلع من خلالها العرب على الامة وقضاياها هي نافذة الادب والتاريخ ولذلك من الضروري ترجمة الادب والتاريخ الكورديين لتكون جسراً للتواصل بيننا وبين العرب في باقي الدول العربية الذين يكادون (في الغالب) لا يعرفون شيئاً عن الكورد. وأظن أن هذه خدمة كبيرة للأدب والاديب الكوردي الذي لا يخرج صوته من أقليم كوردستان العراق وخاصة بالنسبة للكتاب الشباب.وكتحصيل حاصل فانني أعتبر أن

الترجمة من العربية الى الكوردية تأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهمية خاصة أن نسبة كبيرة من الكورد يقرأون بالعربية أيضاً.

* هل انت تبحث عن الاعمال لترجمتها او الكتاب يبحثون عنك وكيف تتفق معهم وهل تضع شروطا مسبقة ؟

- أنا أبحث عن الاعمال طبعاً ولا أترجمها دون اقتناع، ولكن هناك أعمال تفرض نفسها من خلال ما يكتب وينشر حولها من مقالات نقدية. وبما ان عملي ليس احترافياً لذلك ليس لي شروط، تكفيني موافقة الكاتب لتبدأ مرحلة الترجمة التي تأخذ مني الوقت والجهد الكثير مقابل لا شيء مادي سوى أنني أريد تقديم خدمة للأدب الكوردي وإخراجه من نطاق محليته

* لا يوجد لدينا أدباء يحترفون الترجمة، كما لا يوجد أدباء من الشعوب الأخرى يجيدون اللغة الكوردية، ولهذا تندرُ الترجمة من اللغة الكوردية إلى اللغات الأخرى، مقابل كثرة النصوص المترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة الكوردية؟

- لأن مجرد معرفة اللغة الكوردية لا تجعل المترجم ناجحاً ولا تجعل النص الجديد مقبولاً. التمكن من اللغة والاطلاع الكافي على الحياة الاجتماعية والتاريخ الكوردي تكاد تكون شروطاً لا بد منها لمن يريد التصدي لترجمة الادب الكوردي.

* الشعب الإنكليزي لم يقم بترجمة شكسبير، ولا الشعب الروسي ترجم دستوفسكي، الشعوب الأخرى هي التي قامت بعملية الترجمة، الشاعر أحمد رامي أمضى جزءاً من عمرهِ يتعلم اللغة الفارسية كي يترجم رباعيات الخيَّام، الخطوة الأولى هي أنَّ اهتماماً عالمياً بدأ باللغة الكوردية، وتوجد رغبة لدى الكثير لتعلم اللغة الكوردية، وهذه الرغبة ستمهِّد لترجمة الأدب الكوردي إلى اللغات الأخرى، لكن الترجمة وحدها لا تكفي، يجب أنْ تكون ترجمة أدبية، فنية، تضمنُ للكتاب قبولاً من جمهور القراء،ماذا تقول انت ؟

- أنا لاأتقن الانكليزية أو الروسية ولهذا لم أقرأ لهذين الكاتبين العظيمين بلغتهما الأم، انا أيضاً قرأت لهما بالعربية ولذلك أجهل تماماً كيف كتبت النصوص الاصلية ولكن بالنسبة الى الاديب الكوردي فأنه (بشكل عام) يكتب برمزية وضبابية متجذرة في عمق الخصوصية الكوردية فرضتها الظروف التي مر بها الشعب الكوردي، وحتى الآن بعد التحرر من الدكتاتورية، فان الكثير من الادباء يعمد الى هذا الاسلوب ليمرر أفكاره واراءه في الوضع الجديد، وهناك من القصص والقصائد ما لا يمكن ترجمته حتى من قبل المترجمين الكورد، وهنا تأتي ضرورة أن يكون مترجم الادب الكوردي كوردياً.

* تقييمك للمترجمين في الساحة الادبية الكوردية ؟

- الادباء المترجمون في منطقتنا يعدّون على أصابع اليد الواحدة وربما كان عدم الاهتمام الرسمي بالترجمة سبباً كافياً لعزوف المتمكنين من الادباء عن ترجمة الاعمال الادبية.

* كلمة تقولها عبر مجلة سردم العربي؟

- لست مترجماً محترفاً لمهنة الترجمة. إنما انا هاو أود من خلال هذه الامكانية التي حباني الله بها ان أُقدم خدمة ولو بسيطة لبلدي من خلال تقديم أعمال أدبائه الى قراء العربية لتكون جسراً للتواصل الثقافي بين الشعبين الكوردي والعربي.

وماذا بعد؟

في النهاية أود أن أتوجه صادقاً بالدعوة الى حكومة اقليم كوردستان للأهتمام بمسألة ترجمة الادب والتاريخ الكورديين الى العربية ولا ضير من انشاء مؤسسة خاصة تعنى بذلك بدلاً من هذا العدد الكبير من القنوات التلفزيونية المتشابهة.

إنه بريق ثقافي لا ينطفئ

البروفيسور الدكتور فؤاد حمه خورشيد- بغداد

لست أجامل. ولن أعير للصداقة او الزمالة او لتباين الأفكار والمواقف والانتماءات اي اهتمام في كتابة هذه الأسطر، فأنا لست من الذين يربتون على الأكتاف، ولا من المتملقين لهذا أو ذاك، لكن الموضوعية في الكتابة تقتضي مني ذلك. هذا البريق الذي أعنيه هومصطفى صالح كريم الشخصية الغنية عن التعريف في الوسط التربوي، والثقافي، والأدبي، والصحفي وحتى السياسي في المجتمع الكردستاني بشكل عام، وفي مجتمع محافظة السليمانية بشكل خاص، بل ان شهرته كأديب وقاص يعرفها جيداً عدد غير قليل من المثقفين العراقيين و العرب أيضاً، وإضافة الى ذلك، ناشط اعلامي وصحفي لامع ايضاً، ولعله يعد


مصطفى صالح كريم

اليوم واحداً من أبرز وانشط الصحفيين في كردستان، ومن أكثرهم حيوية، وحضوراً، وخبرة، وديناميكية، رغم تقدمه في السن، وبالأخص في مجال نشاطه الصحفي والأدبي والسياسي والإجتماعي.

ومصطفى فوق كل ذلك رجل صاحب قدرات متميزة في إقامة الندوات الثقافية وإدارتها، وإقامة الدورات والمؤتمرات التربوية والثقافية، و الإشراف على

المهرجانات الأدبية والصحافية، ويشهد على ذلك نجاحاته المحققة في كل مهمة او نشاط مكلف به من هذا القبيل وعلى مدى تاريخ اتحاد الأدباء الكرد، او حتى قبل ذلك وبعده. كما كان،هو نفسه، مصدراً لأرتياح كل الأشخاص، او اعضاء اللجان التي كان يعمل فيها، او ترأسها، وهذه الصفة قلما تتوفر في رجالات الوسط الثقافي. يضاف الى ذلك ايضاً، انه رجل صاحب موقف والتزام أمام اصدقائه، وربما في هذه الناحية، تتميز عن سواه من الأصدقاء الذين عرفناهم.

* ان الذي دفعني الى قول ما ذكرته عن زميلي مصطفى صالح كريم هو رد فعل إيجابي، ودافع ذاتي، أوحتها لي قراءتي لكتابه القيم الموسوم بـ» يەكێتى نووسەرانى كورد: رێباز و هەڵوێست« «اتحاد الأدباء الكرد.. نهج ومواقف» الصادر عن مطبعة بيرةميَرد، السلمانية، ٢٠١٢، بـ (٤٩٤) صفحة من الحجم الكبير. ان جاز لي القول، فأن هذا الكتاب أشبه برواية تأريخية، أو فيلماً وثائقياً لسنوات طويلة من التأريخ النضالي المشرف لأتحاد الأدباء الكرد، وللعديد من شخصيات هذا الفيلم، الذي لولا أنامل مصطفى صالح كريم، لظلت طي الكتمان والنسيان والضياع. ولابد من الإشادة بدور أسرة صحيفة كوردستانى نوىَ التي طبعت هذا الأثر النفيس وقدمته الى المكتبة الكردية بمقدمة قصيرة لرئيس تحريرها الزميل ستران عبدالله، مع ان الكتاب مكرس، كما هو واضح من عنوانه، لأتحاد الأدباء الكرد، إلا انه لا يخلو من صور شتى، ومواقف متنوعة، وأحداث دامية ومؤلمة للواجهة الثقافية للمجتمع الكردستاني، هكذا يؤطر الكاتب حياة الأدباء ضمن حياة المجتمع الكردستاني الذي مر بفترات قاسية ومريرة بيد الحكام الظالمين. وعليه فاننا سنتناول باختصار بعض أحداث وصور هذا الكتاب:

أشار الكتاب، بشيء من التفصيل الى حالة الأتحاد وموقف الأدباء الكرد قبل تأسيس اتحادهم، وبشكل خاص بعد أن أجيز اتحاد الأدباء في العراق، بعد ثورة الرابع عشر من تموز، ومطالبته آنذاك بتأسيس اتحاد خاص بالأدباء الكرد، وظل هذا المطلب مستمراً حتى اجازة الاتحاد في العاشر من شباط عام ١٩٧٠ وكان مقره آنذاك في شقة بشارع الرشيد، كان يملكها الضابط والشاعر الكردي المرحوم عبدالرحمن المفتي (ص١٩). وهكذا يبدأ الكتاب بعد ذلك، بسرد وقائع مؤتمرات الأتحاد بأسلوبه الشيق والجذاب، حيث عقد المؤتمر الأول للإتحاد في ١٩٧٠/٦/٢٣ بقاعة الخلد ببغداد (ص٢٣) وتلته كونفرنسات المحافظات الكردستانية وفروع الإتحاد. وعقد المؤتمر الثاني في الفترة ١٤-١٩٧١/٧/١٧ في أربيل، والثالث في بغداد بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٧ (ص٤٢-٥٠)في مقر الإتحاد والذي كان آنذاك قرب القصر الأبيض، أما المؤتمر الرابع فلم يعقد في عام ١٩٧٣ بسبب توتر الأوضاع ما بين القيادة الكردية آنذاك والسلطة البعثية، حتى

تم عقده في ١٩٧٤/١/١٠ في قاعة الجامعة المستنصرية ببغداد. (ص٥٥-٥٠).
بعد هذا المؤتمر أعلن القتال مجدداً في كردستان حيث تراجع البعث عن تنفيذ ما سبق وأن تم الإتفاق عليه مع الكرد، وهنا تبدأ (مرحلة جديدة وتجربة جديدة في حياة الأدباء الكرد)(ص٧٤-١٢١)، تضم هذه الصفحات أحداث وصور شتى لحياة الأدباء داخل الثورة الكردية عام ١٩٧٤ واحداثها السياسية والعسكرية بحلوها ومرها.

***

بعد مؤامرة الجزائر الخيانية عام ١٩٧٥ وتوقف الثورة عاود الأدباء الكرد نشاطاتهم داخل مدن كردستان وعقدوا مؤتمرهم الخامس في ١٩٧٨/٩/١٠ في اربيل، رغم الدور السيئ والضغوط التي كان يمارسها صنيعة البعث عبدالغفار الصائغ، (ص١٢٤)، الا أن المؤتمر كان مؤتمراً للتحدي وفي عام ١٩٧٩ عقد المؤتمر السادس على قاعة جمعية الثقافة الكردية في الوزيرية ببغداد. ومن ثم تعرض الإتحاد الى الغلق ولم يعقد مؤتمر آخر بعده حتى جاءت الإنتفاضة المباركة وحينذاك عقد المؤتمر السابع في شقلاوه في تشرين الأول عام ١٩٩١ (ص٣٦٩-٣٧٤). أما المؤتمر الثامن فعقد بعد انتظار طويل ومرير في السليمانية بتاريخ ٢٠١٠/٧/١٥.
من الجدير بالذكر هنا ان مصطفى صالح كريم، كان قد التحق بثورة أيلول مع سائر الأدباء الكرد، وأنيطت به مهمة إدارة الإذاعة الكردية في الثورة، ونقل اثر توقف الحركة بعد مؤامرة الجزائر الى مدينة الرمادي، ولحسن الصدف!! كنت أنا ايضاً، منقولاً الى هناك لنفس السبب، وهكذا كنا نتبادل الزيارات ونمني النفس باندلاع الثورة من جديد لنتخلص من ذلك الوضع الكئيب والمؤلم.
ولعل اهم نقطة فصلها الكاتب هي محاولة السلطة البعثية الغاء (إتحاد الأدباء الكرد) ودمجه باتحاد الأدباء العراقيين حيث دعى الأدباء لحضور إجتماع عقد في مدينة اربيل في الفترة ١١-١٢ كانون الثاني عام ١٩٨٣ (ص١٩٤-٢٠٥) ومع ان معظم الأدباء الكرد عارضوا الأندماج إلا ان السلطة نفذت ما أرادت، (ص٢١٨و٢٢٦). ولعل أبرز موقف لمصطفى صالح كريم هو جرأته في تقديم مذكرة بتوقيعه الشخصي نيابة عن الأدباء الكرد الى سلطات ذلك الزمن المرعب عبر فيها عن مطالب الكرد وعن الاجراءات غير السليمة التي تتخذها السلطات ضد القلم الكردي والتي لازلت احتفظ بنسخة مستنسخة منها في ملفاتي (ص٢٤١)، وإثر تكرر مواقفه الجريئة وتحديه للسلطة في الندوات، تم استدعاؤه بشأنها الى مديرية أمن بلدة السليمانية للتحقيق معه. والجدير بالذكر ان نشاطات مصطفى صالح كريم في ذلك الزمن المر ومواقفه الوطنية كانت السبب في إجباره على تقديمه طلب للتقاعد، كجزء من الضغط عليه من الناحية المعاشية، حيث أحيل على التقاعد في ١٩٨٤/٧/١ براتب قدره آنذاك، ١٩٧ديناراً

(ص٢٤٦). ولكن ذلك لم يؤثر على مسيرته ومواقفه الشجاعة.

لم تكن مسيرة الإتحاد بمنأى عن مسيرة الشعب الكردي البطولية ضد سلطات البعث الجائرة، التي حاولت أن تشوه كل شيئ كردي جميل وان تنغص الحياة بكل مناحيها. فقد أشار الكاتب الى العديد من الأحداث التي أثرت وتأثر بها الأدباء الكرد ولعل أبرز الأحداث التي وردت في الكتاب هي:

اشار بوضوح الى أسماء من كانت لهم أدوار مختلفة و ذكر الاجتماع السري الذي عقد ببغداد في دار فؤاد حمه خورشيد (ص٢٦٥) لمطالبة الأحزاب الكردستانية بتوحيد صفوفهم وتوجيه سلاحهم الى رؤوس النظام الديكتاتوري وإزالة الخلافات بينهم، كما تطرق الى مضايقات السلطة ضد الأدباء الكرد لأنهم لم يساهموا في الكتابة (لقادسية صدام) (ص٢٦١-٢٦٢)، وإغتيال المرحوم شاكر فتاح مع ذكر لآثاره الأدبية والنضالية (ص٣٠٠-٣٠٦)، حرب اقتتال الأخوة (ص٢٠٠-٤٠٢). جرائم علي كيمياوي عام ١٩٨٥ عند فرضه لمنع التجوال في مدينة السليمانية وقتله للمرحوم طاهر محمد عمر مع ولديه لوجود صورة لأحدهم مع البيشمركه، وإغتيال خبات شيخ محمد شيخ غريب باساك لوجود كتاب ماركس في مكتبته وقتل عشرات الشباب الآخرين في ذلك اليوم المشؤوم لأتفه الأسباب، وأشار الى إنعقاد المهرجان الشعري الأول في مدينة كركوك في نوروز عام ١٩٧٢ والضغوطات التي تعرض لها بعض الأدباء، وأحداث أخرى مثل إعدام المناضلة ليلى قاسم في ١٩٧٤/٥/٤ مع عدد من المناضلين الكرد الشباب (ص٨٠) وقصف جامعة السليمانية في قلعةدزه في ١٩٧٤/٤/٢٤ (ص٧٨)، وقصف حلبجة في ٤/٢٦ و قصف جسر كلاله في ١٩٧٤/٤/٢٧ (ص٧٩) وأسر الطيار العراقي صفاء شلال في نفس العام (ص١٠٧)، وإعدام البيشمركه ئاوات إبن الفنان عمر علي امين من قبل سلطات البعث عام ١٩٧٩ (ص١٤٥)، وقصف مدينة حلبجة بالأسلحة الكيمياوية في ١٩٨٨/٣/١٦ وموقف الأدباء المشرف منها (ص٢٧٢-٢٧٦). وآخرها وأروعها ما أشار اليه الكاتب هو انتفاضة شعب كردستان عام ١٩٩١، ودور الأدباء والكتاب الكرد في اسنادها ودعمها (ص٢٤٢-٢٤٤) وما تلاها من أحداث كالهجرة المليونية، ثم العودة وترسيخ أساسيات الفيدرالية في كردستان.

بعد كل هذا يجد القارئ ان الكاتب كان منصفاً في ذكره للأحداث حتى مع الذين كانوا ينتقدونه، بل وذكر بأنصاف مواقف العديد منهم مبيناً فيها حسنات وجرأة تلك المواقف الوطنية وفي أكثر من مكان، وبالأخص المواقف الوطنية للدكتور عزالدين مصطفى رسول، ومحمد ملا عبدالكريم، وسعيد ناكام، وعشرات غيرهم، وفي أكثر من صفحة.

وأخيراً .. ان مصطفى صالح كريم كتب كتاباً قيماً بـ ٤٩٤ صفحة كانت كلها، كنتيجة

نهائية، تكريس لمواقف اتحاد الأدباء الكرد الوطنية المشرفة، وللأدباء والكتاب الكرد في نضالهم بالقلم والموقف من اجل هويتهم القومية وحقهم التاريخي في ابراز الهوية المميزة لهم، يقول الكاتب:

« إن اتحاد الأدباء الكرد بحد ذاته كان جامعة أدبية ثقافية للأدباء والكتاب، عدا انه كان خيمة كبيرة احتضنت الأدباء جميعاً بمختلف إتجاهاتهم وافكارهم. كان الأدباء الكرد موحدين في صوت واحد في كل المسائل الوطنية والقومية».

ويقول مصطفى: « لم نسمح بحدوث أية ثغرة في صفوفنا، ان غالبية الأدباء الكرد اختارت منذ البداية خندق الشعب ولم يقصر اي منهم في تقديم ما أمكنه من خدمات لشعبه، رغم انهم جوبهوا بالعنف والإرهاب وتضرروا كثيراً وفقد العديد منهم وظائفهم وبلغ بهم الأمر أن قدم عدد منهم أرواحهم فداءاً لقضية أمتهم. ومع كل هذا وذاك خرجوا مرفوعي الرؤس ولم يغادروا خنادق الشرف».

ويزيد مصطفى الى القول: «البعض الذي خرج من الخط وغرّد خارج السرب او انخدع بالوظائف والمصالح ظل في قرارة نفسه يحن الى السرب الذي غادره» ومع هذا فقد كان هؤلاء قلة ولم يكن لهم اي تأثير.

لقد أدمج الكاتب أربعة صور في صورة واحدة ضمن هذا الكتاب هي:

١-الدور التأريخي لإتحاد الأدباء الكرد في نضال الكلمة والموقف والهوية.

٢-المواقف الوطنية والقومية للأدباء التي وردت أسماؤهم فيه.

٣-الوجه القبيح للسلطة وأجهزة أمنها القمعية ضد الإتحاد وأعضائه.

٤-حيادية الكاتب وموضوعيته وشفافيته في الطرح ونكران الذات فيما يخصه.

بعد كل هذا، لم أجد ما يدعوني الى توجيه نقد ما الى هذا الكاتب وصاحبه، فحتى النواقص والثغرات، إن وجدت، (فقد طالب الكاتب زملاءه بتزويده بملاحظاتهم حتى يستفيد منها لطبعته الثانية)، فأن الذي يبررها هو كون الكتاب نتاج ذاكرة شخص لفترة غير قصيرة من الزمن، قد لا تتوفر معلوماتها مجتمعة، إلا عند هذا القاص والكاتب والصحفي الذي شبهت ذاكرته، كما هو واضح من العنوان بـ (البريق الثقافي الذي لا ينطفئ)، وقد سبق وأن أطلقت عليه القاصة شيرن.ك قبل عشرين عاماً تسمية «ذاكرة المدينة» وهو حقاً كذلك.

لذا فالكتاب جدير بالقراءة والإقتناء، وأتمنى من اتحاد الأدباء الكرد، بكل فروعه، اقتناءه والترويج له لأنه جزء هام، وهام جداً، من تأريخهم النضالي والذي هو جزء مكمل، وصفحة مشرقة في تأريخ هذا الشعب المناضل وعليه أؤكد من الضروري لأعضاء اتحاد الأدباء الكرد الإطلاع على تأريخ إتحادهم المشرّف.

أسبوعان في ((وان))



بقلم: د. محمد صابر عبيد

في زيارتي السابقة إلى تركيا صيف عام ٢٠٠٩ غزاني شعور عميق بالراحة والفرح والطمأنينة، لم يكن هذا الشعور واضحاً تماماً أمام رغبتي في التفسير، على الرغم من أن ذلك كان واضحاً على محيّاي، كما عرفت حين عودتي إلى منزلي وقد لاحظت زوجتي بوجدانها المحبّ ذلك البريق الذي لا يخفى في أعماقي، لم أعد راغباً في مواصلة البحث عن تفسير ما لأن ذلك يفسد طفولة المباهج، ويرقّن قيد الفرح، ويمحق قمر الدهشة .

ظللت أعبّ من رحيق تلك الزيارة حتى جاءت زيارتي الثانية وقد عرفت أنها ستطول قليلاً بحسب الدعوة التي وجهتها لي ((جامعة يوزونجي ييل)) لألقي سلسلة محاضرات على طلبتها الذين يدرسون اللغة العربية، كنت في كامل الطمأنينة وأنا أقف صحبة جمع غفير من المسافرين في مطار أربيل بانتظار السماح لنا بدخول الطائرة التي ستقلّنا إلى اسطنبول، وحيث بلغت الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم الجمعة الثامن من تشرين الأول ٢٠١٠، وصالة المطار مكيّفة جيداً تفادياً للحرّ الشديد في الخارج، سرتْ همهمات بين بعض المسافرين الذين جاءتهم اتصالات من اسطنبول تتحدّث عن

عاصفة مطرية قوية هناك، لكن السماح لنا بركوب الطائرة بعد عشر دقائق من التأخير عن الموعد الرسمي ألغى التكهنات باحتمال تأخير الرحلة، وأخذ كل مسافر منّا مقعده على متن الطائرة التي ما لبثت أن أقلعت في سديم الفضاء بكل حرية وأناقة .

وصلنا مطار (أتاتورك) في الجانب الأوربي من اسطنبول بعد الخامسة مساءً بقليل، وبعد أن انهينا إجراءات مغادرة المطار وكانت في غاية السهولة واليسر، أخرجت هاتفي النقّال وطلبت صديق الدكتور محمد شيرين رئيس قسم اللغة العربية في جامعة يوزونجي ييل في مدينة (وان)، لكنه رفض المكالمة ليعيد الاتصال بي مباشرة من جهته ويعلمني بوجود شاب اسمه (إبراهيم) ينتظرني في صالة المطار الخارجية، حاملاً بطاقة كبيرة مسجّل عليها اسمي، سرعان ما عثرت عليه فصافحته على الفور وأخذ حقيبتي من يدي ورافقته إلى مرآب السيارات الذي يفصله عن بناية المطار شارع ضيّق نسبياً، وبعد أن استقللنا سيارته اتضح أنه لا يجيد العربية كما أنا لا أجيد التركية، لكنه يحسن من الإنجليزية ما يمكن أن يحقق لنا قدراً كافياً من التفاهم، وفي الطريق اتصل الدكتور محمد شيرين مرة أخرى كي يطمئن على أوضاعي ثم اتصل بعدها صديقي الأستاذ عبد الهادي تيمورتاش المدرّس في جامعة يوزونجي ييل ليسلّم عليّ ويخبرني بأن إبراهيم سينقلني إلى الجانب الأسيوي من اسطنبول حيث مكان إقامتي معه، وهنا أتيحت لي سياحة ليلية أمدها ثلاث ساعات لشدّة الازدحام في شوارع اسطنبول، وتوقفنا بعض الوقت على مضيق البوسفور حيث لقاء البحر السود ببحر مرمرة، واستأذنني إبراهيم ليجلب لي وله قدحين من النسكافيه مع قطع كيك لذيذة ومـاء في طقس اسطنبولي غائم وممطر وبارد.

وصلت بعدها إلى مكان إقامتي في الجانب الأسيوي إذ استقبلني عبد الهادي ومجموعة من الأساتذة الذين سبق لي أن التقيت ببعضهم في زيارتي السابقة، وقد قدموا إلى اسطنبول من مدينة (وان) في أقصى شرق تركيا لحضور مؤتمر دولي بعنوان (هدي خير العباد)، وقد أمضينا ثلاثة أيام جميلة في اسطنبول زرت فيها صحبة الأصدقاء مسجد السلطان أحمد وبايزيد والفاتح، وتجولنا كثيراً في شوارع اسطنبول يقودنا عبد الهادي العاشق للمشي، وعرّفنا على بعض ذكرياته في منطقة الفاتح حيث كان يسكن ويعمل في الإجازة يوم كان طالباً في القاهرة، وعلى الرغم من أنه أرهقني في ساعات المشي المتواصلة إلا أنني كنت في غاية الاستمتاع ولاسيما حين جلسنا في مقهى على الرصيف سمّاه (مقهى الجدار) وقال بأن كبار الأدباء والمفكرين يرتادونه دائماً .

بعد انقضاء أيام اسطنبول استقللنا طائرة محلية إلى مدينة وان مع مجموعة كبيرة من أساتذة الجامعة، وبعد طيران ساعتين وصلنا ظهراً مطار وان وكان بانتظارنا أحد الزملاء، حيث أقلنا فوراً إلى مبنى الجامعة الذي يبعد بحدود ١٥ كيلو متراً عن مركز المدينة، في

مكان شاسع يطلّ على بحيرة وان مباشرة، وقد قلت لأصدقائي هناك لو أن مشاريع كبرى تقام في هذا المكان باستثمارات ضخمة ربما ستكون أعظم مدينة جامعية في العالم، لما تتمتّع به من رحابة واحتضان لبحيرة وان الكبيرة جداً.

اليوم الأول في وان كان يوماً شاقّاً ومتعباً بالنسبة لي، إذ أخبرني الصديق عبد الهادي أن الدكتور محمد شيرين يسأل متى نصل بالضبط خوفاً من أن لا أكون في موعد المحاضرة الأولى التي سأدخلها، وقد حسبت أن عبد الهادي يمزح إذ كنت جائعاً وبحاجة إلى راحة واستلقاء وقيلولة، ولم أعرف أن الأمر كان جاداً حتى وصلنا قسم اللغة العربية وبعد الترحيب الموجز وتناول سندويجة سريعة مع الشاي أخذوني فوراً إلى المحاضرة، وفي الصف فوجئت ثانية أنّ عليّ أن أدرّس اللغة العربية لغير الناطقين بها، أي أعود إلى التدريس المتوسط تقريباً بعد أن هجرت هذا النوع من التدريس أعواماً طويلة، حتى إنني في العشر سنوات الأخيرة في الجامعة تفرّغت لتدريس طلبة الدراسات العليا فقط .

عانيت كثيراً حقاً في إعطاء الدروس بهذه الطريقة حتى أن صديقي عبد الهادي صادفني مرة وأنا خارج من أحد الصفوف، وحين وجدني أغصّ بعرق بلل قميصي كلّه قال لي هل أنت خارج من معركة؟ وقد فرحت بهذا الوصف الذي يدل على اندماجي العميق ورغبتي العارمة في السعي إلى إيصال المعلومة إلى الطلبة، كنت بالرغم من هذا الجهد الكبير في غاية الاستمتاع وأنا أشاهد الطلبة يندمجون معي برغبة كبيرة في التعلّم، لقد أحببتهم جداً وأحسب أنهم بادلوني هذا الحب، وكانت تجربة في غاية الطرافة والمتعة والجمال .

كانت إقامتي في فندق صغير وجميل وأنيق داخل الجامعة تفصله عن البحيرة باحة مشجّرة رائعة المنظر، ولطالما كنت أنزل صباحاً أتجول بها وصولاً إلى البحيرة وهي غالباً مملوءة بالطلبة ذكوراً وإناثاً، في منظر يسرّ العين ويريح الخاطر، كنت أتناول الفطور صباحاً قبل أن يأتي الصديق محمد شيرين رئيس قسم اللغة العربية ليأخذني إلى الدرس، وقد أعدّ لي برنامجاً أنموذجياً أعطي فيه درساً لمدة ساعتين صباحاً وآخر مثله بعد الظهر، ثم نذهب إلى أحد مطاعم الجامعة صحبة العميد في كثير من المرات وأساتذة آخرين، ثم أعود إلى الفندق لآخذ قيلولتي ويعود إليّ مساءً الدكتور محمد كسكين غالباً معاون العميد ليأخذني إلى المطعم المركزي الخاص بالأساتذة قريباً من الفندق .

ربما يبدو في هذا السياق وكأن وقتاً طويلاً سأقضيه وحدي بعد وجبة العشاء التي تنتهي بحدود السابعة والنصف عادةً، لكنني كنت بأمس الحاجة إلى هذا الوقت إذ كنت أشتغل على كتابي الجديد وقد جلبت معي كل ما أحتاجه من أجل العمل عليه، لذا أنجزت هناك ما يقرب من ربع الكتاب، وعلى هذا فلم يكن لديّ وقت فراغ البتة، ومرّ



الأسبوعان وثلاثة أيام بعدهما مروراً سريعاً جداً .

وإذا كان لا بدّ من الحديث عن طبيعة الجامعة فهي بالنسبة لي ـ بوصفي زائراً عابراً ربما ـ ساحرة بمعنى الكلمة، وعلى الرغم من أنها بحاجة إلى عمل كبير يرفعها إلى مستوى الجامعات الكبرى نظراً لموقعها الستراتيجي المذهل، إلا أنها بإمكاناتها الحالية جامعة جميلة في كلّ شيء، إذ إن البحر يمنحها طقساً ومنظراً وإحساساً آسراً وأخّاذاً، وكنت حين أتجول على الشاطئ وسروب الغيد تخترقني ذات اليمين وذات الشمال اشعر بنشوة رائعة، وأغبط الطلبة على حياتهم الجامعية المثالية.

في اليوم الأول من العطلة بعد انقضاء الأسبوع الأول تناولنا وجبة عشاء فاخرة ولذيذة جداً في منزل الدكتور شيرين في المنطقة الجبلية التي تشرف على المدينة، وفي الصباح الباكر قادنا في رحلة ساحرة إلى جزيرة (أختمارا) وسط البحيرة حيث صفاء الطقس ومتعة الرحلة مع محمد شيرين ومحمد كسكين ورمضان أوزمان، وحين سألت عن معنى اسم الجزيرة تطوّع شيرين بسرد حكايتها التي تتلخص في أن شاباً تركياً أحب ابنة القس الذي يترأس الكنيسة المتمركزة وسط الجزيرة، وكان اللقاء بينهما يتمّ حين تقوم الفتاة بإضاءة مصباح نفطي صغير كان

بمثابة دعوة للعبور نحو الجزيرة، ولم تكن المسافة طبعاً بالأمر الهيّن مطلقاً إذ استغرقت رحلتنا إلى الجزيرة بعبّارة سريعة ما يقرب من ربع ساعة تقريباً، كان يقطعها العاشق المسكين سباحة، وفي يوم ما كشف الأب القس هذه العلاقة فاحتجز المصباح وسجن ابنته، وحيث كان العاشق بحاجة إلى إضاءة ثانية كالعادة حتى يخرج إليها بعد أن تلقّى الإشارة الأولى للانطلاق من اليابسة وأصبح يحوم حول الجزيرة، غير أن الإضاءة المنتظرة تأخرت طويلاً حتى فقد كلّ قدرته على مواصلة السباحة، وقبل أن تبتلعه البحيرة إلى الأبد صاح صيحته الشهيرة ((أخ .... تمارا)) إذ كان اسم حبيبته المنكوبة ((تمارا))، فظلّت هذه الصيحة ترنّ في ضمير العشاق وأسطورة الحب حتى تعارف الناس عليها بهذا الاسم .

في اليوم الثاني من العطلة وهو يوم الأحد كانت لي رحلة مع الصديق الدكتور رمضان أوزمان، أخذني صباحاً إلى سلسلة مطاعم شعبية تغصّ بالزوّار وتناولنا فطوراً تقليدياً يدعى عندهم بـ ((الفطور الواني))، ثم غادرنا بسيارته نحو ((قلعة وان)) الشهيرة وقضينا وقتاً جميلاً هناك حيث وجدنا عرساً كبيراً جداً قيل إنه لأحد أبناء المسؤولين هناك، وكان الغالب على الأغاني والألحان والدبكات والرقصات التراث الكردي الذي أعرفه جيداً، ويعد تجوال في السوق أوصلني مساءً إلى محل إقامتي داخل الجامعة .

كان عليّ في اليوم الأخير من برنامجي أن ألقي محاضرة عامة لطلبة الكلية ((كلية الإلاهيات)) محاضرة عامة من اختياري، فقررت أن ألقي محاضرة بعنوان ((كيف تقرأ نصاً أدبياً)) حضرها كل طلبة الكلية وأساتذتها وعميد الكلية الدكتور عبد الباقي جونش ومساعد رئيس الجامعة، وقد استمرت مع المحاورات والمناقشات ما يقرب من ساعة تقريباً، أعتقد أن الجميع كانوا في غاية الاندماج والتفاعل معي ـ ولاسيما طالباتي وطلابي الذين أرى المحبة الصادقة تتلألأ في عيونهم ـ بالرغم من صعوبة المحاضرة بعض الشيء على قسم منهم.

ثمة دعوة غداء في اليوم ما قبل الأخير داخل المدينة في منزل الأستاذ (رجب) الذي لا يجيد العربية جيداً، وكان برفقتنا الأخ عميد الكلية وصديقين آخرين أحدهما الدكتور زاهد توفيق أستاذ في كلية الطب البيطري وهو عراقي من كركوك يقيم منذ خمسة وثلاثين عاماً في هذه المدينة، وبعد أن انتهينا من وجبة الغداء اللذيذة جداً وهي وجبة شعبية معروفة في العراق تسمى ((مقلوبة)) لكنها أُعدّت بطريقة أخرى، جلب لنا الأخ رجب قميصاً هدية لكل مدعو قائلاً إن هذه الهدية هي ((أجر الضرس)) الذي مضغ الطعام، وقد استحسنت الفكرة جداً ـ ربما لأنني مدعو ولست داعياً ـ وأنا أسمع بها أول مرة .

في اليوم الأخير وقد حزمت أمتعتي للسفر إلى اسطنبول شعرت بغصّة أن أفارق هذه المحبة الغامرة والكرم الرفيع، مثلما شعوري بشوق عظيم إلى أسرتي سواءً بسواء، كنت على

موعد صباحي مع الدكتور محمد كسكين الـذي سيقلني بسيارته إلى المـطار، حيث وجدنا الدكتور شيرين بانتظارنا وقد أخذ حقيبتي من يـدي وأنهى كل الإجـراءات المطلوبة وسلّمني البطاقة فودعته ودخلت مكان الانتظار الذي يفصلني عن الطائرة، فلوّح لي شيرين من بعيد وانتهت هنا على هذا الأساس مدة الأسبوعين في وان، لكنني فوجئت بعد قليل بشخص يسلّم علي باسمي فصافحته وقلت ربما عرفني في الجامعة، لكنه حين أشار إليّ أن أنظر إلى خارج المكان وجدت أن الصديق الجميل المدهش شيرين ما زال واقفاً، إذ وجد أحد معارفه مسافراً ليوصيه بي حتى أخر مرحلة وآخر رمق من الضيافة الباذخة التي لا يمكن وصفها .

وحين صعدنا إلى الطائرة طلب هذا الصديق الجديد من المضيفة تغيير مكانه ليجلس بجانبي، ثم بعد قليل من إقلاع الطائرة أخرج كتاباً تعليمياً في اللغة العربية وبدأ حواره معي، وكان عليّ أن ألقي درساً آخر في العربية حتى وأنا على متن الطائرة، ولولا أن شريكنا الثالث القريب من مقعدينا اعتذر بأدب بأنه يريد أن ينام ولا يتمكّن من ذلك لأن صوتنا يزعجه، لكنت قضيت ساعتي الطيران إلى اسطنبول في درس طائر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فاغتنمت الفرصة الذهبية على الفور ورحت في غفوة طويلة كنت بأمس الحاجة إليها، غير أن هذا الصديق الكريم لم يتركني حين وصلنا المطار حتى جاءني مضيفي الـذي كـان ينتظرني خـارج المطار، وهنا ودعني ((وفي نفسه شيء من حتى)) .

أقلّني الأخ الذي استقبلني إلى مقر جامعة الفاتح مكان إقامتي حتى صباح الغد حيث طائرتي إلى أربيل في الحادية عشرة صباحاً، وسألته إن كان يعرف شيئاً من العربية أو الإنجليزية فـأفـاد بأنه لا يجيد سوى التركية التي لم استطع أن أتعلمها في هذين الأسبوعين، لأن السيد العميد طلب مني أن أعلّم طلبته العربية ولا أتعلم التركية، وهكذا خسرت فرصة ثمينة لتعلّم اللغة التركية في مدة أسبوعين من دون معلم .

تحية إلى الصديق عميد الكلية، تحية إلى الجميل الرائع الأنيق في كل شـيء محمد شيرين، تحية إلى عبد الهادي الذي كان أكثر من نسمة شفافة مشحونة بالحب أتفاءل به دائماً، تحية إلى رمضان أوزمـان المتعطش لتعلّم العربية مثل عاشق ملهوف، تحية لكل أساتذة كلية الإلاهيات وقد غمروني بمحبتهم وكرمهم، تحية إلى طالبات الكلية طالبة طالبة وإلى طلابها طالباً طالباً، وإلى فضاء الجامعة الرحب وفضاء البحيرة الأرحـــب، وإلى كـلّ كلمة حـب واعـتـزاز وتقدير وكرم تلقيتها من الجميع وبقيت هناك شاهداً على الصدق والجمال واللغة والمعرفة، مؤملاً روحـي بـأن ثمة لقاءات كثيرة من هذا النوع هي في طريقها إليّ، لذا لم أقل لأحد منهم وداعاً بل كنت أقول للجميع إلى لقاء قريب.

يوم الصحافة الكردية وتجديد الآمال



بقلم: لقمان محمود

لا تزال الصورة المثالية للصحافة، رغم اختلاف الأزمنة وتبدل العصور، هي التي تعبّر عن وعي وعمق ثقافة الأمم. ومازالت نظرة الكرد ، لجريدتهم الأولى ، تعكس انطباعها الملموس، بمعناها الريادي الحقيقي. وما زال العالم الكردي يحتفي في الثاني والعشرين من شهر إبريل/ نيسان في كل عام، بيوم الصحافة الكردية، ليكون هذا اليوم مناسبة حقيقية للاحتفال بالذكرى السنوية لجريدة "كردستان".

حيث تحتفل الأمة الكردية، بعيد الصحافة الكردية في كل عام، بمناسبة صدور أول صحيفة كردية، حملت اسماً مخيفاً لكل الدول التي استعمرتها. إن اسم "كردستان"، دليل على وجود أمة توزعت قسراً على دول الجوار. هذا ما يؤكده الظرف التاريخي والسياسي الذي ولدت فيه الجريدة - جريدة "كردستان"، الذي أعقب سقوط الإمارات الكردية؛ وانهيار الانتفاضات والحركات التحررية لكل من (البدرخانيين) و(الشيخ

عبيدالله النهري)، وكذلك ازديـاد الضغط العثماني، على القوميات غير التركية، داخل الإمبراطورية، وتنامي الشعور القومي لدى هذه القوميات، كل هذه وغيرها من الأسباب، أعطت جريدة "كردستان" أهمية خاصة، حيث يبدو أن القائمين على إصدار الصحيفة، قد أدركـوا أهمية الصحافة والكلمة كسلاح جديد للنضال، بعدما تم إسكات نضالهم المسلح بالقوة.

إن صدور "كردستان" كأول جريدة كردية في التاريخ، يعتبر نقطة تحول مهمة، ليس في تاريخ الصحافة الكردية وحسب، بل وفي مسيرة النضال التحرري للأمة الكردية.

فقد عرفت هذه الأمة - وبشكل مبكر- أهمية الصحافة، كرد فعل لاثبات الهوية القومية، و رغم ذلك لم ننجح نحن الكرد، حتى اليوم، في إكمال رسالة الأب الفعلي للصحافة الكـرديـة- رسـالـة المعلم الأول (مـقـداد مدحت بـدرخـان)، الـذي أصـدر في ظروف حالكة أول نسخة من جريدة " كردستان " في مصر بتاريخ ٢٢ نيسان ١٨٩٨ م .

فنحن كأمة مضطهدة، ما زلنا بحاجة إلى صحافة حقيقية، تدافع عن حقنا أمام الأمم الغالبة.. صحافة تتبصر مستقبل هذه الأمة المقهورة، التي ما زالت تطالب بحقها المشروع في الحرية و تقرير المصير..صحافة تتأثر بواقعها السياسي والتاريخي والحضاري. خاصة إذا ما عرفنا أن الأمة الكردية، هي الأمة الوحيدة بين أمم الشرق الأوسط، التي يفرض عليها ظلم الإحتلال والإلحاق، رغم تحرر معظم أمم العالم. فهي حتى الآن لا تزال بدون كيان سياسي، مع العلم أن لهذه الأمـة وطناً خاصاً، متميزاً جغرافياً عن أوطـان الأمـم الأخـرى التي تجاورهـا. ومن يعرف تاريخ اصدار العدد الاول، من جريدة "كردستان"، سيعرف أن هناك وطناً يعرف بهذا الاسـم، خضع في القرن التاسع عشر للدولتين الصفوية والعثمانية.

فبعد الحرب العالمية الأولى، تحولت كردستان إلى مستعمرة مقسمة لأربعة اقسام، يتبع كل قسم منها: أيـران، تركيا، العراق، وسوريا. ومنذ ذلك التاريخ، والحكومات المركزية أعلاه، تحاول بشتى السبل تحويل الكرد الى أقلية صغيرة.

لقد كانت جريدة "كردستان" القبس الأول في تنوير الذهن الكردي، و البداية الحقيقية لنشر الفكر القومي للكرد، وهي بذلك تستحق أن تكون البوصلة الحقيقية للصحافة الكردية الواعية، و الصادقة، لخدمة إظهار الحق الكردي على أرضه التاريخية.

وهنا، أحب أن اشير إلى أن مقداد مدحت بدرخان (قبل ١١٥ عاماً) كان قد أشـار إلى الهدف من إصـدار جريدة "كردستان "، بما يلي :

أولا، ايصال صوت الشعب الكردي، والكلمة الكردية، إلى كل أرجاء كردستان، والمنطقة، وتنوير عقول الكرد منها، وتوسيع مدارك أفكارهم .

ثانيا، اثبات وجود الشعب الكردي، وشرعية قضيته للعالم، وبـأن للكرد جريدة، ولغة، حالهم، حال شعوب المنطقة.

الوضع الكرديّ الرّاهن، بقاء أم فناء؟



بقلم: نارين عمر

المتتبّع لمجريات الأحداثِ في منطقة الشّرق الأوسط والعالم العربيّ يقفُ حائراً أمامَ ما سيكونُ عليه حال مجتمعاتِهما وشعوبهما في الغدِ وبعد الغد, ولكنّ الحيرة تزدادُ إيقاعاً وطنيناً حين يتعلّقُ الأمـرُ بواقع الشّعب الكرديّ وما ستؤولُ إليه حاله خلال الأيّـام القادمة, وعشرات الأسئلةِ والاستفسارات تتزاحمُ في الفكر والوجدان حول الكردِ ونضالهم ومكتسباتهم في هذه الظّروف التّاريخيّة الحسّاسةِ التي قد تتكرّر بعد عشرات الأعوام أو التي قد لا تتكرّر:

-هل استطاع الكردُ الاستفادة من الدّروس والعِبَرِ التي رست على شواطئ هذه الأحداث؟

-هل بقي لديهم المزيد من الوقتِ للمّ صفوفهم ومراجعةِ ذاتهم, والتّغلّب على وساوس أنانيّتهم التي غالباً ما تكون قاتلة؟

-هل بقي لديهم المزيد من الوقتِ والجهدِ لتطبيق مقولةِ "الإنسان المناسب في المكان المناسب"؟ وهل سيختارون مَنْ يقودونهم الآن ومَنْ سيقودونهم غـداً, ويقفون على محطةِ حياتهم بمراحلها المختلفة, ويسبرون أغوار فكرهم وعواطفهم ليتمّ الاختيار بشفافيةٍ وصدق بعيداً عن لغةِ المصلحةِ والأنـانـيّـةِ وذوي القربى اعتماداً علىمقولة "الأقـربـون أولى بـالـمعـروف" وعـلـى المـعـارفِ والأصحاب وأولادِ الحارةِ والبلدةِ والقرية؟

-إلى متى سنكرّرُ أخطاءنا ذاتها, ونغلّبَ أنانا "الأنا" الكامنة فينا على مصلحةِ الشّعبِ والمجتمع والوطن, ثمّ نقول بكلّ فخر:

"نحن الكرد شعب مغلوب على أمـره, يلزمنا

المزيد لنتعلّم ونعتادَ على أساليب اللّباقة واللّياقةِ للشّعوب والمجتمعاتِ الأخرى"؟

أو نقول: "هذه المرحلة جديدة علينا ونحن حديثو العهدِ بالإمساكِ بزمام الأمور فيها".

-متى...؟ وأين...؟ وكيف...؟ أسئلةٌ واستفسارات من وحي الغموض، فهل ستهتدي إلى نور الحقيقةِ والصّراحة؟؟!!

كلّ الشّعوب والأمم تحاولُ اقتناص الفرص التي تُتاحُ لها إثْرَ الأحداثَ المرحليّة الهامّةِ والقويّةِ التي تعيشها وتتعايشُ معها، بعضها تتمكّنُ من تحقيق مآربها-كلّها- أو العديد منها باستحقاق وجدارةٍ، والبعضُ يستخلصُ منها العِبَرَ والمواعظَ التي تؤهّلها للسّيرِ في دروب النّجاح وتحقيق الأهدافِ، أمّا البعض الثّالثُ فيهدرُ وقته وفكره في أمور غير هامّةٍ وغير ملحّةٍ، ويتهافتون على مصارعةِ طواحين الهواءِ التي يعلّقون عليها أهدافهم وطموحاتهم، فيمرُ الوقتُ، ومعها تمرَ الأحداثُ والمتغيّراتُ، وتتالى قوافلُ الشّعوب والملل نحو عالمها الذي تسعى إلى العيش فيه، ويظلّ هذا البعضُ يصارعُ الطّواحين، ويصارعَ الذّات والآخر، وحين يجدون محيطهم فارغاً إلا من صراعهم وهوسهم يسارعون إلى البكاءِ والعويل واللّطم على الخدودِ والأقدام.

الشّعبُ الكرديّ إلى أيّ البعض يُصنّف؟ وأيّ الأهدافِ تدغدغُ مكمنَ نخوته؟ وأيّةِ أرضيّةٍ تثبتُ خطواته؟

لا شكّ أنّ الكردَ عاشوا واقع البعض الثّالثِ طويلاً، وتفاعلوا معه، واستنشقوا هواءَ الطّواحين حتّى الثّمالة، كما أنّهم الآن يحاولون أن يعايشوا البعضَ الثّاني، لتكون خطواتهم ثابتة، واثقة نحو الدّروب التي رُسمت أمامهم، والتي عليهم اختيار الأفضل والأصحّ منها، ولكنّ الغالبية العظمى من الكردِ يريدون ويتمنّون الانتقالَ مباشرة إلى عالم البعض الأوّل بغية اختصار الوقتِ والجهدِ، وبغية اقتناصَ هذه الفرصةِ الماسيّةِ التي قد لا تتكرّر إلا بعدَ دهور من الزّمن، ولمَ لا؟ والكردُ يمتلكون كلّ مقوّماتِ الشّعب والأمّةِ التي تؤهّلهم إلى تحقيق الأهداف وإنجاز العالم الذي يليقُ بهم في هذا العالمَ الذي حقّقت فيه أقليّات وملل صغيرة مقوّمات دولٍ وأقاليمَ وإمارات.

نعم، يستطيع الكردُ فعلَ كلّ شيء، وتحقيقَ المزيدِ والمزيدِ إذا التفتَ مَنْ بيدهم زمام الأمرِ والنّهي من الكردِ إلى أمور كانوا يرونها ثانويّة أو غير هامّة ولكنّها تشكّلُ صلبَ الموضوع وجوهرَ المضمون:

-يجب مراجعة الذّاتِ واكتشاف مكامن الخطأ والعطب وتجاوزها وتلافيها، بتغليب لغة العامّ على الخاص، ولغة الكلّ على الأنا، لأنّ مصلحة الأنا تتحقّقُ بتوفير مصالح الآخر أو الآخرين، وبهم ومعهم تسيرُ عجلاتُ الحياةِ على خطوطٍ مستقيمةٍ، سليمةٍ لا أخاديدَ فيها ولا عثرات.

-يتمّ ذلك من خلال تطبيق مبدأ" الشّخص المناسب في المكان الذي يناسبه" أيّاً كان هذا الشّخص، رجلاً كان أم امرأة، غريباً كان أم قريباً، غنيّاً كان أم فقيراً، لأنّ المجتمع الذي يبتغي بلوغ درجاتِ الوعي والحضارةِ والرّقيّ ينظرُ مليّاً في حالِ أفراده ومواطنيه، ويمنحُ كلّ شخصٍ منهم المكان الذي يستطيعُ فيه ممارسة طقوسِ عطائه وفنون إبداعه وخلقه.

-نعم، نحن الكردَ نُعتَبَر من الشّعوب المغلوبةِ على أمرها ولكنّنا نمتلكُ أسليبَ ووسائلَ اللّباقةِ واللّياقةِ التي تجعلنا معها أثرياء الفكر والضّمير، ومعها وبها نستطيعُ تجاوز كلّ المراحلَ الزّمنيّة، واستغلالَ مختلف الظروفِ والأحداثِ لصالح قضيّتنا ووجودنا وبقائنا.

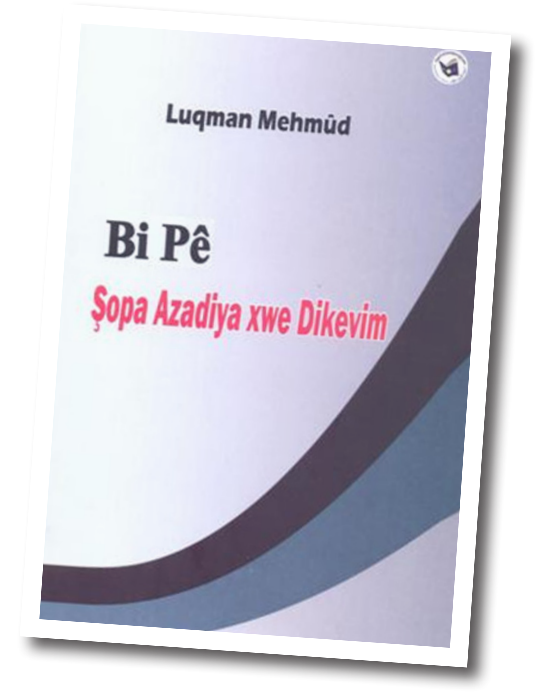
حدود محمودكي وعثمانكي..

سيامند ميرزو

لانريد القول أ ننا كشعب كردي نعيش أزمة صراع غير واضحه من اليمين الى اليسار يقف على جانبيه شرطي(محمودكي -وعثمانكي) في موروثنا الثنائي يبحث كل منهما على تأمين حاله قبل تأمين عياله ' فمن العار أن يدفع عيالنا فاتورة التقاتل المحمودكي والعثمانكي أذ لم يكن لهم فيها لا ناقه ولا جمل ' وأن من يمثلهم رجال لايميزون الحق من الباطل ولا حتى يفكون الخط ' ولا يحسنون تحدث أي لغه أخرى غير لغة الفرقه والتكفير ' لقد مللنا نظرية المؤامره وثقافة المظلوميه على مدى عصور ومهما أرتدى أطراف الصراع السياسي وجوها متغايره وأقنعه مختلفه للصراع ' ألا أنه كان وما يزال وسيظل الصراع محمودكي ذات طابع عثمانكي ' فهناك في مناطق مفسمة محمودكي' وفي مناطق اخرى عثمانكي ومن يدعي غير ذلك فاليأتي بالدليل ' فالشواهد كثيره والأحداث جليه ولم تعد خافيه على أحد ' فهذا الشحن الغير المبرر للتفرقة' يجعلنا ان لانعرف معنى الأستقرار ألا قليلا اليوم كل شيئ في مناطقنا الكردية يتقاطع مع أجندات داخليه وخارجيه تتشابك الأهداف وتتعارض الخطط وتتضارب المصالح وتتعدد الرايات حتى أصبح كل شيئ عبثي والسمه المألوفه لمناطقنا المنكوبة أصلا كانه ينقصنا بتقاتل أبنائه ' المشكله الحقيقيه في المتصدين للعمليه السياسيه فمنهم من يجد نفسه مطالب بالأنحياز الى محمودكي ومنهم من يجدنفسه مطالب بالولاء لعثمانكي وفي ظل أجواء التخوين والعماله والتكفيرالكرسي الذي يخيم على المشهد االكردي 'وهذا يدفعك الى الاستنتاج ان الأطراف السياسيه مدعومه من الخارج وليس من الشعب والتي لا تخرج من قبضة التأثير والتوجيه السياسي ' وثبت ذلك بكثير من الأدله 'ان بعض السياسين مجرد أدوات خاضعه لرغبات صناع القرار خارج حدود الكردايتي' ووسط هذه الصراعات يقف الانسان الكردي المغلوب على امره أمام مشاهد الموت والفساد والجوع الذي يضرب البلد والعباد وهو متفرج '' وأين ما كان الصراع سواء من جماعة محمودكي او جماعة عثمانكي فأن شعبنا الكردي هو الضحيه ن في أن السياسيين االاكـراد غير قادرين على حل خلافاتهم قرابة قرون من الزمن ' ولا الشعب الكردي يستطيع حلها ' فهل قدر شعبنا وارضنا وعرضناأن يظل رهينة أضطرابات وأزمـات لاتنتهي الابدفع االانسان الكردي ثمنها من دمه ووجوده ومستقبل أجياله ؟

إصدارات
وصلت إلى المجلة

كتاب جديد للشاعر لقمان محمود باللغة الكردية



ضمن منشورات إتحاد الأدباء الكرد - المركز العام، صدر حديثاً في العاصمة هولير – أربيل مجموعة شعرية باللغة الكردية، للشاعر والناقد لقمان محمود، تحت عنوان "أتابع حريتي".

حيث تمثل القصائد جزءاً من مسيرة لقمان محمود الشعرية على امتداد عقدين. أصدر خلالها أربعة دواوين. وهذه الدواوين هي على التوالي: "أفراح حزينة" عام ١٩٩٠، "خطوات تستنشق المسافة: عندما كانت لآدم أقدام" عام ١٩٩٦، "دلشاستان" عام ٢٠٠١، و "القمر البعيد من حريتي" عام ٢٠١٢.

جاءت المجموعة بمقدمة للشاعرة دلشا يوسف وفيها نقرأ:

تتسم نصوص لقمان محمود بجمالية متفردة، ولغة تدفع بالبعد الحسي إلى ملامسة الحقيقة و إختراق تفاصيلها الطافحة بالقسوة الموحشة على مدى عمر من المنفى والقهر. وكل ذلك من خلال مخيلة مشحونة برؤى تدفعها إليها ذاكرة حية تنهض على ملاحقة الماضي بكل همومها اليومية.

إنها خاصية الشاعر المسكون دائماً بالخوف من الفرح، بإعتباره – الفرح - وهم يتجلى فقط من خلال النسيان. إن وعي الشاعر بأوهامه مظهر من مظاهر مجابهة المنفى.

إن تجربة الشاعر في هذه القصائد وما سبقتها، هي تجربة إنسانية زاخرة بعوالم فنية رائعة، تسهم في تشكيل الذائقة الشعرية

الجديدة. فالقصيدة لديه تزخر بالمعاني الإنسانية المتأتية من معاناته الشخصية و التي عبَر عنها بمستويات لغوية أدائية متعددة، فضلاً عن أفقها الإبداعي و الجمالي.

تاريخ الكرد في العهود الاسلامية للباحث أحمد محمود الخليل



صدر حديثا للباحث الكردي أحمد محمود الخليل (تاريخ الكرد في العهود الاسلامية) عن دار آراس بالاشتراك مع دار الساقي.

يشتمل هذا الكتاب القيم على المحاور التالية:

- تأصيل اسم كُردستان- أصول الشعب الكُردي - جغرافيا كُردستان - مناطق انتشار الكُرد خارج كُردستان.
- المجتمع الكُردي - الشخصية الكُردية- اللغة والأدب - الديانة.
- موجز تاريخ أسلاف الكُرد قبل الإسلام: جُوتي – لوللو – سُوبارتو – كاشّو – حُوري- ميتّاني- خَلْدي- ميدي - العهد الأخميني، العهد السُلوقي، العهد البارثي (الاشگانى)، العهد الساساني.
- مَواطِن الكُرد في المصادر التاريخية والجغرافية الإسلامية - الكُرد وكُردستان في صدر الإسلام - في عهد الخلافة الراشدة - في عهد الخلافة الأُموية.
- تاريخ الكرد في العهد العبّاسي الأوّل - في العهد البُوَيْهي – في العهد السَّلجوقي – في العهد الزَّنْكي – في العهد الأيّوبي.
- الكُرد وكُردستان خلال الغزو المَغولي - في العهد المَملوكي - خلال الغزو التَّيمُوري – في العهد العثماني والصَّفَوي - الانتفاضات والثورات الكردية.
- الدول الكُردية: الدولة الدُوسْتِكية (المَرْوانية) - الدولة الأيُوبية - الدولة الزَّنْدِية.
- مواقف حربية حاسمة في تاريخ الإسلام: الدفاع عن مكّة والمدينة - معركة حِطِّين - تحرير مدينة القدس - معركة المَنصورة.
- تراجم موجزة لبعض أعلام كُردستان في المجالات الدينية والسياسية والعلمية والأدبية والفنية.

وعموماً تتيح المعلومات الواردة في الكتاب للقارئ تكوين رؤية شاملة ومتكاملة حول تاريخ الكرد قبل الإسلام، وفي العهود الإسلامية، على نحو موجز ومتسلسل ودقيق ومبسَّط وواضح وموثَّق.

مجلة "أبابيل" المتخصصة بالشعر



عن دار أبابيل للطباعة والنشر.www.ebabil.net صدر العدد الجديد (٦١) من مجلة "أبابيل" الشهرية المتخصصة والتي تعنى بالشِعر، ويترأس تحريرها الشاعر عماد الدين موسى، هذا العدد جاء مزيناً بلوحة للفنان أحمد محمد الياس، وتضمن ملفاً موسعاً حول الترجمة شارك فيه نخبة من المبدعين.

افتتاحية العدد والتي كتبها الباحث المغربي محمد برزوق، بعنوان "الترجمة أيقونة أم سيمولاكر؟".

وتضمن باب أشجار عالية مختارات من شعر المرأة الأفغانية (ترجمة: محمد حلمي الريشة)، وقصائد من الشاعر الليثواني موسيليوس مورتيناتس (ترجمة: عاشور الطويبي)، وأخرى من الشاعر المغربي الراحل احمد بركات.

كما تضمن باب قوارب الورق مقالات ودراسات توزّعت بين: جواد وحمو (الشاعر باعتباره كائناً تراجيديا)، أحمد دحبور (ثلاثة أصوات من جيل جديد مختلف)، يوسف يوسف (قراءة في مجموعة "القمر البعيد من حريتي" للشاعر الكردي لقمان محمود)، رشيد الجلولي (قراءة في مجموعة "قبل أن تستيقظ طنجة" للشاعرة نسيمة الراوي).

في حين تضمن باب إصدارات عروض موجزة لمجموعة من الكتب الجديدة: قصائد مختارة للشاعر البرتغالي أدلبرتو ألفش، غرام افتراضي للشاعر المصري سمير درويش، كشاعر سعيد كطاغية يبتسم للشاعر العراقي سعد الياسري، وسلام سرحان للشاعر العراقي سلام سرحان.

كما تضمن باب عائلة القصيدة قصائد لكل من: ادريس عيسى، موسى حوامدة، علا حسامو، وخليفة الذراعي.

ليختتم العدد بزاوية "أحوال" التي يكتبها رئيس تحرير المجلة، الشاعر عماد الدين موسى.